

بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

تأليف

الإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي
الشهير بالجمل
المتوفى ١٢٠٤ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

إبراهيم شمس الدين

الجزء السادس

المحتوى

من أول سورة القصص - إلى آخر سورة غافر



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة

Title : AL-FUTŪḤĀT AL-'ILĀHIYYA BITAWḌĪḤ TAFSĪR AL-JALĀLAYN LIL-DAQĀ'IQ AL-ḪAFIYYA

(AN EXPLANATION OF AL-JALALAYN'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN)

التصنيف : تفسير القرآن

Classification: Science of Exegesis of the Qur'an

المؤلف الإمام سليمان بن عمر العجيلي "الجمل"
(ت ١٢٠٤ هـ)

Author : Al-Imam Sulayman ben Omar Al-Ojayli "Al-Jamal" (D 1204 H.)

المحقق إبراهيم شمس الدين

Editor : Ibrahim Shamseddin

الناشر دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (8Vols/8Parts) 3983 عدد الصفحات (٨أجزاء/٨مجلدات)

Size 17×24 cm قياس الصفحات

Year 2018 A.D - 1439 H. سنة الطباعة

Printed in Lebanon بلد الطباعة لبنان

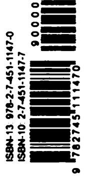
Edition 5th الطبعة الخامسة

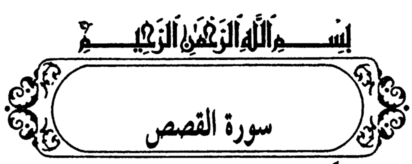
http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax : +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon, Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ /١١/١٢
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN-13 978-2-7451-1147-0
ISBN-10 2-7451-1147-7



سورة القصص

مكية وتسمى أيضاً سورة موسى، وتقدم أن أسماء السورة توفيقية وكذا ترتيبها وترتيب الآيات اهـ إلا ﴿إن الذي فرض﴾ الآية نزلت بالجحفة. وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

﴿طسٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ المظهر الحق من الباطل ﴿نَتْلُوا۟﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾ لأجلهم لأنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (نزلت بالجحفة) قال مقاتل: خرج النبي ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فقال له جبريل إن الله يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد أي: إلى مكة ظاهراً عليها. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بالجحفة فليست مكية ولا مدنية. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس: إلى معاد قال إلى الموت، وعن مجاهد أيضاً، وعكرمة، والزهري، والحسن: أن المعنى لرادك إلى يوم القيامة وهو اختيار الزجاج يقال: بيني وبينك المعاد أي: يوم القيامة لأن الناس يعودون فيه أحياء وفرض معناه أنزل اهـ قرطبي.

قوله: (أي هذه الآيات) أي: آيات هذه السورة.

قوله: ﴿نتلو عليك﴾ أي: بواسطة جبريل، وقوله: ﴿من نبأ موسى﴾ من تبعيضية أي: نتلو عليك شيئاً هو بعض نبأ وخبر وقصة موسى وفرعون اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿نتلو عليك﴾ يجوز أن يكون مفعوله محذوفاً دلت عليه صفته، وهو قوله: ﴿من نبإ موسى﴾ تقديره عليك شيئاً من نبأ موسى، ويجوز أن تكون من مزيدة على رأي الأخفش أي: نتلو عليك نبأ موسى اهـ.

قوله: (نقص) في المصباح: وقصصت الخبر قصاً من باب قتل حدثته على وجهه والاسم القصص بفتحتين اهـ.

قوله: ﴿بالحق﴾ حال من فاعل نتلو أي: حال كوننا ملتبسين بالصدق أو من المفعول أي: حال كونه أي: الخبر ملتبساً بالحق اهـ شيخنا.

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مصر ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ فرقاً في خدمته ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ المولودين ﴿ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ بالقتل وغيره ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ ملك فرعون ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض مصر

قوله: (لأجلهم) أشار به إلى أن اللام للتعليل متعلق بنتلو وهو الظاهر اهـ.

قوله: ﴿إن فرعون﴾ الخ مستأنف استئنافاً بيانياً كأنه قيل وما نبؤهما؟ فقيل: إن فرعون الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ أي: فرقاً يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية، أو فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لا تتفق كلمتهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يستضعف طائفة﴾ حال من فاعل جعل أو صفة لشيعاً، وقوله: ﴿يذبح﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿يستضعف﴾ الخ اهـ شيخنا.

قال ابن عباس: إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم إلى أن أنجاهم الله على يد نبيه موسى عليه السلام اهـ خازن.

قوله: ﴿منهم﴾ أي: أهل مصر. قوله: ﴿يذبح أبناءهم﴾ أي: كثيراً فقد قيل: إنه ذبح سبعين ألفاً اهـ.

قوله: (لقول بعض الكهنة الخ) تعليل لقوله: ﴿يذبح﴾ الخ. قوله: ﴿إنه كان من المفسدين﴾ أي: الراسخين في الإفساد، ولذلك اجترأ على مثل تلك الجريمة العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم السلام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ونريد أن نمن﴾ معطوف على أن فرعون الخ داخل معه في حكم تفسير النبأ وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو حال من يستضعف اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿أن نمن على الذين استضعفوا﴾ أي: نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه اهـ شيخنا.

قوله: (يقتدى بهم) أي: بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين مهانين اهـ.

قوله: ﴿الوارثين﴾ أي: وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبىء عنه تعريف الوارثين اهـ أبو السعود.

أي: لا الوارثة المعهودة في شرعنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أصل التمكين أن يجعل للشيء مكان يتمكن فيه ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر اهـ بيضاوي.

والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وحي إلهام أو منام ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته

أي: نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيفما يشاؤون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ونري فرعون﴾ أي: رؤية بصرية، وفرعون وما عطف عليه مفعول أول، وما كانوا يحذرون مفعول ثان وقوله: (وفي قراءة الخ) وعليها فله مفعول واحد فقط وهو ما كانوا يحذرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجنودهما﴾ الإضافة إليهما إما للتغليب، أو أنه كان لهامان جنود مخصوصة وإن كان وزيراً أو لأن جند السلطان جند لوزيره اهـ شهاب.

قوله: (والراء) أي: وفتح الراء، وعلى هذه القراءة تجب إمالة الألف إمالة محضة، وقوله: (ورفع الأسماء الثلاثة) أي: على الفاعلية. قوله: ﴿منهم﴾ أي: من أولئك المستضعفين وهم بنو إسرائيل، وهم متعلق بنري أي: ونري فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ما كانوا يحذرون أي: يخافونه منهم وقد كان اهـ شيخنا.

قوله: (الذي يذهب ملكهم على يديه) استشكل بأن ذهاب ملكهم وهلاكهم ليس مما رأوه وأجيب: بأن الابصار لا يتوقف على الحياة عند أهل الحق، ولذلك قال ﷺ في أهل القلب: «ما أنتم بأسمع منهم» مع أنه يجوز أن المراد يكون رؤية طلائعه وأسبابه وذلك حين أدركهم الغرق اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ الخ معطوف على قوله: ﴿إن فرعون علا في الأرض الخ﴾ دخل معه في حكم تفسير النبأ، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين أرضعيه فألقيه، ونهيين لا تخافي ولا تحزني، وخبرين إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، وبشارتين في ضمن الخبرين الرد والجعل المذكوران اهـ شيخنا.

قوله: (وحي إلهام أو منام) عبارة القرطبي: اختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إلهاماً، وقالت فرقة: كان بملك تمثل لها. قال مقاتل: أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام وأجمع الكل على أنها لم تكن نبية، وإنما أرسل الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور خرجه البخاري ومسلم. وقد ذكرناه في سورة براءة وغير ذلك مما روي من تكليم الملائكة الناس من غير نبوة، وقد سلمت الملائكة على عمران بن حصين ولم يكن بذلك نبياً اهـ.

قوله: ﴿إلى أم موسى﴾ واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذل المعجمة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال الثعلبي: كان اسم أم موسى لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل مصافية لأم موسى ومصاحبة لها، فلما أضربها الطلق أرسلت إليها

. . . .

فقالت: قد نزل بي ما نزل فليسعفني حبك إياي اليوم فعالجتها، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها. قالت القابلة لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتيني إلا ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك. فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاؤوا على بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع. قال: فدخلوا فإذا التنور مسجور، ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ فقالت: هي مصافية لي فدخلت عليَّ زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها، فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ فقالت: لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً فاحتملته قال: ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله في نفسها أن تتخذ له تابوتاً ثم تقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال النجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: لي ابن أخبئه في التابوت وكرهت الكذب. قال: ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما همَّ بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء ما يقول فأعياهم أمره. قال كبيرهم: اضربوه فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه ردّ عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضاً يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً فضربوه وأخرجوه، فبقي حيران فجعل الله عليه أن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه، وأن يكون معه، ويحفظه حيثما كان وعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجداً وقال: يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به وصدقه.

وقال وهب: لما حملت أم موسى كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل إليهن ففتشن النساء تفتيشاً لم يفتش قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها. فلما كانت الليلة التي ولدته فيها ولا رقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو البحر ليلاً. قال ابن عباس وغيره: كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد، . كان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس. فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيء في

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر أي النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلى بالقار من داخل ممهد له فيه وألقته في بحر النيل ليلاً ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ بالتابوت صبيحة

البحر قد تعلق بشجرة ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب، فإذا هي بصبي صغير في التابوت، وإذا النور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منها لبناً فألقى الله محبته في قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت في الحال بإذن الله تعالى فقبلته وضمته إلى صدرها، فقال الغواة في قوم فرعون: أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمي به في البحر خوفاً منك، فهمَّ فرعون بقتله فقالت آسية: قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي: فنصيب منه خيراً أو نتخذه ولداً، وكانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه. قال رسول الله ﷺ: «لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها». فقيل لآسية: سميه. فقالت: سميته موشى لأنها وجدناه في الماء والشجر لأن من هو الماء وشا هو الشجر، فأصل موسى بالمهملة موشى بالعجمة اهـ خازن.

قوله: ﴿أن أرضعيه﴾ يجوز أن تكون أن مفسرة وأن تكون مصدرية، وقرأ عمر بن عبد العزيز، وعمرو بن عبد الواحد بكسر النون على التقاء الساكنين كأنه حذف همزة القطع على غير قياس فالتقى ساكنان فكسر أولهما اهـ سمين.

وأمرها بإرضاعه مع أنها ترضعه طبعاً وإن لم تؤمر بذلك ليألف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون، فلو لم يأمرها به لربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت المقصود اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وكان الوحي برضاعه قبل ولادتها وقيل بعدها اهـ.

قوله: ﴿فإذا خفت عليه﴾ أي: من الذبح أي: اشتد خوفك عليه. قوله: ﴿ولا تخافي﴾ (غرقه) بهذا التقرير اندفع التناقض بين إثبات الخوف في قوله: ﴿فإذا خفت عليه﴾ وبين نفيه في قوله: ﴿ولا تخافي﴾، وحاصل الدفع أن المثبت هو خوف الذبح والمنفي هو خوف الغرق، والخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقع في المستقبل، والحزن غم يصيبه لأمر وقع ومضى، فلا يرد أن يقال ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في الآية اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ أي: من قريب بحيث تأمنين عليه، والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن اهـ شيخنا.

قوله: (فوضعته في تابوت) وكان طوله خمسة أشبار وعرضه خمسة أشبار وجعلت المفتاح في التابوت اهـ قرطبي.

قوله: (مطلي بالقار) أي: الزفت. قوله: (ممهد له فيه) نعت ثان لتابوت أي ممهد لموسى فيه أي: في التابوت أي: مفروش له فيه ففرشت له قطناً محلوجاً اهـ شيخنا.

الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همَّ مع أعوانه بقتله هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن

قوله: (وأغلقته) أي: وقيرت رأسه.

قوله: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ معطوف على ما قدره بقوله (فأرضعته) الواقع امتثالاً لقوله: ﴿أن أرضعيه﴾، وبقوله: (وألقته في بحر النيل) الواقع امتثالاً لقوله ﴿فألقيه في اليم﴾، وقوله: (بالتابوت) أي: مصحوباً به، وقوله: (صبيحة الليل) وكان يوم الاثنين اهـ شيخنا.

قوله: (وفتح) أي: فتحته آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا كما تقدم اهـ.

قوله: (في عاقبة الأمر) أي: فاللام لام العاقبة أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ في اللام الوجهان المشهوران لعلية المجازية بمعنى أن ذلك لما كان نتيجة فعلهم وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله أو للصيرورة اهـ.

قوله: (يستعبد نساءهم) ظاهر هذه العبارة أن موسى بعد غرق القبط كان يستعبد نساءهم أي: يعاملهن معاملة العبيد في التسخير في الأعمال، ولم نر من ذكر هذا في هذه القصة في سائر مواضعها في القرآن، ويمكن أن يقال المراد باستعباده نساءهم تذليلهن أي: تصييرهن أذلاء ضعفاء لعدم الرجال الذين يقومون عليهن بالخدمة والنفقة فليتأمل. قوله: (من حزنه الخ) في المختار: الحزن والحزن ضد السرور، وقد حزن من باب طرب وأحزنه غيره وحزنه أيضاً من باب نصر مثل سلكه وأسلكه وحزنه لغة قريش وأحزنه لغة تميم اهـ.

قوله: ﴿إن فرعون﴾ الخ هذا معترض بين المعطوف وهو قوله: ﴿وقالت امرأة فرعون﴾، والمعطوف عليه وهو قوله: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ اهـ.

قوله: ﴿وكانوا خاطئين﴾ من المصباح: والخطأ مهموز بفتحتين ضد الصواب ويقصر ويمد وهو اسم من أخطأ فهو مخطىء. قال أبو عبيدة: خطىء خطأ من باب علم وأخطأ بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد، وقال غيره: خطىء في الدين وأخطأ في كل شيء عامداً كان أو غير عامد، وقيل: إذا تعمد ما نهي عنه فهو خاطىء وأخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره، فإن أراد غير الصواب وفعله قيل قصده أو تعمده، والخطأ الذنب تسمية بالمصدر وخطأته بالتثقيل قلت له أخطأت وتخفيف الرباعي جائز، وأخطأ الحق إذا بعد عنه وأخطأه السهم تجاوزه ولم يصبه اهـ.

قوله: (فعوقبوا على يديه) أي: مع أنه تربىَّ على أيديهم فهذا أبلغ في إذلالهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء

﴿يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾ بعاقبة أمرهم معه ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾

وكانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم، فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الولد أكبر من ابن سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل: إنها قالت له أنه أتاني من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل اهـ خازن.

وفي أبي السعود: وآسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل: كانت من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام، وقيل: كانت عمته حكاه السهيلي اهـ.

قوله: ﴿قرة عين﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: قرة عين. والثاني: وهو بعيد جداً أن يكون مبتدأ والخبر لا تقتلوه، وكان مقتضى هذا أن يقال لا تقتلوها إلا أنه لما كان المراد مذكراً ساغ ذلك والعامة من القراء وأهل العلم والمفسرين يقفون على ولك. ونقل ابن الأنباري بسنده إلى ابن عباس عنه أنه وقف على لا أي: هو قرة عين لي فقط ولك لا أي ليس هو قرة عين لك ثم يبتدىء بقوله ﴿تقتلوه﴾، وهذا لا ينبغي أن يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها، ولذلك قال الفراء: هو لحن اهـ سمين.

وترسم هذه التاء مجرورة وليس في القرآن غيرها بخلاف قرة أعين في الفرقان والسجدة فإنهما يرسمان بالهاء على الأصل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ إنما قالت ذلك لما رأت فيه من العلامات الغريبة فتخيلت فيه النجابة والبركة، وقوله: ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي: نتبناه فإنه حقيق بذلك اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ الخ أي: لأن في جبينه أثر اليمن، وقال الزمخشري: فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله، وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الإبهام وإبراء البرصاء، ولعلها توسمت فيه النجابة المؤذنة بكونه نفاعاً اهـ.

قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من آل فرعون، والتقدير: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾، وقالت امرأة فرعون: كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صعنوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له اهـ أبو العسود.

وفي السمين: قوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ جملة حالية وهل هي من كلام الله تعالى وهو الظاهر، أمن من كلام امرأة فرعون كأنها لما رأت الملأ أشاروا بقتله قالت له كذا أي: افعل أنت ما أقول لك وقومك لا يشعرون، وجعل الزمخشري الجملة من قوله: ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ معطوفة على قوله: ﴿فالتقطه﴾، والجملة من قوله: ﴿إن فرعون وهامان﴾ إلى ﴿خاطئين﴾ معترضة بين المتعاطفين وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة أي: لا يشعرون أنهم لا خطأ في التقاطه. قال الشيخ: ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن اهـ.

قوله: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ فيه وجهان، أحدهما: ألقته ليلاً فأصبح فؤادها في النهار فارغاً الثاني: أنها ألقته نهاراً ومعنى أصبح صار اهـ قرطبي.

لما علمت بالتقاطه ﴿فَٰرِغًا﴾ مما سواه ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ أي بأنه ابنها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر أي سكناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب لولا دلّ عليه ما قبلها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد

قوله: ﴿فارغاً﴾ (مما سواه) أي: من التفكر في شيء سواه أي انحصرت فكرتها فيه لتراكم الهم عليها لما وقع في يد العدو اهـ شيخنا.

وقيل: معناه ناسياً للوحي الذي أوحى الله عز وجل إليها حين أمرها أن تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهد إليها أن يرده إليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال: كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فألقيتيه في البحر وأغرقتيه، ولما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه في النيل قالت: إنه وقع في يد عدوه الذي فررت منه فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها اهـ خازن.

قوله: ﴿لتبدي به﴾ ضمن معنى تصرح فعدي بالباء كما أشار له الشارح كأن تقول واابناه اهـ خازن.

وفي السمين: قوله: ﴿لتبدي به﴾ الباء مزيدة في المفعول أي: لتظهره، وقيل: ليست زائدة بل سببية والمفعول محذوف أي لتبدي القول بسبب موسى أو بسبب الوحي، فالضمير يجوز عوده على موسى أو على الوحي اهـ.

قوله: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ جوابها محذوف أي: لأبدت كقوله: ﴿وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] وقوله: ﴿لتكون من المؤمنين﴾ متعلق بربطنا اهـ سمين.

قوله: (بوعد الله) أي: وعده برده، والوعد مذكور في قوله: ﴿إنا رادوه إليك﴾ اهـ.

قوله: (دل عليه ما قبلها) تقديره: لصرحت بأنه ابنها، وقوله: ﴿لتكون علة للربط﴾ اهـ.

قوله: ﴿لأخته﴾ (مريم) أي: شقيقته، وأمهما يوحانذ، وأبوهما عمران وهو غير عمران أبي مريم أم عيسى، لأن بين العمرانين ألف سنة وثمانمائة سنة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وذكر الماوردي عن الضحاك أن اسمها كلثمة، وقال السهيلي: كلثوم جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: «أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وكلثوم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون» فقالت: الله أخبرك بذلك؟ فقال: «نعم» فقالت: بالرفاه والبنين اهـ.

قوله: ﴿عن جنب﴾ في موضع الحال إما في الفاعل أي: بصرت به مستخفية كائنة عن جنب، وإما من المجرور أي بعيداً منها. وقرأ العامة جنب بضمتين وهو صفة لمحذوف أي: عن مكان بعيد، وقال أبو عمرو بن العلاء أي: عن شوق وهي لغة جذام يقولون: جنبت إليك أي اشتقت، وقرأ قتادة، والحسن، والأعرج، وزيد بن علي بفتح الجيم وسكون النون، وعن قتادة أيضاً بفتحهما، وعن الحسن

اختلاساً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أنها أخته وأنها ترقبه ﴿۞وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل رده إلى أمه، أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوَّهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بالارضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ وفسرت ضمير له بالملك جواباً لهم، فأجيبت، فجاءت بأمه،

جنب بالضم والسكون، وعن سالم عن جانب وكلها بمعنى واحد ومثله الجناب والجنابة اهـ سمين.

وأشار الشارح إلى أن عن بمعنى من، وجنب: بمعنى المكان البعيد. قوله: (اختلاساً) أي: اختفاء. قوله: (وإنها ترقبه) أي: تنظره.

قوله: ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ الخ شروع في بيان سبب رده إلى أمه اهـ شيخنا.

قوله: (أي منعناه الخ) جعله مجازاً إما استعارة أو مرسلاً، لأن من حرم عليه شيء فقد منعه لأن الصبي ليس من أهل التكليف. والمراضع جمع مرضع بضم الميم وكسر الضاد وترك التاء إما لاختصاصه بالنساء أو لأنه بمعنى شخص مرضع اهـ شهاب.

قوله: (من المراضع المحضرة) أي: التي أحضرها فرعون. قوله: ﴿يكفلونه لكم﴾ (بالإرضاع) وهي امرأة قتل ولدها وأحب شيء إليها أن تجد ولداً ترضعه اهـ خازن.

قوله: ﴿وهم له ناصحون﴾ أي: لا يمنعونه ما ينفعه في تربيته وغذائه، والنصح إخلاص العمل من شوائب الفساد، وقيل: لما قالت وهم له ناصحون قالوا: إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله، فقالت: ما أعرفه، ولكن قلت وهم للملك ناصحون، وقيل: إنها قالت إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصلنا به، وقيل: قالوا لها: من هم؟ قالت: أمي. قالوا: أو لأمك ولد؟ قالت: نعم هارون، وكان هارون ولد في السنة التي لا يقتل فيها الولدان قالوا: صدقت، فأتينا بها فانطلقت إلى أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها إليهم فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً اهـ خازن.

قوله: (وفسرت) أي: مريم أخته ضمير له أي في قولها: ﴿وهم له ناصحون﴾ جواباً لهم، وذلك أنها لما قالت هذه الكلمة فهموا منها أنها تعرفه وتعرف أهله، فقالت لهم في الجواب: مرادي بالضمير في له الملك أي: فرعون لا موسى كما فهمتم، ومعنى نصحهم للملك امتثالهم أمره، وقوله: (فأجيبت) أي: أجابوها عن قولها (هل أدلكم الخ) أي: أذنوا لها في الإتيان بمرضعة، وقوله: (وأجابتهم) أي: أمه عن قبول ثديها وذلك لأنها لما حضرت وقبل ثديها مع كونه كان قد مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلاً، وكان همّ فرعون وامرأته من الدنيا أن يجد له مرضعة يقبل ثديها فاتهموها بأنها أمه، فاعتذرت عن ذلك وأجابتهم بأن سبب قبوله ثديها أنها طيبة الريح وطيبة اللبن اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: روي أن هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال: إنها لتعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت وهم للملك ناصحون، فأمرها فرعون بأن تأتي بمن

فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به كما قال تعالى ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء ﴿الم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي بلغ أربعين سنة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً

يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي طلباً للرضاع وهو يعلله شفقة عليه، فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها: من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتي بصبي إلا قبلني فدفعه إليها الخ اهـ.

قوله: (فأذن لها في إرضاعه) أي: بعد أن قال لها أقيمي عندنا لإرضاعه، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي إن رضيتم أن أرضعه في بيتي وإلاَّ فلا حاجة لي فيه وأظهرت الزهد فيه نفياً للتهمة عنها، فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها من يومها اهـ خطيب.

ولم يبقى أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر اهـ قرطبي.

قوله: (بلقائه) أي: وصوله إليها وتربيتها له في بيتها اهـ شيخنا.

قوله: (وأجرى عليها) أي: أجرى فرعون عليها أي أمر لها بإجراء أجرتها كل يوم دينار. قوله: (وأخذتها لأنها مال حربي) عبارة الخطيب: فإن قيل: كيف جاز لها أن تأخذ الأجرة منه على ارضاع ولدها؟ أجيب: بأنها ما كانت تأخذه على أنه أجر على الإرضاع، ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة اهـ.

والظاهر أن هذا السؤال لا يرد من أصله لأنه لم يكن إذا ذاك شرع حتى تلتزم حكمه، وعلى فرض أن يكون فليس بلازم أن يكون كشرعنا لجواز أن يكون له تفاريع أخر تأمل. قوله: (وهو ثلاثون سنة) عبارة الخازن: قيل: الأشد ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة، وقيل: الأشد ثلاث وثلاثون سنة اهـ.

قوله: (أي بلغ أربعين سنة) فيه أنه تقدم له أن بلوغه الأربعين كان عند رجوعه من مدين، لأنه أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين، ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه لمدين فهي السبب فيه، ولو فسر الاستواء كما صنع غيره بأن يقول أي: انتهى شبابه وتكامل عقله لكان أظهر اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: واستوى أي: اعتدل قده وعقله. آتيناه حكماً أي: نبوة وعلماً بالدين أو علم الحكماء، والعلماء أو سمتهم قبل استنبائه فلا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لأنه تعالى استنبأه بعد الهجرة والمراجعة اهـ.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ⑭﴾ لأنفسهم ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون وهي منف بعد أن غاب عنه مدة ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القيلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ﴾ أي إسرائيلي ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ

والمراد بالهجرة خروجه إلى مدين، وبالمراجعة رجوعه منها اهـ شهاب.

قوله: (قبل أن يبعث نبياً﴾ ولعل إيتاءه الفقه كان بطريق الإلهام، وفي القرطبي: وكان له تسعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون به ويجتمعون إليه وكان هذا قبل النبوة اهـ.

قوله: (كما جزيناه) أي: على إحسانه العمل. وفي البيضاوي: وكذلك «ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على احسانهم اهـ.

قوله: (منف) بضم فسكون وبمنع الصرف للعلمية والعجمة أو التأنيث، والمعروف فيها منوف بواو وهي مدينة معروفة اهـ شهاب وكشاف.

قوله: (بعد أن غاب عنه) أي: فرعون مدة، وعبارة الخازن: ودخل المدينة. المدينة هي قيل منف من أعمال مصر، وقيل: قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر، وقيل: هي مدينة عين الشمس اهـ.

وقيل: المدينة هي مصر كما في البيضاوي.

قوله: ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ قيل: هو نصف النهار واشتغال الناس بالقيلولة، وقيل: دخلها بين المغرب والعشاء، قيل: سبب دخوله المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون، وكان يركب مراكب فرعون ويلبس لباسه، فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً فلما قدم قيل له: إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه المقيل في أرض منف فدخلها وليس في طرقها أحد، وقيل: كان لموسى تسعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتدون له، فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينهم حتى أنكروا ذلك منه وأخافوه وخافهم، فكان لا يدخل قرية إلا خائفاً مستخفياً على حين غفلة من أهلها، وقيل: لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره أراد فرعون قتله، فقالت امرأته: هو صغير فتركه وأمر بإخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به. وعن علي أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم اهـ خازن.

قوله: (وقت القيلولة) وقيل: بين العشاءين روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكره الحافظ السيوطي في الدر المنثور، فيكون قوله: ﴿على حين غفلة﴾ حالاً من الفاعل أي: مختلساً أو من المفعول اهـ كرخي.

قوله: ﴿رجلين يقتتلان﴾ أما القبطي فكافر اتفاقاً وأما الإسرائيلي فقيل: كان مؤمناً وقيل: كان كافراً، والذي يؤخذ من صنيعه في شرح قوله: ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ أنه كان كافراً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هذا من شيعته﴾ الخ الجملتان نعتان أيضاً لرجلين اهـ شيخنا.

فرعون ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقال له موسى خلِّ سبيله فقيل إنه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوّة والبطش ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي قتله ولم يكن قتله ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ أي قتله ﴿مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ المهيج

والإشارة واقعة على طريق الحكاية لما وقع وقت الوجدان كان الرائي لهما يقول له لا في المحكي لرسول الله ﷺ اهـ شهاب.

وعبارة زاده: أي: رجلين مقولاً فيهما هذا من شيعته وهذا من عدوه اهـ.

قوله: ﴿وهذا من عدوه﴾ وكان طباخاً لفرعون واسمه فليثون، وكان القبطي يريد أن يسخر الإسرائيلي لحمل الحطب. قال ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا عنهم كل الامتناع، وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ هذه قراءة العامة من الغوث أي: طلب غوثه ونصره، وقرىء شاذاً بالعين المهملة والنون من الإعانة اهـ سمين.

وفي أبي السعود: فاستغاثه الذي من شيعته أي: سأله أن يغيثه بالإعانة كما ينبىء عند تعديته بعلى اهـ.

أي: أو أنه ضمن معنى النصر، ويؤيده قوله: استنصره بالأمر اهـ شهاب.

واستغاث يتعدى بنفسه تارة كما هنا وتارة بالباء كقولك: استغثت بزيد على عمرو. الأول في المختار، والثاني في المصباح. قوله: ﴿فوكزه موسى﴾ أي: دفعه بجمع كفه، والفرق بين الوكز واللكز أن الأول بجمع الكف، والثاني: بأطراف الأصابع، وقيل العكس والنكز كاللكز اهـ سمين.

وفي المصباح: وكزه وكزاً من باب وعد ضربه ودفعه، ويقال: ضربه بجمع كفه على ذقنه، وقال الكسائي: وكزه لكمه اهـ.

وفيه أيضاً: لكزت لكزاً من باب قتل ضربه بجمع كفه في صدره، وربما أطلق على جميع البدن اهـ.

وفي القاموس لكز البئر كنصر وفرح فني ماؤها، ونكز الماء نكوزاً غار، ونكز فلان ضرب ودفع، والنكز بالفتح الغرز بشيء محدد الطرف اهـ.

قوله: (بجمع كفه) بضم فسكون وهو من إضافة الصفة للموصوف أي: بكفه مجموعة، وقيل: ضربه بعصا اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فقضى﴾ أي: موسى عليه: أي القبطي، أي: أوقع عليه القضاء أي: الموت، وهذا معنى قوله أي: (قتله) اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: (فقضى) أي موسى أو الله تعالى أو الضمير للفعل أي الوكز اهـ.

قوله: (ولم يكن قصد قتله) جواب ما يقال كيف ساغ له قتل القبطي وإيضاحه: أنه لم يقصد

غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ ۝١٥﴾ بيِّن الإضلال ﴿قَالَ﴾ نادماً ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦﴾ أي المتصف بهما أزلاً وأبداً ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾

قتله بل هو على سبيل الخطأ لأنه وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه، فالوكزة لا تقتل غالباً وإنما وافقت أجله، وأما جعله ذلك من عمل الشيطان فلكونه كان الأولى له تأخير فعله إلى زمن آخر، فلما عجله وترك المندوب جعله من عمل الشيطان، وأما تسميته ظلماً فمن حيث إنه حرم نفسه الثواب بترك المندوب أو من حيث إنه قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير من القيام بحقوقه، وإن لم يكن ثم ذنب. وأما استغفاره من ذلك فمعناه اغفر لي ترك هذا المندوب اهـ كرخي.

لكن كونه خطأ مشكل على ما هو مقرر في الفروع لأنه قصد الفعل ومتى قصد الفعل لم يكن خطأ، بل إن كانت هذه الوكزة تقتل غالباً فهو عمد وإن لم تقتل غالباً فهو شبه عمد، وكل منهما حرام من الكبائر على مقتضى شرعنا، فالأولى أن يقال إن فعل موسى كان من قبيل دفع الصائل وهو لا إثم فيه بل هو واجب، وأشار لهذا القرطبي بقوله: وإنما أغاثه لأن نصر المظلوم دين من الملل كلها وفرض في جميع الشرائع اهـ.

قوله: ﴿قال هذا﴾ أي: قتله، وقيل: هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان، والمراد منه بيان كونه مخالفاً لله تعالى مستحقاً للقتل، وقيل: هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه اهـ خازن.

وفي البيضاوي: ﴿من عمل الشيطان﴾ أي: لأنه لم يؤمر بقتل الكفار، أو لأنه كان مؤمناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ، وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه على عادته في استعظام محقرات فرطت منهم اهـ.

قوله: ﴿إني ظلمت نفسي﴾ تقدم أن هذا تواضع منه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿قال رب إني ظلمت نفسي﴾، أي: بقتل القبطي من غير أمر، وقيل: هو على سبيل التواضع والاعترافُ بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب، وقوله: ﴿فاغفر لي﴾ أي: ترك هذا المندوب، وقيل: يحتمل أن يكون المراد ربي إني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا، فإن فرعون إذا عرف ذلك قتلني به فقال: فاغفر لي أي استره عليَّ ولا توصل خبره إلى فرعون فغفر له أي: فستره عن الوصول إلى فرعون اهـ.

قوله: ﴿فغفر له﴾ أي: وعلم أنه غفر له بإلهام أو بغيره اهـ شيخنا.

قوله: (بحق إنعامك علي الخ) أشار بهذا إلى أن ما مصدرية والكلام على حذف مضاف، وأشار بقوله: (أعصمني) إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا، وقوله: ﴿فلن أكون﴾ جواب شرط قدره بقوله: (إن عصمتني) هذا ما جرى عليه الشارح اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال الزمخشري: قوله ﴿بما أنعمت عليَّ﴾ يجوز أن يكون قسماً جوابه محذوف

الكافرين بعد هذه إن عصمتني ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا

تقديره أقسم بإنعامك عليَّ بالمغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وأن يكون استعطافاً كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت عليَّ من الكفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين، وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جماعته وتكثير سواده حيث كان يركب بموكبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون، وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى قتله. وقيل: أراد إني وإن أسأت في هذا القتل الذي لم أؤمر به فلا أترك نصرة المسلمين على المجرمين، فعلى هذا كان الإسرائيلي مؤمناً ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع، وقيل في بعض الروايات: إن ذلك الإسرائيلي كان كافراً، وإنما قيل له إنه من شيعته لأن كان إسرائيلياً ولم يرد الموافقة في الدين، فعلى هذا ندم لأنه أعان كافراً على كافر فقال: لا أكون بعد هذا ظهيراً للكافرين، وقيل: ليس هذا خبراً بل هو دعاء أي: فلا أكون بعد هذا ظهيراً أي: فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين. وقال الفراء: المعنى اللهم وهذا قول الكسائي والفراء. قال السكائي: وفي قراءة عبد الله فلا تجعلني يا رب ظهيراً للمجرمين، وقال الفراء: المعنى اللهم فلن أكون ظهيراً للمجرمين اهـ.

قوله: (إنعامك) ﴿عليَّ﴾ (بالمغفرة) عبارة القرطبي: ﴿بما أنعمت عليَّ﴾ أي: من المعرفة والحكمة والتوحيد. قال القشيري: ولم يقل ﴿بما أنعمت عليَّ﴾ من المغفرة لأن هذا قبل الوحي، وما كان عالماً بأن الله غفر له ذلك القتل، وقال الماوردي: بما أنعمت عليَّ فيه وجهان، أحدهما: من المغفرة وكذلك ذكر المهدوي بما أنعمت عليَّ بالمغفرة فلن أعين بعدها مجرماً، وقال الثعلبي: بما أنعمت عليَّ أي بالمغفرة فلم تعاقبني. الوجه الثاني: من الهداية قلت قوله ﴿فغفر له﴾ يدل على المغفرة ولعله علمها بطريق الإلهام أو بإخبار الملك، ولا يلزم من هذا نبوته في هذا الوقت اهـ.

قوله: (عوناً) أي: معيناً. قوله: (بعد هذه) أي: بعد هذه المرة التي وقعت مني، وهذا يقتضي أنه كان معيناً للكافر، فيقضي أن الإسرائيلي كان كافراً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿في المدينة﴾ أي: التي قتل فيها القبطي اهـ خازن.

وقوله: ﴿خائفاً﴾ الظاهر أنه خبر أصبح وفي المدينة متعلق به، ويجوز أن يكون حالاً والخبر في المدينة ويضعف تمام أصبح أي: دخل في الأصباح، وقوله: ﴿يترقب﴾ يجوز أن يكن خبراً ثانياً، وأن يكون حالاً ثانية، وأن يكون بدلاً من الحال الأولى أو الخبر الأول، أو حالاً من الضمير في خائفاً فتكون حالاً متداخلة، ومفعول يترقب محذوف أي يترقب المكروه أو الفرج أو الخبر هل وصل لفرعون أم لا اهـ سمين.

وتقدم في طه وغيرها أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يخافون رداً على من قال غير ذلك، وأن الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فإذا الذي﴾ إذا فجائية، والذي مبتدأ نعت لمحذوف أي: فإذا الإسرائيلي الذي، واستنصره صلة الذي، ويستصرخه خبر المبتدأ اهـ شيخنا.

وفي السمين: إذا فجائية والذي مبتدأ خبره إما إذا، ويستصرخه حال، وإما يستصرخه، وإذا فضله على بابها اهـ.

﴿ٱلَّذِى ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ بيِّن الغواية لما فعلته أمس واليوم ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظاناً أنه يبطش به لما قال له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِى كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسًۢا

قوله: (على قبطي آخر) أي: يريد أن يستخدم الإسرائيلي، والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ، وذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث اهـ قرطبي.

قوله: ﴿قال موسى﴾ الخ قال ابن عباس: إن القبط قالوا لفرعون إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا فقال: اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر فاستغاثه على الفرعوني، وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال للإسرائيلي: ﴿إنك لغويٌّ مبين﴾ اهـ خازن.

قوله: ﴿قال له﴾ أي: للإسرائيلي هذا ما جرى عليه الشارح، وقيل: الضمير في له للقبطي. أي: قال موسى للقبطي ﴿إنك لغويّ مبين﴾ في تسخير الإسرائيلي اهـ قرطبي.

قوله: (بين الغواية) بفتح الغين. يقال غوى يغوي كرمى يرمي وغواية كعداوة اهـ شيخنا.

قوله: (لما فعلته أمس واليوم) أي: من تسببك أمس في قتل رجل واليوم تقاتل آخر اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿إنك لغويٌّ مبين﴾ حيث قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه اهـ.

قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ الخ وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الإسرائيلي فمد يده ليبطش بالقبطي، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله: ﴿إنك لغويّ مبين﴾ فقال: يا موسى أتريد إلى آخره اهـ شيخنا.

قوله: (زائدة) وتطرد زيادتها في موضعين، أحدهما: بعد لما كهذه الآية. والثاني: قبل لو مسبوقة بقسم كقوله:

فأقسم أن لو التقينا وأنتم لكان لنا يوم من الشر مظلم

اهـ سمين.

قوله: (ظاناً أنه) أي: موسى يبطش به أي: يقتله، وقوله: (لما قال له) علة لظنه المذكور أي: إنما ظن الإسرائيلي في موسى هذا الظن للذي قاله موسى له وهو قوله: ﴿إنك لغويٌّ مبين﴾، فما موصولة وعائدها محذوف اهـ شيخنا.

وقيل: القائل ما ذكر هو نفس القبطي وكأنه توهم من زجر موسى للإسرائيلي أنه هو الذي قتل الرجل بالأمس اهـ بيضاوي.

وهذا هو الظاهر لقوله: ﴿فلما أن أراد﴾ الخ. وأيضاً فقوله: ﴿إن تريد إلا أن تكون جباراً الخ﴾. لا يليق إلا بالقبطي الجاني على الإسرائيلي اهـ زاده.

بِٱلْأَمْسِۖ إِن﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب أو غوث الله إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ قوم فرعون ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها، وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت

قوله: ﴿جباراً في الأرض﴾ الجبار: هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب، وقيل: هو الذي يتعاظم ولا يتواضع لأمر الله اهـ خازن.

قوله: ﴿من المصلحين﴾ أي: بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن اهـ بيضاوي.

قوله: (هو مؤمن ال فرعون) وهو ابن عم فرعون واسمه حزقيل، وقيل: شمعون، وقيل: سمعان وهو الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ [غافر: ٢٨] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يسعى﴾ يجوز أن يكون صفة وأن يكون حالاً، لأن النكرة قد تخصصت بالوصف بقوله: ﴿من أقصى المدينة﴾، فإن جعلت من أقصى متعلقاً بجاء، فيسعى صفة ليس إلا قاله الزمخشري بناء منه على مذهب الجمهور، وقد تقدم أن سيبويه يجيز ذلك من غير شرط، وفي آية يس قدم من أقصى على رجل، لأنه لم يكن أقصاها وإنما جاء منها، وهنا وصفه بأنه من أقصاها وهما رجلان مختلفان وقضيتان متباينتان اهـ سمين.

فما هنا في قضية موسى، وما هناك في قضية حواريي عيسى اهـ.

قوله: (يتشاورون فيك) أي: في شأنك. وقيل: معناه يأمر بعضهم بقتلك اهـ خازن.

وهذا أقرب للفظ والمعنى اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿يأتمرون بك ليقتلوك﴾ يتشاورون بسببك، وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر به اهـ.

قوله: ﴿إني لك﴾ يجوز أن يتعلق لك بما يدل عليه الناصحين، أي: ناصح لك من جملة الناصحين أو بنفس الناصحين للاتساع في الظروف أو على جهة البيان أعني لك اهـ سمين.

قوله: (لحوق طالب الخ) قولان للمفسرين. قوله: ﴿قال رب نجني﴾ أي: خلصني منهم واحفظني من لحوقهم اهـ بيضاوي.

قوله: (ولما توجه تلقاء مدين﴾ الخ أي: قصد نحوها ماضياً إليها قيل: لأنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأنه أهل مدين من ولد إبراهيم وهو من ولد إبراهيم، ومدين هو مدين بن إبراهيم قيل: خرج موسى خائفاً بلا ظهر ولا زاد ولا أحد: ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى ريئت خضرته في باطنه من خارج، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه. قال ابن عباس: وهو أول ابتلاء من الله لموسى اهـ خازن.

بمدين ابن إبراهيم، ولم يكن يعرف طريقها ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ أي قصد الطريق، أي الطريق الوسط إليها، فأرسل الله له ملكاً بيده عنزة فانطلق به إليها ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ بئر فيها أي وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي سواهم ﴿ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما ﴿مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ أي ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ جمع راع أي يرجعون عن

قال مقاتل: وكان ملك مدين لغير فرعون اهـ قرطبي.

قوله: ﴿سواء السبيل﴾ من إضافة الصفة للموصوف كما أشار له بقوله: (أي الطريق الوسط)، وفسر سواء بالقصد ثم فسّر القصد بالوسط اهـ شيخنا.

قوله: (أي الطريق الوسط) وكان لها ثلاث طرق، فأخذ موسى الوسط وجاء الطلاب في أثره فساروا في الآخريين اهـ أبو السعود.

قوله: (ملكاً) في القرطبي: إنه كان راكباً فرساً وأنه جبريل اهـ.

قوله: (بيده عنزة) وهي ما فوق العصا ودون الرمح في طرفها زج كزج الرمح أي: حربة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ مشى موسى عليه السلام حتى ورد ماء مدين أي: بلغها ووصل إليها، ووروده الماء معناه بلوغه لا أنه دخل فيه، ولفظة الورود قد تكون بمعنى الدخول في المورود، وقد تكون بمعنى الاطلاع عليه والبلوغ إليه وإن لم يدخل فورود موسى هذا الماء كان بالوصول إليه اهـ قرطبي.

قوله: (بئر فيها) خبر مبتدأ محذوف صرح به الخازن أي: هو بئر فيها اهـ شيخنا.

ومقصود الشارح الإشارة إلى أنه من ذكر الحال وإرادة المحل فأطلق الماء وأريد البئر اهـ كرخي.

والبئر: مؤنثة ويجوز تخفيف الهمزة اهـ مصباح.

قوله: (جماعة) أي: كثيرة فتنكير أمة للتكثير اهـ كرخي.

قوله: (أي سواهم) أي: ومن قبلهم أي: قبل أن يصل إليهم اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: من دونهم أي: في موضع أسفل منهم، وفي الخازن: أي في موضع بعيد منهم اهـ.

قوله: (تذودان﴾ صفة لامرأتين لا مفعول ثان، لأن وجد بمعنى لقي اهـ كرخي.

قوله: (عن الماء) أي: تختلط أغنامهما بأغنامهم. قال الزمخشري: فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله ﴿يسقون﴾ وتذودان ﴿ولا نسقي﴾؟ قلت: لأن الغرض هو الفعل لا المفعول، وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود منه السقي لا المسقى اهـ كرخي.

قوله: ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ الصدر عن الشيء الرجوع عنه. يقال في فعله: صدر من باب ضرب

سقيهم خوف الزحام فنسقي، وفي قراءة يصدر من الرباعي أي يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ لا يقدر أن يسقي ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما رفع حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ محتاج فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي، قال تعالى ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي واضعة كُمَّ درعها على وجهها حياء منه ﴿قَالَتْ إِنَّ

ونصر ودخل، والصدر بفتحتين اسم مصدر منه ويتعدى بنفسه، فيقال: صدره غيره أي: رجعه ورده ويستعمل رباعياً فيقال: أصدره غيره اهـ من القاموس والمختار.

قوله: (جمع راع) أي: على غير قياس لأن فاعل الوصف المعتل اللام كقاض قياسه فعلة نحو قضاة ورماة خلافاً للزمخشري في قوله: (إن جمع راع) على فعال قياس كصيام وقيام اهـ كرخي.

قال ابن مالك: في نحو رام ذو إطراد فعله. اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ ابداء منهما للعذر في مباشرة السقي بأنفسهما كأنهما قالتا إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر، فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: قيل: أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام، وقيل: ثيرون ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره، وقيل: هو رجل ممن آمن بشعيب اهـ.

قوله: (لا يقدر أن يسقي) أي: فيرسلنا اضطراراً، وبه يندفع ما يقال كيف ساغ لنبي الله شعيب عليه السلام أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية، فإن الضرورات تبيح المحظورات مع أن الأمر في نفسه ليس بمحظور، فالدين لا يأباه والعادات متباينة فيه كما فصل الزمخشري، وهو أن أحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم، ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر اهـ كرخي.

قوله: ﴿فسقى لهما﴾ أي: غنمها لأجلهما اهـ سمين.

قوله: (بقربها) أي: بقرب التي عليها الزحام. قوله: (إلا عشرة أنفس) وقيل: سبعة، وقيل: ثلاثون وقيل: أربعون، وقيل: مائة. قوله: (سمرة) بضم الميم وجمعها سمر كرجل وهي شجرة عظيمة من شجر الطلح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إني لما أنزلت﴾ أي: لأي شيء أنزلت إلى قليل أو كثير، وقوله: (محتاج) إذ بات ثمان ليال طاوياً، أو إني لما أنزلت إلي من خير الدين فقير في الدنيا فيكون شكراً اهـ كرخي.

وأنزل بمعنى المضارع، وفقير خبر إن، وفي السمين: قال الزمخشري: عدى باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب اهـ.

أي: وإلا فهو يتعدى بإلى.

قوله: ﴿فجاءته﴾ معطوف على ما قدره الشارح بقوله: (فرجعتا إلى أبيهما الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تمشي﴾ حال من الفاعل، وقوله: ﴿على استحياء﴾ حال من الضمير في تمشي، وعلى

﴿أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت، إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء، فقال له: اجلس فتعشَّ، قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فأكل وأخبره بحاله، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي، وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا أي بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ أي استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي، وزيادة

بمعنى مع، أي: مع استحياء والاستحياء والحياء بالمد الحشمة والانقباض والانزواء. يقال: استحيت بياء واحدة وبياءين ويتعدى بنفسه وبالحروف فيقال: استحيته واستحيت منه اهـ من المصباح.

قوله: (كم درعها) أي: قميصها. قوله: ﴿أجر ما سقيت لنا﴾ ما مصدرية. قوله: (منكراً في نفسه أخذ الأجرة) أي: فلم تكن إجابته لهذا الغرض بل كانت لأجل التبرك بأبيها لما سمع منها أنه شيخ كبير اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (فأجابها منكراً الخ) جواب عن سؤال كيف أجاب دعوتها مع قولها المذكور، والحال أنه لم يسق لهم طلباً للأجر وإن سمي في الدعوة أجراً. وإيضاحه: أنه أجاب دعوتها ودعوة أبيها وهو منكر في نفسه أن سقيه كان لطلب الأجرة، وإنما هو لوجه الله تعالى وللتبرك برؤية الشيخ، ولذا امتنع من أكل طعامه إلى أن بيَّن له أنه ليس للأجرة هذا وأن من فعل فعلاً معروفاً وأهدى بشيء لم يحرم أخذه، فهذا مبني على تسليم قبول شيء في مقابلة بره، والأول منع له. وفي الكشاف: أن طلب الأجر لشدة الفاقة غير منكر وهو جواب آخر ويشهد لصحته لو شئت لاتخذت عليه أجراً اهـ.

قوله: (بين يديه) أي: أمامه. قوله: (مما سقيت) من بمعنى عن وما مصدرية. قوله: (وهي المرسلة) وهي التي تزوجها موسى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن خير من استأجرت﴾ الخ تعليل للأمر قبله كما إشار له الشارح اهـ شيخنا.

وجعل خير اسماً لإن مع أن الظاهر فيه أن يكون خبراً، ويكون القوي اسماً لإن، وذلك لأن ما هو أعنى فهو بالتقديم أولى فإن شدة العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت وجعلت اسم إن، وذكر الفعل بلفظ الماضي ولم تقل تستأجر مع أنه الظاهر لأنه جعله لتحققه وتجربته منزلاً منزلة ما مضى وعرف قبل اهـ شهاب وزاده.

قوله: (فسألها عنهما) بأن قال لها وما أعلمك قوته وأمانته اهـ أبو السعود.

قوله: (وزيادة) أي: وأخبرته بزيادة على بيان القوة والأمانة اهـ شيخنا.

أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب في إنكاحه ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾ تكون أجيراً في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ أي سنين ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾ أي رعي عشر سنين ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الوافين بالعهد ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ الثمان أو العشر وما زائدة أي

لكن فيه أن هذا من جملة الأمانة كما صنع البيضاوي فلا زيادة، وقوله: (صوب): أي خفض رأسه. قوله: ﴿هاتين﴾ فيه إشارة إلى أنه كانت له بنات أخر، وقد قال البقاعي إنه له سبع بنات كما في التوراة اهـ شهاب.

قوله: ﴿على أن تأجرني﴾ في محل نصب على الحال إما من الفاعل أو من المفعول أي: مشروطاً على أو عليك ذلك، وتأجرني فعل مضارع أجرته كنت له أجيراً، ومفعوله الثاني محذوف أي: تأجرني نفسك، وثماني حجج ظرف له. ونقل الشيخ عن الزمخشري أنها هي المفعول الثاني. قلت: الزمخشري لم يجعلها مفعولاً ثانياً على هذا الوجه، وإنما جعلها مفعولاً ثانياً على وجه آخر، وأما على هذا الوجه فلم يجعلها غير ظرف وهذا نصه ليتبين لك، قال: تأجرني من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك: أبوته إذا كنت له أباً، وثماني حجج ظرف أو من أجرته إذا أثبته، ومنه تعزية رسول الله ﷺ أجركم الله ورحمكم، وثماني حجج مفعول به، ومعناه رعي ثماني حجج فنقل عنه الشيخ الوجه الأولى من المعنيين المذكورين في تأجرني فقط، وحكي عنه أنه أعرب ثماني حجج مفعولاً به وكيف يستقيم ذلك أو يتجه، وانظر إلى الزمخشري كيف قدر مضافاً ليصح المعنى به أي: رعي ثماني حجج، لأن العمل هو الذي تقع به الإثابة لا نفس الزمان، فكيف يوجه الإجابة على الزمان اهـ سمين.

قوله: (التمام) أشار إلى أن فمن عندك خبر مبتدأ محذوف أي: والتقدير فالتمام من عندك تفضلاً لا من عندي إلزاماً عليك، والجملة جزاء الشرط، والظاهر أنه استدعاء عقد بالأجل الأول نظراً إلى شرعنا، ويمكن كونه عقداً صحيحاً عندهم اهـ كرخي.

قوله: (باشتراط العشر) أي: ولا بالمناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال اهـ بيضاوي.

قوله: (للتبرك) عبارة أبي السعود: ومراده عليه السلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره إلى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى، انتهت.

قوله: (الوافين بالعهد) عبارة البيضاوي: من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، وبيني وبينك خبره أي: ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعاً لا يخرج عنه واحد منا، لا أنا عما شرطت عليَّ ولا أنت عما شرطته على نفسك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أيما الأجلين﴾ أي: شرطية، وجوابها فلا عدوان عليّ. وفي ما هذه قولان أشهرهما: أنها زائدة كزيادتها في أخواتها من أدوات الشرط. والثاني: أنها نكرة والأجلين بدل منها اهـ سمين.

رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ حفيظ أو شهيد، فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصا الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة،

وقال أبو السعود: وتعميم انتفاء العدوان لكلا الأجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في أكثرهما رأساً للقصد إلى التسوية بينهما في الانتفاء أي: أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو أيما الأجلين قضيت فلا إثم عليَّ في قضاء الأكثر لا إثم عليَّ في قضاء الأقصر فقط اهـ.

قوله: (الثمان أو العشر) بالنصب لأنه تفسير لأي بدليل أنه عطف بأو، ولو كان تفسيراً للأجلين المجرور لعطف بالواو. قوله: (فتم العقد) أي عقد النكاح والإجارة بذلك أي: بما صدر من شعيب وهو قوله: ﴿إني أريد﴾ الخ. ومن موسى وهو قوله ﴿ذلك بيني وبينك﴾ الخ، ولعل هذا كان في شرعهما وإلاَّ فهذه الصيغة لا تكفي عندنا في عقد النكاح، لأن الواقع من شعيب وعد بالإنكاح، والواقع من موسى ليس فيه مادة التزويج ولا الإنكاح، وأيضاً الصداق ليس راجعاً للمنكوحة بل لأبيها، وغير الشارح جرى على أنهما عقدا عقداً بغير الصورة المذكورة هنا منهما اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (فتم العقد بذلك الخ) يستشكل ذلك بأن شعيباً عليه السلام إنما قال: أريد أن أنكحك إحدى ابنتي الخ فوعد، وأيضاً لم يعين المنكوحة ويجاب كما أفاده شيخنا الظاهر أنه وقع التعيين حين إنجاز الوعد اهـ.

وفي أبي السعود: وليس ما حكي عنهما عليهما السلام في الآية تمام ما جرى بينهما من الكلام في إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما، بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالاً من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلاً اهـ.

قال كثير من المفسرين: إنه زوجه الصغرى وهي التي أرسلها في طلبه واسمها كما في الكشاف صفراء، وقيل: الكبرى واسمها صفوراء اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: إن الصغرى اسمها صفيراء، والكبرى اسمها صفراء أو صفوراء اهـ.

وفي القرطبي: وروي اسم احداهما ليا والأخرى صفوريا ابنتا يثرون، ويثرون هو شعيب، وقيل: ابن أخي شعيب، وإن شعيباً قد مات وأكثر الناس على أنهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القرآن. قال الله تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ [الأعراف: ٨٥] اهـ.

قوله: (فوقع في يدها عصا آدم) فأتت بها أباها فمسها وكان مكفوفاً فضن بها وقال: أعطيه غيرها فردتها ثم أخذت عصا فما وقع في يدها إلا هي واستمر يراجعها سبع مرات، فدفعها إلى موسى وعلم أن له شأناً. وقيل: أودعها شعيباً ملك في صورة رجل، فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده فتتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال: ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها فرفعها

فأخذها موسى بعلم شعيب ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بتثليث الجيم قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾ جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ

موسى عليه السلام فكانت له اهـ أبي السعود.

قوله: (من آس الجنة) حملها آدم معه حين أهبط من الجنة وتوارثها الأنبياء بعده، فصارت منه إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته اهـ خازن.

قوله: ﴿وهو المظنون به﴾ أي: اللائق به لكمال مروءته فالظن به أنه وفي الأكمل، وهذا قول ابن عباس وجمهور المفسرين، وعن مجاهد وغيره: أنه أقام عند شعيب عشرة أخرى. قال ابن عطية: وهو ضعيف.

قوله: ﴿وسار بأهله﴾ أي: لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه بمصر، ولما عزم على السير قال لزوجته: اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك، فقال: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى في النوم أن أضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك، فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته، فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام اهـ خازن.

قوله: (زوجته) أي: وابنه منها والخادم. قوله: ﴿أو جذوة﴾ قرأ حمزة بضم الجيم، وعاصم بالفتح، والباقون بالكسر وهي لغات في العود الذي في رأسه نار. هذا هو المشهور وقيده بعضهم فقال: في رأسه نار من غير لهب، وقد ورد يقتضي وجود اللهب فيه، وقيل: الجذوة العود الغليظ سواء كان في رأسه نار أم لم يكن، وليس المراد هنا إلا ما في رأسه نار اهـ سمين.

قوله: (قطعة وشعلة) عبارة البيضاوي: أي عود غليظ سواء كان في رأسه نار أو لم يكن ولذلك بينه بقوله: ﴿من النار﴾ اهـ.

قوله: (تستدفئون) من دفيء من باب تعب، ودفؤ من باب قرب، في المصباح: دفيء البيت يدفأ مهموز من باب تعب، ودفيء الشخص فالذكر دفآن والأنثى دفأى مثل غضبان وغضبى إذا لبس ما يدفئه ويسخنه، ودفؤ اليوم مثال قرب والدفء موازن حمل خلاف البرد وهو السخونة اهـ.

وقوله: (بكسر اللام) أي: من باب رضي وفتحها من باب رمى اهـ.

قوله: ﴿نودي من شاطيء الوادي الأيمن﴾ الخ قيل: إن موسى لما رأى النار مشتعلة في الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على ذلك إلا الله فعلم أنه تعالى هو المتكلم بالنداء المذكور، وقيل: إن الله خلق فيه علماً ضرورياً بأن المتكلم هو الله تعالى وبأن ذلك الكلام كلامه، وقيل: إنه قيل لموسى كيف

﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من شاطىء بإعادة الجار لنباتها فيه، وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج ﴿أَن﴾ مفسرة لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا

عرفت أنه نداء الله تعالى؟ قال: إني سمعته بجميع أجزائي من سائر جهاتي، فلما وجدت حس السمع من جميع الأجزاء علمت بذلك أنه لا يقدر عليه أحد إلا الله اهـ خازن.

وفي الكرخي: وذهب جماعة من العلماء منهم الإمام الغزالي: إلا أنه عليه الصلاة والسلام سمع كلامه تعالى الأزلي النفسي بلا صوت ولا حرف كما ترى ذاته المقدسة في الآخرة بلا كم ولا كيف، ولعلهم يجعلون قوله ﴿من شاطىء الوادي﴾ حالاً من ضمير موسى في نودي أي: قريباً منه أو كائناً فيه على أن تكون كلمة من بمعنى في كما قالوا في قوله: ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ [فاطر: ٤٠] اهـ.

قوله: ﴿من شاطىء الوادي﴾ من لابتداء الغاية، والأيمن صفة للشاطىء أو للوادي، والأيمن من اليمن وهو البركة أو من اليمين المعادل لليسار من العضوين، ومعناه على هذا بالنسبة لموسى الذي يلي يمينك ويسارك، والشاطىء: صفة الوادي والنهر أي حافته أو طرفه، وكذلك الشط والسيف والساحل كلها بمعنى، وقوله: ﴿في البقعة﴾ متعلق بنودي أو بمحذوف على أنه حال من الشاطىء اهـ سمين.

قوله: (لسماعه كلام الله) أي: وإيتاء النبوة والرسالة له فيها اهـ خازن.

قوله: (بدل) أي: بدل اشتمال، ووجه الملابسة بقوله: (لنباتها فيه) أي: في الشاطىء اهـ شيخنا.

قوله: (أو عوسج) أي: شوك. قوله: ﴿أن﴾ (مفسرة) أي: لأن النداء قول أي: بأن يا موسى، وقوله: (لا مخففة) أي من الثقيلة لعدم إفادتها هذا المعنى المقصود، وأشار بهذا إلى ردّ قول من قال إن اسمها محذوف يفسره جملة النداء أي: نودي بأنه أي: الشأن كما نقله السمين واستبعده اهـ كرخي.

قوله: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ وقال في سورة طه ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾ [طه: ١١] وقال في النمل ﴿نودي أن بورك﴾ [النمل: ٨] من في النار ومن حولها وهما مخالفان لما هنا من حيث اللفظ إلا أن الجميع متوافق في المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدي إليه. قال الإمام: لا منافاة بين هذه الأشياء، فهو تعالى ذكر الكل إلا أنه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء اهـ زاده.

والعامة على إني بالكسر على إضمار القول، أو على تضمين النداء معناه، وقرىء بالفتح إشكال لأنه إن جعلت أن تفسيرية وجب كسر إني للاستئناف المفسر للنداء بماذا كان، وإن جعلت مخففة لزم تقدير إني بمصدر، والمصدر مفرد وضمير الشأن لا يفسر بمفرد، والذي ينبغي أن تخرج عليه هذه القراءة أن تكون أن تفسيرية، وإني معمولة لفعل مضمر تقديره أن يا موسى أعلم أني أنا الله اهـ سمين.

قوله: ﴿وأن ألق﴾ معطوف على أن يا موسى فكلاهما مفسر لنودي، والفاء في قوله: ﴿فلما رآها﴾ الخ، مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإشعاراً بغاية سرعة تحقق مدلولاتها، أي: فألقاها فصارت ثعباناً فاهتزت اهـ أبو السعود.

﴿تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي يرجع فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿ٱسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي برص فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه، أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بالتشديد والتخفيف أي العصا واليد وهما

وهي التي ذكرها الشارح بقوله: (فألقاها). قوله: (وهي الحية الصغيرة) يعني في أول وقت الإلقاء فلا يخالف هذا قوله: ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ [الأعراف: ١٠٧، الشعراء: ٣٢] إذ يجوز أن يعظم ويكبر عقيب تلك الحالة بلا تأخير فيصير كالثعبان فيصح معنى المفاجأة حينئذ اهـ كرخي.

قوله: (من سرعة حركتها) تعليل للتشبيه أي: وشبهت بالجان من أجل سرعة حركتها.

قوله: ﴿ولّى مدبراً﴾ قال وهب: إنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها حتى أن موسى سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها، فحينئذ ولّى مدبراً اهـ خازن.

قوله: ﴿اسلك يدك﴾ السلك بالفتح والسلوك كل منهما مصدر لسلك الشيء في الشيء أنفذه فيه فإنه من بابي قعد ونصر اهـ من المصباح.

قوله: (من الأدمة) أي: السمرة. قوله: (تغشى البصر) أي: تغطيه. قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموناً وفي الآخر مضموماً إليه، وذلك قوله هنا: ﴿واضمم إليك جناحك﴾، وقوله في طه: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟ قلت: المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه هو اليد اليسرى، وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح اهـ سمين.

قوله: ﴿من الرهب﴾ أي: من أجله وهو متعلق باضمم. قوله: (بفتح الحرفين الخ) القراءات الثلاث سبعيات. قوله: (بأن تدخلها) تفسير للضم أي: تدخل اليد اليمنى التي حصل فيها البياض في جيبك فتعود إلى حالتها فيزول عنك الفزع الذي حصل لك اهـ شيخنا.

قال ابن عباس: أمره الله تعالى أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه اهـ خازن.

قوله: (كالجناح للطائر) فإن الطائر إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه اهـ أبو السعود.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) فالمشدد تثنية ذلك بلام البعد، فالتشديد عوض عنها في المفرد والمخفف تثنية ذاك بدونها اهـ شيخنا.

مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿بُرْهَانَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ به ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ أبين ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ معيناً وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة بالرفع، وجملته صفة ردءاً ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء اذهبا ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ لهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ﴾

قوله: ﴿من ربك﴾ متعلق بمحذوف وهو صفة لبرهانان، وقدره الشارح بقوله: (مرسلان) وغيره بقوله: (كائنان) اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿إلى فرعون﴾ متعلق بمحذوف أي: اذهب إلى فرعون، وقدره أبو البقاء مرسلان إلى فرعون كما أشار إليه في التقرير اهـ.

قوله: ﴿لساناً﴾ أي كلاماً. قوله: (ردءاً﴾ منصوب على الحال، والردء العون وهو فعل بمعنى مفعول كالدفء بمعنى المدفوء به، وردأته على عدوه أعنته عليه، وردأت الحائط دعمته بخشبة لئلا يسقط. وقال النحاس: يقال ردأته، وأردأته وقرأ نافع ردا بالنقل، وأبو جعفر كذلك إلا أنه لم ينونّه كأنه أجرى الوصل مجرى الوقف اهـ سمين.

قوله: ﴿يصدقني﴾ أي بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبه اهـ أبو السعود.

يعني ليس المراد بقوله: ﴿يصدقني﴾ مجرد قوله له صدقت، أو قوله للناس صدق أخي لأنه لا يحتاج فيه إلى زيادة الفصاحة، وإنما طريق تصديقه أن يلخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه، وذلك يجري مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان اهـ زاده.

قوله: (جواب الدعاء) أي: الأمر سماه دعاء تأدباً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن يكذبون﴾ أي: لأن لساني لا يطاوعني عند المحاجة اهـ بيضاوي.

بسبب العقدة التي كانت فيه بسبب الجمرة اهـ خازن.

قوله: (تقويك) أي: فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور، ولذلك يعبر عنه باليد وعن شدتها بشدة العضد اهـ بيضاوي.

أي: فهو مجاز مرسل على طريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين، فإن شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد، وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص في المرتبة الثانية اهـ زاده.

وقال الشهاب: الشدة التقوية فهو إما كناية تلويحية عن تقويته لأن اليد تشد بشد العضد والجملة تشد بشد اليد ولا مانع من الحقيقة كما توهم، أو استعارة تمثيلية شبه حال موسى في تقويه بأخيه بحال اليد في تقويها بالعضد اهـ.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ يجوز فيه أوجه: أن يتعلق بنجعل أو بيصلون أو بمحذوف أي: اذهبا، أو على

واضحات حال ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ كائناً ﴿فِىٓ﴾ أيام ﴿ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها ﴿مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَن﴾ عطف على من قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي هو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

البيان فيتعلق بمحذوف أيضاً أو بالغالبون على أن أل ليست موصولة، أو موصولة واتسع فيه ما لا يتسع في غيره، أو قسم وجوابه متقدم وهو فلا يصلون، أو من لغو القسم قاله الزمخشري اهـ سمين.

وجعله الشارح متعلقاً بمحذوف حيث قال: اذهبا، وقد صرح به في آية أخرى. وقال أبو السعود في سورة طه: جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع أن هارون لم يكن حاضراً مجلس المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر للتغليب فغلب الحاضر على غيره، وتقدم هناك أن الله في ذلك الوقت أرسل جبريل بالرسالة لهارون وهو بمصر اهـ.

قوله: ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا﴾ المراد بها هنا العصا واليد إذ هما اللتان أظهرهما موسى إذ ذاك، والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه اهـ أبو السعود.
وهو أن في كل منهما آيات عديدة اهـ شيخنا.

قوله: (واضحات) أي: واضحات الدلالة. قوله: (مختلق) أي: لم يفعل قبل هذا الوقت مثله أو تعلمته ثم افتريته على الله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في آياتنا﴾ حال من هذا متعلق بمحذوف قدره بقوله (كائناً) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقال موسى﴾ هذه قراءة العامة بإثبات واو العطف، وابن كثير حذفها وكل وافق مصحفه فإنها ثابتة في المصاحف غير مصحف مكة وإثباتها وحذفها واضحان اهـ سمين.

قوله: (وبدونها) وذلك لأن الجملة الثانية إذا كانت كالمتصلة بالأولى لكونها جواباً لسؤال اقتضته الأولى تنزل الأولى منزلة السؤال، فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال اهـ زاده.
كأنه قيل هنا: ماذا قال موسى في جوابهم؟ فقال: ﴿قال موسى ربي أعلم﴾ الخ.

قوله: (بالفوقانية والتحتانية) سبعيتان، وعبارة السمين: قرأ العامة تكون بالتأنيث وله خبرها وعاقبة اسمها ويجوز أن يكون اسمها ضمير القصة والتأنيث لأجل ذلك ﴿له عاقبة الدار﴾ جملة في موضع الخبر، وقرىء بالياء من تحت على أن يكون عاقبة اسمها والتذكير بالفصل ولأنه تأنيث مجازي، ويجوز أن يكون اسمها ضمير الشأن والجملة خبر كما تقدم، ويجوز أن تكون تامة وفيها ضمير يرجع إلى من والجملة في موضع الحال، ويجوز أن يكون ناقصة واسمها ضمير من والجملة خبرها اهـ.

قوله: (أي العاقبة المحمودة) استفيد من هذا الحل أن العاقبة بمعنى الجنة والإضافة على معنى في والدار هي دار الآخرة الصادقة بكل من الجنة والنار. وحمل غيره الدار على دار الدنيا وحمل العاقبة على الجنة. قال البيضاوي: الدار هي الدنيا وعاقبتها المحمودة هي الجنة، وإنما كانت عاقبتها لأن الدنيا خلقت مجازاً وطريقاً إليها اهـ.

ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ الكافرون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾ فاطبخ لي الآجر ﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه

وفي الكرخي: إيضاحه أن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها جعلت مجازاً إلى الآخرة، وهذا بيان لوجه إرادة الخاص من العام، فإن الدار تعم الدارين، ويجوز انفهام الخصوص من كلمة له فإن العاقبة الغير المحمودة تكون عليه لا له، والمقصود من الآخرة بالذات هو الثواب للمطيعين العابدين، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذريات: ٥٦] فيكون الثواب هو العاقبة الأصلية فينصرف المطلق إليها والعقاب، إنما قصد بالعرض والتبعية فلا اعتداد بعاقبة السوء لأنها من نتائج أعمال الفجار فلا يرد السؤال، وهو أن العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار، لأن الدنيا إما أن تكون خاتمتها بخير أو بشر. فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر اهـ.

قوله: ﴿وقال فرعون﴾ الخ أي: قال اللعين ما ذكر بعدما جمع السحرة لمعارضة موسى، وكان بين موسى وبينهم ما كان اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ قال القاضي: نفى علمه بإله غيره دون وجوده، إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه، ولذلك أمر ببناء الصرح، ليصعد إليه ويطلع على الحال بقوله: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿من إله غيري﴾ الظاهر أنه لا يريد بإلهية نفسه كونه خالقاً للسموات والأرض وما فيهما من الذوات والصفات، فإن العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على أحد، فالشك في ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية فالمخذول لعنه الله كأنه يظن أن الأفلاك والكواكب كافية في اختلاف أحوال هذا العالم السفلي فلا حاجة إلى إثبات صناع اهـ.

قوله: ﴿على الطين﴾ أي: بعد اتخاذه لبناً. قيل: إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به وهو الذي علم صنعته لهامان، ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء، فطبخ الآجر والجبس ونشر الخشب وسبك المسامير فبنوه رفعوه حتى ارتفع ارتفاعاً عالم يبلغه بناء أحد من الخلق، فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فضربها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة دماً. فقال: قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البرازين، فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعة ثلاثة قطع: قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب ولم يبق أحد عمل في الصرح عملاً إلاّ هلك اهـ خازن.

قوله: ﴿فاطبخ لي الآجر﴾ وإنما قال أوقد لي ولم يقل اطبخ لي الآجر، لأنه أولى من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة اهـ كرخي.

قوله: ﴿لعلّي أطلع﴾ الخ كأنه توهم أنه لو كان هناك إله كان جسماً في السماء يمكن الرقي إليه اهـ أبو السعود.

وأقف عليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٣٨﴾ في ادعائه إلهاً آخر وأنه رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح فغرقوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٤٠﴾ حين صاروا إلى الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ۝٤١﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزياً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

قوله: (وأقف عليه) أي: على حاله. قوله: ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾ أي: في وجوده كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (وإنه) أي: موسى رسوله أي: رسول الإله.

قوله: ﴿في الأرض﴾ أي: أرض مصر. قوله: ﴿بغير الحق﴾ حال أي: استكبروا ملتبسين بغير الحق.

قوله: (بالبناء للفاعل وللمفعول) سبعيتان.

قوله: ﴿فأخذناه﴾ أي عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات اهـ أبو السعود.

وفي هذا تفخيم وتعظيم لشأن الأخذ واستحقار للمأخوذين، كأنه أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم، ونظيره ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] اهـ بيضاوي.

قوله: (وإبدال الثانية ياء) هذا الوجه جائز عربية فقط ولم يقرأ به أحد من السبع اهـ شيخنا.

قوله: (بدعائهم إلى الشرك) أي: المؤدي إلى النار فكأنهم دعوا إليها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأتبعناهم﴾ الخ أي: لا تزال تلعنهم الملائكة والمؤمنون خلفاً عن سلف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ فيه أوجه، أحدها: أن يتعلق بالمقبوحين على أن أل ليست موصولة أو موصولة واتسع فيه، وأن يتعلق بمحذوف يفسره المقبوحين كأنه قيل: وقبحوا يوم القيامة نحو: ﴿إني لعملكم من القالين﴾ [الشعراء: ١٦٨] أو يعطف على موضع في الدنيا أي: ﴿وأتبعناهم لعنة يوم القيامة﴾ أو معطوف على لعنة على حذف مضاف أي: ولعنة يوم القيامة. الوجه الثاني: أظهرها والمقبوح المطرود قبحه الله طرده، وقيل: من المقبوحين أي: من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه، والقبيح أيضاً عظيم الساعد مما يلي النصف منه إلى المرافق اهـ سمين.

وفي المصباح: قبح الشيء قبحاً فهو قبيح من باب قرب وهو خلاف حسن وقبحه الله يقبحه بفتحتين نحاه الله عن الخير، وفي التنزيل: هم من المقبوحين أي: المبعدين عن الفوز والتثقيل مبالغة وقبح عليه فعله تقبيحاً اهـ.

هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ المبعدين ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا

قوله: ﴿من بعد ما أهلكنا﴾ الخ التعريض لكون إيتاء التوراة بعد إهلاك الأمم الماضية للإشعار بمسيس الحاجة الداعية إليها تمهيداً إلى إنزال القرآن على رسول الله، فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤديين إلى اختلال نظام العالم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الأصول الباقية على ممر الدهور، وترتيب الفروع المتبدلة بتبديل العصور، وتذكير أحوال الأمم الخالية الموجبة كأنه قيل: ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة إليها، وقوله: ﴿بصائر للناس﴾ أي: أنواراً لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل بعد أن كانت عمياً عن الفهم والإدراك بالكلية، فالبصرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر اهـ أبو السعود.

قوله: (وعاد) معطوف على نوح فهو منصوب، وكان الأولى رسمه بألف بعد الدال إذ رسمه بدونها يوهم أنه معطوف على نوح فيقضي أن لعاد قوماً مع أنهم أنفسهم قوم هود اهـ شيخنا.

قوله: (حال من الكتاب) أي: إما على حذف مضاف أي: ذا بصائر أو على المبالغة، ويجوز كونه مفعولاً لأجله وكذا هدى ورحمة اهـ كرخي.

قوله: (أي أنواراً للقلوب) في الكشاف: البصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ أي: وما كنت حاضراً بالجانب الغربي من موسى حين ناجاه الله وأرسله اهـ خازن.

وهذا شروع في بيان أن إنزال القرآن واقع في زمان شدة الحاجة إليه ببيان أن الوقوف على هذه الأحوال لم يحصل لك بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها، فوجب أن يكون بوحي من الله تعالى اهـ أبو السعود.

والمراد من هذا السياق الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ فإن قلت: لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت أنه لم يكن شاهداً، لأن الشاهد لا بد أن يكون حاضراً، فما الفائدة في ذكره؟ فالجواب: يظهر مما روي عن ابن

قُرُونًا﴾ أمماً بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۚ﴾ أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن

عباس أنه قال: لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه، فإنه يجوز أن يكون هناك ولا يشاهد ولا يرى ما كان فيه اهـ زاده.

قوله: (فتعلمه) وفي نسخة فتعرفه. قوله: (واندرست العلوم وانقطع الوحي) فاقتضت الحكمة التشريع الجديد فجئنا بك رسولاً اهـ أبو السعود.

قوله: (وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أي: ليكن معجزة لك وتذكيراً لقومك، وبه يندفع السؤال كيف يتصل قوله: ﴿ولكنا أنشأ قروناً﴾ بهذا الكلام، ومن أي وجه يكون استداركاً؟ وإيضاحه: أنه قال: وما كنت مشاهداً لموسى وما جرى عليه، ولكنا أوحيناه إليك، فذكر سبب الوحي الذي هو إطالة الفترة، ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه بالاستدراكين بعده اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كنت ثاوياً﴾ الخ من المعلوم أن واقعة مدين كانت قبل واقعتي الطور، فمقتضى الترتيب الوقوعي أن تقدم عليهما، وإنما وسط بينهما للتنبيه على أن كلًّا منهما برهان مستقل على أن اخباره ﷺ عن هذه القصص بطريق الوحي الإلهي، ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في أهل مدين﴾ أي: شعيب ومن آمن معه، وقوله: ﴿تتلو عليهم﴾ جملة حالية والضمير لأهل مكة. أي: ما كنت مقيماً في أهل مدين وقت تلاوتك على أهل مكة خبرهم وقصتهم مع موسى ومع شعيب حتى تنقلها بطريق العيان والمشافهة، وإنما أتتك بطريق الوحي الإلهي فإخبارك لأهل مكة إنما هو عن وحي لا عن حضور ومشاهدة للمخبر عنه، وهذا أحد احتمالين في الضمير والمعنى عليه واضح كما عرفت، وأكثر المفسرين على أن الضمير لأهل مدين، والمراد بتلاوته عليهم القراءة عليهم بطريق التعلم منهم. وفي الخطيب: وما كنت ثاوياً أي: مقيماً إقامة طويلة مع الملازمة بمدين في أهل مدين، أي: قوم شعيب عليه السلام كمقام موسى وشعيب فيهم. تتلو: أي: تقرأ عليهم تعلماً منهم آياتنا العظيمة التي منها قصتهم فتكون ممن يتهم بأمور الوحي ويتعرف دقيق اخباره فيكون خبرهم وخبر موسى عليه السلام معك، ولكنا كنا مرسلين إياك رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم، ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها اهـ.

قوله: (خبر ثان) أي: لكان.

قوله: (أن خذ الكتاب) أي: المكتوب وهو ألواح التوراة كما في قوله تعالى: ﴿وكتبنا له في

﴿قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٤٦﴾ يتعظون ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ. والمعنى لولا الإصابة

الألواح﴾ [الأعراف: ١٤٥] الخ. وهذا ما جرى عليه الشارح حيث جعل هذه الآية متعلقة بإيتاء التوراة، وجعل المتقدمة أي قوله: ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ الخ متعلق بأصل الإرسال، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو من ثلاثين سنة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: أي كما لم تحضر جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة اهـ.

وبعضهم جرى على عكس هذا الترتيب، فجعل الأولى في قصة التوراة والثانية في قصة الإرسال اهـ.

قوله: ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ أي: لم يأتهم نذير قبلك لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة، أو بينك وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فيقولوا ربنا﴾ عطف على تصيبهم داخل معه في حيز لولا الامتناعية اهـ أبو السعود.

والفاء: للسببية كما ذكره الشارح أي: تشير لكون ما بعدها وهو قولهم المذكور مسبباً عما قبلها وهو نزول العقاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجواب لولا) أي: الأولى، وأما الثانية فهي تحضيضية وجوابها مذكور وهو قوله: ﴿فنتبع﴾ فلذلك نصب اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: ﴿ولولا أن تصيبهم﴾ هي الامتناعية وأن وما في حيزها في موضع رفع بالابتداء أي: ولولا إصابة المصيبة لهم وجوابها محذوف، وقدره الزجاج ما أرسلنا إليهم رسلاً يعني أن الحامل على إرسال الرسل لهم تعللهم بهذا القول فهو كقوله: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥] وقدره ابن عطية لعاجلناهم بالعقوبة ولا معنى لهذا. وفيقولوا عطف على تصيبهم، ولولا الثانية تحضيض، وفنتبع جوابه فلذلك نصب على إضمار أن. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه؟ قلت: القول هو المقصود بأن يكون سبباً للإرسال، ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب للإرسال بواسطة القول، فأدخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفاً عليها بالفاء المعطية معنى السببية، ويؤول معناه إلى قولك: (ولولا قولهم) هذا إذ أصابتهم مصيبة لما أرسلناك ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلاً على كفرهم، وقد عاينوا ما ألجئوا به إلى العلم اليقيني لم يقولوا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾، وإنما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم، انتهت.

قوله: (والمعنى لولا الإصابة الخ) هذا ناظر لمقتضى التركيب. وقوله: ﴿أو لولا ﴾ الخ ناظر

المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلنا إليهم رسولاً ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ محمد ﴿ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة، قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ حيث ﴿ قَالُواْ ﴾ فيه وفي محمد ﴿ سِحْرَانِ ﴾ وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تعاونا ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ ﴾ من النبيين والكتابين ﴿ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ

لحاصل المعنى، فالسبب في امتناع جواب لولا إنما هو قولهم المذكور ولذلك قال: المسبب عنها قولهم، وقوله: ﴿ما أرسلناك﴾ هذا الجواب منفي وهي تدل على امتناع الجواب لوجود الشرط، فالمعنى انتفى عدم إرسالك إليهم أي: أرسلناك إليهم لقولهم المذكور أي: لأجل أن يبطل تعللهم بقولهم المذكور عند نزول العذاب بهم اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: أورد هنا إشكال وهو أن الآية تقتضي وجود إصابتهم بها ووجود قولهم المذكور. والواقع أنهم لم يصابوا ولم يقولوا القول المذكور، فحينئذ يشكل هذا الترتيب من حيث إن لولا حرف امتناع لوجود، فيصير المعنى أرسلناك إليهم لنزول المصيبة بهم ووجود قولهم المذكور وهذا غير صحيح. وتكلف بعضهم الجواب بأن في الكلام حذف المضاف، والتقدير: ولولا كراهة أن تصيبهم الخ فالمحقق الموجود إنما هو كراهة مصيبتهم المترتب عليها قولهم المذكور، فيكون المعنى أرسلناك إليهم لأجل كراهة أن يصابوا فيقولوا ما ذكر. وقال صاحب الانتصاف: إن التحقيق أنها إنما تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها، والمانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً وما هنا من الثاني فلا إشكال فيه وإن لم يقدر المضاف اهـ بنوع تصرف.

قوله: (أو لولا قولهم المسبب عنها) أي: لولا قولهم هذا عند إصابة العقوبة لهم بسبب جناياتهم ما أرسلناك، ولكن لما كان قولهم ذلك محققاً لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قالوا﴾ أي: تعنتاً ﴿لولا أوتي﴾ الخ. قوله: (أو الكتاب) معطوف على الآيات. وهذا إشارة لقول آخر في تفسير المثل، وعبارة الخازن: مثل ما أوتي موسى من الآيات كالعصا واليد البيضاء، وقيل: لولا أوتي كتاباً جملة واحدة كما أوتي موسى التوراة كذلك اهـ.

قوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بأوتي أي: أو لم يكفروا بما أوتي موسى من التوراة أي: من قبل ظهورك وإيتائك القرآن، والمعنى أنهم كفروا الآن بالذي أوتيه موسى قبل وجودك. قوله: ﴿ساحران﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هما ساحران اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. قوله: (تعاوناً) أي: بتصديق كل منهما للآخر، وذلك أنهم أي: كفار مكة بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام، فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر اهـ أبو السعود.

قوله: (والكتابين) الواو: بمعنى أو. قوله: ﴿قل فأتوا بكتاب﴾ الخ أي: قل لهم ما ذكر تعجيزاً

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ في قولكم ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي لا أضل منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ الكافرين ﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أيضاً نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن

لهم وتوبيخاً وتقريعاً إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيها ما قلتم فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما، أي: أوضح وأبين في هداية الخلق فإن أتيتم به اتبعته أنا فقوله: ﴿أتبعه﴾ مجزوم في جواب الأمر المحذوف اهـ شيخنا.

قوله: (في قولكم) أي: إنهما ساحران.

قوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ أي: إن لم يفعلوا ما كلفتهم به من الإتيان بكتاب هو أهدى منهما وهذا كقوله: ﴿فإن لم تفعلوا﴾ [البقرة: ٢٤] اهـ شيخنا

قوله: ﴿أنما يتبعون أهواءهم﴾ أي: من غير أن يكون لهم مستند ومتمسك يتمسكون به في قولهم المذكور اهـ شيخنا.

وإنما أداة حصر أي: أنهم ليس لهم مستند في ذلك وإنما لهم محض هواهم الفاسد اهـ.

قوله: (أي ما أضل منه) أي: فالاستفهام إنكاري بمعنى النفي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد وصلنا﴾ العامة على التشديد، إما من الوصل ضد القطع أي: تابعنا بعضه ببعض وأصله من وصل الحبل، وإما جعلناه أوصالاً أي: أنواعاً من المعاني قاله مجاهد اهـ سمين.

وعبارة البيضاوي: ولقد وصلنا لهم القول أي: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتصل التذكير، أو في النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر، انتهت.

وجعلناه متنوعاً وعدا ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح اهـ أبو السعود.

وكلام الجلال: أمس بهذا الاحتمال الثاني وقوله: ﴿لهم﴾ أي لكفار مكة.

قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ الذين: مبتدأ أول، وهم: مبتدأ ثان، ويؤمنون: خبر الثاني، والجملة خبر الأول، وبه متعلق بيؤمنون اهـ سمين.

قوله أيضاً: (أي) آمنوا بكتابهم. **قوله**: (نزلت في جماعة أسلموا من اليهود) عبارة الخازن: نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل: بل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي ﷺ، وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا: يا رسول الله إن لنا أموالاً فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين، فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات إلى قوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الشام اهـ.

النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ موحدين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يتصدقون ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام متاركة أي سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ لا نصحبهم. ونزل في

قوله: ﴿إنه الحق من ربنا﴾ استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به، وقوله: ﴿إنا كنا من قبله مسلمين﴾ استئناف آخر للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ، وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة، وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿مرتين﴾ منصوب على المصدر. وبما صبروا: ما مصدرية والباء تتعلق بيؤتون أو بنفس الأجر اهـ سمين.

قوله: (على العمل بهما) عبارة البيضاوي: بصبرهم وثباتهم على الإيمانين، أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده، أو على أذى المشركين وما عاداهم من أهل دينهم، انتهت.

قوله: ﴿ويدرؤون﴾ عطف على يؤتون، وكذا قوله: ﴿ينفقون﴾ وكذا جملة: وإذا سمعوا اللغو، وقوله: ﴿بالحسنة﴾ أي: بالطاعة، وقوله: ﴿السيئة﴾ أي: المعصية. وقوله: (منهم) أي الصادرة منهم. قوله: (والأذى) عطف عام، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم اهـ خازن.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي: للاغين اهـ كرخي.

لنا أعمالنا الخ أي: لنا ديننا ولكم دينكم اهـ خازن.

قوله: (سلام متاركة) أي: سلام إعراض وفراق لا سلام تحية، وقوله: (من الشتم وغيره) أي: فلا نقابلكم بمثل ما فعلتم بنا اهـ خازن.

قوله: (لا نصحبهم) عبارة غيره: لا نطلب صحبتهم وهي أوضح، لأن الابتغاء هو الطلب اهـ شيخنا.

قوله: (ونزل في حرصه الخ) وذلك أنه لما حضرته الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال: يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ثم أنشد:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف، ثم مات اهـ خازن وأبو السعود.

حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ﴾ أي ننتزع منها بسرعة قال تعالى ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من كل أوب

قوله: ﴿من أحببت﴾ (هدايته) أي: أو نفسه، والأول هو الأظهر أي: لا تقدر أن تدخله في الإسلام، فيكون معنى الهداية خلق الاهتداء وهو المذكور في كلام مشايخ أهل السنة، وحينئذٍ فلا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] لأن الذي أثبت وأضيف إليه الدعوة، والذي نفي عنه هداية التوفيق وشرح الصدر وهو نور يقذف في القلب فيحيا به القلب كما قال سبحانه: ﴿ومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ [الأنعام: ١٢٢] اهـ كرخي.

قوله: ﴿يهدي من يشاء﴾ أي: فيدخله في الإسلام. قوله: ﴿بالمهتدين﴾ أي: بمن قدر له في الأزل أن يهتدي اهـ خازن.

قوله: (أي قومه) أي: قوم محمد وهم أهل مكة، فإن الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي ﷺ فقال له: إنا نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أولـم نمكن لهم﴾ الخ اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إن نتبع الهدى معك﴾ أي: إن نصاحبك في اتباع الهدى وهو دين الإسلام أي: في الدخول فيه والعمل به. قوله: (قال تعالى) أي: رداً عليهم أيضاً بقوله: ﴿وكم أهلكنا﴾ الخ وبقوله: ﴿وما كان ربك﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولـم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أي: نجعل مكانهم حرماً ذا أمن اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قال أبو البقاء: عداه بنفسه لأنه بمعنى جعل وقد صرح به في قوله: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً﴾ [العنكبوت: ٦٧] ومكن متعد بنفسه من غير أن يضمن معنى جعل كقوله: (مكناهم) فيما إن مكناكم فيه وقد تقدم تحقيقه في الأنعام. وآمنا قيل: بمعنى مؤمن من دخله، وقيل: هو من قبيل التجوز في الإسناد أي: آمنا أهله، وقيل: فاعل بمعنى النسب أي: ذا أمن اهـ.

قوله: (يأمنون فيه) أشار بهذا إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً اهـ شيخنا.

وهذا أحد الوجوه المتقدمة عن السمين. قوله: ﴿يجبى إليه﴾ أي: يجمع ويحمل ويساق إليه، وقوله: (من كل أوب) أي: من كل ناحية وكل طريق، والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة، وقوله: ﴿رزقاً﴾ منصوب على أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى إليه، إذ معناه يرزقون فيه أو حال من الثمرات اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: وجاؤوا من كل أوب معناه من كل مرجع أي: من كل فج اهـ.

وفي القاموس: الأوب المحل والطريق والجهة اهـ.

قوله: (بالفوقانية والتحتانية) سبعيتان. قوله: ﴿كل شيء﴾ مجاز عن الكثرة كقوله: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل: ٢٣] اهـ كرخي.

﴿رِزْقًا﴾ لهم ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أي عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ أن ما نقوله حق ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي عيشها وأريد بالقرية أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا

قوله: ﴿رزقاً﴾ إن جعلته مصدراً جاز انتصابه على المصدر المؤكد، لأن معنى يجبى إليه نرزقهم، وإن ينتصب على المفعول له والعامل محذوف أي: نسوقه إليه رزقاً، وإن يكون في موضع الحال من ثمرات لتخصصها بالإضافة، وإن جعلته اسماً للمرزوق انتصب على الحال من ثمرات اهـ سمين.

قوله: (أن ما نقوله حق) أي: أن الذي قلناه، وهو إنا مكناهم في الحرم وجعلناه آمناً وسقنا إليه الرزق من كل جهة حق.

قوله: ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ الخ رد لقولهم إن نتبع الهدى معك نتخطف الخ. فقد اعتقدوا أنهم ما داموا على دينهم فإنهم في أمن، وإن اتبعوا الرسول نزل بهم البلاء فبين الله لهم أن الأمر بالعكس، وهو أنهم إن تركوا دينهم وأسلموا أمنهم الله من عذاب الدنيا والآخرة، وإن داموا على دينهم لم يؤمنهم الله من عذاب الدارين بدليل أنه أهلك كثيراً من القرى بأنواع العذاب لكفرهم. وفي أبي السعود: ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ الخ بيَّن الله بهذا أن الأمر بالعكس، وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله ولا يغتروا بالأمن الحاصل لهم أي: وكثيراً من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الأمن والخصب فبطروا وطغوا فدمرهم الله وخرب ديارهم اهـ.

قوله: ﴿بطرت﴾ أي: طغت وتنمردت، وانتصاب معيشتها على الظرفية بحذف المضاف أي بطرت في زمن معيشتها، وفسرها الشارح بالعيش والمراد به الحياة أي: بطرت في زمن حياتها. وفي الكرخي: بطرت معيشتها أي كفرت نعمة معيشتها فحذف المضاف وانتصب معيشتها على الظرف أي: أيام معيشتها، ويصح أن يكون على إسقاط في أي في معيشتها وهي ما يعاش به من النبات والحيوان وغيرهما اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿معيشتها﴾ فيه: أوجه: مفعول به على تضمين بطرت خسرت، أو على الظرف أي أيام معيشتها قاله الزجاج، أو على حذف في أي: في معيشتها، أو على التمييز، أو على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه نفسه اهـ.

وفي القاموس: البطر محرك النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والدهش والحيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير أن يستحق الكراهة وفعل الكل كفرح، وبطر الحق أي تكبر عنده فلا يقبله اهـ.

قوله: ﴿فتلك مساكنهم﴾ أي: قد خربت بما ظلموا، وقوله: ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا في زمان قليل كما أشار له بقوله (يوماً أو بعضه) إذ المار في الطريق إذا نزل للاستراحة إنما يستمر يوماً أو بعضه في الغالب اهـ شيخنا.

وفي السمين: وجملة لم تسكن حال والعامل فيها معنى تلك، ويجوز أن تكون خبراً ثانياً. وقوله: ﴿إلا قليلاً﴾ أي إلا سكناً قليلاً كسكون المسافر ونحوه، أو إلا زمناً قليلاً، أو إلا مكاناً قليلاً

قَلِيلًا﴾ للمارّة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أي أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بتكذيب الرسل ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالتاء والياء أن الباقي خير من الفاني ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مصيبه وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

بعني: أن القليل منها قد يسكن اهـ.

وفي الكرخي: ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا سكنى قليلاً، فالاستثناء من المصدر المفهوم من قوله لم تسكن، وجعله أبو البقاء من الزمان أي: إلا زماناً قليلاً كما أشار إليه الشيخ المصنف اهـ.

والإشارة للقرى التي يمرون عليها في أسفارهم. **قوله**: ﴿الوارثين﴾ (منهم) أي: الوارثين لها منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وغيرها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما كان ربك﴾ الخ بيان للعادة الربانية أي: ما صح وما استقام وما كان وما ثبت في حكمه الماضي وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الإنذار، بل حتى يبعث الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (أعظمها) وهي المدن بالنسبة لما حواليها، فعادة أن الله يبعث الرسل في المدائن لأن أهلها أعقل وأنبل وأفطن وغيرهم يتبعهم اهـ شيخنا.

أي: أكثر نبالة وهي الفضل والشرف يقال: نبل فلان فهو نبيل أي شرف فهو شريف، فإن الرسل إنما تبعث غالباً إلى الأشراف وهم غالباً يسكنون المدن والمواضع التي هي أمهات ما حواليها من القرى اهـ زاده.

قوله: ﴿يتلوا عليهم آياتنا﴾ أي: الناطقة بالحق ويدعوهم إلينا بالترغيب والترهيب، وذلك لإلزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾، والالتفات إلى نون العظمة لتربية المهابة والروعة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما كنا﴾ الخ عطف على وما كان، وقوله: ﴿إلا وأهلها﴾ الخ استثناء من أعم الأحوال أي: وما كنا نهلكم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ ما شرطية، ومن شيء بيان لها، وقوله: ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جوابها أي: فهو متاع الحياة الدنيا، وقرىء فمتاعاً الحياة بنصب متاعاً على المصدر أي: يتمتعون متاعاً والحياة نصب على الظرف. **قوله**: (بالتاء والياء) سبعيتان. **قوله**: (أن الباقي خير من الفاني) يعني: أن من لا يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا فإنه يكون خارجاً عن حد العقل ورضي الله تعالى عن الشافعي حيث قال: من وصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى، فجعل أعقل الناس هم المشتغلون بالطاعة اهـ كرخي.

قوله: ﴿أفمن وعدناه﴾ الخ الفاء لترتيب إنكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله اهـ أبو السعود.

فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)﴾ النار، الأول المؤمن، والثاني الكافر، أي لا تساوي بينهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢)﴾ هم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم

ومن: مبتدأ، وجملة وعدناه صلتها. وقوله: ﴿كمن متعناه﴾ خبرها، والمراد بالوعد الموعود به كما يتبادر من قوله ﴿فهو لاقية﴾ أو الوعد باق على ظاهره، ويقدر في فهو لاقيه مضاف أي لاقي متعلقة وهو الموعود به. قوله: (مصيبة) أي: مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى، ولذلك جيء بالاسمية المفيدة لتحققه وعطفت بفاء السببية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي: المشوب بالاكدار المستتبع للتحسر على الانقطاع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم هو﴾ بضم الهاء وتسكينها سبعيتان اهـ شيخنا.

والضم ظاهر والتسكين تشبيهاً للمنفصل بالمتصل كما في البيضاوي، وعبارة السمين: اجراء لثم مجرى الواو والفاء، وفي أبي السعود: ثم هو الخ معطوف عى متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لإنكار التشابه مقرر له، كأنه قيل: ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ ثم نحضره يوم القيامة النار، وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى، وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة اهـ.

قوله: (الأول) وهو من وعدناه، والثاني من متعناه.

قوله: ﴿ويوم يناديهم﴾ أي: ينادي الله المشركين الذين عبدوا غير الله، والقصد من هذا النداء توبيخهم وتقريعهم بأن معبوداتهم لم تنفعهم في هذا الوقت، وقوله: ﴿أين شركائي﴾: أي أين الذين عبدتموهم من دوني وأثبتم لهم شركة في استحقاق العبادة، ولم يجيبوا عن هذا السؤال لما علمت أن القصد منه توبيخهم وتقريعهم والسؤال إذا كان كذلك لا يكون له جواب، وقوله: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ مستأنف في جواب سؤال مقدر تقديره: فماذا حصل من المشركين عند هذا السؤال؟ وجواب هذا السؤال: أنه حصل منهم التنازع والتجادل والتخاصم بين الرؤساء منهم وأتباعهم منهم، فقال: الرؤساء: ﴿ربنا هؤلاء﴾ الخ فهذا من قبيل قوله: (وبـرزوا لله جميعاً)، فقال الضعفاء للذين استكبروا: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ الخ. والإشارة في قوله: ﴿ربنا هؤلاء﴾ للمشركين العوام التابعين للرؤساء في الكفر تأمل. قوله: ﴿فيقول أين شركائي﴾ الخ تفسير للنداء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ مفعولاه محذوفان قدرهما الشارح بقوله: (هم شركائي)، وأولهما هو عائد الموصول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ استئناف مبني على سؤال مقدر كأنه قيل: فماذا صدر عنهم حينئذ، وقوله: (وهم رؤساء الضلالة) أي: الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى بأن أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوا عنه، ومعنى حق عليهم القول إنه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى: ﴿لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضاً لأصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص: ٨٥] ومسارعتهم إلى الجواب مع كون

مبتدأ وصفة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبره فغووا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرههم على الغي ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ما نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوُا﴾ هم ﴿الْعَذَابَ﴾ أبصروه

السؤال للعابدين مطلقاً، إما لتفطنهم أن السؤال عنهم لإحضارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا، وإما لأن العبدة قد قالوه اعذاراً، وهؤلاء إنما قالوا ما قالوا رداً لقولهم إلا أنه لم يحك قوله (العبدة) إيجازاً لظهوره اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أغويناهم﴾ (خبره) فيه أنه مفيد لأنه عن الصلة التي في المبتدأ إلا أن يقال أفاد بالنظر لتقييده بقوله ﴿كما غوينا﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة النهر: هؤلاء مبتدأ وصفته الاسم الموصول الذي هو الذين، وأغوينا صلة للذين، والعائد محذوف تقديره أغويناهم، وأغويناهم خبر المبتدأ وتقيد بقوله: ﴿كما غوينا﴾، فاستفيد من الخبر ما لم يستفد من الصلة انتهت.

فقول الجلال: خبره أي بمعونة وملاحظة الظرف وهو قوله: ﴿كما غوينا﴾ لأن الفائدة إنما حصلت منه، وقوله: (فغووا) أشار به إلى أن كما غوينا متعلق بأغويناهم من حيث مطاوعة اللازم له. وعبارة البحر: وهؤلاء مبتدأ، والذين أغوينا صفته وأغويناهم كما غوينا الخبر، وكما غوينا صلة لمطاوع أغويناهم أي متعلق به أي: فغووا كما غوينا أي تسببنا لهم في الغي فقبلوا منا، وهذا الإعراب قاله الزمخشري. وقال أبو علي: ولا يجوز هذا الوجه لأنه ليس في الخبر زيادة على ما في صفة المبتدأ قال: فإن قلت: قد وصل الخبر بقوله ﴿كما غوينا﴾ وفيه زيادة. قلت: الزيادة بالظرف لا تصيره أصلاً في الجملة لأن الظروف فضلات، وقال: هو الذين أغوينا هو الخبر أغوينا مستأنف، وقال غير أبي علي: لا يمتنع الوجه الأول لأن الفضلات في بعض المواضع تلزم كقوله: زيد عمرو قائم في داره اهـ.
والمعنى هؤلاء أتباعنا آثروا الكفر على الإيمان كما آثرناه نحن وكنا السبب في كفرهم فقبلوا منا، انتهت.

فلا فرق إذاً بين غينا وغيهم وإن كان تسويلنا لهم داعياً إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد وبالوعيد والمواعظ والزواجر، وناهيك بذلك صارفاً عن الكفر وداعياً إلى الإيمان اهـ خطيب.

قوله: ﴿تبرأنا إليك﴾ هذا تقدير لما قبله ولذلك لم يعطف، وكذا قوله: ﴿ما كانوا﴾ الخ أي: وإنما كانوا يعبدون أهواءهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي: قيل لهم هذا القول تهكماً بهم وتبكيتاً لهم اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: وقيل: أي للكفار ادعوا شركاءكم أي استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم فدعوهم أي استغاثوا بهم، فلم يستجيبوا لهم أي فلم يجيبوهم ولا انتفعوا بهم اهـ.

قوله: ﴿ورأوا العذاب﴾ أي: رأوه وقد غشيهم اهـ أبو السعود.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ إليكم ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ عنه فيسكتون ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَآمَنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدّى الفرائض ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ الناجين بوعد الله ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار

قوله: ﴿ويوم يناديهم﴾ الخ عطف على ما قبله فسئلوا أولاً عن إشراكهم وثانياً عن جوابهم الرسل الذين نهوهم عن ذلك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ أي: صارت كالعمي عنهم لا تهتدي إليهم، وأصله فعموا عن الأنباء فقلب والقلب من محسنات الكلام اهـ أبو السعود.

وقول الشارح أي: لم يجدوا خبراً فيه إشارة للقلب وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء اهـ شيخنا.

والعامة على تخفيف الميم، وقرأ الأعمش، وجناح بن حبيش: بضم العين وتشديد الميم، وقد تقدمت القراءتان للسبعة في هود، وقرأ طلحة لا يساءلون بتشديد السين على ادغام التاء في السين اهـ سمين.

قوله: ﴿فهم لا يتساءلون﴾ (عنه) أي: عن الجواب النافع، وذلك لفرط الدهشة أو لعلمهم بأن الكل سواء في الجهل أبو السعود.

قوله: ﴿فأما من تاب﴾ الخ لما ذكر حال الكافرين وما جرى عليهم ذكر حال المؤمنين وما جرى لهم، لأنه جرت عادة الله أنه إذا ذكر أحد الفريقين ذكر الآخر تأمل. قوله: ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ عسى هنا للتحقق على عادة الكرام أو للترجي من قبل التائب بمعنى: فليتوقع الفلاح اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ قال ابن عباس: والمعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار منهم من يشاء لطاعته، وقال يحيى بن سلام: المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من يشاء لنبوته، وحكى النقاش أن المعنى وربك يخلق ما يشاء يعني محمداً ﷺ ويختار الأنصار لدينه. قلت: وفي كتاب البزار مرفوعاً صحيحاً عن جابر أن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة. يعني: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على سائر الأمم، واختار لي من أمتي أربعة قرون، وذكر سفيان ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن وهب بن منبه، عن أبيه في قوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ قال: اختار من النعم الضأن، ومن الطير الحمام. قال العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقوم على أمر من أمور الدنيا إلا حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك، وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ الآية، وفي الركعة الثانية: ﴿قل هو الله أحد﴾

. . . .

[الأخلاص: ١] واختار بعض المشايخ أن يقرأ في الركعة الأولى: ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ الآية والركعة الثانية: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦] وكل حسن ثم يدعو بهذا الدعاء بعد السلام، وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به» قال: «ويسمي حاجته». وروت عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا أراد أمراً قال: «اللهم خِرْ لي واختر لي». وروى أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك فاعلمه فإن الخير فيه». قال العلماء: وينبغي له أن يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلاً إلى أمر من الأمور، فعند ذلك ما يسبق إلى قلبه يعمل عليه فإن الخيرة فيه إن شاء الله تعالى، وإن عزم على سفر فيتوخى بسفره يوم الخميس أو يوم الاثنين اقتداء برسول الله ﷺ اهـ قرطبي رحمه الله.

قوله: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ فيه أوجه، أحدها: أن ما نافية فالوقف على يختار. والثاني: أن ما مصدرية أي: يختار اختيارهم، والمصدر واقع موقع المفعول به أي: مختارهم. الثالث: أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف أي: ما كان لهم الخيرة فيه كقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] أي منه. وجوز ابن عطية أن تكون كان تامة ولهم الخيرة جملة مستأنفة قال: ويتجه عندي أن تكون مفعوله إذا قدرنا كان التامة أي: أن الله يختار كل كامل لهم. ولهم الخيرة مستأنف معناه تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم. وقال الزمخشري: ما كان لهم الخيرة بيان لقوله: ﴿ويختار﴾ لأن معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى أن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه. قلت: لم يزل الناس يقولون إن الوقف على يختار والابتداء بما على أنها نافية وهو مذهب أهل السنة، ونقل ذلك عن جماعة كأبي جعفر وغيره وأن كونها موصولة متصلة بيختار مذهب المعتزلة، وقال بعضهم: ويختار لهم ما يشاؤه من الرسل فما على هذا واقعة على العقلاء اهـ سمين.

قوله أيضاً: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ كلام مستأنف أي: ليس لأحد من خلقه أن يختار شيئاً اختياراً حقيقياً بحيث يقدم على تنفيذه بدون اختيار الله، وإنما فسر الشارح الضمير بالمشركين مراعاة لسبب نزول الآية، وإن كانت العبرة بعموم اللفظ، والآية نزلت في الوليد بن المغيرة حيت قال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي: التخير كالطيرة بمعنى التطير، وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً والأمر كذلك، فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها اهـ.

في شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ عن إشراكهم ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسرُّ قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بألسنتهم من ذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾ الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بالنشور ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ

وفي المصباح: الخيرة بالسكون اسم من الاختيار مثل الفدية اسم من الافتداء، والخيرة بفتح الياء بمعنى الخيار والخيار هو الاختيار، ويقال: هي اسم من تخيرت مثل الطيرة من تطيرت، وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، ويؤيده قول الأصمعي: الخيرة بالفتح والإسكان ليس بمختار، وقال في البارع: خرت الرجل على صاحبه أخيره من باب باع خيراً وزان عنب وخيراً وخيرة إذا فضلته عليه اهـ.

قوله: ﴿سبحان الله﴾ أي: تنزيهاً له عن أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿له الحمد في الأولى والآخرة﴾ أي: لأنه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤] ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده اهـ بيضاوي.

قوله: (بالنشور) أي: الخروج من القبور.

قوله: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله﴾ أرأيتم وجعل تنازعاً في الليل وأعمل الثاني، ومفعول أرأيتم الثاني هو جملة الاستفهام بعده، والعائد منها على الليل محذوف تقديره بضياء بعده، وجواب الشرط محذوف وتحرير هذا قد مضى في سورة الأنعام فهو نظيره، وسرمداً مفعول ثان إن كان الجعل تصييراً أو حال إن كان خلقاً وإنشاء والسرمد الدائم الذي لا ينقطع اهـ سمين.

وقوله: (وأعمل الثاني الخ) سكت عن مفعول أرأيتم الأول، ويلزم من إعمال الثاني أن يكون هو ضميراً محذوفاً، والتقدير: قل أرأيتموه أي: الليل، فقول الشارح أي: أخبروني حل معنى لا إشارة للمفعول الأول، ويحتمل أن يكون إشارة إليه وأنه محذوف هو ضمير المتكلم وعلى هذا فلا تنازع في الكلام اهـ.

قوله: ﴿سرمداً﴾ من السرد وهو المتابعة والاطراد، والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص يقال: درع دلاص أي ملساء لينة اهـ أبو السعود.

وقوله: (والميم) مزيدة أي لدلالة الاشتقاق عليه فوزنه فعمل، ومختار صاحب القاموس كبعض النحاة أن الميم أصلية ووزنه فعلل لأن الميم لا تنقاس زيادتها في الوسط والآخر اهـ شهاب.

وقوله: (كميم دلامص) بضم الدال المهملة وكسر الميم وهو البراق، ومنه دلاص وأدرع دلاص للدرع اهـ شهاب.

وعبارة زكريا: الدلامص درع براق يقال درع دلاص الواحد والجمع على لفظ واحد قاله الجوهري اهـ.

قوله: (دائماً) أي: بإسكان الشمس تحت الأرض أو بتحريكها حول الأفق الغائر اهـ بيضاوي.

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ما أنتم عليه من الخطإ في الإشراك فترجعون عنه ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ النعمة فيهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

وقوله: (الغائر) بالغين المعجمة، أي: الغير المرئي وليس تحت الأرض بالكلية حتى يكون تكراراً اهـ شهاب.

قوله: ﴿إلى يوم القيامة﴾ متعلق بجعل أو بسرمداً هذا أو بمحذوف على أنه صفة لسرمداً هذا اهـ سمين.

قوله: (بزعمكم) عبارة البيضاوي: من إله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل إله غير الله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة اهـ.

وقوله: (كان حقه الخ) أي: لأن هل لطلب التصديق وهو المناسب للمقام بحسب الظاهر لا من التي لطلب التعيين المقتضي لأصل الوجود، لكنه أتى به على زعمهم أن آلتهم موجودة تبكيتاً وتضليلاً فهو أبلغ اهـ شهاب.

قوله: ﴿يأتيكم بضياء﴾ صفة أخرى لإله عليها يدور التبكيت والإلزام كما في قوله: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ [يونس: ٣١، وسبأ: ٢٤] اهـ شيخنا.

قوله: (سماع تفهم) دفع لما يتوهم من أن الظاهر أن يقال: ﴿أفلا تبصرون﴾ لأن هذا هو المطابق للمقام، لأن المراد أنكم لو كنتم على بصيرة وتدبر لما ذكرناه لعرفتم أنه لا إله غير الله يقدر على ذلك، لأن مجرد الإبصار لا يفيد ما ذكر فهو توبيخ لهم على أبلغ وجه اهـ شهاب.

قوله: ﴿إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي: بإسكان الشمس في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل﴾ الخ قيل: إن من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان، لأن المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى التعب ليحصل ما يحتاج إليه ولا يتم ذلك إلا في الراحة السكون له فلا بد منهما. فأما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبداً، فبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ فيه مدح للسعي في طلب الرزق كما ورد الكاسب حبيب الله وهو لا ينافي التوكل اهـ شهاب.

ذكر ثانياً ليبنى عليه ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك ﴿ ۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ابن عمه وابن خالته وآمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ﴾ تثقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولِي﴾

قوله: (ذكر ثانياً ليبني عليه الخ) عبارة البيضاوي: ويوم يناديهم تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به، أو الأول لتقرير فساد رأيهم، والثاني لبيان أنه لم يكن عن مستند وإنما هو محض تشبه وهوى اهـ.

قوله: ﴿فعلموا أن الحق﴾ أي: التوحيد لله، وقوله (في الإلهية) في نسخة في الآلهية. قوله: (غاب) ﴿عنهم﴾ أي: غيبة الشيء الضائع اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ قارون اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة اهـ من النهر.

قوله: (ابن عمه) أي: ابن عم موسى، وهذا العم اسمه يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة، فإن يصهر أبا قارون، وعمران أبا موسى كانا أخوين ابني قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام. وفي رواية أن موسى ابن عمران بن يصهر بن قاهث الخ. فيصهر على هذه الرواية جده لا عمه اهـ زاده مع زيادة من الشارح.

فتلخص أن قارون على الرواية الأولى ابن عم موسى، وعلى الثانية عمه تأمل. قوله: (وآمن به) وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله اهـ رازي.

أي: ثم حسد موسى على رسالته وهارون على إمامته فكفر بعدما آمن بهما بسبب كثرة ماله اهـ شيخنا.

قوله: (فبغى عليهم) أي: طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره اهـ بيضاوي.

قوله: (بالكبر) ومن تكبره أن زاد في ثيابه شبراً، ومن جملة بغيه الكبر وحسده لموسى عليه السلام على النبوة وظلمه لنبي إسرائيل حين ملكه فرعون عليهم، وكان يسمى المنور لحسن صورته اهـ من النهر.

وقوله: (والعلو) أي الظلم أو الجاه اهـ قاري.

قوله: ﴿من الكنوز﴾ قيل: أظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام، وقيل: سميت أمواله كنوزاً لأنه كان ممتنعاً من أداء الزكاة، وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أول عداوته، وما موصولة صلتها إن ومعمولاها، والصحيح أن الباء للتعدية أي لتنوء العصبة، وقوله: ﴿مفاتحه﴾ وكانت من حديد، فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلاً اهـ خازن.

أصحاب ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي تثقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل سبعون وقيل أربعون وقيل عشرة وقيل غير ذلك، اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بذلك ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة

وعبارة الرازي: كانت المفاتيح من جلود الإبل وكانت تحمل معه إذا ركب على ستين بغلاً اهـ.

قوله: ﴿لتنوء بالعصبة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن الباء للتعدية كالهمزة ولا قلب في الكلام، والمعنى لتنوء المفاتح العصبة الأقوياء أي: لتثقل المفاتح العصبة. والثاني: أن في الكلام قلباً، والأصل لتنوء العصبة بالمفاتح أي: لتنهض بها قاله أبو عبيد كقولهم: عرضت الناقة على الحوض، وقد تقدم الكلام في القلب وإن فيه ثلاثة مذاهب. وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء من تحت والتذكير لأنه راعى المضاف المحذوف، إذ التقدير حملها أو ثقلها وقيل: الضمير في مفاتحه لقارون فاكتسب المضاف من المضاف إليه التذكير كقولهم: ذهبت أهل اليمامة. قال الزمخشري: يعني كما اكتسب أهل التأنيث اكتسب هذا التذكير اهـ سمين.

وفي المصباح: وناء ينوء نوءاً مهموز من باب قال نهض اهـ.

وفي القاموس: ناء بالحمل نهض مثقلاً، وناء به الحمل أثقله وأماله كأناءه، وناء فلان أثقل فسقط ضد اهـ.

قوله: (أي تثقلهم) أي: فلا يستطيعون حملها اهـ كرخي.

وقال الرازي: فلا يستطيعون ضبطها لكثرتها اهـ.

قوله: (وعدتهم) أي: العصبة. قوله: ﴿إذ قال له قومه﴾ أي: قالوا له خمس جمل من قوله: ﴿لا نفرح﴾ إلى قوله: ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (فرح بطر) والفرح أيضاً فرح سرور، ومنه قوله تعالى: ﴿فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس: ٥٨] فالفرح المحض بالدنيا من حيث إنها دنيا مذموم على الاطلاق، فالعاقل من لا يلقي لها بالاً فلا يفرح بإقبالها ولا يحزن لإدبارها، وما أحسن قول المتنبي:

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

اهـ كرخي.

قوله: ﴿الفرحين﴾ (بذلك) أي: بكثرة المال.

قوله: ﴿فيما آتاك الله﴾ يجوز أن يتعلق بمحذوف بابتغ، وفي سببية وأن يتعلق على أنه حال أي متقلباً فيما أتاك، وما مصدرية أو بمعنى الذي اهـ سمين.

قوله: ﴿الدار الآخرة﴾ أي: الجنة. وقوله: (بأن تنفقه في طاعة الله) كصدقة وصلة رحم وإطعام جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ فسّر بعضهم النصيب بالكفن، وعليه قول الشاعر:

﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ بمعنى أنه يعاقبهم ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءان تدرج فيهما وحنوط

وفسره البيضاوي بما يحتاج إليه منها اهـ شيخنا.

قوله: (أي أن تعمل فيها للآخرة) ففي الحديث «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك». وهو مرسل وهذا ما جرى عليه مجاهد وابن زيد قالا: لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا من الدنيا أن يعمل في عمره للآخرة، وقيل: معناه خذه ما تحتاجه من الدنيا وأخرج الباقي. قال الحسن: أمر أن يعدم الفضل ويمسك ما يغنيه اهـ كرخي.

قوله: ﴿كما أحسن الله إليك﴾ الكاف للتشبيه أي أحسن احساناً كإحسان الله إليك أو للتعليل، واعلم أنه لما أمره بالإحسان بالمال أمره ثانياً بالإحسان مطلقاً، ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال إنما أوتيته على علم﴾ الخ هذا جواب عن قولهم له: إن ما عنك تفضل من الله فأنفق منه شكراً ليبقى فكأنه رده بأنه ليس تفضلاً بل لاستحقاق له في ذاته اهـ شهاب.

وعبارة أبي السعود: قال مجيباً لناصحيه كأنه يريد الردّ به على قولهم ﴿كما أحسن الله إليك﴾ فأنكر إنعام الله عليه بتلك الأموال، وعلى علم في موضع الحال من مرفوع أوتيته، وعندي صفة لعلم اهـ سمين.

وقوله: حال من مرفوع أوتيته وهو تاء المتكلم، والمعنى إنما أوتيته حال كوني على علم عندي أي: حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي، وعبارة الخازن: أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلاً لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره اهـ.

قوله: (وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة) وقيل: العلم الذي فضل به هو علم الكيمياء، فإن موسى كان يعلم علم الكيمياء فعلم قارون ثلث ذلك العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علميهما إلى علمه، فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهباً، وكان ذلك سبب كثرة أمواله، وقيل: كان علمه حسن التصرف في التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب اهـ رازي.

قوله: ﴿أولـم يعلم﴾ الهمزة للإنكار داخلة على مقدر أي أعلم ما ادعاه ولم يعلم أن الله الخ فيبقى نفسه من الهلاك. وأهلك: فعل ماض فاعله ضمير يرجع على الله، ومن هو أشد من موصولة مفعول باهلك وهو أشد صلة له، ومن قبله متعلق بأهلك، ومن القرون حال من من هو أشد مقدمه عليه اهـ سمين مع زيادة من أبي السعود.

يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال أي وهو عالم بذلك ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حسبا ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بأتباعه الكثيرين ركباناً، متحلين بملابس الذهب والحرير، على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ﴾ للتنبيه ﴿لَنَا مِثْلَ مَآ

قوله: (أي هو عالم بذلك) أي: بأن الله قد أهلكهم من قبله، والمقصود التعجب والتوبيخ، والمعنى أنه إذا أراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما يزيد عليه أضعافاً، وسبب علمه باهلاك من قبله أنه قرأه في التوراة وسمع من حفاظ التواريخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا يسئل عن ذنوبهم﴾ أي: يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكميتها إذا أراد أن يعاقبهم اهـ رازي.

قوله: (فيدخلون النار بلا حساب) هذا أحد قولين في المسألة والآخر وعليه الجمهور أنهم يحاسبون ويشدد عليهم كما قال تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ [الحجر: ٩٢] الآية. وفي الخطيب: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون اختلف في معناه فقال قتادة: يدخلون النار بغير سؤال ولا حساب، وقال مجاهد: لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفون بسيماهم، وقال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع، وقيل: المراد أن الله تعالى إذا عاقب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لأنه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة إلى السؤال، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾؟ [الحجر: ٩٢] أجيب: بحمل ذلك على وقتين. وقال أبو مسلم: السؤال قد يكون للمحاسبة وقد يكون للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب. قال ابن عادل: وأليق الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى: ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٥] اهـ.

قوله: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ معطوف على قال إنما أوتيته على علم وما بينهما اعتراض، وفي زينته متعلق بمحذوف حال من فاعل خرج أي خرج كائناً في زينته أي متزيناً، وكان خروجه يوم السبت، وقوله: (باتباعه الكثيرين) كانوا أربعة آلاف على زيه وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج، وقيل: كان أتباعه تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي في المعصفر، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، وكانت بغلته شهباء أي بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء اهـ من النهر.

قوله: (بأتباعه) الباء: بمعنى مع أي مع أتباعه. قوله: (على خيول الخ) متعلق بركباناً.

قوله: ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ الخ وكانوا مؤمنين يحبون الدنيا تمنوا المال ليقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير فتمنوا مثله لا عينه حذراً من الحسد، وقيل: كانوا كفاراً اهـ رازي.

﴿أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٍ ۝٧٩﴾ وافٍ فيها ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۝٨٠﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن

قوله: (وافٍ) أي: وافر وقوله: (فيها) الأظهر أن يقول منها قوله: (كلمة زجر) وهي منصوبة بمقدر أي ألزمكم الله ويلكم، قال الزمخشري: ويلك أصله الدعاء الهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والحث على ترك ما لا يرتضى اهـ خازن.

قوله: (مما أوتي قارون في الدنيا) أي: لأن الثواب منافعه عظيمة خالصة عن شوائب المضار دائمة، وهذه النعم على الضد في هذه الصفات اهـ كرخي.

وهذا بيان للمفضل عليه اهـ.

قوله: ﴿ولا يلقاها﴾ أي: يفهمها ويوقف عليها ويوفق للعمل ها، وقوله: (أي الجنة الخ) أشار بهذا إلى أن الضمير عائد للثواب الذي هو الجنة اهـ.

قوله: (على الطاعة وعن المعصية) أي: وعلى الرضا بقضائه في كل ما قسم من المنافع والمضار والصبر وحبس النفس وهو كف وثبات، فلذا عدي تعديتهما بعن وعلى إذ له متعلقان ما انقطع عنه وهو المعصية وما اتصل به وهو الطاعة، فعدي للأول بعن وللثاني بعلى، وقيل: عن فيه بدلية اهـ شهاب.

قوله: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ الخ قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت فبغى وطغى واعتزل بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه. قال ابن عباس: فلما انزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بنو إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم. قالت بنو إسرائيل: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت. قال: آمركم أن تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوا فدعوها. فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل: جعل لها طشتاً من ذهب، وقيل: قال لها قارون أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل. فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى إلى موسى فقال له: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج لهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، ومن زنى

﴿فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ منه ﴿وَأَصْبَحَ

وله امرأة رجمناه حتى يموت. فقال قارون: وإن كنت أنت. قال: وإن كنت أنا. قال قارون: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية. قال موسى: ادعوها فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت، فتداركها الله بالتوفيق، فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أوذي رسول الله، فقالت: لا والله ولكن قارون جعل لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي: فخر موسى ساجداً يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض تطيعك فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى: يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض إلى الأوساط، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم، فأوحى الله إلى موسى: ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته. وفي بعض الآثار لا أجعل الأرض بعدك طوعاً لأحد. قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. وفي الخبر إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة نفخ إسرافيل في الصور، وأصبحت بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم إن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ الخ اهـ خازن مع زيادة من القرطبي.

وروي عن الحارث بن إسحاق من حديث ابن عباس وأبي هريرة بسند ضعيف جداً عن النبي ﷺ: «من لبس ثوباً جديداً فاختال فيه خسف به من شفير جهنم فهو يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها» لأن قارون لبس جبة فاختال فيها خسف الله به الأرض. وقد ذكر في فتح الباري نكتة لطيفة وهي أن مقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسده فيمكن أن يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون اهـ ابن لقيمة.

وفي القاموس: التجلجل السوخ في الأرض والتحرك والتضعضع والجلجلة التحريك اهـ.

قوله: ﴿من فئة﴾ يجوز أن يكون اسم كان إن كانت ناقصة وله الخبر أو ينصرونه، وأن يكون فاعلاً إن كانت تامة وينصرونه صفة لفئة فيحكم على موضعها بالجر لفظاً وبالرفع معنى لأن من مزيدة فيها اهـ سمين.

قوله: ﴿من دون الله﴾ حال من فئة. قوله: ﴿من المنتصرين﴾ أي: الممتنعين بأنفسهم، وقوله: (منه) أي العذاب.

قوله: ﴿وأصبح﴾ أي: صار الذين تمنوا مكانه أي منزلته ورتبته من الدنيا، وقوله: ﴿بالأمس﴾

﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ﴾ يوسع ﴿ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق على من يشاء، ووي اسم فعل بمعنى أعجب، أي أنا، والكاف بمعنى

ظرف لتمنوا ولم يرد بالأمس خصوص اليوم الذي قبل يومه بل الوقت القريب كما أشار له الشارح بقوله: (أي من قريب) اهـ قاري.

والكلام على حذف مضاف أي: مثل مكانه اهـ.

قوله: ﴿ويكأن الله﴾ وويكأنه فيه مذاهب، أحدها: أن وي كلمة برأسها وهي اسم فعل معناها أعجب أي: أنا والكاف للتعليل، وأن وما في حيزها مجرورة بها أي أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ وقياس هذا القول أن يوقف على وي وحدها وقد فعل ذلك الكسائي. الثاني: قال بعضهم كأن هنا للتشبيه إلا أنه ذهب منها معناه وصارت للخبر واليقين، وهذا أيضاً يناسبه الوقف على وي. الثالث: أن ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة المحذوف أي: اعلم أن الله يبسط الخ. قال الأخفش: وهو يناسب الوقف على ويك وقد فعله أبو عمرو. الرابع: أن أصلها ويلك فحذفت اللام وهذا يناسب الوقف على الكاف أيضاً كما فعل أبو عمرو. الخامس: أن ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها ألم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس. ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى أما ترى إلى صنع الله، وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير، ولم يرسم في القرآن إلا ويكأن وويكأنه متصلة في الموضعين، فعامة القراء اتبعوا الرسم، والكسائي وقف على وي، وأبو عمرو على ويك اهـ سمين.

وفي الخطيب: ووي اسم فعل بمعنى أعجب أي: أنا، والكاف بمعنى اللام. وهذه الكلمة والتي بعدها متصلة بإجماع المصاحف. واختلف القراء في الوقف فالكسائي وقف على الياء قبل الكاف، ووقف أبو عمرو على الكاف، ووقف الباقون على النون وعلى الهاء، وحمزة يسهل الهمزة في الوقف على أصله، وأما الوصل فلا خلاف فيه بينهم اهـ.

وعبارة حرز الأماني مع شرحها لابن القاصح:

وقف ويكأنه ويكأن برسمه وبالياء قف رفقاً وبالكاف حللا

أمر بالوقف للجميع على النون في ويكأن وعلى الهاء في ويكأنه برسمه لأنه كذلك رسم على ما لفظ به، ثم أخرج الكسائي وأبا عمرو فقال: وبالياء قف رفقاً أمر بالوقف على الياء للمشار إليه بالراء فى قوله رفقاً وهو الكسائي، ثم قال: وبالكاف حللاً يعني أن المشار إليه بالحاء في قوله: حللا وهو أبو عمرو وقف على الكاف، ومعنى حللا أبيح فحصل من ذلك أن أبي عمرو يقف ويك ويبتدىء أن الله أنه، وأن الكسائي يقف وي ويبتدىء بالكلمة بكمالها، انتهت.

قوله: (اسم فعل بمعنى أعجب) فإن القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف تنبهوا لخطئهم في تمنيهم مثل ما أوتي قارون، حيث علموا أن بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله ولا تضييقه لهوانه فتعجبوا من أنفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطأ، ثم ابتدؤوا يقولون كأن الله يبسط الرزق الخ، والمعنى ليس الأمر كما زعمنا من أن البسط ينبىء عن الكرامة

اللام ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ لنعمة الله كقارون ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بعمل المعاصي ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ عقاب الله بعمل الطاعات ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ

والقبض ينبىء عن الهوان، بل كان منهما بمقتضى مشيئته، وكذا الكلام في قوله: ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون، ثم قالوا: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح اهـ زاده.

قوله: ﴿لولا أن منَّ الله علينا﴾ أي: بعدم اعطائنا ما تمنيناه اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: لولا أن منَّ الله علينا بالإيمان والرحمة وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي لخسف بنا اهـ.

وقرأ الأعمش: لولا منَّ الله بحذف أن وهي مرادة لأن لولا هذه لا يليها إلا المبتدأ، وعنه أيضاً: لولا منُّ الله برفع النون وجر الجلالة وهي واضحة اهـ سمين.

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) وعلى القراءة الثانية نائب الفاعل الجار والمجرور اهـ.

قوله: ﴿ويكأنه﴾ الخ هذا تأكيد لما قبله.

قوله: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ تلك: مبتدأ، والدار الآخرة: صفة ونجعلها خبر اهـ.

قوله: ﴿للذين لا يريدون علواً﴾ عبر بالإرادة لأنها أبلغ في النفي اهـ شيخنا.

قوله: (بعمل المعاصي) كالقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر اهـ شيخنا.

قوله: (بعمل الطاعات) أي: من الإتيان بالمأمورات واجتناب المنهيات اهـ.

قوله: ﴿من جاء بالحسنة﴾ أي: جاء يوم القيامة متصفاً بها بأن كان من المؤمنين اهـ.

ووجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين أكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين ثم وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين، وقوله: ﴿فلا يجزى الذين﴾ الخ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر تشنيعاً عليهم، والأصل فلا يجزون كما أشار له البيضاوي، والحسنة ما يحمد فاعلها شرعاً وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها في القيامة، والمراد الحسنة المقبولة الأصلية المعمولة للعبد أو ما في حكمها كما لو تصدق عنه غيره لا المأخوذة في نظير ظلامتهم كما لو ضرب زيد عمراً ضربة وكان لزيد حسنات موجودة فيؤخذ منها ويعطى لعمرو، فهذه الحسنة لا تنسب لعمرو لا حقيقة، ولا حكماً أي لا تنسب لفعله فلا تضاعف له، وذلك لأن فاعلها حقيقة هو زيد وسببها ضربه لعمرو فعمرو لم يتسبب فيها بفعله وخرج بالمعمولة ما لو همّ بحسنة فلم يعملها المانع فإنها تكتب له واحدة ويجازى عليها من غير تضعيف والتضعيف خاص بهذه الأمة، وأما غير هذه الأمة من بقية الأمم فلا تضعيف لهم، والصواب دخول المضاعفة حسنات العصاة إن كانت على وجه يتناوله القبول بأن يعملها على وجه لا رياء فيه ولا سمعة وعدم دخولها في أعمال الكفار، لأنه لا يجتمع مع الكفر طاعة مقبولة إن لم يسلم وإلاَّ فتكون كالمقبولة في الإسلام ولا تضاعف الحسنات الحاصلة بالتضعيف، وأما السيئة فهي ما يذم فاعلها شرعاً صغيرة كانت أو كبيرة، وسميت سيئة لأن فاعلها يساء

﴿مِّنْهَا﴾ ثواب بسببها وهو عشر أمثالها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي مثله ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنزله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي فهو الجائي بالهدى، وهم في الضلال، وأعلم بمعنى عالم ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ على دينهم الذي دعوك إليه ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله يصدوننك حذفت نون الرفع

بها عند المجازاة عليها اهـ من شرح الجوهرة.

قوله: (أي مثله) فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة، قال الزمخشري: إنما كرر ذكر السيئات لأن في إسناد عمل السيئة إليهم مكرر أفضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة إلى قلوب السامعين، وهذا من فضله العظيم أنه لا يجزي السيئة إلا بمثلها ويجزي الحسنة بعشرة أمثالها اهـ كرخي.

قوله: (أنزله) عبارة البيضاوي: أي: أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه اهـ.

قوله: (إلى مكة) أي: كما رواه البخاري عن ابن عباس، فمعاد الرجل بلده لأنه ينصرف منها فيعود إليها، فإنه ﷺ خرج من الغار ليلاً وسار في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق إلى بلدك ومولدك. فقال عليه السلام: نعم. فقال جبريل: إن الله تعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يعني إلى مكة ظاهراً عليهم، وهذا أقرب التفاسير لأن الظاهر من المعاد الذي هو اسم مكان أنه الذي كان وفارقه وحصل العود إليه وذلك لا يليق إلا بمكة، فنزلت هذه الآية بالجحفة فليست مكية ولا مدنية اهـ زاده.

قوله: (وأعلم بمعنى عالم) إنما احتيج إلى تأويله باسم الفاعل ليصح نصبه للمفعول به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كنت ترجو﴾ الخ أي: وما كنت قبل مجيء الرسالة إليك ترجو وتؤمل انزال القرآن عليك، فإنزاله عليك ليس عن معاد ولا عن تطلب سابق منك. وفي القرطبي: أي ما علمت أنا نرسلك إلى الخلق وننزل عليك القرآن اهـ.

وقوله: ﴿أن يلقي﴾ أي يوحي إليك الكتاب، وهذا تذكير له ﷺ بالنعم ثم أمره الله بخمسة أشياء فقال: ﴿فلا تكونن ظهيراً﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يصدنك﴾ لا ناهية. ويصدن: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والكاف مفعول به، والنون المذكورة نون التوكيد. وقوله: ﴿عن آيات الله﴾، أي عن تبليغ أو قراءة آيات الله اهـ شيخنا.

قوله: (حذفت نون الرفع للجازم) أي: وهو لا الناهية أي: وحذفت الواو لأن النون لما حذفت

للجازم، والواو الفاعل، لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بإعانتهم، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إلا إياه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ بالنشور من قبوركم.

التقى ساكنان الواو والنون المدغمة، فحذفت الواو لاعتلالها ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة، وقوله: (أصله) أي: قبل دخول الجازم موافق لما في بعض كتب ابن هشام، وتعقب بأنه إنما يأتي على ندور وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب وما ألحق به فعل به كما فعل في ليقولن ما يحبسه اهـ كرخي.

قوله: ﴿بعد إذ أنزلت إليك﴾ إذ بمعنى وقت أي: بعد وقت انزالها عليك، ويصح أن تكون بمعنى أن المصدرية كما تقدم عن أبي السعود في سورة آل عمران. قوله: (أي لا ترجع إليهم) أي لا تلتفت إلى هؤلاء ولا تركن إلى أقوالهم فيصدوك عن إتباع آيات الله، وقوله: (في ذلك) أي: في صدهم لك اهـ شيخنا.

قوله: (بتوحيده) أي: إلى توحيده فالباء بمعنى إلى وهو بدل من إلى ربك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ الخطاب له ﷺ والمراد غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تدع مع الله﴾ الخ خطاب له، والمراد غيره أيضاً على حد لئن أشركت الآية اهـ.

قوله: ﴿كل شيء هالك﴾ أي: في حد ذاته لأن وجوده ليس ذاتياً بل لاستناده إلى واجب الوجود فهو بالقوة وبالذات معدوم حالاً، والمراد بالمعدوم ما ليس له وجود ذاتي لأن وجوده، كلا وجود وأما حمل هالك على المستقبل فكلام ظاهري اهـ شهاب.

قوله: (إلا إياه) أشار به إلى أن الوجه يعبر به عن الذات وقضية الاستثناء إطلاق الشيء على الله تعالى وهو الصحيح لأن المستثنى داخل في المستثنى منه، وإنما جاء على عادة العرب في التعبير بالإشراف عن الجملة ومن لم يطلقه عليه جعله متصلاً أيضاً وجعل الوجه ما عمل لأجله سبحانه فإن ثوابه باق اهـ كرخي.

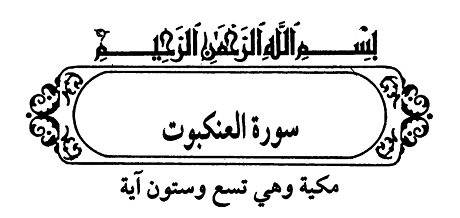
والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي نار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإليه﴾ أي: إلى جزائه ترجعون اهـ.

وعبارة الخطيب: وإليه وحده ترجعون أي في جميع أحوالكم في الدنيا وبالنشور من القبور للجزاء في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم، انتهت.



سورة العنكبوت

مكية وهي تسع وستون آية

﴿الٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟﴾ أي بقولهم ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون ﴿وَلَقَدْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، ومدنية كلها في أحد قولي ابن عباس وقتادة والقول الآخر لهما، وهو قول يحيى بن سلام إنها مكية إلا عشر آيات من أولها، فإنها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة، وقال علي رضي الله عنه: نزلت بين مكة والمدينة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أحسب الناس﴾ الخ الاستفهام للتقرير أو للتوبيخ فلا يقتضي جواباً لأنه في معنى كيف وقع منهم حسبان ذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿أن يقولوا آمنا﴾ هو على تقدير الباء في محل نصب على الحال من الواو في يتركوا كما تقول ركب زيد بثيابه، وقيل: هو على تقدير لام التعليل أي: أحسبوا تركهم غير مفتونين لأجل قولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب وغير مفتونين من تمام المفعول الأول، ولقولهم آمنا هو المفعول الثاني كقولك: حسبت ضربه للتأديب، وهذا الإعراب يقتضي أن العلة مصب الإنكار وليس كذلك، فالوجه أن يجعل قوله ﴿أن يتركوا﴾ ساداً مسد مفعولي حسب عند الجمهور في هذا، وفي قوله: ﴿أن يسبقونا﴾ ويجعل قوله: ﴿أن يقولوا﴾ علة للحسبان، ويكون معنى الآية أحسب الذين نطقوا بكلمة الشهادة أنهم يتركوا غير ممتحنين لا بل يمتحنون ليميز الراسخ في الدين من غيره اهـ من البيضاوي وزكريا مع تصرف في اللفظة.

قوله: (بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أي: مشاق التكليف كالمهاجرة والمجاهدة، ورفض الشهوات ووظائف التكاليف وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق، والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب اهـ بيضاوي.

قوله: (نزل في جماعة) كعمار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وسلمان بن

﴿فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ في إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝﴾ فيه ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسۡبِقُونَاۚ﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَحۡكُمُونَ ۝﴾ ـه حكمهم هذا ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ﴾ يخاف ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ به

هشام وكانوا يعذبون بمكة فكانت صدورهم تضيق لذلك اهـ رازي.

قوله: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ متصل بقوله: ﴿أحسب الناس﴾، أو بقوله: ﴿وهم لا يفتنون﴾. والمعنى أن ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه اهـ بيضاوي.

وقوله: متصل بقوله ﴿أحسب الناس﴾ أي: بأن يكون حالاً من فاعله لبيان علية إنكار الحسبان، والمعنى أحسبوا ذلك وقد علموا أنه خلاف سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً، والمقصود التنبيه على خطئهم في هذا الحسبان، وقوله: أو بقوله ﴿وهم لا يفتنون﴾ بأن يكون حالاً من فاعله لبيان أنه لا وجه لتخصيصهم أنفسهم بعدم الافتتان، والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسلك الأمم السابقة فيكون داخلاً في حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم اهـ زاده.

وفي القرطبي: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ أي: ابتلينا الماضين كالخليل ألقي في النار وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه. روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيؤتي بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم كنتم تستعجلون اهـ.

قوله: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ بصيغة الفعل في هذا وقوله: ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ بلفظ اسم الفاعل وفيه نكتة وهي أن اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه لأن وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام، وعن قوم مستمرين على الكفر فعبر في حق الأولين بلفظ وفي حق الآخرين بالصيغة الدالة على الثبات اهـ زاده.

قوله: (علم مشاهدة) أي: ظهور. وهذا جواب ما يقال ظاهر الآية يدل على تجدد علم الله ما أن الله تعالى عالم بهم قبل الاختبار، وحاصل الجواب أن معنى الآية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه، وقد تقدم التنبيه على مثل هذا كثيراً اهـ كرخي.

قوله: ﴿أم حسب الذين﴾ الخ أم منقطعة فتقدر ببل وهمزة الاستفهام اهـ سمين.

وبل التي في ضمنها للإضراب الانتقالي من قصة إلى قصة والهمز التي في ضمنها للاستفهام التوبيخي، فالكلام انتقال من توبيخ الأول على حسبانهم بلوغ الدرجات من غير مشاق بل بمجرد الإيمان، فانتقل منه إلى توبيخ أشد وهو حسبانهم أن يفوتوا عذاب الله ويفروا منه. قوله: ﴿يحكمون﴾ (حكمهم هذا) جعل ما موصولة، ويحكمون صلة، والعائد محذوف كما قدره، والجملة فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف أي: حكمهم، ويجوز أن تكون ما تمييزاً ويحكمون صفتها والفاعل مضمر يفسره ما والمخصوص أيضاً محذوف، ويجوز أن تكون ما مصدرية وهو قول ابن كيسان، فعلى هذا

﴿لَآتٍۚ﴾ فليستعد له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ بأفعالهم ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعمل

يكون التمييز محذوفاً والمصدر المؤول مخصوص بالذم أي: ساء حكماً حكمهم وجيء بيحكمون دون حكموا، إما للتنبيه على أن هذا دينهم، وإما لوقوعه موقع الماضي لأجل الفاصلة اهـ كرخي.

قوله: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ أي: يؤمل ثوابه أو يخاف حسابه أو يطمع في ثوابه وقوله: (يخاف) ﴿لقاء الله﴾ أي: للبعث والجزاء والحساب، وجواب الشرط محذوف قدره الشارح بقوله (فليستعد له) وليس جواب شرط قوله: ﴿فإن أجل الله لآت﴾ لأنه لا يصح أن يكون هو الجواب تأمل. وفي السمين: قوله: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾. من يجوز أن تكون شرطية وأن تكون موصولة، والفاء لشبهها بالشرطية، والظاهر أن هذا ليس بجواب لأن أجل الله آت لا محالة من غير تقييد بشرط لأنه لو كانت جواب الشرط لزم أن من لا يرجو لقاء الله لايكون أجل الله آتياً له، لأن المعلق على شرط ينعدم بانعدام الشرط، بل الجواب محذوف أي: فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً كما قد صرح به اهـ.

قوله: ﴿فإن أجل الله﴾ (به) أي: له، وعبارة البيضاوي: ﴿فإن أجل الله﴾ أي: فإن الوقت المضروب للقائه لآت لجاء، وإذا كان وقت اللقاء آتياً كان اللقاء كائناً لا محالة فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يستوجب به القربة والرضا اهـ.

قوله: ﴿العليم﴾ (أفعالهم) أي: وعقائدهم ونفاقهم اهـ قاري.

قوله: ﴿ومن جاهد الخ﴾ لما بين الله تعالى أن التكليف والامتحان حسن واقع بين أن نفعه يعود إلى المكلف، والحصر المذكور في الآية إضافي معناه أن جهاده لا يصل منه إلى الله نفع، فلا يرد أن يقال كيف يستقيم الحصر المذكور مع أن جهاد الشخص قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد وينتفع من سنّ سنة حسنة بفعل من استن بها، ثم إنه تعالى لما بين إجمالاً أن من عمل صالحاً فإنما يعمل لنفسه فصل ذلك النفع بعض تفصيل، فقال: ﴿والذين آمنوا﴾ الخ اهـ زاده.

وفي الخازن: الجهاد هو الصبر على الشدة، وقد يكون في الحرب، وقد يكون في مخالفة النفس اهـ.

قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، والخبر جملة القسم المحذوفة وجوابها أي: والله لنكفرن، ويجوز أن يكون منصوباً بفعل مضمر على الاشتغال أي ونخلص الذين آمنوا من سيئاتهم اهـ سمين.

فإن قلت: يستدعي وجود السيئات حتى تكفر والذين آمنوا وعملوا الصالحات بأسرها من أين تكون لهم سيئة؟ فالجواب: أنه ما من مكلف إلاّ وله سيئة أما غير الأنبياء فظاهر، وأما الأنبياء فلأن ترك الأفضل منهم كالسيئة من غيرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿عفا الله عنك لما أذنت﴾ [التوبة: ٤٣] لهم اهـ كرخي.

الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن نصبه بنزع الخافض الباء ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ وهو الصالحات ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي إيصاء ذا حسن بأن يبرهما ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ فأجازيكم به ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ۝﴾

قوله: ﴿أحسن الذي كانوا يعملون﴾ قيل: هو على حذف مضاف أي: ثواب أحسن، والمراد بأحسن هنا مجرد الوصف قيل: يلزم أن جزاءهم بالحسن مسكوت عنه، وهذا ليس بشيء لأنه من باب الأولى، فإنه إن جازاهم بالأحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على الأدنى بالأعلى اهـ سمين.

قوله: (الباء) بدل من الخافض.

قوله: ﴿ووصينا الإنسان الخ﴾ نزلت في سعد بن أبي وقاص وهو من السابقين إلى الإسلام، وفي أمه حمنة حين أسلم آلت أمه أن لا تطعم ولا تشرب ولا تستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد، فأبى سعد أن يسمع لها وصبرت نفسها ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشي عليها، فأتى سعد للنبي ﷺ وأخبره بما كان من أمرها فأنزل الله ﴿وإن جاهداك﴾ الآية اهـ من النهر.

فلم يطعها سعد وقال لها: والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد عليه السلام، فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت اهـ قرطبي.

قوله: (أي إيصاء ذا حسن) أشار به إلى أن حسناً منصوب على أنه نعت لمصدر وصينا مع حذف مضاف كقوله: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾. قال الكواشي: أو هو في نفسه حسن أي على المبالغة، وأجاز ابن عطية أن ينتصب على المفعول به قال: وفي ذلك تجوز والأصل ووصينا الإنسان بالحسن في فعله مع والديه اهـ كرخي.

قوله: (بأن يبرهما) أي: يحسن إليهما بكل ما يمكنه من وجوه الإحسان، فيشمل ذلك اعطاء المال والخدمة ولين القول وعدم المخالفة لهما وغير ذلك. وفي المصباح: وبررت والدي من باب علم أبره براً وبروراً أحسنت الطاعة إليه ورفقت به وتحريت محابه وتوقيت مكارهه اهـ.

قوله: ﴿وإن جاهداك لتشرك بي﴾ وفي لقمان ﴿على أن تشرك بي﴾ [لقمان: ١٥] لأن ما في هذه السورة وافق ما قبله لفظاً وهو قوله: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ وفي لقمان محمول على المعنى، لأن التقدير وإن حملاك على أن تشرك اهـ كرماني.

قوله: (فوافقة للواقع) علة لمحذوف تقديره: وذكر هذا القيد موافقة للواقع، وقوله: (فلا مفهوم له) بيان ذلك أنه ليس ثم إله لك به علم وإله لا علم لك به، بل الإله واحد وهذا وما في لقمان والأحقاف نزل في سعد بـن أبي وقاص اهـ كرخي.

قوله: ﴿إليّ مرجعكم﴾ فيه بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين اهـ.

قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي: بصالح أعمالكم وسيئها فأجزيكم عليها اهـ خازن.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الاشتغال اهـ سمين.

الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ﴾ في الخوف منه فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جَآءَ نَصۡرٞ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة، قال تعالى ﴿أَوَلَيۡسَ

قوله: (بأن نحشرهم معهم) أشار به إلى أنه معنى إدخالهم فيهم كونهم معدودين من جملتهم لاتصافهم بصفتهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ الخ لما بين المؤمنين والكافرين فيما تقدم في قوله: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ وبين الكفار بقوله: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ [العنكبوت: ٤٠] وبين المؤمنين بقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرون عنهم سيئاتهم﴾ [العنكبوت: ٧٠] الخ بين حال المنافقين بقوله: ﴿ومن الناس﴾ الخ، وعبارة النهر: ونزلت في المنافقين، ولما ذكر تعالى ما أعده للمؤمنين ذكر حال المنافقين ناس آمنوا بألسنتهم، فإذا آذاهم الكفار جعلوا ذلك الأذى صارفاً لهم عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر، انتهت.

قوله: ﴿فإذا أوذي في الله﴾ أي عذبوا تعذيباً لم يصبروا عليه وتركوا الدين الحق، وكان يمكنهم أن يصبروا على الأذى إلى حد الإكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان، فجعل المنافقون فتنة الناس صارفة عن الإيمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر، فعذاب الناس له دافع وعذاب الله ما له من دافع، وأيضاً عذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم وعذاب الله بعده عذاب أليم، والمشقة إذا كانت مستتبعة للراحة العظيمة تطيب له النفس ولا تعد عذاباً كما تقطع السلعة المؤذية ولا تعد عذاباً، واعلم أن الأقسام ثلاثة: مؤمن ظاهراً وباطناً، ومؤمن ظاهراً لا باطناً، وكافر ظاهراً وباطناً اهـ رازي.

وقال الشهاب وفي للسببية أو المراد في سبيل الله اهـ.

قوله: ﴿كعذاب الله﴾ أي: جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، فإن قيل: هذا يقتضي منع المؤمن من إظهار كلمة الكفر بالإكراه لأن من أظهر كلمة الكفر بالإكراه احترازاً عن التعذيب العاجل يكون قد جعل فتنة الناس كعذاب الله، فالجواب: أن الأمر ليس كذلك لأن من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يجعل فتنة الناس كعذاب الله، لأن عذاب الله يوجب ترك ما يعذب عليه ظاهراً وباطناً والمكره ليس كذلك بل في باطنه الإيمان اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليقولن﴾ العامة على ضم اللام أسند الفعل لضمير الجماعة حملاً على معنى من بعد أن حمل على لفظها، ونقل أبو معاذ النحوي أنه قرأ ليقولن بالفتح جرياً على مراعاة لفظها أيضاً، وقراءة العامة أحسن لقوله: ﴿إنا كنا معكم﴾ اهـ سمين.

قوله: ﴿إنا كنا معكم في الإيمان﴾ أي: وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا اهـ خازن.

وفيه إشارة إلى أن المراد المعية في الإيمان، وليس المراد المعية والصحبة في القتال لأنها غير واقعة اهـ شهاب.

﴿اللَّهُ﴾ أي بعالم ﴿بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر، قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ في ذلك ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا، وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين لام قسم، وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه

قوله: (قال الله تعالى) أي تكذيباً لهم في قولهم: إنا كنا معكم في الإيمان اهـ من الخازن.

قوله: ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ أي: صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء وليعلمن المنافقين أي: بترك الإيمان عند البلاء. قيل: نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا. وقال ابن عباس: نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر، وهم الذين نزلت فيهم: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [النحل: ٢٨] وقيل: هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هنا مدنية، وباقي السورة مكي اهـ خازن.

قوله: ﴿وليعلمن المنافقين﴾ تغيير الأسلوب حيث عبّر في الأول بالفعل، وفي الثاني باسم الفاعل تفنن لرعاية الفاصلة كما في البيضاوي. قوله: (والأمر) أي: في قوله: ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ بمعنى الخبر قال الزمخشري: هو في معنى قول من يريد اجتماع أمرين في الوجود، فيقول: ليكن منك العطاء وليكن مني الدعاء فقوله: ﴿ولنحمل﴾ أي وليكن منا الحمل وليس هو في الحقيقة أمر طلب وإيجاب، وقرأ الحسن وعيسى بكسر لام الأمر وهو لغة الحجاز اهـ كرخي.

وعبارة الشهاب: قوله: (والأمر بمعنى الخبر) يعني أن أصل ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أن تتبعونا نحمل خطاياكم فعدل عنه إلى ما ذكر مما هو خلاف الظاهر من أمرهم لأنفسهم بالحمل اهـ.

قوله: (بقولهم للمؤمنين) الباء سببية.

قوله: ﴿عما كانوا يفترون﴾ أي: من الأباطيل التي أضلوا بها ومن جملتها هذا الوعد اهـ بيضاوي وشهاب.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن الله تعالى لما بين التكليف وذكر أقسام المكلفين ووعد المؤمن الصادق الثواب العظيم، ووعد المنافق العذاب الأليم ذكر أن هذا التكليف ليس مختصاً بالنبي ﷺ وأصحابه وأمته حتى صعب عليهم ذلك، بل من قبله كان كذلك كنوح وإبراهيم وغيرهما اهـ رازي.

قوله: (وعمره أربعون سنة أو أكثر) قال في التحبير: روى ابن جرير عن ابن عباس أن نوحاً بعث

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ مشركون ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي نوحاً ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو

وهو ابن ثلاثمائة وخمسين، ونوح بن لمك بفتح اللام وسكون الميم والكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين وكسر اللام وبالخاء المعجمة، كما ضبطه ابن الأثير، ابن إدريس بن بزد بن أهاليل بن قيتان بن أنوش بن شيث بن آدم، وبين نوح وآدم ألف سنة اهـ.

وفي القرطبي: وكان اسم نوح السكن، وإنما سمي السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوهم، وولد له سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم وفي كل هؤلاء خير، وولد حام القبط والسودان وبربر، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وليس في كل هؤلاء خير. وقال ابن عباس: في ولد سام بياض وأدمة، وفي ولد حام سواد وبياض قليل، وفي ولد يافث الصفرة والحمرة وكان له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق، والعرب تمسية يام. وسمين نوح نوحاً لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى فكان كلما كفروا بكى وناح عليهم، وذكر القشيري أبو القاسم عبد الكريم في كتاب التحبير له: روي أن نوحاً عليه السلام كان اسمه يشكر، ولكن لكثرة بكائه على خطيئته أوحى الله تعالى إليه يا نوح كم تنوح فسمي نوحاً، فقيل: يا رسول الله أي شيء كانت خطيئته؟ فقال: «إنه مرَّ بكلب فقال في نفسه ما أقبحه، فأوحى الله تعالى إليه أخلق أنت أحسن من هذا» اهـ.

وفي الخطيب: وأما قبره فقد روى ابن جرير والأزرقي حديثاً مرسلاً أن قبره بالمسجد الحرام، وقيل: ببلد البقاع يعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك اهـ.

قوله: ﴿فلبث فيهم ألف سنة﴾ ألف منصوب على الظرف و ﴿إلاّ خمسين عاماً﴾ منصوب على الاستثناء، وفي وقوع الاستثناء من أسماء العدد خلاف وللمانعين عنه جواب في هذه الآية، وقد روعيت هنا نكتة لطيفة وهي أنه غاير بين تمييز العددين فقال في الأول سنة وفي الثاني عاماً لئلا يثقل اللفظ، ثم إنه خص لفظ العام بالخمسين إيذاناً بأن نبي الله ﷺ لما استراح منهم بقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة اهـ سمين.

فإن قلت: ما الفائدة في ذكر مدة لبثه؟ قلت: كان رسول الله ﷺ يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام فقال له الله تعالى: إن نوحاً لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصبر وما ضجر، فأنت أولى بالصبر لقلة مدة لبثك وكثرة عدد أمتك اهـ رازي.

قوله: (طاف بهم) أي: أحاط وارتفع على أعلى جبل أربعين ذراعاً، وقيل: خمسة عشر حتى غرق كل شيء غير من في السفينة اهـ خازن من سورة هود.

وفي قوله: (طاف بهم الخ) إشارة إلى ما قاله الرازي من أن معنى الطوفان كل ما طاف أي أحاط بالإنسان لكثرته ماء كان أو غيره كالظلمة، ولكنه غلب في الماء كما هو المراد هنا اهـ شهاب.

قوله: (إن عصوا رسولهم) مفرد مضاف فيعم وفي نسخة رسلهم اهـ شيخنا.

أكثر، حتى كثر الناس ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ الخير من غيره ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذباً إن الأوثان شركاء لله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾

قوله: (وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر) قال أبو السعود: في سورة الأعراف: عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً ومائتين وأربعين سنة اهـ.

قوله: ﴿وإبراهيم﴾ العامة على نصبه عطفاً على نوحاً أو بإضمار اذكر أو عطفاً على هاء أنجيناه والنخعي، وأبي جعفر، وأبو حيوة، وإبراهيم رفعاً على الابتداء والخبر مقدر أي: ومن المرسلين إبراهيم. وقوله: ﴿إذ قال﴾ بدل من إبراهيم بدل اشتمال اهـ سمين.

قوله: ﴿اعبدوا الله واتقوه﴾ أي: وحدوه لأن التوحيد إثبات الإله ونفي غيره، فقوله: ﴿اعبدوا الله﴾ إشارة إلى الإثبات، وقوله: ﴿واتقوه﴾ إشارة إلى نفي الغير، لأن من يشرك مع الملك غيره في ملكه فقد أتى بأعظم الجرائم، وقيل: اعبدوا الله فيه إشارة إلى الإتيان بالواجبات، وقوله: ﴿واتقوه﴾ فيه إشارة إلى الامتناع من المحرمات ثم يدخل في الأول وهو قوله ﴿اعبدوا الله﴾ الاعتراف بالله، وفي الثاني وهو قوله: ﴿واتقوه﴾ الامتناع من الشرك ثم ذكر بطلان مذهبهم بأبلغ وجه بقوله: ﴿إنما تبعدون من دون الله أوثاناً﴾. الخ اهـ رازي.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿خير لكم﴾ (مما أنتم عليه) أي: على تقدير الخيرية فيه على زعمكم، وقيل: التقدير خير من كل شيء لأن حذف المفضل عليه يقتضي العموم مع عدم احتياجه إلى التأويل. إذ المراد بكل شيء في خيرية، ويجوز كونه صفة لا اسم تفضيل اهـ شهاب.

قوله: ﴿إن كنتم تعلمون﴾ (الخير) وهو عبادة الله، وقوله: (من غيره) أي: الشر وهو عبادة الأصنام اهـ.

قوله: ﴿إنما تعبدون من دون الله﴾ الخ استدل على أن ما هو عليه شر بدليلين، الأول: هذا والثاني: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله﴾ الخ أي: فعملهم شر لا خير فيه لتركهم عبادة الرازق القادر إلى عبادة ما لا طائل في عبادته، ووجه الدليل الأول أن ما هم عليه زور وباطل فهو بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق اهـ شهاب.

قوله: (يقدرون) تفسير لقوله ﴿لا يملكون﴾ أي: لا يستطيعون، وقوله: (أن يرزقوكم) تفسير لرزقاً، وأشار بهذا إلى أن رزقاً مصدر مؤول بأن والفعل، فيكون مفعولاً به ليملكون ورزقاً نكرة في سياق النفي فيعم أي: شيئاً من الرزق. وفي السمين: قوله: ﴿رزقاً﴾ يجوز منصوباً على المصدر ناصبه لا يملكون لأنه في معناه، وعلى أصول الكوفيين أن يكون الأصل لا يملكون أن يرزقوكم رزقاً فإن يرزقوكم هو مفعول يملكون ويجوز أن يكون بمعنى المرزوق فينتصب مفعولاً به اهـ.

اطلبوه منه ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ أي تكذبوني يا أهل مكة ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨﴾ الإبلاغ البين، في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ وقال تعالى في قومه ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ بالياء والتاء ينظروا ﴿كَيۡفَ يُبۡدِئُ

قوله: ﴿واعبدوه واشكروا له﴾ ذكرهما بعد طلب الرزق، لأن الأول سبب لحدوث الرزق، والثاني سبب لبقائه لأن الشكر يزيد النعم والمعاصي تزيل النعم اهـ شهاب.

قوله: ﴿إليه﴾ أي: إلى محل جزائه ترجعون.

قوله: ﴿وإن تكذبوا﴾ الخ لما فرغ من بيان التوحيد أتى بعده بالتهديد، وجواب الشرط محذوف أي: فلا يضرني تكذيبكم لأنه كذب أمم الخ، وإنما تضرون أنفسكم وهذه الآيات من هنا إلى قوله ﴿عذاب أليم﴾ اعتراض بذكر شأن النبي محمد ﷺ وقريش، وهدم مذهبهم، والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصة إبراهيم تسلية له ﷺ وللتنفيس عنه لأن أباه خليل الله إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما كان مبتلي بما ابتلي به من شرك القوم وتكذيبهم فحاله مع قومه كحال إبراهيم مع قومه اهـ بيضاوي بتصرف.

وفي الخازن: قيل: هذه الآيات إلى قوله ﴿فما كان جواب قومه﴾ [النمل: ٥٦ والعنكبوت: ٢٤ و ٢٩] يحتمل أن تكون من تمام قول إبراهيم لقومه، وقيل: إنها وقعت معترضة في أثناء قصة إبراهيم تذكيراً لأهل مكة وتحذيراً لهم اهـ.

قوله: (يا أهل مكة) فعلى هذا يكون قوله: ﴿وإن تكذبوا﴾ إلى قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ معترضاً في خلال قصة إبراهيم، وقيل: إن الكل من قصة إبراهيم ولا اعتراض في الكلام وهذا القول صدر به البيضاوي.

قوله: (من قبلي) اسم موصول مفعول به لكذب أي: فلم يضر الرسل تكذيبهم اهـ شيخنا.

قوله: (في هاتين القصتين) أي: قصة نوح وقصة إبراهيم، لكن قصة نوح تمت وقصة إبراهيم باقية، وأول تمامها قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ [النمل: ٥٦ والعنكبوت: ٢٤ و ٢٩] إلى قوله: ﴿إنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [العنكبوت: ٢٧] اهـ.

قوله: (وقال تعالى) أي: رداً على أمة محمد المكذبة في البعث والحشر، وقوله: (في قومه) أي: قوم محمد على ما جرى عليه الشارح من الاعتراض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾ لما بين الله تعالى الأصل الأول وهو التوحيد، فأشار إلى الثاني وهو الرسالة بقوله: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [النور: ٥٤] شرع في بيان الأصل الثالث وهو الحشر، وهذه الأصول الثلاثة لا ينفك بعضها عن بعض في الذكر الإلهي اهـ من النهر.

قوله: (بالياء والتاء) أي: قرأ حمزة، وشعبة والكسائي بتاء الخطاب أي؛ مخاطبة من محمد ﷺ لقومه، والباقون بياء الغيبة فالضمير للأمم أي أو لم يروا الأمم. فإن قيل: متى رأى الإنسان بدء الخلق حتى يقال أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق؟ فالجواب: أن المراد بالرؤية العلم الواضح الذي هو

﴿ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ هو بضم أوَّله، وقرىء بفتحه من بدأ وأبدأ، بمعنى أي يخلقهم ابتداء ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩﴾ فكيف ينكرون الثاني ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ

كالرؤية، والعاقل يعلم أن البدء من الله لأن الخلق الأول لا يكون من مخلوق، وإلاَّ لما كان الخلق الأول خلقاً أول فهو من الله اهـ كرخي.

قوله: (وقرىء بفتحه) أي: في الشواذ، وقوله: (من بدأ وأبدأ) أي: من الثلاثي والرباعي فهو لف ونشر مشوش اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم﴾ (هو) ﴿يعيده﴾ قدر هو إشارة إلى أن الجملة مستأنفة وليست معطوفة على ما قبلها، وكذا قوله: ﴿ثم الله ينشيء﴾ فالجملتان مستأنفان إخباراً من الله بالإعادة بعد الموت، وقدم ما قبل هاتين الجملتين على سبيل الدلالة على إمكان ذلك، وإذا أمكن ذلك وأخبر الصادق بوقوعه صار واجباً معطوفاً بعلمه لا شك فيه من النهر لأبي حيان.

وقال البيضاوي: ثم يعيده معطوف على أولـم يروا لا على يبدىء فإن الرؤية غير واقعة عليه اهـ.

قال شهاب: وسبب امتناع عطفه على يبدىء أن الرؤية إن كانت بصرية فهي واقعة على الابداء دون الإعادة فلو عطف عليه لم يصح، وكذا إن كانت علمية لأن المقصود الاستدلال بما علموه من أحوال المبدأ على المعاد لإثباته فلو كان معلوماً لهم لكان تحصيلاً للحاصل اهـ.

قال زاده: فإن قلت: أو ليس هذا من عطف الخبر على الإنشاء؟ أجيب بأن الاستفهام فيه لما كان للإنكار وتقرير الرؤية كان اخباراً من حيث المعنى أي: قدروا ذلك وعلموه اهـ.

قوله: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ حكاية كلام الله لإبراهيم أو محمد عليهما السلام اهـ بيضاوي.

أي: وليس من مقالة إبراهيم لقومه من عند نفسه على تقرير أن تكون الآيات المذكورة من قوله: ﴿وإن تكذبوا﴾ إلى قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ من قصة إبراهيم، ولا من مقالة سيدنا محمد من عند نفسه على جعلها معترضة بين أجزاء قصة إبراهيم، إذا لا وجه لهما أن يقولا من عند أنفسهما ﴿قل سيروا في الأرض﴾، بل الظاهر أنه كلام أحدهما لقومه على حكاية كلام الله لهم أي: قال الله لي قل لهم سيروا في الأرض أي: قل لمنكري البعث يسيرون في الأرض ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومن قدر من إنشائها بدءاً يقدر على إعادتها اهـ زاده.

قوله: ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أبرز اسم الله في الآية الأولى عند البدء حيث قال: كيف يبدىء الله الخلق وأضمره عند الإعادة، وفي هذه الآية أضمره عند البدء وأبرزه عند الإعادة حيث قال: لأنه في الآية الأولى لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند إليه البدء، فقال: يبدىء الله ثم قال: ثم يعيده، وفي الآية الثانية كان ذكر البدء مسنداً إلى الله تعالى فاكتفى به، وأما اظهاره عند الإنشاء ثانياً حيث قال: ﴿ثم الله ينشىء النشأة﴾، فيقع في ذهن السامع كمال قدرته وعلمه وإرادته ولم يقل يعيده بل قال: ينشىء للتنبيه على أن البدء يسمى نشأة كإعادة والتغاير بينهما بالوصف حيث قالوا: نشأة أولى ونشأة أخرى اهـ رازي.

﴿اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ مدّاً وقصراً مع سكون الشين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ ومنه البدء والإعادة ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ تردُّون ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها أي لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ ينصركم من عذابه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي القرآن والبعث ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ أي جنتي ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ مؤلم، قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ

قوله: (مداً وقصراً) عبارة السمين: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو النشاءة بالمد هنا وفي النجم والواقعة، والباقون بالقصر مع سكون الشين، وهما لغتان كالرأفة والرآفة وانتصابهما على المصدر المحذوف الزوائد، والأصل الإنشاءة أو على حذف العالم أي: ينشيء فينشؤون النشأة وهي مرسومة بالألف وهو يقوي قراءة المد اهـ.

قوله: ﴿يعذب من يشاء﴾ لما ذكر النشأة الآخرة ذكر ما يكون فيها وهو تعذيب أهل التكذيب عدلاً وحكمه، وإثابة أهل الإثابة فضلاً ورحمة، وقدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة لأن السابق ذكر الكفار فذكر العذاب أولاً لسبق ذكر مستحقيه اهـ رازي.

قوله: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ الخطاب لبني آدم وهم من أهل الأرض وليس في وسعهم الهرب في السماء، والمقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكناً كان أو مستحيلاً، كما أشار إليه الشارح بقوله: (لو كنتم فيها). وهذا إن حملت الأرض والسماء على المشهور من معناهما، ويجوز أن يراد بهما جهة السفل وجهة العلو اهـ من زاده.

وقال هنا في الأرض ولا في السماء، واقتصر في الشورى على الأرض لأن ما هنا خطاب لقوم فيهم النمروذ الذي حاول الصعود إلى السماء وقد حذفا معاً للاختصار في قوله في الزمر: ﴿وما هم بمعجزين﴾ [الزمر: ٥١] اهـ كرخي.

قوله: (عن إدراككم) أي: لحوقكم، والمراد أن يدرككم عذابه اهـ شهاب.

قوله: ﴿في الأرض﴾ أي: الفسيحة ولا في السماء أي: التي هو أفسح من الأرض اهـ.

قوله: (أي القرآن والبعث) الأول راجع لقوله ﴿بآيات الله﴾، والثاني راجع لقوله ﴿ولقائه﴾ فهو لف ونشر مرتب كما يؤخذ من الخازن.

قوله: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾ أي: ييأسوا منها يوم القيامة، وصيغة الماضي لدلالة عمله على تحقيق وقوعه أو يئسوا منها في الدنيا لأنكارهم البعث والجزاء اهـ أبو السعود.

وأضاف الرحمة إلى نفسه ولم يضف العذاب إليها لسبق رحمته وإعلاماً لعباده بعمومها لهم اهـ.

قوله: (قال تعالى) أي: تكميلاً لما سبق قبل قوله ﴿إن تكذبوا﴾.

قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ الخ لما أمرهم بعبادة الله تعالى وبين سفههم في عبادة الأوثان، وظهرت حجته عليهم رجعوا إلى الغلبة فجعلوا القائم مقام جوابه فيما أمرهم به. قولهم: اقتلوه أو

حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ التي قذفوه فيها، بأن جعلها برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي إنجائه منها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه، مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ تعبدونها وما مصدرية ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر إن، وعلى قراءة النصب مفعول له،

حرقوه والآمر بذلك إما بعضهم لبعض أو كبراؤهم قالوا لأتباعهم اقتلوه فستريحوا منه عاجلاً أو حرقوه بالنار، فأما أن يرجع إلى دينكم إذا أوجعته النار، وإما أن يموت إذا أصر على قوله ودينه، وفي الكلام حذف تقديره فقذفوه في النار فأنجاه الله من النار، وفي ذلك إشارة إلى خلوصه من النار بعد إلقائه، وجاء هنا الترديد بين قتله وإحراقه فقد يكون ذلك من قائلين ناس أشاروا بالقتل وناس أشاروا بالإحراق، وفي الأنبياء حرقوه اقتصروا على أحد الأمرين وهو الذي فعلوه فرموه في النار ولم يقتلوه اهـ من النهر.

وعبارة الرزاي: إلا أن قالوا اقتلوه أي: قال رؤساء القوم لأتباعهم، لأن الجواب لا يصدر إلا من الأكابر والقتل لا يباشره إلا الأتباع اهـ.

قوله: ﴿إلا أن قالوا اقتلوه﴾ أي: لا تجيبوا عن براهنيه الثلاثة الدالة على الأصول، وهي التوحيد والنبوة والحشر. واقتلوه الخ وإنما أجابوا بذلك لعدم قدرتهم على الجواب الصحيح اهـ رزاي.

قوله: ﴿اقتلوه﴾ أي: بسيف أو نحوه ليظهر مقابلته بالإحراق فلا حاجة لجعل أو بمعنى بل اهـ شهاب.

قوله: (بأن جعلها عليه برداً وسلاماً) روي أنه في ذلك اليوم لم ينتفع أحد بنار اهـ خازن.

قوله: (هي) أي: الآيات وذكر منها ثلاثة الأولى: عدم تأثيرها فيه، والثانية: إخمادها، والثالثة: إنشاء روض أي: بستان مكانها أي: في مكانها أي: وسطها اهـ شيخنا.

وفي المختار: خمدت الناس سكن لهبها ولم يطفأ وجمرها بخلاف همدت، يقال: همدت النار أي طفئت وذهبت البتة وبابهما دخل وأخمدها غيرها اهـ.

وفيه أيضاً: الروضة من البقل والعشب وجمعها روض ورياض، والبقل كل نبات اخضرت به الأرض، والعشب الكلأ الرطب وماضيه أعشب يقال أعشبت الأرض أن أنبتت العشب اهـ.

قوله: (في زمن يسير) أي: مقدار طرفة عين بحيث إنها لم تؤذه ولكن أحرقت وثاقه لينحل، وهذا راجع لإخماد والإنشاء اهـ شهاب.

قوله: (لأنهم المنتفعون بها) تعليل لمحذوف أي: وخصوا بالذكر لأنهم الخ. وقوله: (بها) أي: الآيات.

قوله: ﴿وقال﴾ (إبراهيم) معطوف على فأنجاه الله من النار أي: قال بعد إنجائه من النار: ﴿إنما اتخذتم الخ﴾ لم يحصل له منهم رعب ولا مهابة اهـ شيخنا.

قوله: (وما مصدرية) وعلى جعل ما مصدرية يكون مفعول اتخذ الثاني محذوفاً تقديره آلهة اهـ زاده.

وما كافة، المعنى تواددتم على عبادتها ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾ مصيركم جميعاً ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ مانعين منها ﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾ صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ أي إلى حيث أمرني

وقوله: (وما) كافة أي: كفت أن ومنعتها عن العمل فركبت ما مع إن وصار المجموع أداة حصر، فالمعنى اتخذتم الأثان إلا لأجل المدة بينكم اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقال ﴿إنما اتخذتم﴾ في ما هذه ثلاثة أوجه، أحدها: أنها موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف هو المفعول الأول، وأوثان مفعول ثان، والخبر مودة في قراءة من رفع كما سيأتي، والتقدير: إن الذي تخذتموه أوثاناً مودة أي ذو مودة أو جعل نفس المودة مبالغة ومحذوف على قراءة من نصب مودة أي: الذي اتخذتموه أوثاناً لأجل المودة لا ينفعكم أو يكون عليكم لدلالة قوله: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾. والثاني: أن تجعل ما كافة وأوثاناً مفعول به والاتخاذ هنا متعد لواحد أو لاثنين. والثاني: هو من دون الله فمن رفع مودة كانت خبر مبتدأ مضمر أي: ذات مودة أو جعلت نفس المودة مبالغة، والجملة حينئذ صفة لأوثاناً أو مستأنفة ومن نصب كان مفعولاً له أو بإضمار أعني. الثالث: أن تجعل ما مصدرية، وحينئذ يجوز أن يقدر مضاف من الأول أي إن سبب اتخاذكم أوثاناً فيمن رفع مودة، ويجوز أن لا يقدر بل يجعل نفس الاتخاذ هو المودة مبالغة، وفي قراءة من نصب يكون الخبر محذوفاً على ما مرَّ في الوجه الأول. وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي برفع مودة غير منونة وجر بينكم، ونافع، وابن عامر، وأبو بكر بنصب مودة منونة ونصب بينكم، وحمزة وحفص بنصب مودة غير منونة وجر بينكم، فالرفع قد تقدم والنصب أيضاً تقدم فيه وجهان، ويجوز وجه ثالث وهو أن يجعل مفعولاً ثانياً على المبالغة والإضافة للاتساع في الظرف، ومن نصبه فعلى أصله. ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة للظرف، وإنما بني لإضافته إلى غير متمكن قراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذا جعلنا بينكم فاعلاً اهـ.

قوله: (تواددتم على عبادتها) أي: اجتمعتم وتحاببتم على مودتها.

قوله: (يتبرأ القادة) أي: يقولون للأتباع لا نعرفكم. قوله: (جميعاً) أي: القادة والأتباع.

قوله: (مانعين منها) أي: يخرجونكم منها كما أخرج إبراهيم اهـ رازي.

قوله: (صدق بإبراهيم) أي: صدق بنبوته وإن كان مؤمناً قبل ذلك اهـ شهاب.

وقال زاده: يجب الوقف على لوط لأن قوله: ﴿وقال إني مهاجر﴾ مقول إبراهيم، فلو وصل لتوهم أن الفعل الثاني للوط فيفسد المعنى اهـ.

وهذا على قول الجمهور إن الضمير في قال لإبراهيم، وقيل: إنه للوط أي: وقال لوط ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ الخ حكاه القرطبي. وعلى هذا فلا يتعين الوقف على لوط، بل يصح وصله بما بعده اهـ.

ولوط أول من آمن بإبراهيم اهـ بيضاوي.

ربي، وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ في صنعه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب، أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ الذين لهم الدرجات العلا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، فترك الناس الممرَّ بكم

قوله: (أي إلى حيث أمرني ربي) أي: إلى مكان أمرني ربي بالتوجه إليه، وإنما أول بذلك لأن ظاهره يوهم الجهة اهـ رازي.

قوله: (وهاجر من سواد العراق) أي: مع زوجته سارة ابنة عمه ومع لوط ابن أخيه فنزل بحران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط بسدوم اهـ بيضاوي.

وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ووهبنا له﴾ معطوف على مقدر مأخوذ من لفظ العزيز أي: أعززناه ووهبنا له الخ أي: وهبنا له بعد هجرته وكذلك إسماعيل بعد الهجرة أيضاً اهـ.

قوله: (بعد إسماعيل) أي: بعده بأربع عشرة سنة. قوله: ﴿في ذريته﴾ أي: ذرية إبراهيم.

قوله: (وهو الثناء الحسن الخ) أي: يثنون عليه ويذكرونه في آخر كل تشهد. وعبارة البيضاوي وآتيناه أجره على هجرته إلينا في الدنيا بإعطاء الولد من غير أوانه، والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر اهـ.

قوله: ﴿لمن الصالحين﴾ أي: الكاملين في الصلاح اهـ.

قوله: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ استئناف مقرر لفحشها من حيث إنها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى قدموا عليها لخبث طينتهم اهـ بيضاوي.

وهذه الآية دالة على وجوب الحد في اللواطة لأنها اشتركت مع الزنا في كونها فاحشة، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة﴾ [الإسراء: ٣٢] وهذا وإن كان قياساً إلا أن الجامع مستفاد من الآية اهـ رازي.

قيل: أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعه فيها حصى، فإذا مرَّ بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به، وقيل: إنه كان يأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دارهم ولهم قاض بذلك اهـ بغوي.

قوله: (طريق المارة بفعلكم الفاحشة الخ) عبارة البيضاوي: وتقطعون السبيل أي: وتتعرضون للسابلة بالقتل وأخذ المال أو بالفاحشة حتى انقطعت الطرق، أو تقطعون سبيل النسل بالإعراض عن

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ أي متحدثكم ﴿الْمُنكَرَ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ بتحقيق قولك في إنزال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ كافرين ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟﴾ أي الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا امْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ الباقين في العذاب

الحرث وإتيان ما ليس بحرث اهـ.

قوله: (فترك الناس الممر) أي: المرور بكم. قوله: (فعل الفاحشة الخ) عبارة البيضاوي: كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح مع عدم المبالاة بها، وقيل: الحذف ورمي البنادق اهـ.

وقوله: ﴿بعضكم﴾ بالرفع بدل من الواو في تأتون اهـ.

قوله: ﴿إلا أن قالوا ائتنا﴾ الخ أي: قالوا ذلك استهزاء اهـ خازن.

أي: فما كان جواباً من جهتهم بشيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام، وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب، وأما في سورة الأعراف من قوله تعالى: ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾ [الأعراف: ٨٢] الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام، وقد مر تحقيقه في سورة الأعراف اهـ أبو السعود.

قوله: (فاستجاب الله دعاءه) فأرسل ملائكة لإهلاكهم وأمرهم أن يبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، فجاؤوا أولاً إلى إبراهيم فيقدر هذا كله قبل قوله: ﴿ولما جاءت رسلنا﴾ الخ. وفي أبي السعود: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ الخ لما دعا لوط عليه الصلاة والسلام على قومه بقوله: ﴿رب انصرني﴾ استجاب الله دعاءه وأمر ملائكة بإهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين، فبشروا إبراهيم بذرية طيبة، لكن البشارة أثر الرحمة، والإنذار بالإهلاك أثر الغضب، ورحمته سبقت غضبه فقدم المباشرة على الإنذار، ولما كان في الإهلاك إخلاء الأرض من العباد قدم على ذلك بشارة إبراهيم بأنه يملأ الأرض من العباد الصالحين اهـ.

قوله: (بإسحاق ويعقوب) أي: وبإهلاك قوم لوط فبشروه بأمرين اقتصر الشارح هنا على أحدهما وتقدم بسطه في سورة هود. قوله: (أي قرية لوط) وهي سدوم.

قوله: ﴿قال إن فيها لوطاً﴾ أي وهو غير ظالم اهـ كرخي.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وكانت من الغابرين﴾ أي: كانت في علم الله وحكمه الأزلي من الغابرين، وقوله: (الباقين في العذاب) أي: المنغمسين فيه الذين لم يخلصوا منه

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ ﴾ حزن بسببهم ﴿ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا ﴾ صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ۝٣٣ ﴾ ونصب أهلك عطف على محل الكاف ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا ﴾ عذاباً ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا ﴾ بالفعل الذي ﴿ كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٣٤ ﴾ به أي بسبب فسقهم ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ ﴾ ظاهرة هي آثار خرابها ﴿ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٣٥ ﴾ يتدبرون ﴿ وَ ﴾ أرسلنا ﴿ إِلَىٰ مَدۡيَنَ

بسبب أن الدال على الشر له نصيب كفاعله، كما أن الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على أضياف لوط، فصارت واحدة منهم بسبب الدلالة اهـ رازي.

قوله: ﴿ولما أن جاءت﴾ تقدم نظيرها إلا أنه هنا زيدت أن توكيداً وهو مطرد اهـ سمين.

قوله: ﴿سيء بهم﴾ عبارة البيضاوي: جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء، انتهت.

وقوله: (جاءته المساءة) إشارة إلى أن النائب عن الفاعل ضمير المصدر، والغم عطف تفسير للمساءة، وقوله: (بسببهم) إشارة إلى أن الباء في بهم سببية اهـ شهاب.

ويحتمل أن نائب الفاعل ضمير يعود إلى لوط تأمل. قوله: ﴿ذرعاً﴾ تمييز محول عن الفاعل أي: ضاق ذرعه بهم، وقوله: ﴿صدراً﴾ تفسير لحاصل المعنى وإلاَّ فالذرع معناه الطاقة والقوة ففي المصابح: وضاق بالأمر ذرعاً عجز عن احتماله وذرع الإنسان طاقته التي يبلغها اهـ.

وفي البيضاوي: ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي: طاقته، كقولهم ضاقت يده، ومقابلة رحب ذرعه بكذا إذا كان مطيقاً له، وذلك لأن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع اهـ.

قوله: ﴿رجزاً من السماء﴾ أي: عذاباً منها، وسمي بذلك لأنه يقلق المعذب من قولهم ارتجز إذا ارتجس أي: اضطرب اهـ بيضاوي.

وفي الخطيب: واختلف في ذلك الرجز فقيل: حجارة، وقيل: نار، وقيل: خسف. وعلى هذا يكون المراد أن الأمر بالخسف والقضاء به من السماء اهـ.

قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ متعلق بتركنا أو بآية أو ببينة وهو أظهر. وفي الخازن: لقوم يعقلون أي يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول. قال ابن عباس: الآية البينة آثار منازلهم الخربة، وقيل: هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة، وقيل: هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض اهـ.

قوله: ﴿وإلى مدين﴾ متعلق بمضمر معطوف على أرسلنا في قصة نوح أي: وأرسلنا إلى مدين شعيباً الخ اهـ أبو السعود.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ اخشوه هو يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة أفسد ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَا۟﴾ بالصرف وتركه بمعنى الحي والقبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ

وأضيف هنا إليهم حيث قال أخاهم شعيباً بخلافه في قصة نوح وإبراهيم ولوط حيث ذكر قوم مؤخراً عنهم معرفاً بالإضافة إلى ضمير كل واحد منهم، لأن الأصل في جميع المواضع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم، لأن الله لا يبعث رسولاً إلى غير معين، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالإضافة لنبيهم، فقيل: قوم نوح وقوم لوط وقوم إبراهيم، وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس، فجرى الكلام على أصله فقال: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ وإلى عاد أخاهم هوداً رازي.

قوله: ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ لم يذكر عن لوط أنه أمر قومه بالعبادة والتوحيد، وذكر عن غيره ذلك، لأن لوطاً كان في زمن إبراهيم وإبراهيم سبقه بذلك حتى اشتهر الأمر بالتوحيد عند الخلق، وإنما ذكروا عنه ما اختص به من النهي عن الفاحشة، وأما غيره فجاؤوا في زمن غير مشتهر بالتوحيد فأمروا به اهـ رازي.

قوله: ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ أي: جزاء اليوم الواقع فيه. قوله: (من عثى الخ) في المصباح: عثا يعثو وعثى ويعثي من بابي قال وتعب أفسد فهو عاث اهـ.

قوله: ﴿فكذبوه﴾ فإن قيل: كيف يكذب شعيب في قوله: ﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا﴾ مع أنه لا يكذب الآمر ولا الناهي، وإنما يكذب المخبر لكون الكذب معناه عدم مطابقة الخبر للواقع؟ قلنا: ما ذكره من الأمر والنهي يتضمن جملاً اخبارية فكأنه قال: الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه، فالتكذيب يرجع إلى الإخبارات الضمنية اهـ زاده.

قوله: ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ فإن قيل: هنا وفي الأعراف فأخذتهم الرجفة، وقال في هود: ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ [الحجر: ٨٣، المؤمنون: ٨١] والقصة واحدة. قلنا: يجوز أن يجتمع على إهلاكهم سببان. وقيل: إن جبريل صاح فتزلزلت الأرض من صيحته فرجفت في قلوبهم، والإضافة إلى السبب لا تنافي الإضافة إلى سبب السبب اهـ زاده.

قوله: ﴿وعاداً﴾ هم قوم هود وثموداً قوم صالح قوله: (﴿إهلاكهم﴾ أشار به إلى أن فاعل تبين ضمير ومن للابتداء أي: من جهة مساكنهم إذا نظرتم إليها عند مروركم بها اهـ قاري.

وكان أهل مكة يمرون عليها. وقوله: ﴿من مساكنهم﴾. أي منازلهم الكائنة في الحجر واليمن فالباء في كلام الشارح بمعنى في اهـ شيخنا.

قوله: (بالحجر) أي: حجر ثمود، وهو واد بين المدينة والشام كما تقدم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ هذا بيان لسبب ما جرى عليهم فأعمالهم عباداتهم غير الله

عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ذوي بصائر ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ من قبل ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ فائتين عذابنا ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ بارتكاب الذنب ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أصناماً يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حراً ولا برداً، كذلك

وصدهم عن السبيل أي عبادة الله، وكانوا مستبصرين بواسطة الرسل لم يكن لهم في ذلك عذر لأن الرسل أوضحوا عن السبيل اهـ رازي.

قوله: ﴿وكانوا مستبصرين﴾ أي: بواسطة الرسل التي أرسلت إليهم، وقوله: (ذوي بصائر) أي عقلاء متمكنين من النظر لكنهم لم يفعلوا. وفي البيضاوي: وكانوا مستبصرين أي: متمكنين من النظر والاستبصار، ولكنهم لم يفعلوا، أو متبينين أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا اهـ.

وفي الكرخي: قوله: (ذوي بصائر) أي معدودين بين الناس من البصراء العقلاء يقال: فلان مستبصر إذا كان عاقلاً لبيباً صحيح النظر، والمراد في أمور الدنيا اهـ.

قوله: ﴿وقارون﴾ معطوف على عاداً وقدمه على فرعون لشرف نسبه بقرابته من موسى لكونه ابن عمه اهـ.

قوله: ﴿وهامان﴾ هو وزير فرعون. قوله: ﴿فاستكبروا﴾ أي: عن عبادة الله. قوله: (فائتين عذابنا) أي: فارين منه.

قوله: ﴿بذنبه﴾ أي: بسبب ذنبه. قوله: (عاصفة) أي: شديدة، وفي المختار: عصفت الريح اشتدت وبابه ضرب وجلس اهـ.

قوله: (أي أصناماً يرجون نفعها) شبه حال من اتخذ الأصنام أولياء وعبدها، واعتمد عليها راجياً نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى اهـ زاده.

والعنكبوت معروف ونونه أصلية، الواو والتاء مزيدتان بدليل قولهم في الجمع عناكيب، وفي التصغير عنيكيب ويذكر ويؤنث وهذا مطرد في أسماء الأجناس اهـ سمين.

وفي البيضاوي: والعنكبوب يقع عل الواحد والجمع والمذكور والمؤنث والغالب في استعماله التأنيث والتاء فيه كتاء طاغوت، ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة وأعكاب اهـ.

قوله: ﴿وإن أوهن البيوت﴾ جملة حالية اهـ.

الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ ذلك ما عبدوها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٤٢﴾ في صنعه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ المتدبرون ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي محقاً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٤﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ

قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ (ذلك) أي: المثل أي: أن مثلهم كمثل العنكبوت اهـ.
وجواب لو محذوف قدره ما عبدوها، وقوله: ﴿إن الله﴾ الخ تعليل لما قبله اهـ شيخنا.

قوله: (بمعنى الذي) أي: منصوبة بيعلم أي: يعلم الذين يدعونهم ويعلم أحوالهم وهذا أظهر الأوجه فيها. والثاني: أنها استفهامية على جهة التوبيخ فتكون هي وما عمل فيها معترضاً بين قوله ﴿يعلم﴾ وبين قوله ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ كأنه قيل: أي: شيء يدعون من دونه. والثالث: أنها نافية ومن مزيدة في المفعول به، كأنه قيل: ما يدعون من دونه ما يستحق أن يطلق عليه شيء اهـ كرخي.

قوله: ﴿من دونه﴾ (غيره) أي: من إنس وجن ومن شيء بيان لما. قوله: (أي يفهمها) أي: يفهم صحتها وحسنها وفائدتها اهـ.

قوله: ﴿نضربها للناس﴾ يجوز أن يكون خبر تلك، والأمثال نعت أو بدل أو عطف بيان، وأن يكون الأمثال خبراً ونضربها حال وأن يكون خبراً ثانياً اهـ سمين.

قوله: ﴿خلق الله السموات والأرض﴾ الخ هذا شروع في تسلية المؤمنين بعد أن أمر الخلق جميعاً بالإيمان فلم يأت الكفار بما أمرهم به من الإيمان وحصل اليأس منه أي: فإن لم يؤمنوا فلا يضر ذلك في يقينكم وإيمانكم اهـ رازي.

قوله: (أي محقاً) أي: غير قاصد به باطلاً، فإن المقصود بالذات من خلقهما إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار له بقوله: ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ اهـ بيضاوي.
وقال الشهاب: والباء في بالحق للملابسة، والجار والمجرور حال اهـ.

قوله: (خصوا بالذكر الخ) جواب ما قيل كيف خص الآية في خلق السموات والأرض بالمؤمنين، مع أن في خلقهما آية لكل عاقل كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥] وقال تعالى: ﴿إن في خلق السموت والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى قوله: ﴿يعقلون﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب﴾ أي تقرباً إلى الله تعالى بقراءته وتذكراً لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيراً للناس وحملاً لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الخلق، وأقم الصلاة أي: داوم على إقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة، وكان أمره عليه السلام بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى

﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعاً أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من

عن الفحشاء والمنكر﴾ كأنه قيل: وصل بهم إن الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر الخ. ومعنى نهيها عنهما أنها سبب للانتهاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى، فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته وإعراض كلي عن معاصيه. قال ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى إلا بعداً. وقال الحسن، وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه اهـ أبو السعود.

وقوله: (ما دام المرء فيها) التقييد بهذا أحد قولين الآخر أنها تنهي عنهما مطلقاً أي: في سائر الأوقات، فقد روي عن أنس رضي الله عنه: أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف للنبي ﷺ حاله فقال: «إن صلاته ستنهاه» لم يلبث أن تاب وحسن حاله اهـ أبو السعود.

وبيان ذلك أن الصلاة تشغل جميع بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه خشع وأخبت لربه وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه وأنه مطلع عليه وأنه يراه فصلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيئتها ولو بعد خروجه منها، ولم يكد يفتر عن ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة، فهذا معنى هذه الآية، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون. قلت: لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله فهو أبلغ في المقصود وأتم في المراد، فإن الموت ليس له سن محدود ولا زمن مخصوص ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه. روي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك. فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر، ومن صلاته قاصرة على الأجزاء أي: إسقاط الطلب عن المكلف ولا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل كصلاتنا، فتلك تنزل صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان مرتكباً للمعاصي قد بعد من الله بسببها فتلك الصلاة تتركه يتمادى على بعده، وعلى هذا يتخرج الحديث المروي عن ابن مسعود: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً» وليس معناه أن نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كأنها معصية بل معناه أنها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه في حاله ومعاصيه من الفحشاء والمنكر، فلم تزده الصلاة إلا تقرير ذلك البعد الذي كان بسبيله فكأنها بعدته حيث لم تكف بعده عن الله. وقيل لابن مسعود: إن فلاناً كثير الصلاة، فقال: إنها لا تنفع إلا من أطاعها اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ولذكر الله﴾ أي: بسائر أنواعه من تحميد وتهليل وتسبيح وغير ذلك، وعبارة الخازن: ولذكر الله أكبر أي: إنه أفضل الطاعات. عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله» أخرجه الترمذي. وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً» قالوا: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟

غيره من الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فيجازيكم به ﴿۞ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾

فقال: «لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حين ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة» اهـ.

وقوله: ﴿أكبر﴾ أي أفضل وقوله: ﴿من غيره من الطاعات﴾ أي: التي ليس فيها ذكر الله، وقد نقل القرطبي هذا التقييد عن ابن زيد وقتادة، وقيل: معنى أكبر إنه أشد تأثيراً في الزجر والنهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة إذا داوم عليه العبد. قال ابن عطية: وعندي أن المعنى ولذكر الله أكبر على الإطلاق أي: هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل في غير الصلاة، لأن الانتهاء لا يكون إلا ممن ذكر الله مراقباً له اهـ. والذكر النافع هو الذي يكون مع العلم واقبال القلب وتفرغه مما سوى الله تعالى، أما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة أخرى اهـ قرطبي.

وقيل: المراد بالذكر نفس الصلاة، وعبارة أبي السعود: ولذكر الله أكبر أي للصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها به كما في قوله تعالى: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] للإيذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات اهـ.

قوله: ﴿يعلم ما تصنعون﴾ أي: من الذكر ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ شروع في بيان إرشاد أهل الكتاب بعد بيان إرشاد أهل الشرك اهـ شيخنا.

واختلف العلماء في قوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ فقال مجاهد: هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة، وقوله على هذا: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ معناه إلا الذين ظلموكم، وإلاَّ فكلهم ظلمة على الإطلاق، وقيل: المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد ﷺ من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلام ومن آمن معه إلا بالتي هي أحسن أي: في الموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك، وقوله على هذا التأويل: ﴿إلا الذي ظلموا﴾ يريد من بقي في كفرهم منهم كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم والآية على هذا أيضاً محكمة. وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال أي: قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ [التوبة: ٢٩] قال قتادة: ﴿إلا الذين ظلموا﴾ أي: جعلوا لله ولداً وقالوا: ﴿يد الله مغلولة﴾ [المائدة: ٦٤] وإن الله فقير فهؤلاء كالمشركين في سقوط الجزية. وقال النحاس وغيره: من قال هي منسوخة احتج بأن الآية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك، وقول مجاهد حسن لأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها إنها منسوخة إلا بخير يقطع العذر أو حجة من معقول، واختار هذا القول ابن العربي. قال مجاهد، وسعيد بن جبير: وقوله: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ معناه إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ استثناء متصل وفيه معنيان، أحدهما: إلا الظلمة فلا تجادلوهم

بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٤٦﴾ مطيعون ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٧﴾ أي اليهود، وظهر لهم أن القرآن حق، والجائي به

البتة بل جادلوهم بالسيف. والثاني: جادلوهم بغير التي هي أحسن أي أغلظوا لهم كما أغلظوا عليكم، وقرأ ابن عباس: إلا حرف تنبيه أي فجادلوهم اهـ سمين.

قوله: (بأن حاربوا الخ) أشار به إلى أن المراد بالظلم هنا الامتناع عن قبول عقد الجزية أو نقص العقد بعد قبوله، والمراد الامتناع عما يلزمهم شرعاً فلا يرد كيف قال: إلا الذين ظلموا مع أن أهل الكتاب ظالمون لأنهم كافرون، قال تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ [البقرة: ٢٥٤] اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد، وقولهم: ﴿يد الله مغلولة﴾ [المائدة: ٦٤] ونحو ذلك فإنه حينئذ يجب المدافعة بما يليق بحالهم اهـ.

قوله: (أو يعطوا الجزية) أي يلتزموها. قوله: ﴿وقولوا﴾ الخ هذا تبيين لمجادلتهم بالتي هي أحسن. روى أبو هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية» اهـ كرخي.

وعن النبي ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله، فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم، وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم» اهـ بيضاوي.

وروى عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لم يهدوكم وقد ضلوا، فإما أن يكذبوا بحق، وإما أن يصدقوا بباطل» اهـ قرطبي.

قوله: (في ذلك) أي: فيما أخبروكم به. قوله: (كعبد الله بن سلام وغيره) فيه أن إسلامهم إنما كان بالمدينة والسورة مكية، ويجلب بأن هذا من قبيل الإخبار بالغيب فأخبره تعالى بحالهم قبل وقوعه اهـ من الكرخي.

قوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ الخ الجحد إنكار الشيء بعد معرفته، ولهذا قال الشارح بعد ظهورها اهـ.

وعبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها، وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية التشنيع على من يجحد بها اهـ أبو السعود.

قوله: (أي اليهود) ومثلهم النصارى فلا وجه للتخصيص، بل كان الصواب أن يقول كاليهود والمعنى إلا المتوغلون في الكفر اهـ قاري.

محق، وجحدوا ذلك ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ﴾ القرآن ﴿مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا﴾ أي لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَّٱرْتَابَ﴾ شكَّ ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن الذي جئت به ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أي المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لَوْلَآ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ أي محمد ﴿ءَايَـٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وفي قراءة آيات كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كيف

وفي أبي السعود: إلا الكافرون أي المتوغلون في الكفر المصممون عليه، فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها اهـ.

قوله: ﴿وما كنت تتلوا﴾ الخ شروع في الدليل على كون القرآن معجزاً. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: قال البغوي في التهذيب: هل كان النبي ﷺ يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله أو لا؟ والأصح أنه كان لا يحسنهما، ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه اهـ شهاب.

قوله: ﴿من كتاب﴾ مفعول تتلوا. ومن زائدة ومن قبله حال من كتاب أو متعلق بنفس تتلوا اهـ سمين.

قوله: (أي لو كنت قارئاً) راجع لقوله: ﴿تتلوا﴾، وقوله: (كاتبا) راجع لقوله: ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ فهو لف ونشر مرتب. قوله: (وقالوا الذي في التوراة الخ) فعلى هذا يكون إبطالهم موافقاً للواقع وعلى هذا فليس المراد أنهم مبطلون في الذهاب إلى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئاً كاتباً، بل المراد أنهم مبطلون في الارتياب في كون القرآن وحياً إليهاً مع كثرة وجوه الإعجاز سوى كون الموحى إليه أمياً اهـ زاده.

قوله: ﴿بل هو آيات بينات﴾ إضراب عن ارتيابهم أي: ليس القرآن مما يرتاب فيه لكونه في الصدور وكونه محفوظاً بخلاف غيره من الكتاب فإنه لا يقرأ إلا في المصاحف، ولذا جاء في وصف هذه الأمة صدورهم أناجيلهم اهـ شهاب.

وهو جمع إنجيل، والمعنى أنهم يقرؤون كتاب الله عز وجل عن ظهر قلب وهو مثبت محفوظ في صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتاً في أناجيلهم أي كتبهم اهـ زاده.

قوله: (يحفظونه) أي: عن ظهر قلب بخلاف الكتب السابقة، فلذلك لا يقدرون على تحريفه ولا تغييره، والمراد أنهم يحفظونه تلقياً منك وبعضهم من بعض، وأنت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذه من كتاب بطريق تلقيه منه اهـ.

قوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ أي: كتابنا أي: القرآن. قوله: (أي اليهود) فيه ما تقدم اهـ.

قوله: ﴿آية من ربه﴾ وقرأ الأخوان، وابن كثير وأبو بكر آية بالإفراد لأن غالب ما جاء في القرآن كذلك، والباقون آيات بالجمع لأن بعده ﴿قل إنما الآيات﴾ بالجمع إجماعاً والرسم محتمل له اهـ سمين.

قوله: (ينزلها كيف يشاء) أي: من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً اهـ أبو السعود.

يشاء ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقي ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ منكم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣﴾ بوقت إتيانه ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٤﴾ ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ فيه بالنون أي نأمر

قوله: ﴿أولم يكفهم﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه، والهمزة للإنكار والنفي، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أقصر محمد ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ هذا جواب لقولهم: لولا أنزل عليه آيات في ربه أي: أولم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحداهم بأن يأتوا بمثله أو سورة منه فعجزوا، ولو أتيتهم بآيات موسى وعيسى لقالوا سحر ونحن لا نعرف السحر، والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة اهـ.

قوله: ﴿أنّا أنزلنا عليك الكتاب﴾ في محل رفع فاعل يكف. قوله: (فهو آية مستمرة) أي: باقية على ممر الدهور والسنين بخلاف ناقة صالح وغيرها وأخذ الاستمرار من المضارع في قوله ﴿يتلى عليهم﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ (له) أي: للعذاب. قوله: ﴿وليأتينهم بغتة﴾ كوقعة بدر فإنها أتتهم بغتة وهم لا يشعرون على ما يشهد له كتب السير. وقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ يحتمل وجهين، أحدهما: تأكيد معنى قوله ﴿بغتة﴾ كما يقول القائل أتيته على غفلة منه بحيث لم يدر، فقوله: (بحيث لم يدر) أكد معنى الغفلة. والثاني: أنه يفيد فائدة مستقلة وهي أن العذاب يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون هذا الأمر ويظنون أن العذاب لا يأتيهم أصلاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب في الدنيا﴾ ذكر هذا للتعجب، لأن من توعد بأمر فيه ضرر يسير كلطمة أو لكمة قد يوري من نفسه الجلد ويقول باسم الله هات، وأما من وعد بإغراق أو إحراق ويقطع بأن المتوعد قادر لا يخلف الميعاد فلا يخطر بباله أن يقول هات ما توعدتني به، فقال ههنا: يستعجلونك أولاً إخباراً عنهم، وثانياً تعجباً منهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ أي: ستحيط بهم فعبر عن الاستقبال بالحال للدلالة على التحقيق والمبالغة، أو يراد بجهنم أسبابها الموصلة إليها فلا تأويل في قوله محيطة اهـ كرخي.

قوله: ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ ظرف لقوله محيطة اهـ سمين.

بالقول، وبالياء أي يقول الموكل بالعذاب ﴿ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ أي جزاءه فلا تفوتونا ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ بالتاء والياء بعد البعث ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ ننزلهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء الإقامة وتعديته إلى غرفاً

قوله: ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ فإن قيل: لم خص الجانبين ولم يذكر اليمين ولا الشمال ولا الخلف ولا الأمام؟ فالجواب: أن المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا تحيط بالجوانب الأربع، فإن من دخلها تكون الشعلة قدامه وخلفه ويمينه وشماله، وأما النار من فوق فلا تنزل وإنما تصعد من أسفل في العادة وتحت الأقدام لا تبقى الشعلة التي تحت القدم بل تطفأ، ونار جهنم تنزل من فوق ولا تطفأ بالدوس عليها بوضع القدم اهـ رازي.

قوله: ﴿ويقول﴾ معطوف على يغشاهم، وقوله: (فيه) أي في ذلك اليوم اهـ.

قوله: ﴿فإياي فاعبدون﴾ إياي منصوب بفعل مضمر، أي: فاعبدوا إياي فاعبدون فاستغنى بأحد الفعلين عن الثاني، والفاء في قوله: ﴿فإياي﴾ بمعنى الشرط أي إن ضاق بكم موضع فإياي فاعبدوا لأن الأرض واسعة اهـ قرطبي.

قوله: (كانوا في ضيق من إظهار الإسلام) أي: وأما اليوم فإنا بحمد الله لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأظهر لأمر الدين من مكة حرسها الله اهـ قاري.

قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ لما أمر الله المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان فخوفهم بالموت، فالأولى أن يكون أي كل أحد ميت فلا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت، فإن كان نفس ذائقة الموت، فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الوطن. ثم ذكر ثواب المهاجر فقال: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿ذائقة الموت﴾ أي: مرارته ومشاقه.

قوله: ﴿والذين آمنوا وعملو الصالحات﴾ الخ بين ما يكون للمؤمنين وقت الرجوع إليه كما بين قبل ما يكون للكافرين بقوله: ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [التوبة: ٤٩] فبين أن للمؤمنين الجنات في مقابلة أن للكافرين النيران، وبيَّن أن فيها غرفاً تحتها الأنهار في مقابلة أن تحت الكافرين النار، وبيَّن أن ذلك أجر عملهم بقوله: ﴿نعم أجر العاملين﴾ في مقابلة ما تقدم للكفار قوله: ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ ولم يذكر ما فوق المؤمنين لأن المؤمنين في أعلى عليين فلم يذكر فوقهم شيئاً إشارة إلى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم ولم يجعل الماء من تحت أقدامهم بل من غرفهم لأن الماء يكون ملتذاً به في أي جهة كان، وعلى أي بعد كان تحت الغرفة اهـ رازي.

قوله: (وفي قراءة بالمثلثة) أي: الساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو المكسورة المخففة من

بحذف في ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨﴾ هذا الأجر هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ لضعفها ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ بضمائركم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلۡتَهُم﴾ أي الكفار ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ

الثواء وهو الإقامة، وغرفاً على هذه القراءة مفعول به بتضمين نثوي معنى ننزل فيتعدى لاثنين بسبب التضمين، لأن ثوي قاصر وأكسبته الهمزة التعدي لواحد إما على تشبيه الظرف المختص بالمبهم وإما على إسقاط الخافض اتساعاً أي: في غرف. وأما على القراءة الأولى بالباء الموحدة فغرفاً مفعول ثان لأن بوأ يتعدى لاثنين، قال تعالى: ﴿نبوىء المؤمنين مقاعد للقتال﴾ [آل عمران: ١٢١] ويتعدى تارة باللام كما قال تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾ [الحج: ٢٦] وقوله: ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ صفة لغرفا اهـ سمين.

وقول الشارح: وتعديته إلى غرف الخ يعني على القراءة الثانية، وهذا الحذف ليس بلازم لأن ثوى يتعدى بنفسه الحرف. وفي المختار: ثوى بالمكان يثوي بالكسر ثواء وثوياً أيضاً بوزن بوزن مضى أي أقام به. ويقال: ثوى البصرة وثوى بالبصرة وأثوى بالمكان لغة في ثوى وأثوى غيره يتعدى ويلزم وثوى غيره أيضاً تثوية اهـ.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ أي: الغرف.

قوله: ﴿الذين صبروا﴾ صفة للعاملين أو منصوب على المدح أو خبر لمبتدأ محذوف كما أشار إليه الشارح اهـ.

قوله: (لإظهار الدين) متعلق بالهجرة.

قوله: ﴿وكأين من دابة﴾ هذا شروع في بيان ما يعين على التوكل اهـ رازي.

وفي الخازن: وذلك أن النبي ﷺ قال للمؤمنين الذي كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: هاجروا إلى المدينة فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا، فأنزل الله تعالى ﴿وكأين من دابة﴾ أي: ذات حاجة إلى غذاء لا تحمل رزقها أي: لا ترفع رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئاً لغد مثل البهائم والطير. قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفارة والنملة اهـ.

وكأين مبتدأ، وقوله: ﴿لا تحمل﴾ صفة لها والله يرزقها خبره، ومن دابة تمييز لكأين اهـ سمين.

قوله: ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ سوّى بين الحريص والمتوكل في الرزق، وبين الراغب والقانع، وبين الجلد والعاجز يعني: أن الجلد لا يتصور أنه مرزوق بجلده، ولا يتصور العاجز أنه ممنوع من الرزق بعجزه اهـ قرطبي.

قوله: ﴿السميع﴾ (لأقوالكم) مقول القول محذوف أي: قولكم نخشى الفقر.

قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض﴾ أتى بشيئين، أحدهما: يتعلق بالذوات وهو

﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُۥٓ﴾ بعد البسط، أي لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ ومنه محل البسط والتضييق ﴿وَلَئِن﴾ لام القسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فكيف يشركون به ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ تناقضهم في ذلك ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾

خلق السموات والأرض. والثاني: يتعلق بالصفات وهو تسخير الشمس والقمر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأنى يؤفكون﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والفاء في قوله (فأنى) في جواب شرط مقدر أي: أن صرفهم الهوى والشيطان فأنى يؤفكون اهـ شهاب.

قوله: (بعد إقرارهم بذلك) أي: ما ذكر من الخلق والتسخير اهـ.

قوله: ﴿ويقدر له﴾ الضمير راجع لمن على حد قولك: عندي درهم ونصفه أي ونصف درهم آخر اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأحيا به﴾ أي: بالنبات الأرض الخ. وقوله: ﴿من بعد موتها﴾ أي: جدبها وقحط أهلها اهـ قرطبي.

قوله: (فكيف يشركون به) أي: بعد هذا الإقرار. وعبارة القرطبي: أي: فإذا أقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الإعادة وإذا قدر على ذلك فهو القادر على إغناء المؤمنين فكرر تأكيداً اهـ.

تنبيه:

ذكر في السموات والأرض الخلق، وفي الشمس والقمر التسخير، لأن مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة، فإن الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء، فحينئذ الحكمة إنما هو في تحريكهما وتسخيرهما اهـ كرخي.

قوله: (على ثبوت الحجة عليكم) عبارة القرطبي: قال الحمد لله على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته، وقيل: قل الحمد لله على إقرارهم بذلك، وقيل: قل الحمد لله على إنزال الماء وإحياء الأرض بالنبات اهـ.

قوله: (تناقضهم في ذلك) أي حيث يقرون بأنه المبدىء لك ما عداه ثم يشركون به الصنم اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ إشارة إلى التحقير والتصغير لأمرها، وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا لهو ولعب﴾ اللهو: هو الاستمتاع بلذات الدنيا، وقيل: هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهمه واللعب: هو العبث وفي هذا تصغير للدنيا وازدراء بها، ومعنى الآية أن سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون اهـ خازن.

وقيل: اللهو هو الإعراض عن الحق بالكلية، واللعب الإقبال على الباطل اهـ رازي.

وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي الدعاء، أي لا يدعون معه غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ به ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام،

قوله: (وأما القرب) كالصلاة والصوم والحج الاستغفار والتسبيح اهـ.

قوله: ﴿لهي الحيوان﴾ قدر أبو البقاء وغيره قبل المبتدأ مضافاً أي: وأن حياة الدار الآخرة وإنما قدروا ذلك ليتطابق المبتدأ والخبر والمبالغة أحسن، وواو الحيوان عن ياء عند سيبويه وأتباعه، وإنما أبدلت واواً شذوذاً، وكذا في حياة علماً. وقال أبو البقاء: لئلا يلتبس بالتثنية يعني لو قيل حييان، قال: ولم تقلب ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها لئلا تحذف إحدى الألفين. وغير سيبويه حمل ذلك على ظاهره فالحياة عنده لامها واو ولا دليل لسيبويه في حي، لأن الواو متى انكسر ما قبلها قلبت ياء نحو عرى ورعى ورضى اهـ سمين.

قوله: (بمعنى الحياة) أي: الدائمة الخالدة التي لا موت فيها اهـ خازن.

قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ (ذلك) أي: أن الحياة هي حياة الآخرة وقوله: (ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو.

قوله: ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: بم اتصل قوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾؟ قلت: اتصل بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد، فإذا ركبوا الخ اهـ سمين.

وذلك لأنهم كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب ودعوا الله مخلصين أي: صورة لا حقيقة، لأن قلوبهم مشحونة بالشرك اهـ من الخازن.

قوله: ﴿إذا هم يشركون﴾ جواب لما أي فاجأ التنجية إشراكهم بالله أي: لم يتأخر عنها، واللام في ليكفروا لام كي وليتمتعوا عطف عليه، والمعنى عادوا إلى شركهم ليكفروا أي: الحامل لهم على الشرك كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم بما متعوا به من عرض الدنيا بخلاف المؤمنين فلم يقابلوها إلا بالشكر لله تعالى على ذلك، ثم ذكرهم تعالى نعمه حيث أسكنهم بلدة آمنوا فيها لا يغزوهم أحد من كونهم قليلي العدد قارين في مكان غير ذي زرع، وهذه من أعظم النعم التي كفروا بها وهي نعمة لا يقدر عليها إلا الله تعالى اهـ من النهر.

وقوله: (لام كي) فيه شيء لأنه ليس الحامل لهم على الإشراك قصد الكفر، والظاهر أنها لام العاقبة والمآل كما أشار له الشهاب.

قوله: ﴿بما آتيناهم﴾ من نعمة الإنجاء. قوله: (أمر تهديد) أي: في الفعلين وبعضهم جعل اللام لام كي فيهما، ومحله في الثانية عند كسر اللام. أما على قراءة تسكينها فهي لام الأمر اهـ شيخنا.

وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾ عاقبة ذلك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلاً وسبياً دونهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝٦٧﴾ بإشراكهم ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ أي فيها ذلك وهو منهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي طرق السير إلينا

قوله: ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ الجملة حال بتقدير مبتدأ أي: وهم يتخطف الناس الخ اهـ شيخنا.

قوله: (أي فيها ذلك) أشار به إلى أن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي صار إيجاباً فيرجع إلى معنى التقرير اهـ كرخي.

قوله: (وهو) أي من افترى على الله كذباً وكذب بالحق وقوله: (منهم) أي من الكافرين اهـ.

قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أي: أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة فينا، أي: بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء، ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن، وشدائد المحن مستحضرين لعظمتنا لنهدينهم سبلنا أي: طرق السير إلينا، وهي الطريق المستقيمة، والطريق المستقيمة هي التي توصل إلى رضا الله عز وجل. قال سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فإن الله تعالى قال: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾. وقال الحسن: الجهاد مخالفة الهوى، وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به. وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقال أبو سليمان الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا. وعن بعضهم من عمل بما علم وفق لعلم ما لم يعلم، وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لم نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم، وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعة اهـ خطيب.

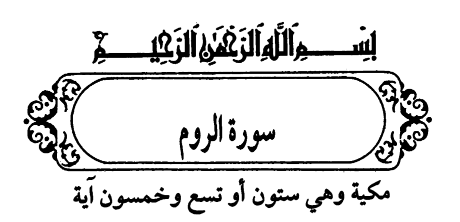
وعبارة القرطبي: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أي: جاهدوا الكفار فينا أي لطلب مرضاتنا. قال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال، وقال ابن عطية: فهي قبل الجهاد العرفي، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته. قال الحسن بن أبي الحسن: الآية في العباد. وقال عياش، وإبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعملون بما يعلمون. وقد قال النبي ﷺ: «من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم». وقال عمر بن عبد العزيز: إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علماً لا تقوم به أبداننا، قال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وأعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله تعالى وهو الجهاد الأكبر. قال ابن عيينة: مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم فكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم. قال عبد الله بن سلام: والذين جاهدوا في طاعتنا

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

لنهدينهم سبل ثوابنا وهذا يتناول جميع الطاعات اهـ.

قوله: ﴿لنهدينهم﴾ أي: لنزيدنهم هدى، وقوله: (أي طرق السير إلينا) أي: طرق الوصول إلى مرضاتنا. قوله: ﴿لمع المحسنين﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر إظهاراً لشرفهم بوصف الإحسان اهـ سمين.

واللام للتوكيد وفي مع قولان قيل: اسم، وقيل: حرف. فدخول اللام عليها ظاهر على القول الأول ولام التوكيد إنما تدخل على الأسماء، وكذا على الثاني من حيث إن فيها معنى الاستقرار كما في نحو: إن زيداً لفي الدار، ومع إذا سكنت عينها فهي حرف لا غير، وإذا فتحت جاز أن تكون اسماً وأن تكون حرفاً والأكثر أن تكون حرفاً جاء لمعنى اهـ من القرطبي والله أعلم.



سورة الروم

مكية وهي ستون أو تسع وخمسون آية

﴿الٓمٓ ١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ وهم أهل كتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: إلا قوله: ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ [الروم: ١٧] الآية اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: إنها مكية كلها من غير خلاف.

قوله: ﴿غلبت الروم﴾ الروم اسم قبيلة وسميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم اهـ من تفسير ابن جزي.

وسمي عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل أن يخرج قبل صاحبه، فقال عيصو ليعقوب: إن لم أخرج قبلك وإلاَّ خرجت من جنبها فتأخر يعقوب شفقة منه، فلذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين اهـ شيخنا.

وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهريزان، وبعث قيصر جيشاً وأمَّر عليهم رجلاً يدعى بخنس، فالتقيا بإذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم أن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ. فقام إليه أبي بن خلف الجمحي وقال: كذبت. فقال له الصديق: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل أجلاً أناحبك عليه، والمناحبة: بالحاء المهملة القمار والمراهنة أي: أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت لك، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي. ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: «ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاثة إلى التسع فزايده في الخطر وماده

كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم ﴿فِىٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادىء بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾ أي الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول، أي غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ فارس ﴿فِى بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو

في الأجل». فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت فقال: لا فتعال أزايدك في الخطر وأماددك في الأجل، فجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين وقيل إلى سبع، فقال: قد فعلت. فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه إياها النبي ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم، وقيل: كان يوم بدر، وربطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فقمر أبو بكر أبياً وأخذ مال الخطر من ورثته، وجاء به إلى النبي ﷺ وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي ﷺ: «تصدق به» اهـ خازن.

قوله: (وهم أهل كتاب) أي: نصارى، فهم أقرب إلى الإسلام، وقوله: (وليسوا أهل كتاب) أي: ليس الفرس أهل كتاب بل مجوس فهم أقرب إلى كفار قريش اهـ.

قوله: (غلبتها فارس) اسم أعجمي علم على تلك القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث بل والعجمة اهـ.

قوله: ﴿في أدنى الأرض﴾ متعلق بغلبت. قوله: (أي أقرب أرض الروم) فأدنى أفعل تفضيل بمعنى أقرب، وأل في الأرض بدل من المضاف إليه، والمراد بالجزيرة ما بين دجلة والفرات، وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روي عن الأصمعي أنها من أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً، ومن جدة وما والاها إلى أطراف الشام عرضاً، وسبب تسميتها جزيرة إحاطة البحار والأنهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات اهـ زاده.

وقال ابن جزي في تفسيره: الجزيرة بين الشام والعراق وهي أول الروم إلى فارس اهـ.

وفي الخازن: في أدنى الأرض يعنى أقرب أرض الشام إلى فارس، وقيل: هي أذرعات، وقيل: الأردن، وقيل: الجزيرة اهـ.

وكانت هذه الوقعة قبل الهجرة بخمس سنين على القول بأن الوقعة الثانية كانت في السنة الثانية من الهجرة في يوم بدر كما يؤخذ من قول الشارح الآتي: فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول مع قوله: وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر، وقيل: إن الوقعة الثانية كانت عام الحديبية سنة ست، وعليه تكون الوقعة الأولى قبل الهجرة بسنة. قوله: (بالجزيرة) صفة لأرض الروم متعلق بمحذوف أي: أرض الروم الكائنة بالجزيرة. قوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ، وقوله: (من بعد غلبهم) مصدر الفعل المبني للمجهول فهو مضاف للمفعول أي: وهم من بعد كونهم مغلوبين أو من بعد مغلوبيتهم، وقوله: ﴿سيغلبون﴾ خبر المبتدأ ومن بعد غلبهم متعلق به اهـ سمين.

العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي من قبل غلب الروم ومن بعده، المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً، بأمر الله أي إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝﴾ ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ إياهم

قوله: ﴿في بضع سنين﴾ أبهم البضع ولم يبينه وإن كان معلوماً لنبيه ﷺ لإدخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت كما يؤخذ ذلك من الرازي. قوله: (فالتقى الجيشان) أي: جيش قيصر ملك الروم فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى ملك الفرس اهـ.

قوله: ﴿من قبل ومن بعد﴾ العامة على بنائهما لقطعهما عن الإضافة وارادتها أي: من قبل الغلب ومن بعده أو من قبل كل أمر ومن بعده، وحكى الفراء كسرهما من غير تنوين وغلطه النحاس وقال: إنما يجوز من قبل ومن بعد يعني مكسوراً منوناً. قلت: وقد قرىء بذلك ووجهه إنه لم ينو إضافتهما فأعربهما، وحكي من قبل بالتنوين والجر ومن بعد بالبناء على الضم، وقد خرج بعضهم ما حكاه الفراء على أنه قدر أن المضاف إليه موجود فترك الأول بحاله اهـ سمين.

قوله: (أي من قبل غلب الروم) أي: من قبل كونهم غالبين، وهذا القبل هو وقت كونهم مغلوبين، وقوله: (ومن بعده) أي بعد غلب الروم بمعنى كونهم مغلوبين وبعد كونهم مغلوبين هو وقت كونهم غالبين، فكأنه قال: من وقت المغلوبية ووقت الغالبية فهو لف ونشر مرتب على الآية. وعبارة أبي السعود: لله الأمر من قبل ومن بعد أي: في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين، ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين، والمعنى أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه، وتلك الأيام نداولها بين الناس اهـ.

قوله: (والمعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً الخ) المصدر مضاف لفاعله في كل منهما أشار به إلى جواب ما قيل أي: فائدة في ذكر قوله ﴿من بعد غلبهم﴾، لأن قوله ﴿سيغلبون﴾ بعد قوله غلبت الروم لا يكون إلا من بعد الغلبة. وإيضاح الجواب: أن فائدته إظهار القدرة وبيان أن ذلك بأمر الله لأن من غلب بعد غلبه لا يكون إلا ضعيفاً، فلو كان غلبتهم بشوكتهم لكان الواجب أن يغلبوا قبل غلبهم، فإذا غلبوا بعد ما غلبوا دل على أن ذلك بأمر الله فقال من بعد غلبهم ليتفكروا في ضعفهم ويتذكروا أنه ليس بقوتهم، وإنما ذلك بأمر هو من الله تعالى، وقوله: (في أدنى الأرض) لبيان شدة ضعفهم أي: انتهى بعضهم إلى أن وصل عدوهم إلى طرف بلادهم وكسروهم وهم في بلادهم، ثم غلبوا حتى وصلوا إلى المدائن وبنوا هناك الرومية لبيان أن هذه الغلبة العظيمة بعد ذلك الضعف العظيم بإذن الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: (أي يوم تغلب الروم) أشار به إلى أن التنوين في يومئذ قائم مقام الجملة التي تضاف إذ إليها اهـ كرخي.

قوله: ﴿يفرح المؤمنون﴾ أي: لموافقتهم الروم في أن الكل أهل كتاب وأعداؤهم أهل أصنام اهـ.

قوله: ﴿بنصر الله﴾ متعلق بيفرح اهـ كرخي.

على فارس، وقد فرحوا بذلك وعملوا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بالمؤمنين ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، والأصل وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ وعده تعالى بنصرهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ إعادة هم تأكيد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

قوله: (وقد فرحوا) أي: المؤمنون، وقوله: (بذلك) أي: النصر. قوله: (يوم بدر) بدل من يوم وقوعه أو ظرف منصوب بوقوعه، وقوله (بنزول) متعلق بعلموا، فإن غلبة الروم كانت يوم غلبة المسلمين المشركين ببدر ووصل ذلك إلى المؤمنين بخبر جبريل اهـ رازي.

وقوله: (بذلك) أي بغلبة الروم على فارس، وقوله: (مع فرحهم) متعلق بقوله (وقد فرحوا) فهما فرحتان.

قوله: ﴿وعد الله﴾ منصوب مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهي قوله: ﴿سيغلبون﴾ ﴿ويفرح المؤمنون﴾ اهـ من النهر.

فوعدهم بالنصر وبالفرح، فكأنه قال وعدهم بالنصر وعداً ووعدهم بالفرح وعداً لا يخلف اهـ.

وقوله: ﴿لا يخلف الله وعده﴾ مقرر لمعنى هذا المصدر، ويصح كونه حالاً من المصدر الموصوف فهو مبين للنوع كأنه قيل: وعد الله وعداً غير مخلف اهـ كرخي.

قوله: (بدل من اللفظ بفعله) أي: وعدهم الله وعداً كقوله: (له علي ألف عرفاً) لأن معناه اعترفت له بها اعترافاً اهـ ابن جزي.

قوله: (به) أي: بالنصر. قوله: ﴿لا يعلمون﴾ (وعده تعالى الخ) أي: لجهلهم وعدم تفكرهم نفى عنهم العلم النافع للآخرة، وقد أثبت لهم العلم بأحوال الدنيا اهـ من النهر.

وقوله: (بنصرهم) أي: المؤمنين.

قوله: ﴿يعلمون﴾ الضمير للأكثر وكذا يقال فيما بعده. قوله: (أي معايشها الخ) يوضحه قول الكشاف قوله: ﴿يعلمون﴾ بدل من قوله ﴿لا يعلمون﴾، وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا، وقوله: ظاهراً من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها، وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة، وهذا أحسن من قول الحوفي إنه مستأنف من حيث المعنى، إلى أن الصناعة لا تساعد عليه لأن بدل فعل مثبت من فعل منفي لا يصح اهـ كرخي.

قوله: (إعادة هم) أي: إعادة لفظ هم الثانية للتأكيد.

قوله: ﴿أولم يتفكروا﴾ أي: ألم يشغلوا قلوبهم الفارغة عن الكفر بالتفكر اهـ.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك تفنى عند انتهائه وبعد البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ⁨٨⁩﴾ أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي كفار مكة ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ⁨٩⁩﴾ بتكذيبهم رسلهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ الأقبح، خبر كان على رفع عاقبة، واسم كان على نصب عاقبة، والمراد بهم جهنم وإساءتهم

وقوله: ﴿في أنفسهم﴾ ظرف للتفكر وليس مفعولاً للتفكر إذ متعلقه خلق السموات والأرض اهـ سمين.

قوله: ﴿وما خلق﴾ ما نافية. وفي هذه الجملة وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها. والثاني: أنها معلقة للتفكر فيكون في محل نصب على إسقاط الخافض ويضعف أن تكون استفهامية بمعنى النفي وفيها الوجهان المذكوران، وبالحق إما سببية وإما حالية اهـ سمين.

وفي الشهاب: قوله: ﴿إلا بالحق﴾ الباء للملابسة أي: ما خلقها باطلاً ولا عبثاً بغير حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة، وإنما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير أجل مسمى تنتهي إليه، ولذا عطف عليه قوله: ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿وأجل مسمى﴾ أي: وبأجل مسمى فهو معطوف على الحق، وقوله: (لذلك) أي لخلق الثلاثة أي: لدوام خلقه وبقائها، وقوله: (تفنى) أي: السموات والأرض وما بينهما، وفي نسخة يفني بالياء التحتية فالضمير فيها عائد للمذكور من السموات والأرض وما بينهما وقوله: (وبعده) أي: بعد الفناء البعث جملة من مبتدأ وخبر قدم الخبر فيها أي: والبعث كائن بعده أي بعد الفناء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بلقاء ربهم﴾ متعلق بكافرون، واللام لا تمنع ذلك لأنها وقعت في غير موضعها وهو خبر إن اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾ توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم وما لهم، والهمزة لتقرير النفي، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي قعدوا في أماكنهم ولم يسيروا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أكثر مما عمروها﴾ نعت لمصدر محذوف أي: عمارة أكثر من عمارتهم، وقرىء وآثاروا بألف بعد الهمزة وهو اشباع لفتحة الهمزة اهـ سمين.

قوله: ﴿ثم كان عاقبة الذين﴾ الخ شرع في بيان هلاكهم في الآخرة بعد بيان هلاكهم في الدنيا بتكذيبهم رسلهم اهـ شيخنا.

قوله: (خبر كان على رفع عاقبة) عبارة السمين: قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمر بالرفع،

﴿أن﴾ أي بأن ﴿كذبوا بآيات الله﴾ القرآن ﴿وكانوا بها يستهزئون ﴿١٠﴾﴾ ﴿الله يبدأ الخلق﴾ أي ينشىء خلق الناس ﴿ثم يعيده﴾ أي خلقهم بعد موتهم ﴿ثم إليه ترجعون ﴿١١﴾﴾ بالياء والتاء ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴿١٢﴾﴾ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم ﴿ولم يكن﴾ أي لا يكون ﴿لهم من شركائهم﴾ ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شفعاء وكانوا﴾ أي يكونون ﴿بشركائهم كافرين ﴿١٣﴾﴾ أي متبرئين منهم ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ﴾ تأكيد ﴿يتفرقون ﴿١٤﴾﴾ أي المؤمنون والكافرون ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة﴾ جنة ﴿يحبرون ﴿١٥﴾﴾

والباقون بالنصب. فالرفع على أنها اسم كان وذكر الفعل لأن التأنيث مجازي. وفي الخبر حينئذ وجهان، أحدهما: السوأى أي: الفعلة السوأى أو الخصلة السوأى. والثاني: أن كذبوا أي: كان آخر أمرهم التكذيب، فعلى الأول يكون في أن كذبوا وجهان، أحدهما: أنه على إسقاط الخافض إما لام العلة أي: لأن كذبوا، وإما باء السببية أي: بأن كذبوا، فلما حذف الحرف جرى القولان المشهوران بين الخليل وسيبويه في محل إن. والثاني: أنه بدل من السوأى أي: ثم كان عاقبتهم التكذيب، وعلى الثاني يكون السوأى مصدراً لأساؤوا أو أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي: أساء والفعلة السوأى، والسوأى تأنيث الأسوأ. وأما النصب فعلى خبر كان وفي الاسم وجهان. أحدهما: السوأى أي: كانت الفعلة السوأى عاقبة المسيئين وأن كذبوا على ما تقدم. والثاني: أن الاسم أن كذبوا والسوأى على ما تقدم أيضاً اهـ.

قوله: (وإساءتهم) ﴿أن كذبوا﴾ أي: حصلت لهم الإساءة بسبب تكذيبهم الآيات واستهزائهم بها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يبلس المجرمون﴾ قرأ العامة ببنائه للفاعل وهو المعروف يقال: أبلس الرجل أي: انقطعت حجته فسكت فهو قاصر لا يتعدى، وقرأ السلمي: يبلس مبنياً للمفعول وفيه بعد لأن أبلس لا يتعدى، وقد خرجت هذه القراءة على أن القائم مقام الفاعل مصدر الفعل ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، إذ الأصل يبلس إبلاس المجرمين، ويبلس هو الناصب ليوم تقوم ويومئذ مضاف لجملة تقديرها يومئذ تقوم وهذا كأنه تأكيد لفظي، إذ يصير التقدير يبلس المجرمون يوم تقوم الساعة اهـ سمين.

قوله: (أي لا يكون) ﴿لهم﴾ الخ إشارة إلى أن هذا من قبيل التعبير بالماضي عن المضارع وذلك لتحقق وقوعه وكذا يقال فيما بعده، والمراد بالماضي المضارع المنفي بلم اهـ شهاب.

فلما كانت لم لنفي الماضي معنى وليس مراداً هنا فسرها بلا التي لنفي المضارع ليتوصل إلى تفسير الفعل الذي في حيزها بالمضارع الحقيقي اهـ.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي والتنوين عوض عن جملة، والتقدير يوم إذ تقوم الساعة اهـ سمين.

قوله: (أي المؤمنون والكافرون) دل على هذا التعميم ما قبله من عموم الخلق في قوله: ﴿الله يبدأ الخلق﴾[الروم: ١١] وما بعده في قوله: ﴿فأما الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٦] الخ اهـ شهاب.

قوله: ﴿فهم في روضة﴾ الروضة: كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة، ومعنى يحبرون

يُسرُّون ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي سبحوا الله بمعنى صلّوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض ومعناه يحمده أهلهما ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ

يكرمون أو ينعمون. روي أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿يحبرون﴾ أي: يسرون، والحبر والحبور السرور، وقيل: هو من التحبير وهو التحسين: يقال هو حسن الحبر والسبر والسبر بكسر الحاء والسين وفتحهما. وفي الحديث: «يخرج من النار رجل ذهب حبره وسبره» فالمفتوح مصدر والمكسور اسم اهـ.

قوله: ﴿فسبحان الله﴾ الخ لما بين الله تعالى عظمته في الابتداء بقوله: ﴿وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ [الروم: ٨] وعظمته في الانتهاء قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ وإن الناس يتفرقون فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير أمر بتسبيحه وحمده اللذين هما وسيلتان للنجاة من العذاب اهـ رازي.

وروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر» وعنه أنه قال: «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه» اهـ خازن.

قوله: (بمعنى صلوا) هذا قول. وقال بعضهم: المراد به التنزيه أي: نزهوا الله عن صفات النقص وصفوه بصفات الكمال وهذا أولى لأنه يتضمن الصلاة، لأن التنزيه المأمور به يتناول التنزيه بالقلب الذي هو الاعتقاد الجازم، ويتناول التنزيه باللسان وهو الذكر الحس، ويتناول التنزيه بالأركان وهو العمل الصالح، والثاني ثمرة الأول والثالث ثمرة الثاني، فاللسان ترجمان الجنان، والأركان ترجمان اللسان. لكن الصلاة أفضل أعمال الأركان فهي مشتملة على الذكر باللسان والتصديق بالجنان فهو نوع من أنواع التنزيه، والأمر المطلق لا يختص بنوع دون نوع فيجب حمله على كل ما هو تنزيه الذي من جملته الصلاة اهـ رازي.

قوله: (أي تدخلون في المساء الخ) يشير به إلى أن تمسون وتصبحون تامان اهـ كرخي.

قوله: (وفيه) أي: المساء. قوله: (وفيه) أي: الصباح. قوله: (اعتراض) أي: بين المعطوف والمعطوف عليه، ونكتته أن تسبيحهم لنفعهم لا له فعليهم أن يحمدوه إذا سبحوه لأجل نعمة هدايتهم إلى التوفيق اهـ رازي. قوله: (وفيه) أي: في العشي. قوله: (وفيه) أي: الظهيرة بمعنى الحين.

قوله: ﴿يخرج الحي من الميت﴾ الخ وجه مناسبتها لما قبلها أن الإنسان عند الإصباح يخرج من

﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ ۝١٩﴾ من القبور بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ في الأرض ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ تخلقت حوّاء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم﴾ جميعاً ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾

شبه الموت وهو النوم إلى شبه الحياة وهو اليقظة اهـ رازي.

قوله: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ الخ جملة من مبتدأ وخبر أي: ومن جملة علامات توحيده وأنه يبعثكم خلقكم واختراعكم من تراب ومن لابتداء الغاية اهـ سمين.

وذكر لفظ من آياته ست مرات تنتهي عند قوله: ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ [الروم: ٢٥] ذكر فيها بدء خلق الإنسان آية آية إلى حين بعثه من القبور، وختم هذه الآيات بقيام السموات والأرض لكونه من العوارض اللازمة لأن كلاً من السماء والأرض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف الأرض وعدم نزولها ومن علو السماء وثباتها بغير عمد، ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهي الخروج من الأرض، وذكر من الأنفس أمرين خلقكم وخلق لكم من أنفسكم، وذكر من الآفاق السماء والأرض، وذكر لوازم الإنسان اختلاف الألسنة واختلاف اللون، وذكر من عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البرق والمطر ومن لوازمها قيام السماء وقيام الأرض اهـ من النهر.

فجملة ما يتعلق بالنوع الإنساني ستة أشياء اثنان أصول واثنان لوازم واثنان عوارض، وستة متعلقة بالآفاق اثنان أصول واثنان لوازم واثنان عوارض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ الترتيب والمهلة هنا ظاهران فإنهم يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة، وتنتشرون حال، وإذا هي الفجائية إلا أن الفجائية أكثر ما تقع بعد الفاء لأنها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة إلى ما يليق بالحالة الخاصة أي: بعد تلك الأطوار التي قصها علينا في مواضع أخر مع كوننا نطفة ثم مضغة ثم عظماً مجرداً ثم عظماً لحماً فاجأ البشرية والانتشار اهـ سمين.

قوله: ﴿أزواجاً﴾ أي: زوجات. قوله: (وسائر النساء) أي: باقيهن. قوله: ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: الأزواج وقوله: (وتألفوها) عطف تفسير اهـ.

قوله: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ قال ابن عبـاس ومجاهد: المودة الجماع، والرحمة: الولد وقاله الحسن أيضاً، وقيل: المودة والرحمة عطف قلوب بعضهم على بعض، وقال السدي: المودة المحبة والرحمة والشفقة، وروي معناه عن ابن عباس قال: المودة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم اهـ أبو السعود.

في صنع الله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ بفتح اللام وكسرها أي ذوي العقول وأولي العلم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي إراءتكم ﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾

قوله: ﴿يتفكرون﴾ (في صنع الله) أي: لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التآنس والتجانس بين الأشياء كالزوجين اهـ كرخي.

قوله: ﴿ومن آياته﴾ أي: الدالة على أمر البعث وما يتلوه من الجزاء خلق السموات والأرض، إما من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مساعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك، وإما من حيث أن خلقهما وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [الحديد: ٤] واختلاف ألسنتكم أي: لغاتكم بأن علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله، فإنك لا تكاد تسمع متكلمين متساويين في الكيفية من كل وجه، وألوانكم بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وخلاها بحيث وقع بها التمايز بين الأشخاص، حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه، وإنما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم اهـ أبو السعود.

وقدم السماء على الأرض لأن السماء كالذكر فنزول المطر من السماء على الأرض كنزول المني من الذكر في المرأة لأن الأرض تنبت وتخضر بالمطر اهـ شيخنا.

قوله: (بفتح اللام وكسرها) سبعيتان.

قوله: ﴿منامكم بالليل والنهار﴾ الخ قيل: في الآية تقديم وتأخير ليكون كل واحد مع ما يلائمه، والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل وإبتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطف عليه، لأن حرف العطف قد يقوم مقام الجار والأحسن أن يجعل على حاله، والنوم بالنهار مما كان العرب تعده نعمة من الله ولا سيما في أوقات القيلولة في البلاد الحارة اهـ سمين.

قوله: (بإرادته) أي: لا يقدر على اجتلابه إذا امتنع ولا على دفعه إذا ورد إلا الله فهو من صنع الله الحكيم اهـ كرخي.

قوله: ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ الظاهر في إعرابه أن يكون جملة من مبتدأ وخبر وحذف الناصب

للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يتدبرون ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور

من الفعل، والأصل أن يريكم فلذلك أوله بالمصدر وهذا هو الموافق لإخواته التي ذكر فيها الحرف المصدري اهـ سمين.

قوله: (يتدبرون) أي: لأن العقل ملاك الأمر وهو المؤدي إلى العلم فيما ذكر وغيره، فإن قيل: ما الحكمة في قوله هنا ﴿لقوم يعقلون﴾ وقوله فيما تقدم ﴿لقوم يتفكرون﴾؟ فالجواب: أنه لما كان حدوث الولد من الوالد أمراً عادياً مطرداً قليل الاختلاف كان يتطرق إلى الأوهام القاصرة أن ذلك بالطبيعة، لأن المطرد أقرب إلى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس أمراً مطرداً غير مختلف بل يختلف إذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت، وتارة يكون قوياً وتارة يكون ضعيفاً فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار، فقال: هو آية لمن له عقل وإن لم يتفكر تاماً اهـ كرخي.

قوله: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض﴾ أي: تبقى وتثبت، وهذا شروع في بيان بقائهما وثباتهما بعد بيان إيجادهما في قوله: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض﴾ الخ اهـ شيخنا.

وأظهر كلمة أن هنا التي هي علم الاستقبال لأن القيام هنا بمعنى البقاء لا الإيجاد وهو مستقبل باعتبار أواخره وما بعد نزول هذه الآيات اهـ شهاب.

فائدة:

ذكر قوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ في أربع مواضع ولم يذكره في الأول وهو قوله: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ [الروم: ٢٠] ولا في الأخير وهو هذا ووجه عدم ذكره في الأول أن خلق الأنفس وخلق الأزواج من باب واحد وهو الإيجاد فاكتفى فيهما بذكره مرة واحدة أي اكتفى بذكر قوله: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ مرة واحدة، وأما قيام السموات والأرض الذي هو الأخير فلذكره الدلائل الظاهرة بقوله: للعالمين، ويسمعون ويعقلون فيكون الأمر بعدها أظهر فلم يميز أحداً عن أحد وذكر ما هو مدلوله وهو قدرته على الإعادة اهـ رازي.

قوله: (من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود، وقيل: جمع له كأديم وأدم وبضمتين جمع عمود كرسول ورسل اهـ سمين من سورة الهمزة.

قوله: ﴿من الأرض﴾ الأظهر أنه متعلق بدعاكم ولا جائز أن يتعلق بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: ومن الأرض متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلي لا بتخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها اهـ.

وإذا الأولى في قوله: ﴿إذا دعاكم﴾ شرطية. والثانية: في قوله: ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ فجائية وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط اهـ قرطبي.

﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مطيعون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة

تنبيه:

قال هنا: إذا أنتم تخرجون وقال في خلق الإنسان أولاً ثم إذا أنتم بشر تنشرون، لأنه هناك يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلاً للحياة فتنفخ فيه الروح فإذا هو بشر، وأما في الإعادة فلا يكون تدريج بل يكون بدء وخروج فلم يقل هنا ثم اهـ كرخي.

قوله: (في الصور) وهو الناقور الذي يجمع الله فيه الأرواح عند نفخة البعث المشتمل على ثقب بعددها فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها فلا تخطىء روح جسدها وبين النفختين أربعون عاماً اهـ من شرح اللقاني على الجوهرة.

قوله: (فخروجكم) مبتدأ. وقوله: ﴿من آياته﴾ أي: علاماته خبر. قوله: (مطيعون) أي: في الحياة والبقاء أو الموت والبعث وإن عصوا في العبادة. وعبارة النهر: مطيعون لأفعاله لا يمتنع عليه شيء يريد فعله بهم من حياة موت ومرض وصحة فهي طاعة الإرادة لا طاعة العبادة اهـ.

وفي القرطبي: ﴿كل له قانتون﴾ قال النحاس مطيعون طاعة انقياد، وقيل: قانتون مقرون بالعبودية إما بالمقال وإما بالدلالة قاله عكرمة وأبو مالك والسدي، وقال ابن عباس: قانتون مصلون، وقال الربيع بن أنس: كل له قانتون أي: قائم يوم القيامة كما قال: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [المطففين: ٦] أي: للحساب، وقال الحسن: كل له قائم للشهادة أنه عبد له، وقال سعيد بن جبير: قانتون مخلصون اهـ.

قوله: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق﴾ حمله الشارح على المصدر حيث علق به قوله للناس، وعلى هذا فضمير ثم يعيده عائد له بمعنى المخلوق فهو استخدام وقوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ الضمير للإعادة المفهومة من الفعل، ولعل التذكر باعتبار كونها رداً وإرجاعاً أو مراعاة للخبر. وعبارة الكرخي: وذكر الضمير فيه مع أنه راجع للإعادة المأخوذة من لفظ يعيده نظراً إلى المعنى دون اللفظ وهو رجعه أو رده كما نظر إليه في قوله: ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ [الفرقان: ٤٩] أي: مكاناً ميتاً أي: تذكيره باعتبار الخبر اهـ.

قوله: (بالنظر إلى ما عند المخاطبين الخ) فيه إشارة إلى جواب السؤال المشهور وهو أنه كيف قال تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾، والأفعال كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى متساوية في السهولة؟ وإيضاحه: أن الأمر مبني على ما ينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم من أن الإعادة للشيء أهون من ابتدائه لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، فالإعادة محكوم عليها بزيادة السهولة أو أن أهون ليست للتفضيل بل هي صفة بمعنى هين كقولهم: الله أكبر أي كبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقيل: إن الضمير في عليه ليس عائداً على الله تعالى بل هو عاد على الخلق أي: والعود أهون على الخلق أي: أسرع لأن البداءة فيها تدريج من طور إلى طور إلى أن صارت

الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في خلقه ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾

إنساناً، والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات فكأنه قيل: وهو أقصر عليه وأيسر وأقل انتقالاً، والمعنى أنهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطفاً ثم علقاً أو مضغاً إلى أن يصيروا رجالاً ونساء وهي رواية الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس اهـ كرخي.

قوله: ﴿وله المثل الأعلى﴾ يجوز أن يكون مرتبطاً بما قبله وهو قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ أي: قد ضربه لكم مثلاً فيما يسهل وفيما يصعب، وإليه نحا الزجاج أو بما بعده من قوله: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾. وقيل: المثل الوصف وفي السموات يجوز أن يتعلق بالأعلى أي: أنه علا في هاتين الجهتين، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الأعلى أو من المثل أو من الضمير في الأعلى فإنه يعود على المثل اهـ سمين.

قوله: (وهي أنه لا إله إلا الله) أي: هي الوحدانية اهـ.

وفي أبي السعود: وله المثل الأعلى أي: الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلاً عما يساويها، ومن فسرها بقوله لا إله إلا الله أراد به الوصف بالوحدانية اهـ.

قوله: ﴿مثلاً﴾ (كائناً) ﴿من أنفسكم﴾ أشار به إلى أن من ابتدائية في موضع الصفة لمثلاً، والمعنى أخذ وانتزع مثلاً من أحوال أنفسكم التي هي أقرب الأمور إليكم اهـ كرخي.

فمن الأولى للابتداء، والثانية تبعيضية، والثالثة زائدة لتأكيد الاستفهام الإنكاري اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء﴾ شركاء مبتدأ، ومن مزيدة فيه وخبره لكم، ومما ملكت أيمانكم متعلق بمحذوف حال من شركاء لأنه في الأصل نعت نكرة فقدم عليها، والعامل فيه هو العامل في هذا الجار الواقع خبراً والخبر مقدر بعد المبتدأ، وفيما رزقناكم متعلق بشركاء وما في مما ملكت بمعنى النوع، وتقدير ذلك كله: هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت أيمانكم مستقرون لكم، فكائنون هو الوصف المتعلق به مما ملكت، فلما قدم صار حالاً ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به لكم، وقيل: الخبر مما ملكت ولكم متعلق بما تعلق به الخبر، وقوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾ جواب الاستفهام الذي بمعنى النفي وفيه متعلق بسواء، وتخافونهم خبر ثان لأنتم تقديره فأنتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضاً أيها السادة، والمراد نفي الأشياء الثلاثة أعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم إياهم، وليس المراد ثبوت الشركة ونفي الاستواء، والخوف كما هو أحد الوجهين في قولك ما تأتينا فتحدثنا بمعنى ما تأتينا محدثاً بل تأتينا ولا تحدثنا، بل المراد نفي لجميع ما تقدم، وقوله: ﴿كخيفتكم﴾ أي: خيفة مثل خيفتكم والمصدر مضاف لفاعله اهـ سمين.

وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيّنها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ يتدبرون ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ مانعين من عذاب الله ﴿فَأَقِمْ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه، أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه أي

قوله: ﴿فيما رزقناكم﴾ يعني أنه ليس لكم في الحقيقة وإنما هو الله تعالى ومن رزقه حقيقة، فإذا لم يجز أن يشركَكم فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة اهـ سمين.

قوله: ﴿فأنتم فيه سواء﴾ أي: مستوون في التصرف فيه على عادة الشركاء.

قوله: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ فيه الإضراب مع الالتفات وأقيم الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليهم بوصف الظلم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما لهم﴾ أي: لمن أضله الله والجمع باعتبار معنى من اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فأقم وجهك للدين﴾ الخ تمثيل لإقباله على الدين واستقامته واهتمامه وترتيب أسبابه، فإن من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه ومد إليه نظرة وقوّم له وجهه مقبلاً عليه أي: فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يميناً وشمالاً، وحنيفاً: حال من فاعل أقم أو من مفعوله أو من الذين اهـ أبو السعود.

قوله: (أنت ومن اتبعك) هذا هو المراد بقوله فيما يأتي حال من فاعل أقم وما أريد به أي أن الخطاب في الظاهر له، والمراد به وأمته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فطرت الله﴾ ترسم بالتاء المجرورة وليس في القرآن غيرها، وفي الفطرة تفسيران قيل: المراد بها قابلية الدين الحق والتهيؤ لها، وقيل: المراد بها دين الإسلام، والشارح أشار إلى الأول بقوله (خلقته) وإلى الثاني بقوله: (وهي دينه) فوقع في كلامه خلط قول بآخر إلا أن تجعل الواو في كلامه بمعنى أو اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿فطرت الله﴾ وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها وإن عبد غير الله، ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطري لأنه موجود حتى في الكفار، وإنما الاعتبار بالإيمان الشرعي المكتسب بالإرادة والتعلم اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿فطرت الله﴾ الخ أشار أن المراد بالفطرة هي دين الإسلام، وأن نصبها بالهمزة الذي قدره كما قال الزمخشري قال: وإنما أضمرته على خطاب الجماعة لقوله: ﴿منيبين إليه﴾ وهو حال من الضمير في الزموا وقوله: ﴿واتقو وأقيموا﴾ ﴿ولا تكونوا﴾ معطوف على هذا المضمر وهذا ما عزي لابن عباس وغيره. وذهب قوم إلى أن الآية خاصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله على

. . . .

الإسلام إذ كل مولود يولد عليها أي على العهد الذي أخذ عليه بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا: بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢] فإن قلت: قد جاء في الخبر الصحيح أن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً. قلنا لعل معناه أنه قدر أو كتب في بطن أمه إنه لو عاش يصير كافراً بإضلال شياطين الإنس والجن فلا مخالفة، وقيل: ما فطر عليه الإنسان من الشقاوة والسعادة، والمعنى أن الشقي لا يصير سعيداً وبالعكس اهـ.

وفي القرطبي ما نصه: المسألة الثالثة اختلف العلماء في معنى الفطرة في الكتاب والسنة على أقوال منها: الإسلام قاله أبو هريرة، وابن شهاب وغيرهما قالوا: وهو المعروف عند عامة المسلمين من أهل التأويل، وعلى هذا يكون المعنى أن الطفل خلق سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه، وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا يكونون في الجنة سواء كانوا أولاد مسلمين أو أولاد كفار، وقال آخرون الفطرة هي البدأة التي ابتدأهم الله عليها أي: على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ. قالوا: والفطرة في كلام العرب البدأة والفاطر المبتدىء واحتجوا على ذلك بما روي عن كعب القرظي في قوله: فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة قال من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى، ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال الضلالة فقد ابتدأ الله خلق إبليس على الضلالة وعمل السعادة مع الملائكة، ثم رده إلى ما ابتدأ خلقه عليه وكان من للكافرين. وقالت فرقة: ليس المراد قوله تعالى: ﴿فطر الناس عليها﴾ ولا بقوله عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة» العموم وإنما المراد بالناس المؤمنون إذ لو فطر الجميع على الإسلام ما كفر أحد، وقد ثبت أنه خلق أقواماً للنار كما قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [الأعراف: ١٧٩] وأخرج الذرية من صلب آدم سوداً وبيضاً. وقال في الغلام الذي قتله الخضر: طبع يوم طبع كافراً. وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: والفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكأنه قال: كل مولود يولد خلقه يعرف بها ربه. وقال ابن عطية: والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله، ويستدل بها على ربه، ويعرف شرائعه ويؤمن به ومنه قوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه». وقال شيخنا في عبارته: إن الله تعالى خلق قلوب بني آدم قابلة للحق كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمرئيات، فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ودين الإسلام وهم الدين الحق، وقد دل على صحة هذا المعنى قوله ﷺ في الحديث: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» يعني أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليماً من الآفات فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقي كاملاً بريئاً من العيوب، لكن يتصرف فيه فتجدع أذنه ويوسم وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل، وكذلك الإنسان وهو تشبيه واقع ووجهه واضح. قلت: وهذا القول مع القول الأول موافق له في المعنى، وأن ذلك بعد الإدراك حين عقلوا أمور الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السموات

الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المستقيم

والأرض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار، فلما قويت أهواؤهم فيهم أتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً، وأنهم وإن ماتوا صغاراً فهم في الجنة، أعني جميع الأطفال لأن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر أقروا له بالربوبية وهو قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقروا له بالربوبية وأنه لا إله غيره، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقياً أو سعيداً على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقياً عمر حتى يجري عليه القلم فينتقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيداً عمَّر حتى يجري عليه القلم فيصير سعيداً، ومن مات من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة، ومن مات من أولاد المشركين قبل أن يجري عليه القلم فلا يكونون مع آبائهم في النار لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذي أخذ عليهم في صلب آدم ولم ينتقض الميثاق. ذهب إلى هذا جماعة من أهل التأويل وهو جمع بين الأحاديث والله أعلم اهـ.

وفي القاموس: والجمعاء من البهائم التي لم يذهب من بدنها شيء اهـ.

قوله: ﴿التي فطر الناس عليها﴾ صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال للأمر، فإن خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً، فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها ديناً آخر، ومن غوى منهم فبإغواء شياطين الإنس والجن، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن رب العزة: «كل عبادي خلقت حنفاء فاغتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي غيري» اهـ أبو السعود.

قوله: (أي الزموها) المراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال له أي: لا صحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه بإتباع الهوى وقبول وسوسة الشياطين، وقيل: لا يقدر أحد أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأساً، ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدر بل واقع قطعاً، فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشياطين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لخلق الله﴾ أي: لما جبلكم وطبعكم عليه من قبول الحق اهـ شيخنا.

قوله: (المستقيم) تفسير للدين القيم وقوله: (توحيد الله) تفسير لاسم الإشارة. قوله: (حال من فاعل أقم) أي: وما بينهما اعتراض. وقوله: (وما أريد به) وذلك لأن الخطاب في أقم للكل والإفراد إنما هو لأن الرسول إمام الأمة فأمره مستتبع لأمرهم اهـ أبو السعود.

توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ توحيد الله ﴿۞ مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل أقم وما أريد به أي أقيموا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فرقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ مسرورون، وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أريد به التهديد

وعبارة السمين: قوله: ﴿منيبين إليه﴾ حال من فاعل الزموا المضمر كما تقدم، أو حال من فاعل أقم على المعنى لأنه ليس يراد به واحد بعينه، وإنما المراد الجميع. وقيل: حال من الناس إذا أريد بهم المؤمنون، وقيل: منصوب على خبر كان المضمر أي كونوا منيبين لدلالة قوله: ﴿ولا تكونوا من المشركين﴾ اهـ.

قوله: ﴿واتقوه﴾ معطوف على مقدر متصيد من الحال التي قبله قدره الشارح بقوله: أي أقيموا أي: أقيموا وجوهكم للدين اهـ شيخنا.

قوله: (فرقاً في ذلك) أي: ما يعبدونه.

قوله: ﴿كل حزب﴾ الخ الجملة اعتراض مقرر لما قبله من تفريقهم دينهم وكونهم شيعاً اهـ أبو السعود.

قوله: (مسرورون) أي: ظناً منهم أنهم على الحق اهـ أبو السعود.

وقوله: (وفي قراءة فارقوا) أي سبعية.

قوله: ﴿ثم إذا أذاقهم﴾ إذا شرطية، وقوله: ﴿إذا فريق منهم﴾ الخ فجائية أي: فاجأهم إشراك فريق منهم، وهي رابطة لجواب إذا الأولى بشرطها فهي قائمة مقام الفاء في الربط، فكأنه قيل: ففريق منهم يشركون وقوله: ﴿منه﴾ متعلق برحمة والضمير راجع للضر، ومن بمعنى بدل أو راجع لله أي رحمة كائنة منه خلقاً وإيجاداً، وكونها كائنة منه كذلك لا يستفاد من قوله ﴿أذاقهم﴾ إذ لا يلزم من إذاقته الرحمة لهم أن يكون خلقها منه، فظهر أن قوله منه محتاج إليه ولا بد، قوله: ﴿رحمة﴾ أي: خلاصاً من تلك الشدة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يشركون﴾ في مراعاة معنى لفظ الفريق، وكذا في قوله: ﴿ليكفروا﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (أريد به التهديد) أي: أريد بهذا الأمر المدلول عليه باللام التهديد أي: فاللام لام الأمر وكذا الأمر الصريح وهو قوله: ﴿فتمتعوا﴾ أريد به التهديد أيضاً اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: أريد به التهديد أشار به إلى أن اللام في قوله ليكفروا ولأمر ومعناه التوعد كقوله بعده: فتمتعوا، أو هي لام العاقبة فيه إذ لام العاقبة تقتضي المهلة، ولهذا سميت لام المآل

﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا﴾ حجة وكتاباً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أي يأمرهم بالإشراك؟ لا ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ فرح بطر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدّة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ بها ﴿فَـَٔاتِ ذَا

والشرك والكفران متقارنان لا مهلة بينهما أم هي لام كي اهـ.

قوله: (فيه) أي: في قوله ﴿فتمتعوا﴾ التفات أي: عن الغيبة إلى الخطاب لأجل المبالغة في زجرهم، قوله: ﴿أم أنزلنا عليهم الخ﴾ فيه التفات عن الخطاب إلى الغيبة للإيذان بالإعراض عنهم وبعدهم عن ساحة الخطاب اهـ شيخنا.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: على مذهب الكوفيين في أن أم المنقطعة بمعنى الهمزة فقط، ومذهب البصريين أنها بمعنى بل والهمزة والشارح يرتكب هذا تارة وذلك أخرى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فهو يتكلم﴾ في حيز المنفي المستفاد من أم، وقوله: ﴿بما كانوا﴾ الباء للتعدية وما مصدرية بدليل قوله: (أي: يأمرهم بالإشراك) لكن يبعده الضمير وهو قوله: ﴿بما كانوا به﴾، فإنه عائد على ما المصدرية لا يعود عليها الضمير، فالأحسن كما قال غيره إنها موصولة أي: بالأمر الذي كانوا بسببه يشركون اهـ شيخنا.

قوله: (لا) أي: لم ننزل عليهم سلطاناً ولم يأمرهم بالإشراك اهـ شيخنا.

قوله: (فرح بطر) جواب عما يقال الفرح بنعم الله مطلوب كما دل عليه قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته﴾ [يونس: ٥٨] فبذلك فليفرحوا فكيف ذم هؤلاء عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يقنطون﴾ بفتح النون وكسرها سبعيتان وبابه ضرب وتعب اهـ مصباح.

قوله: (ييأسون من الرحمة) أي: وهذا خلاف وصف المؤمنين كما أشار إليه بقوله: (ومن شأن المؤمن الخ). أو يقال الدعاء اللساني بناء على مجرى العادة لا ينافي القنوط القلبي، وقد يشاهد مثل ذلك في كثير من الناس فلا يخالف هذا قوله: دعوا ربهم منيبين إليه، أو المراد يفعلون فعل القانطين كالاهتمام بجمع الذخائر أيام الغلاء اهـ كرخي.

قوله: (ومن شأن المؤمن الخ) مقابل لمحذوف دل عليه السياق تقديره: وحالهم هذا ليس شأن المؤمن فإن شأنه أن يشكر الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولم يروا﴾ الخ أي: فما بالهم لم يشكروا في السراء والضراء كالمؤمنين اهـ أبو السعود.

قوله: (امتحاناً) أي: هل يشكر أم يطغى فيكفر، وقوله: (ابتلاء) أي: هل يصبر أم يضيق ذرعاً فيكفر اهـ شيخنا.

﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ المسافر من الصدقة، وأمّة النبي تبع له في ذلك ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ أي ثوابه بما يعملون ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ الفائزون ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا﴾ بأن يعطى شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه، فسمي باسم

قوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ (بها) أي: فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فآت ذا القربى حقه﴾ الخ عدم ذكر بقية الأصناف المستحقين للزكاة يدل على أن ذلك في صدقة التطوع، وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية على وجوب نفقة المحارم والشافعي قاس سائر الأقارب ما عدا الفروع والأصول على ابن العم لأنه لا ولادة بينهم اهـ خطيب.

قوله: (من الصدقة) أي: صدقة التطوع، ولا يصح حملها على الواجبة وهي الزكاة لأن السورة مكية والزكاة ما فرضت إلا في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة اهـ شيخنا.

قوله: (وأمة النبي تبع له في ذلك الخ) أشار به إلى أن الأمر وإن كان لنبينا عليه الصلاة والسلام فأمته تبع له في ذلك، وخص هذه الثلاثة من بين الأصناف الثمانية المذكورة في آية الصدقات لأنه أراد ههنا بيان من يجب الإحسان إليه على كل من له مال سواء كان زكوياً أو لم يكن وسواء كان من قبل الحول أو بعده لأن المقصود هنا الشفقة العامة، وهؤلاء الثلاثة يجب الإحسان إليهم وإن لم يكن للإنسان مال زائد، والفقير داخل في المسكين لأن من أوصى للمسكين بشيء يصرف إلى الفقراء أيضاً، وإذا نظرت إلى الباقين من الأصناف رأيتهم لا يجب صرف المال إليهم إلا على الذين وجبت الزكاة عليهم، وقدم القريب لأن دفع حاجته واجب سواء كان في مخمصة أو لم يكن، فلذلك قدم على من لا يجب دفع حاجته من غير مال الزكاة إلا إذا كان في شدة، وأما المسكين فحاجته ليست مختصة بموضع فقدم على من حاجته مختصة بموضع دون موضع اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما آتيتم﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان. وفي البيضاوي: وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من إعطاء ربا اهـ.

وهو يؤول من حيث المعنى إلى القراءة المشهورة لأنه يقال أتى معروفاً وأتى قبيحاً إذا فعلهما اهـ زاده.

قوله: (بأن يعطى) أي: الطامع في الدنيا شيئاً هبة أو هدية الخ أي: فالآية مسوقة في الربا المكروه ولكنه محرم على النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط وتطلب أكثر مما تعطي وحرم عليه تشريفاً له اهـ خطيب.

وفي القرطبي: والربا الزيادة وقد مضى في البقرة معناه وهو هناك محرم وههنا حلال، وثبت بهذا أنه قسمان منه حلال ومنه حرام قاله عكرمة في قوله تعالى: ﴿وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس﴾ قال: الربا نوعان فربا حلال وربا حرام، فأما الربا الحلال فهو الذي يهدي يلتمس ما هو أفضل منه وليس له فيه أجر وليس عليه فيه إثم، ولذلك قال ابن عباس: وما آتيتم من ربا يريد هدية الرجل التي يرجو أن يثاب أفضل منها فذلك الذي لا يربو عند الله ولا يؤجر صاحبه ولكن لا إثم عليه، وفي هذا المعنى نزلت الآية. قال ابن عباس، وابن جبير، وطاوس، ومجاهد: هذه الآية نزلت في هبة الثواب،

المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المعطين أي يزيد ﴿فَلَا يَرْبُوا۟﴾ يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

قال ابن عطية: وما جرى مجراها مما يصنعه الإنسان ليجازي عليه كالسلام وغيره وإن كان لا إثم فيه فلا أجر فيه ولا زيادة عند الله، وقاله القاضي أبو بكر بن العربي. قال المهلب: واختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب ثوابها وقال: إنما أراد الثواب فقال مالك: ينظر فيه فإن كان مثله يطلب الثواب من الموهوب له فله ذلك مثاله هبة الفقير للغني، وهبة الخادم لصاحبه، وهبة الرجل لأميره ومن فوقه وهو أحد قولي الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يكون له ثواب إذا لم يشترط وهو قول الشافعي الآخر. وعن علي رضي الله عنه قال: المواهب ثلاثة: موهبة يراد بها وجه الله، وموهبة يراد بها ثناء الناس، وموهبة يراد بها الثواب. فموهبة الثواب يرجع فيها صاحبها إذا لم يثب عليها بخلاف القسمين الآخرين فلا يرجع فيهما صاحبهما اهـ.

قوله: (فسمي) أي المعطي الذي هو الهدية باسم المطلوب أي للدافع أي الذي يطلب الدافع أخذه من المهدى إليه في مقابلة ما أعطاه، فهو الذي يسمى رباً حقيقة لأنه زائد على المدفوع بحسب غرض وطمع الدافع، والربا هو الزيادة ولذلك بين المطلوب بقوله (من الزيادة في المعاملة) اهـ شيخنا.

والمراد بالمعاملة ما فعله المعطي من الهدية والهبة.

قوله: ﴿في أموال الناس﴾ أي: في اجتلابها وتحصيلها، وهو وإن كان يربو في ماله ويطلب الزيادة فيه لكن هذه الزيادة لما كانت مأخوذة بطريق غير شرعي وكانت غير مملوكة للآخذ بل هي باقية على ملك صاحبها الذي هو المهدى إليه، ففي الحقيقة الذي حصلت الزيادة في ماله هو المهدى إليه حصلت بالهدية التي أخذها فانضمت لما له الذي من جملته ما دفعه في مقابلتها الذي هو باق على ملكه، فلذلك أتى بهذه الظرفية. فالمعنى أن المرابي يحصل زيادة تكون أموال الناس ظرفاً لها، فهو كناية عن أن الزيادة التي يأخذها المرابي من أموال الناس لا يملكها أصلاً اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: والمراد بالناس المرابي أو الدافع للزيادة والزيادة تكون في ماله بما أخذه على الوجهين اهـ.

قوله: (المعطين) أي: الآخذين للهبة والهدية، وقوله: (للمعطين) أي: الدافعين للهبة والهدية، فالأول جمع معطى اسم مفعول، والثاني جمع معط اسم فاعل اهـ شيخنا.

قوله: (صدقة) أي: صدقة تطوع لما تقدم، وجملة تريدون الخ نعت لزكاة، والعائد محذوف كما قدره الشارح، وعبَّر عن الصدقة بالزكاة لبفيد أنها مطهرة أي تطهرون بها أموالكم من الشبه وأبدانكم من خبث المعاصي وأخلاقكم من الغل والدنس اهـ خطيب.

قوله: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أي: ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار، أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة، وقرىء بفتح العين اهـ بيضاوي.

ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ ؟ لا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ به ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي القفار بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي البلاد

وقوله: (ذوو الأضعاف) يعني أنه اسم فاعل من أضعف إذا صار ذا ضعف بكسر فسكون بأن يضاعف له ثواب ما أعطاه كأقوى وأيسر إذا صار ذا قوة ويسار فهو لصيرورة الفاعل ذا أصله، وقوله: (أو الذين ضعفوا الخ) أي على أنه من أضعف والهمزة للتعدية ومفعوله محذوف وهو ما ذكر ولذا أتبعه بقراءة الفتح لأنها تؤيده اهـ شهاب.

وفي القرطبي: ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ قال ابن عباس: أي: من صدقة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون أي: ذلك الذي يقبله ويضاعفه له عشرة أضعافه أو أكثر كما قال: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقال: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقرة: ٢٦٥] الآية وفي معنى المضعفين قولان، أحدهما: نضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا، والآخر أنه قد أضعف لهم الخير والنعيم أي: هم أصحاب أضعاف، كما يقال: فلان مقو إذا كانت إبله قوية أو له أصحاب أقوياء، ومسمن إذا كانت إبله سماناً، ومعطش إذا كانت إبله عطاشاً، ومضعف إذا كانت إبله ضعيفة اهـ.

قوله: (فيه) أي: في قوله: ﴿فأولئك﴾ التفات عن الخطاب أي: للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً لحالهم، فهو أمدح لهم من أن يقول وأنتم المضعفون، أو للتعميم لغير المخاطبين كأنه قال: من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون، وكان مقتضى ظاهر المقابلة أن يقال فيربو عند الله، فغيَّر عبارة الربا إلى الإضعاف ونظم الفعلية إلى الاسمية الدالة على الدوام المشتملة على ضمير الفصل المفيد للحصر اهـ كرخي.

قوله: ﴿الله الذي خلقكم﴾ الخ أثبت له تعالى لوازم الألوهية وخواصها ونفاها رأساً عما اتخذتوه شركاء له تعالى من الأصنام وغيرها، والاسم الكريم مبتدأ، والاسم الموصول خبره، ويجوز أن يكون الاسم الموصول صفة، والخبر جملة هل من شركائكم ورابطة اسم الإشارة في قوله: ﴿من ذلكم﴾ لأنه بمعنى من أفعاله، ومن الأولى والثانية لبيان شيوع الحكم في جنس الشركاء، والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هل من شركائكم﴾ خبر مقدم ومن للتبعيض، ومن يفعل هو المبتدأ، ومن ذلكم متعلق بمحذوف لأنه حال من شيء بعده فإنه في الأصل صفة له، ومن الثالثة مزيدة في المفعول به لأنه في حيز النفي المستفاد من الاستفهام، والتقدير: من الذي يفعل شيئاً من ذلكم من شركائكم اهـ.

قوله: (لا) أي: ليس منها من يفعل شيئاً من هذه الأفعال اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ظهر الفساد﴾ في القاموس: فسد كنصر وكرم فساداً ضد صلح فهو فاسد، والفساد: أخذ المال ظلماً، والجدب والمفسدة ضد المصلحة اهـ.

التي على الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياء والنون ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ أي عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ يتوبون ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم

وفي القرطبي: اختلف في معنى الفساد وفي معنى البر والبحر فقال قتادة والسدي: الفساد الشرك وهو أعظم الفساد، وقيل: الفساد القحط وقلة النبات وذهاب البركة ونحو ذلك، وقال ابن عباس: هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا. قال النحاس: وهو أحسن ما قيل في الآية وعنه أيضاً أن الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني آدم وقال ابن عطية: فإذا قلَّ المطر قل الغوص فيه وعميت دواب البحر، وقال ابن عباس: إذا أمطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وقيل: الفساد كساد الأسعار وقلة المعاش، والبر والبحر هما المعروفان المشهوران، وقيل: البر الفيافي والبحر القرى قاله عكرمة. وقال ابن عباس: البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر ما كان من ذلك على شط نهر اهـ.

قوله: (أي القفار) بكسر القاف جمع قفر بفتحها وهو المفازة التي لا ماء فيها ولا كلأ، وأما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذي لا أدم معه ومنه أقفر البيت إذا خلا من الأدم اهـ شيخنا.

قوله: (بقحط المطر الخ) أي: وبالظلم والغرق وموت دواب البر والبحر وقلة اللؤلؤ لقلة المطر اهـ كرخي.

قوله: (أي البلاد التي على الأنهار) وسميت بحراً لمجاز المجاورة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما كسبت﴾ الباء سببية وما مصدرية. أي: بسبب كسبهم اهـ سمين.

قوله: (من المعاصي) وأولها قتل قابيل هابيل، فكانت الأرض قبل ذلك مونقة نضرة مثمرة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان الأسد لا يصول على الغنم ونحوها، فلما قتله اقشعرت الأرض ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض اهـ خازن.

قوله: ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ اللام للعلة متعلقة بظهر، وقيل: بمحذوف أي: عاقبهم بذلك ليذيقهم، وقيل: اللام للصيرورة، وقرأ قنبل: لنذيقهم بنون العظمة، والباقون بياء الغيبة اهـ سمين.

قوله: (أي عقوبته) أشار به إلى تقرير مضاف في الكلام أي: بعض عقوبة الذي عملوا وفي الكرخي: قوله: (أي عقوبته) أي: في الدنيا وهي أن الله قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة اهـ.

قوله: ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشو الشرك فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم اهـ أبو السعود.

خاوية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ يوطئون منازلهم في الجنة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بيصدعون ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يثيبهم ﴿إِنَّهُ لَا

قوله: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ الخ لما بين تعالى أن المعاصي سبب لسخط الله أمر رسوله بأن يستقيم على الدين تثبيتاً للمؤمنين على ما هم عليه، إلا أنه خاطب به سيدهم تعظيماً له ولكونه واسطة بين الله وبين الأمة اهـ زاده.

قال الزجاج: أي: أقم صدرك واجعل وجهتك اتباع الدين القيم يعني الإسلام، وقيل: المعنى أوضح للحق أو بالغ في الإعذار واشتغل بما أنت فيه ولا تحزن عليهم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿من الله﴾ يجوز أن يتعلق بيأتي أو بمحذوف يدل عليه المصدر. أي: لا يرده من الله أحد، ولا يجوز أن يعمل فيه مرد، لأنه كان ينبغي أن ينون إذ هو من قبل المطولات، والمراد يوم القيامة كما أفاده الشيخ المصنف يعني لا يقدر أحد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: من الله متعلق بيأتي أو بمرد لأنه مصدر، والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق إرادته القديمة بمجيئه اهـ.

قوله: ﴿يومئذ يصدعون﴾ التنوين عرض عن الجملة المحذوفة أي: يوم إذ يأتي هذا اليوم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: صدعته صدعاً من باب نفع وشققته فانصدع، وصدعت القوم صدعاً فتصدعوا أي: فرقتهم فتفرقوا وقوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] قيل: مأخوذ من هذا أي: شق جماعاتهم بالتوحيد، وقيل: افرق بذلك بين الحق والباطل، وقيل: أظهر ذلك وصدعت بالحق تكلمت به جهاراً، وصدعت الفلاة قطعتها اهـ.

قوله: ﴿من كفر﴾ الخ تفصيل لقوله ﴿يومئذ يصدعون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (يوطئون منازلهم) أي: يتخذون ويهيئون منازلهم ولتسببهم في تهيئة المنازل لهم وتمهيدها واتخاذها نسب إليهم اهـ شيخنا.

وفي المختار: ومهد الفراش بسطه ووطأه وبابه قطع اهـ.

قوله: (متعلق بيصدعون) عبارة السمين: قوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ الخ في متعلقه أوجه، أحدها: يمهدون. والثاني: يصدعون. والثالث: محذوف. قال ابن عطية: تقديره ذلك ليجزي وتكون الإشارة إلى ما تقرر من قوله من كفر ومن عمل، وجعل الشيخ قسيم قوله ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ محذوفاً لدلالة قوله: إنه لا يحب الكافرين عليه هذا إذا علقنا اللام بيصدعون أو بذلك المحذوف. قال: تقديره ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله والكافرين بعدله.

﴿يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي يعاقبهم ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ تعالى ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ تطلبوا الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

قوله: ﴿أن يرسل الرياح﴾ أي الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور فهي ريح العذاب ومنه قوله ﷺ: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وليذيقكم﴾ (بها) أي: الرياح أي: بسببها، وقوله: ﴿من رحمته﴾ من تبعيضية أي: بعض رحمته، وفسرها بقوله: (المطر والخصب) فيقرآن بالجر على سبيل البدل، وفسر الخطيب الرحمة بقوله أي: نعمته من المياه العذبة والأشجار الرطبة وصحة الأبدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا الله اهـ.

قوله: ﴿وليذيقكم﴾ هذه الجملة معطوفة على مبشرات نظراً للمعنى من حيث إن تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بعلية مبدأ الاشتقاق، فلذلك قال الشارح لتبشركم اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿وليذيقكم﴾ إما عطف معنى مبشرات لأن الحال والصفة يفهمان العلة، فكان التقدير لتبشركم وليذيقكم، وإما أن يتعلق بمحذوف أي: وأرسلها ليذيقكم، وإما أن تكون الواو مزيدة على رأي فتتعلق اللام بأن يرسل اهـ.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ الخ هذا تسلية لرسول الله ﷺ وهو اعتراض بين الكلامين المتصلين معنى أي قوله: ومن آياته أن يرسل الرياح الخ وقوله: ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ الخ. وفي الكرخي: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ الخ قال أبو حيان: اعتراض جاء تسلية لرسول الله ﷺ وتأنيساً ووعداً بالنصر ووعيداً لأهل الكفر، وحقيقة نصر المؤمنين على الله لا تختص بالدنيا بل تعم الآخرة أيضاً، فما في الآخرة من متناولات الآية اهـ.

قوله: ﴿وكان حقاً علينا﴾ بعض القراء يقف على حقاً ويبتدىء بما بعده يجعل اسم كان مضمراً فيها، وحقاً خبرها أي: وكان الانتقام حقاً، وجعل بعضهم حقاً منصوباً على المصدر، واسم كان ضمير الشأن،

وعلينا: خبر مقدم، ونصر: مبتدأ مؤخر والجملة خبرها، وبعضهم جعل حقاً منصوباً على المصدر أيضاً وعلينا خبر مقدم ونصر اسمها مؤخر، والصحيح أن نصر اسمها وحقاً خبرها وعلينا متعلق بحقاً: أو بمحذوف صفة اهـ سمين.

وعن أبي الدرداء قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» ثم تلا هذه الآية ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ أخرجه الترمذي ولفظه: «من رد عنه عرض أخيه رد الله عن وجهه النار» اهـ خازن.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بفتح السين وسكونها قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالودق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يفرحون بالمطر ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ آيسين من إنزاله ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَرِ﴾ وفي قراءة آثار ﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي نعمته بالمطر

قوله: ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح اهـ أبو السعود.

قوله: (تزعجه) أي: تهيجه وتحركه. قوله: ﴿فيبسطه﴾ أي: ينشره متصلاً بعضه ببعض أي: ينشره كمال الانتشار وإلا فأصل الانتشار موجود في السحاب دائماً وقوله: ﴿في السماء﴾ أي في جهتها أي: في جهة العلو، وليس المراد حقيقة السماء المعروفة اهـ شيخنا.

قوله: (من قلة وكثرة) أي: ومن سير تارة ووقوف أخرى اهـ أبو السعود.

قوله: (بفتح السين) جمع كسفة والمسكن مخفف من المحرك فهما بمعنى، فقوله: (قطعاً) تفسير للوجهين والقراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الكسفة بالكسر القطعة من الشيء، والجمع كسف وكسف، وجمع الجمع أكساف وكسوف وكسفه قطعه اهـ.

قوله: ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي: فاجأ استبشارهم نزوله اهـ أبو السعود.

وقوله: (يفرحون بالمطر) عبارة غيره: يستبشرون الخصب اهـ.

قوله: ﴿وإن كانوا﴾ فسر الشارح أن بقد، وتبع في هذا البغوي، وقال غيره، الأولى أنها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أي: وإن الشأن كانوا الخ. ويدل على ذلك اللام في لمبلسين فإنها اللام الفارقة اهـ شيخنا.

قوله: (تأكيد) قال ابن عطية: وفائدة هذا التأكيد الإعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار، وذلك أن قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ يحتمل الفسحة في الزمان، أي: من قبل أن ينزل بكثير كالأيام، فجاء قوله: ﴿من قبله﴾ بمعنى أن ذلك متصل بالمطر فهو تأكيد مفيد، وقال الزمخشري: وفائدة التوكيد فيه الدلالة أن عهدهم بالمطر قد بعد فاستحكم بأسهم وتمادى إبلاسهم، فكان استبشارهم على قدر اغتمامهم بذلك وهو كلام حسن اهـ سمين.

قوله: (آيسين) وفي المصباح: وأبلس الرجل إبلاساً سكت، وأبلس: أيس، وفي التنزيل: ﴿فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤] اهـ.

قوله: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ أي: المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار والثمار، والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه، وقوله: ﴿كيف﴾ الخ في حيز النصب بنزع الخافض، وكيف معلق لانظر أي: فانظر إلى إحيائه البديع للأرض بعد موتها، وقيل: على الحالية بالتأويل، وأياً ما كان

﴿كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المحيي الأرض ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ صاروا جواب القسم ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يجحدون النعمة بالمطر ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مخلصون بتوحيد الله ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ

فالمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته ما فيه من التمهيد لأمر البعث اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة آثار) أي: سبعية. قوله: ﴿إن ذلك﴾ (المحيي الأرض) وهو الله تعالى. قوله: (مضرة) وهي الريح الدبور التي أهلكت بها عاد، وقوله: ﴿فرأوه﴾ أي: النبات مصفراً أي: بعد خضرته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لظلوا من بعده﴾ أي: بعد اصفرار الزرع يكفرون: أي يجحدون ما سلف من النعمة، والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي اهـ خازن.

وفي هذا من ذمهم بعدم تشبثهم وسرعة تزلزهم بين طرفي الإفراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى في كل حال، ويلجؤوا إليه بالاستغفار إذا احتبس عنهم القطر، ولا ييأسوا من روح الله تعالى، ويبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه، فعكسوا الأمر وأبوا ما يجديهم وأتوا ما يرديهم اهـ أبو السعود.

قوله: (جواب القسم) أي: الساد مسد جواب الشرط لأنه اجتمع هنا شرط وقسم، والشرط مؤخر فيحذف جوابه دلالة عليه بجواب القسم على القاعدة أي: وبالله لئن أرسلنا ريحاً حارة أو باردة فضرت زرعهم بالصفرة فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ الخ تعليل لمحذوف أي: لا تجزع ولا تحزن على عدم إيمانهم فإنهم موتى صم عميٌ، ومن كان كذلك لا يهتدي اهـ شيخنا.

وقوله ﴿الدعاء راجع﴾ للفعلين قبله. قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) سبعيتان.

قوله: ﴿عن ضلالتهم﴾ متعلق بالعمى أو بهادي على تضمينه معنى صارف كما تقدم في سورة النمل. قوله: ﴿فهم مسلمون﴾ فيه مراعاة معنى من اهـ.

قوله: (بتوحيد الله) أي: فيه.

قوله: ﴿الله الذي خلقكم﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿من ضعف﴾ أي: أصل ضعيف ولذا فسره بقوله: (ماء مهين) وإطلاق الضعف على الأصل الضعيف تجوز، لأن الضعف مصدر ضد القوة كما يأتي وقوله: (مهين) في القاموس المهين الحقير والضعيف والقليل والفعل في كل مهن ككرم اهـ.

﴿ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلۡقَدِيرُ ۝﴾ على ما يشاء ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ مكثوا في القبور ﴿غَيۡرَ سَاعَةٖۚ﴾ قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝﴾ يصرفون عن الحق البعث، كما صرفوا عن الحق الصدق في مدة اللبث ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه

قوله: ﴿وشيبة﴾ أي: شيباً وهو بياض الشعر الأسود، ويحصل أوله في الغالب في السنة الثالثة والأربعين وهو أول سن الاكتهال، والأخذ في النقص بالفعل بعد الخمسين إلى أن يزيد النقص في الثالثة والستين وهو أول سن الشيخوخة، ويقوي الضعف إلى ما شاء الله تعالى اهـ خطيب.

قوله: (بضم أوله وفتحه) سبعيتان. وفي المصباح: الضعف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش خلاف القوة والصحة، فالمضموم مصدر ضعف مثال قرب قرباً، والمفتوح مصدر ضعف ضعفاً من باب قتل، ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي والمضموم في الجسد وهو ضعيف والجمع ضعفاء وضعاف أيضاً اهـ.

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي: توجد وتحصل الساعة أي: القيامة وهي النفخة الثانية، وسميت ساعة لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا، ولفظ يوم منصوب بيقسم. وقوله: (يحلف) أي: حلفاً كاذباً مخالفاً للواقع أوقعهم فيه الدهشة والحيرة، قوله: ﴿غير ساعة﴾ أي: قطعة يسيرة من الزمان اهـ شيخنا.

قوله: (الكافرون) أي: المنكرون للبعث. قوله: ﴿ما لبثوا﴾ (في القبور) قاله مقاتل والكلبي أو في الدنيا، وقدمه القاضي على ما قبله كالكشاف اهـ كرخي.

وفي الخطيب: ﴿ما لبثوا﴾ أي: في الدنيا غير ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة. وقال مقاتل، والكلبي: ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قوله تعالى: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقيل: فيما بين فناء الدنيا والبعث. وفي حديث رواه الشيخان: «ما بين النفختين أربعون» وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام اهـ.

قوله: (يصرفون عن الحق) أن عن الإقرار والاعتراف به في الدنيا، وقوله: ﴿البعث﴾ بدل من الحق وهذا بيان للمشبه. وقوله: (كما صرفوا الخ) بيان للمشبه به الذي هو المراد باسم الإشارة اهـ شيخنا.

قوله: (في مدة اللبث) أي: في القبور أو في الدنيا على ما تقدم.

قوله: ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ الخ أي: قالوا رداً على هؤلاء الكفرة وتكذيباً لهم، وقوله: (وغيرهم) أي: من الأنبياء والمؤمنين، وقوله: ﴿لقد لبثم﴾ أي: في القبور، وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ أي لبثم فيها بحسب ما علمه الله وقدره، وقوله: ﴿فهذا يوم البعث﴾ معطوف على لقد لبثم فهو من جملة المقول اهـ شيخنا.

في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وقوعه ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضي الله ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَّيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء

وفي البيضاوي: والفاء في قوله: فهذا جواب شرط محذوف تقديره إن كنتم منكرين للبعث، فهذا يومه أي: فقد تبين بطلان إنكاركم اهـ.

قوله: (الذي أنكرتموه) أي: في الدنيا، وقوله: ﴿كنتم لا تعلمون﴾ أي: لا تعرفون ولا تقرون بوقوعه.

قوله: ﴿فيومئذ﴾ لفظ يوم منصوب بلا تنفع والتنوين في إذ عوض عن جمل محذوفة أي: يومئذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين، ورد عليهم الملائكة والمؤمنون وبينوا كذبهم لا تنفع الخ اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: فيومئذ تفصيل لما يفهم مما قبلها من أنه لا يفيدهم تقليل مدة اللبث ولا يفيدهم ولا النسيان أو هو جواب شرط مقدر أيضاً. وقوله: ﴿معذرتهم﴾ كأنهم توهموا أن التقليل ونحوه عذر في عدم طاعتهم كقوله: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه﴾ [فاطر: ٣٧] الآية اهـ.

قوله: ﴿لا تنفع﴾ (بالياء والتاء) سبعيتان وقوله: ﴿معذرتهم﴾ أي: اعتذارهم اهـ.

قوله: (العتبى) اسم من أعتب كالرجعى وزنا ومعنى، ولذلك فسرها بقوله: (أي الرجوع إلى ما يرضي الله) أي: من التوبة والعمل الصالح، وذلك لانقطاع التكليف في ذلك اليوم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يدعون إلى ما يقتضي أعتابهم أي: إزالة عتبهم من الطاعة والتوبة، كما دعوا إليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فأعتبته أي: استرضاني فأرضيته اهـ.

وفي المصباح: عتب عليه عتباً من باب ضرب وقتل ومعتباً أيضاً لامه في سخطه فهو عاتب وعتاب مبالغة وبه سمي، ومنه عتاب بن أسيد، وعاتبه معاتبة وعتاباً. قال الخليل: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة، وأعتبني: الهمزة للسلب أي: أزال الشكوى والعتاب، واستعتب طلب الإعتاب، والعتبي اسم من الأعتاب اهـ.

قوله: ﴿ولقد ضربنا للناس﴾ أي: ولقد وصفنا لهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة، ما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب أو بينا لهم كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من كل مثل﴾ أي: أي يرشدهم قطعاً لعذرهم وكلمة من للتبعيض اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليقولن﴾ اللام مؤكدة واقعة في جواب قسم ويقولن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، فاللام مفتوحة باتفاق القراء والفاعل هو الاسم الموصول الذي هو من

الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أصحاب أباطيل ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالبعث، أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر، أي لا تتركنه.

قبيل الظاهر وهو الذين كفروا. إذا علمت هذا علمت أن قول الشارح حذف منه الخ سبق فلم، وكان الأولى إسقاط هذه العبارة لأنها توهم أن الفعل بضم اللام وأن فاعله واو محذوفة لالتقاء الساكنين وتوهم أن ضم اللام قراءة، وقد علمت أنه ليس كذلك وجل من لا يسهو اهـ شيخنا.

قوله: (منهم) حال أن حال كون الكافرين من جملة الناس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يعلمون﴾ (التوحيد) عبارة البيضاوي: لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فإن الجهل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب تكذيب المحق اهـ.

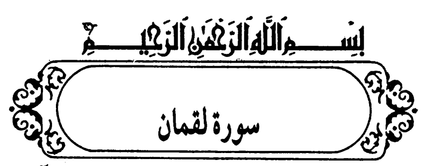
قوله: ﴿فاصبر﴾ الفاء فصيحة أي: إذا علمت حالهم وطبع الله على قلوبهم فاصبر الخ اهـ شهاب.

قوله: ﴿لا يوقنون﴾ (بالبعث) أي: لا يصدقون به. قوله: (والطيش) عطفه على الخفة مرادف وهو من باب باع يبيع اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الطيش الخفة وهو مصدر من باب باع اهـ.

قوله: (أي لا تتركنه) أي: الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم فإنهم ضالون شاكون لا يستغرب منهم ذلك اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: يقال: استخف فلان فلاناً إذا استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي اهـ.



مكية إلا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتان فمدنيتان وهي أربع وثلاثون آية

﴿الٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ ذي الحكمة والإضافة بمعنى من هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ وفي قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ هم الثاني تأكيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ الفائزون ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي ما يلهي منه عما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (إلاَّ ولو أن ما في الأرض) في نسخة أو إلاَّ ولو أن ما في الأرض الخ يشير إلى قولين، قيل: مكية كلها، وقيل: إلا الآيتين. وفي البيضاوي: وقيل: إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ [لقمان: ٢٧] الخ وهذا قول ثالث. قوله: (ذي الحكمة) زاد في الكشاف أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي قال: ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور، فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة وهو من حسن الصناعة اهـ كرخي.

قوله: (بمعنى من) أي: آيات من الكتاب أي: هي بعضه. قوله: (بالرفع) هذه قراءة حمزة على أنه خبر لمبتدأ محذوف كما قدره فهدى مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين كفتى، ورحمة مرفوع بضمة ظاهرة. وقوله: (وفي قراءة العامة) المراد بهم ما عدا حمزة من بقية السبعة، وقوله: (حالاً) منصوب على الحال أي: حالة كون كل منهما حالاً وفي نسخة حالان، وقوله: (العامل) مبتدأ، وقوله: (ما في تلك الخ) خبره اهـ شيخنا.

قوله: (بيان للمحسنين) أي: بيان لهم بأشهر أوصافهم.

قوله: ﴿وهم بالآخرة﴾ مبتدأ خبره يوقنون.

قوله: ﴿من يشتري﴾ من مفرد لفظاً جمع معنى وروعي لفظها أولاً في ثلاثة ضمائر يشتري ويضل ويتخذ وروعي معناها ثانياً في موضعين وهما أولئك لهم، رجع إلى مراعاة اللفظ في خمسة ضمائر

يعني ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب عطفاً على يضل وبالرفع عطفاً على يشتري ﴿هُزُوًا﴾ مهزوءاً بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝﴾ ذو إهانة ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾

وهي ﴿وإذا تتلى عليه﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهو الحديث﴾ اللهو مصدر لها يلهو، والمراد به هنا اسم الفاعل أي: ما يلهي ويشغل، والإضافة على معنى من ولذلك قال: أي ما يلهي أي: يشغل منه عما يعني أي: عما يعني الإنسان ويهمه من طاعة ربه اهـ شيخنا.

قوله: (أي ما يلهي منه) فيه ميل إلى ما ذكره الحسن من أن لهو الحديث كل ما يشغل عن عبادة الله وذكره من السمر والأضاحيك والخرافات والمغنيات والمزامير والمعازف، وفي كلام الشيخ المصنف إشارة إلى الإضافة بمعنى من أي: اللهو من الحديث، لأن اللهو يكون حديثاً وغيره فهو كثوب خز، وهذا أبلغ من حذف المضاف اهـ كرخي.

وقوله: (عما يعني) بفتح الياء التحتية أي: ينفع في الآخرة وهو استماع القرآن والعمل به اهـ.

قوله: (بفتح الياء) أي: ليستمر ويدوم ويثبت على الضلال وقوله: (وضمها) أي: ليضل غيره فهو ضال مضل وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

قال الزمخشري: فإن قلت: القراءة بالضم بينة لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه، فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: له معنيان، أحدهما: ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصد عنه ويزيد فيه، فإن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه. الثاني: أن يوضع ليضل موضع ليضل لما قيل إن من أصل كان ضلالاً لا محالة، فدل بالرديف على المردوف اهـ سمين.

قوله: ﴿بغير علم﴾ أي: علم بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن اهـ بيضاوي.

فاستفيد منه أن قوله: ﴿بغير علم﴾ متعلق بيشتري على أنه حال من فاعله، أي يشتري غير عالم بحال ما يشتريه الخ. وفي الكرخي: فإن قلت ما معنى قوله تعالى ﴿بغير علم﴾؟ قلت: لما جعله مشترياً لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق، ونحوه قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ [البقرة: ١٦] للتجارة أي: لصوابها اهـ كرخي.

قوله: ﴿ويتخذها﴾ أي: الآيات أو السبيل.

قوله: ﴿ولّى﴾ أي: أعرض، وقوله: ﴿مستكبراً﴾ حال. قوله: (والثانية بيان للأولى) عبارة السمين: قوله: ﴿كأن في أذنيه وقراً﴾ حال ثانية، أو بدل مما قبلها، أو حال من فاعل يسمعها، أو تبيين لما قبلها. وجوز الزمخشري أن تكون جملتا التشبيه استئنافيتين اهـ.

صمماً، وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولى، أو الثانية بيان للأولى ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ أعلمه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ۝﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقه حقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿الْحَكِيمُ ۝﴾ الذي لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَأَلْقَى فِي

قوله: (وهو) أي: من يشتري لهو الحديث النضر بن الحارث بن كلدة كان صديقاً لقريش اهـ شيخنا.

قوله: (كان يأتي الحيرة) بكسر الحاء مدينة بقرب الكوفة كما في المختار اهـ شيخنا.

قوله: (فيستملحون حديثه) أي: يعدونه مليحاً حسناً.

قوله: ﴿إن الذين آمنوا﴾ الخ بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى أثر بيان حال الكافرين بها اهـ أبو السعود.

قوله: (حال مقدرة) أي: المجرور باللام في لهم اهـ.

قوله: ﴿وعد الله حقاً﴾ قال السمين: وعد مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله: ﴿لهم جنات النعيم﴾ في معنى وعدهم الله ذلك، وحقاً مصدر مؤكد لغيره أي: لمضمون تلك الجملة الأولى وعاملهما مختلف، فتقدير الأولى وعد الله ذلك وعداً، وتقدير الثانية وحقه حقاً اهـ.

وعبارة الكرخي: قوله: (وعدهم الله ذلك وحقه حقاً) أشار إلى أن وعد الله حقاً مصدران مؤكدان، الأول: مؤكد لنفسه لأن معنى لهم جنات النعيم وعدهم الله بها فأكد معنى الوعد بالوعد، وحقاً دال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد وأكد جميعاً قوله: ﴿لهم جنات النعيم﴾ اهـ.

قوله: (أي وعدهم الله ذلك) أي: أن لهم جنات النعيم اهـ.

قوله: ﴿خلق السموات﴾ الخ استئناف مسوق للاستشهاد على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وتمهيد لقاعدة التوحيد وإبطال لأمر الإشراك وتبكيت لأهله، والعمد جمع عماد كأهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي: يسند، يقال: عمدت الحائط إذ دعمته اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: الدعامة بالكسر ما يسند به الحائط إذا مال يمنعه السقوط، ودعمت الحائط دعماً من باب نفع اهـ.

قوله: (أي العمد) قد جعل الضمير راجعاً للعمد، وعليه فجملة ترونها صفة لها. وقوله:

﴿ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً مرتفعة ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ صنف حسن ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي مخلوقه ﴿فَأَرُونِى﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره، وأروني معلق عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ بيِّن بإشراكهم وأنتم منهم

(الأسطوانة) بضم الهمزة وهي السارية وقوله: وهي أن النفي صادق الخ أي: وهذا هو المراد اهـ شيخنا.

والتقييد للعمدة المنفية بالرؤية فيه رمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى وهي عمد القدرة اهـ أبو السعود.

وقوله: (جمع عماد) أي كما في القاموس وجمع عمود أيضاً أي: كما فيه. وفي المختار: ونص الثاني العمود جمعه في القلة أعمدة، وجمع الكثرة عمد بفتحتين وعمد بضمتين اهـ.

وفي المصباح: وعمدت الحائط عمداً دعمته وأدعمته بالألف لغة، والعماد ما يسند به والجمع عمد بفتحتين اهـ.

قوله: ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ قال ابن عباس: هي الجبال الشامخات من أوتاد الأرض وهي سبعة عشر جبلاً منها قاف، وأبو قبيس، والجودي، ولبنان، وطور سينين، وطور سيناء أخرجه ابن جرير في المبهمات للسيوطي اهـ ابن لقيمة على البيضاوي.

وفي المختار: رسا الشيء ثبت وبابه عدا وسما، والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ واحدتها راسية اهـ.

قوله: ﴿وبث فيها﴾ أي: نشر وفرق من كل دابة. من: زائدة، وقوله: ﴿فأنبتنا فيها﴾ أي الأرض.

قوله: ﴿هذا﴾ أي: ما ذكر من السموات والأرض وما تعلق بهما من الأمور المعدودة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فأروني﴾ يحتاج لثلاثة مفاعيل الياء أولهما، وجملة الاستفهام سادة مسد الاثنين كما سيأتي اهـ شيخنا.

فقول الشارح معلق عن العمل أي: في الثاني والثالث، وهذا الإعراب غير ما تقدم للسمين غير مرة، وهو أن أرى إذا كانت بمعنى أخبر فإنها تتعدى لمفعولين الأول: مفرد صريح وهو هنا ضمير التكلم، والثاني: جملة استفهامية وهي هنا ماذا خلق تأمل. قوله: (وما استفهام إنكار) أي: وتوبيخ وتقريع. قوله: (معلق على العمل) أي: في لفظ جزأي هذه الجملة، ولكنه عامل في محلها النصب، فقوله: (وما بعده) هو جملة الاستفهام اهـ شيخنا.

قوله: (للانتقال) أي: من تبكيتهم وتقريعهم بما تقدم المستدعي للإعراض عن مخاطبتهم بالكلية

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا

إلى الإعلام ببطلان ما هم عليه اهـ أبو السعود.

قوله: (وأنتم) أي يا أهل مكة منهم أي من الظالمين.

قوله: ﴿ولقد آتينا لقمان﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك اهـ أبو السعود.

وهو اسم أعجمي فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وقيل: عربي وهو ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، والأول أظهر اهـ شيخنا.

قيل: هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر، فعلى هذا هو ابن أخي إبراهيم، وقيل: كان ابن أخت أيوب، وقيل: كان ابن خالته، وقيل: إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود، وقيل: كان قاضياً في بني إسرائيل. واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته، وعلى هذا تكون الحكمة هي النبوة، وقيل: خُيِّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة. وروي أنه كان نائماً في نصف النهار فنودي: يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض فتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم عليَّ فسمعاً وطاعة فإني أعلم أن الله تعالى إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني، فقالت الملائكة بصوت وهو لا يراهم: يا لقمان هل لك في الحكمة؟ قال: فإن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان إن عدل نجا وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة. فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نودي بها داود بعده فقبلها يعني الخلافة، ولم يشترط ما اشترط لقمان فهو في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه، وكان لقمان يؤازر داود لحكمته. وقيل: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً. وقيل: كان خياطاً. وقيل: كان راعي غنم، فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلاناً الراعي؟ قال: بلى. قال: فيم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني. وقيل: كان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين، وقيل: خيار السودان ثلاثة بلال بن رباح، ومهجع مولى عمر، ولقمان، والنجاشي رابعهم اهـ خازن.

قوله: (منها العلم والديانة الخ) عبارة الخازن: والحكمة العقل والفهم، وقيل: العمل به ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما. وقيل: الحكمة المعرفة والأمانة في الأمور، وقيل: الحكمة شيء يجعله الله في العقل ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر اهـ.

قوله: (وحكمه كثيرة) قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم اهـ خازن.

وقوله: مأثورة أي: منقولة. قوله: (قال في ذلك) أي في شأن ذلك أي في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا ألا أكتفي أي أستريح بترك الفتيا إذا كفيتها بقيام داود بها اهـ شيخنا.

كفيت؟ وقيل له: أي الناس شر؟ قال: قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً ﴿أَنِ﴾ أي وقلنا له أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ محمود في صنعه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ فرجع إليه وأسلم ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرنا أن يبرهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾

قوله: (أي وقلنا له الخ) وعلى هذا التقدير فالظاهر أن أن زائدة. وفي الكرخي: قوله: (أي وقلنا له الخ) أشار إلى أن أن هي المفسرة، لأن إيتاء الحكمة في معنى القول لأنه تعليم أو وحي اهـ.

والواو في كلامه زائدة، فلو قال أي: قلنا له اشكر كما قال غيره لكان أوضح، فمعنى وآتيناه الحكمة قلنا له اشكر لله. وفي القرطبي: أن أشكر لله فيه تقديران، أحدهما أن تكون أن بمعنى أي فتكون مفسرة أي: قلنا له اشكر، والقول الآخر: أنها في موضع نصب والفعل داخل في صلتها كما حكى سيبويه كتبت إليه أن أقم اهـ.

وفي البيضاوي: أن أشكر لله لأن اشكر أو أي اشكر، فإن إيتاء الحكمة في معنى القول اهـ.

قوله: ﴿من يشكر﴾ الخ مستأنف مقرر لمضمون ما قبله موجب لامتثال الأمر اهـ أبو السعود.

قوله: (محمود في صنعه) أي: حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد، أو محمود بالفعل من جميع المخلوقات بلسان الحال أو المقال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾ الخ بيان لتكميله لغيره بعد بيان كماله في نفسه، فإن اللائق بالإنسان أن يكمل أولاً في نفسه ثم يعتني بتكميل غيره اهـ خازن.

قال السهيلي: واسم ابنه ثاران في قول الطبري والعتبي، وقال الكلبي: اسمه مشكم، وقيل: أنعم حكاه النقاش. وذكر القشيري أن ابنه وامرأته كانا كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما، ودل على هذا قوله: ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وهو يعظه﴾ أي والحال. قوله: (تصغير إشفاق) أي: محبة. قوله: ﴿لظلم عظيم﴾ لأن التسوية بين من يستحق العبادة ومن لا يستحقها وضع لها في غير موضعها فهو ظلم عظيم اهـ خازن.

قوله: (فرجع إليه) أي إلى أبيه أي: إلى دينه وهو الإسلام، فقوله: (وأسلم) عطف تفسير وهذا مبني على أنه كان كافراً. وقيل: كان مسلماً ونهاه عن أن يقع منه إشراك في المستقبل اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: فرجع إليه أسلم ثم قال له: يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة. يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشهيك الدنيا. يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك. يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة. يا بني لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله. يا بني اتق الله ولا تر الناس إنك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر. يا بني ما ندمت على الصمت قط فإن الكلام إذا كان

. . . .

من فضة كان السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فإن الشر للشر خلق. يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي الأرض بوابل المطر، فإن من كذب ذهب ماء وجهه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم. يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك. يا بني لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزناً طويلاً. يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم. يا بني اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك وإن تك غبياً يعلموك وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم. يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن غبياً يزيدوك غباوة، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم. يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك. يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو. يا بني إني حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر. يا بني كن كمن لا يبتغي محمدة الناس ولا يكسب مذمتهم فنفسه منهم في غناء والناس منه في راحة. يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك. يا بني جالس الغلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء. يا بني لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم. يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك عند غضبه وإلاّ فاحذره. يا بني إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترتحل. يا بني عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لي فإن لله ساعات لا ترد. يا بني إياك والدين فإنه ذل النهار وهم الليل. يا بني ارج الله رجاء لا يجرئك على معصيته وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته. وإنما أكثرت من ذلك لعل الله ينفعني ومن طالعه بذلك، وسيأتي في كلام الله تعالى زيادة على ذلك. واقتصرت على هذا القدر، وإلاّ فمواعظه لابنه لو أراد شخص الإكثار منها لجعل منها مجلدات، فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال: وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة، ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل، فقال: يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطر فتفطر ابنه، فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر ويشفي ويمرض ويرفع من يشاء اهـ.

قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان مؤكد لما اشتملت عليه من النهي عن الشرك، وقوله: ﴿حملته أمه﴾ إلى قوله: ﴿في عامين﴾ اعتراض بين المفسر والمفسر، فإن قوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقهما خاصة اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم في العنكبوت وعليه جماعة المفسرين، وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فريضة على الأعيان وتلزم طاعتهما في المباحات اهـ.

أي ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ وقلنا له ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ أي المرجع ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ أي بالمعروف البر والصلة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾

قوله: (أمرناه أن يبرهما) في المصباح: والرجل يبر براً وزان علم يعلم علماً فهو بر بالفتح وبار أيضاً أي صادق أو تقي وهو خلاف الفاجر، وجمع الأول أبرار وجمع الثاني بررة مثل كافر وكفرة، وبررت والدي أبره براً وبروراً أحسنت الطاعة إليه ورفقت به وتحريت محابه وتوقيت مكارهه، وبر الحجة واليمين، والقول براً أيضاً، ويستعمل أيضاً متعدياً بنفسه في الحج وبالحرف في اليمين، والقول فيقال بر الله الحج يبره بروراً أي: قبله، وبررت في القول واليمين وأبر فيهما بروراً أيضاً إذا صدقت فيهما فأنا بر وبار. وفي لغة يتعدى بالهمز فيقال: أبر الله الحج وأبررت القول واليمين اهـ.

قوله: ﴿وهناً﴾ حال من أمه أي: ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي: تهن وهناً، وقوله: ﴿على وهن﴾ صفة للمصدر أي: كائناً على وهن أي: تضعف ضعفاً فوق ضعف فإنها لا يزال يتضاعف ضعفها اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: ﴿وهناً على وهن﴾ قال ابن عباس: شدة بعد شدة، وقيل: إن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة، وذلك لأن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف اهـ.

وفي المختار: الوهن الضعف، وقد وهن من باب وعد ووهنه غيره يتعدى ويلزم، ووهن بالكسر يهن وهناً لغة فيه وأوهنه غيره ووهنه توهيناً، والوهن والموهن نحو من نصف الليل، قال الأصمعي: هو حين يدبر الليل اهـ.

قوله: ﴿فصاله﴾ أي: ترك إرضاعه في عامين أي: في انقضائهما وفطامه ترك إرضاعه، وفيه دليل على أن مدة الإرضاع حولان اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ قال سفيان بن عيينة في هذه الآية: من صلّى الصلوات لخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا للوالدين في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين اهـ خازن.

وفي أن وجهان، أحدهما: أنها مفسرة. والثاني: أنها مصدرية في محل النصب بوصينا وهو قول الزجاج اهـ سمين.

قوله: (موافقة للواقع) أي: ذكر هذا القيد موافقة للواقع أي: فلا مفهوم له إذ ليس لله شريك يعلم لأنه مستحيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وصاحبهما في الدنيا﴾ أي: في أمورها التي لا تتعلق بالدين ما دمت حياً معروفاً ببرهما إن كانا على دين يقران عليه، ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما يقتضيه مكارم الأخلاق ومعالي الشيم اهـ خطيب.

قوله: (أي بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض، والأكثر على أنه صفة لمصدر محذوف أي صحاباً معروفاً اهـ كرخي.

طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ أي الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب

قوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ خطاب لسائر المكلفين أي: واتبع أيها المكلف دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي ﷺ وأصحابه، وقيل: من أناب إليَّ يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه. قال ابن عباس: وذلك أنه حينما أسلم أتاه عثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف وقالوا: صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا، ثم حملهم إلى النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء لهم سابقة الإسلام بإرشاد أبي بكر رضي الله عنه اهـ خازن.

قوله: ﴿ثم إليّ مرجعكم﴾ أي: أنت ووالداك ومن أناب إليَّ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ بأن أجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما بيضاوي.

قوله: (وجملة الوصية) وهي قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ الخ وما بعدها وهو قوله: ﴿وإن جاهداك الخ﴾ اعتراض أي: بين كلامي لقمان مع ابنه اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (وجملة الوصية وما بعدها) أي قوله: ﴿ووصينا﴾ إلى قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ اعتراض أي: بين قول لقمان: إن الشرك لظلم عظيم، وقوله: ﴿يا بني﴾ على سبيل الاستطراد تأكيداً لما قصه لقمان من النهي عن الشرك على أنه في هذا المعترض وقع الاعتراض بين الوصية ومفعولها، وهو أن اشكر بقوله ﴿حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين﴾ تخصيصاً للأمر بزيادة التأكيد في الوصية لما تكابده من المشاق وتذكيراً لعظيم حقها وإفرادها بالذكر اهـ.

وفي الخطيب: فإن قيل: وصى الله تعالى بالوالدين وذكر السبب في حق الأم مع أن الأب وجد منه أكثر من الأم، لأنه حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ. أجيب: بأن المشقة الحاصلة للأم أعظم فإن الأب حمله خفيفاً لكونه من جملة جسده، والأم حملته ثقيلاً آدمياً مودعاً فيها، وبعد وضعه وتربيته ليلاً ونهاراً وبينهما ما لا يخفى من المشقة اهـ.

قوله: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة﴾ الخ وذلك أن ابن لقمان قال: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟ فقال: يا بني إنها إن تك مثقال حبة من جنس الخردل فتكن أي: مع صغرها في صخرة. قال ابن عباس: هي صخرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها، وقيل: خلق الله الأرض على حوت وهو النون، والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، وقيل: على ظهر ثور وهو على الصخرة وهي التي ذكرها لقمان فليست في السماء ولا في الأرض اهـ خازن.

قوله: ﴿إن تك﴾ مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفاً اهـ شيخنا.

قوله: (من ذلك) أي: المذكور من الثلاثة، فالأخفى من الصخرة كأن تكون في صخرة تحت الأرضين لسبع، والأخفى من السموات كأن تكون في أعلاها، والأخفى من الأرض كأن تكون في أسفلها اهـ شيخنا.

عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ بمكانها ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة تصاعر ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي خيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ على الناس ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة

قوله: ﴿إن الله لطيف خبير﴾ معنى الآية أنه محيط علماً بالأشياء صغيرها وكبيرها، وقيل: إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمتها فمات اهـ خازن.

قوله: ﴿واصبر على ما أصابك﴾ أي: على الذي أصابك أي: في عبادتك وغيرها من الأمر بالمعروف وغيره سواء كان بواسطة العباد كأذيتهم أو لا كالمرض اهـ خطيب.

قوله: ﴿من عزم الأمور﴾ مصدر بمعنى المفعول كما أشار له بقوله: (أي: معزوماً). وفي البيضاوي: من عزم الأمور أي: مما عزمه الله من الأمور أي: قطعه قطع إيجاب مصدر أطلق للمفعول اهـ.

أي: حتمه على المكلفين ولم يرخص في تركه اهـ.

قوله: ﴿ولا تصعر خدك﴾ أي: لا تمله متعمداً إمالته بإمالة العنق متكلفاً لها صرفاً عن الحالة القاصرة. قال عبيدة: وأصل الصعر داء يصيب البعير يلوي عنقه، ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم أشار إلى المقصود بقوله للناس بلام العلة أي: لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم، وذلك لا يكون إلَّا تهاوناً بهم من الكبر، بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشراً منبسطاً من غير كبر ولا علو. وعن ابن عباس: لا تتكبر فتحقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، وقيل: هو الرجل يكون بينك وبينه الحسنة فيلقاك فتعرض عنه، وقيل: هو الذي إذا سلمت عليه لوى عنقه تكبراً، وقيل: معناه لا تحتقر الفقير بل يكون الفقير والغني عندك سواء اهـ خطيب.

وفي المصباح: الصعر ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشدقين، وربما كان الإنسان أصعر خلقة أو صعره غيره بشيء يصيبه وهو مصدر من باب تعب وصعر خده بالتثقيل وصاعره أماله عن الناس إعراضاً وتكبراً اهـ.

قوله: (وفي قراءة تصاعر) وهما بمعنى وكل منهما في خط المصحف الإمام بلا ألف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فخور﴾ (على الناس) أي: بنفسه يظن أن أسباغ النعم الدنيوية من محبة الله تعالى له وذلك من جهله فإن الله أسبغ نعمه على الكافر الجاحد، فينبغي للعارف أن لا يتكبر على عباده اهـ خطيب.

قوله: ﴿واقصد في مشيك﴾ في الحديث: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن»، والإسراع الوارد في مشيه ﷺ محمول على ما فوق البطء المفرط، والأول أخرجه ابن عدي وغيره من حديث أبي هريرة، والثاني أورده ابن الأثير عن عائشة رضي الله عنها اهـ كرخي.

والوقار ﴿وَاغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ أوله زفير،

قوله: (بين الدبيب) وهو ضعف المشي جداً يقال: دب يدب بالكسر دبيباً اهـ شيخنا.

وفي المصباح: دب الصغير يدب من باب ضرب دبيباً، ودب الجيش دبيباً أيضاً ساروا سيراً ليناً اهـ.

قوله: ﴿واغضـض من صوتك﴾ من تبعيضية، وعند الأخفش يجوز أن تكون مزيدة ويؤيده قوله: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم﴾ [الحجرات: ٣] وقيل: من صوتك صفة لموصوف محذوف أي: شيئاً من صوتك، وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت اهـ سمين.

قوله: ﴿إن أنكر الأصوات﴾ الخ تعليل للأمر بخفض الصوت على أبلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق إفراط في التنفير عن رفع الصوت اهـ أبو السعود.

وأنكر قيل: مبني من الفعل المبني للمفعول نحو أشغل من ذات النحيين وهو مختلف فيه اهـ سمين.

وفي الخطيب: فإن قيل: لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي؟ أجيب: بأن رفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوته، وربما يخرق الغشاء الذي في داخل الأذن، وأما سرعة المشي فلا تؤذي وإن آذت فلا تؤذي غير من في طريقه، والصوت يبلغ من على اليمين وعلى اليسار، ولأن المشي يؤذي آلة المشي، والصوت يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب، فإن الكلام ينقل من السمع إلى القلب ولا كذلك المشي، وأيضاً فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل وحسنه أحسن، لأن اللسان ترجمان القلب. ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكراً كما أن خفضه دونها تماوتاً وتكبراً، وكان قد أشار إلى النهي عن هذا بمن. فافهم أن الطرفين مذمومان، علل النهي عن الأول بقوله: ﴿إن أنكر﴾ أي أفظع وأشنع وأوحش الأصوات برفعها فوق الحاجة لصوت الحمير أي: هذا الجنس لما له من العلو المفرط من غير حاجة، فإن كل حيوان قد يفهم من صوته أنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير أو لغير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح وينهق بصوت أوله زفير وآخره شهيق وهما فعل أهل النار، وأفرد الصوت ليكون نصاً على إرادة الجنس لئلا يظن أن الاجتماع شرط في ذلك، وأما الرفع مع الحاجة فغير مذموم فإنه ليس بمستنكر ولا مستبشع. فإن قيل: كيف ينكر كونه أنكر الأصوات مع أن جر المنشار بالمبرد، ودق النحاس بالحديد أشد صوتاً؟ أجيب من وجهين، الأول: أن المراد أنكر أصوات الحيوانات صوت الحمير. قال موسى بن أعين: سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان: ٢٩] قال: صياح كل شيء تسبيح الله تعالى إلا الحمار. والثاني: أن الصوت الشديد لحاجة ومصلحة لا يستبشع ولا يتأذى به كصوت المنشار بخلاف الصوت الخالي عن الفائدة وهو صوت الحمار اهـ.

وفي القرطبي: لصوت الحمير اللام للتأكيد ووحد الصوت وإن كان مضافاً إلى الجماعة لأنه

وآخره شهيق ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾ هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ

مصدر، والمصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتاً فهو صائت، ويقال: صوت تصويتاً فهو مصوت رجل صات أي شديد الصوت بمعنى صائت اهـ.

وفي الخطيب ما نصه: وعن عبد الله بن دينار: أن لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات. قال: الحمد لله ملكت أمري قال: فما فعلت أمي؟ قال: ماتت قال: ذهب همي. قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت. قال: جدد فراشي. ما فعلت أختي؟ قال: ماتت. قال: سترت عورتي. قال: ما فعل أخي؟ قال: مات. قال: انقطع ظهري اهـ.

قوله: (أوله زفير) أي: صوت قوي، وآخره شهيق أي صوت ضعيف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم﴾ الخ رجوع إلى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين، وتوبيخ لهم على إصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد. والمراد بالتسخير إما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجماد والحيوان، أو لا يكون كذلك بل يكون سبباً لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشاً أو معاداً. وأما جعله منقاداً للأمر مذللاً على أن معنى لكم لأجلكم، فإن جميع ما في السموات وما في الأرض من الكائنات مسخر لله تعالى مستتبع لمنافع الخلق وما يستعمله الإنسان حسبما يشاء، وإن كان مسخراً له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله اهـ أبو السعود.

قوله: (يا مخاطبين) القياس يا مخاطبون بالواو لأن المنادى يبنى على ما يرفع به، وكأنه نظر إلى كونه ليس المقصود مخاطبين فهو نكرة غير مقصودة بخصوصها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ بالجمع وظاهرة حال وبالإفراد وظاهرة نعت سبعيتان اهـ شيخنا.

وفي السمين: قرأ نافع، وأبو عمرو نعمه مضافاً لهاء الضمير فظاهرة حال منها، والباقون نعمة بسكون العين وتنوين تاء التأنيث اسم جنس مراد به الجمع فظاهرة نعت لها. وقرأ ابن عباس، ويحيى وأصبغ بإبدال السين صاداً وهي لغة كلب يفعلون ذلك مع الغين والخاء والقاف كصفح وصقر اهـ.

وفي المصباح: وسبغت النعمة سبوغاً من باب قعد اتسعت، وأسبغها الله أفاضها وأتمها، وأسبغت الوضوء أتممته اهـ.

قوله: ﴿ظاهرة وباطنة﴾ قال النبي ﷺ لابن عباس وقد سأل عن هذه الآية: «الظاهرة الإسلام وما حسن من خلقك، والباطنة ما ستر عليك من سيىء عملك». قال سعيد بن جبير في قول الله عز وجل ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ [المائدة: ٦] قال: يدخلكم الجنة، وتمام نعمة الله عز وجل

﴿ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾﴾ أنزله الله بل بالتقليد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾ قال تعالى ﴿أَ﴾ يتبعـونه ﴿وَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ أي موجباته؟ لا ﴿ ۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي يقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ موحد ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف

على العبد أن يدخله الجنة، فكذا لما كان الإسلام يؤول أمره إلى الجنة سمي نعمة. وقيل: الظاهرة الصحة وكمال الخلق، والباطنة: المعرفة والعقل. وقال المحاسبي: الظاهرة نعمة الدنيا، والباطنة نعمة العقبى. وقيل: الظاهرة ما ترى بالإبصار من المال والجاه والجمال في الناس والتوفيق للطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من حسن العلم بالله وحسن اليقين وما يدفعه الله عن العبد من الآفات، وقد سرد الماوردي في هذا أقوالاً تسعة كلها ترجع إلى هذه اهـ قرطبي.

قوله: (وتسوية الأعضاء) أي: تناسبها بعضها مع بعض ككون اليدين متساويتين طولاً وغلظاً ولوناً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ الخ نزلت في النضر بن الحارث، وأبي بن خلف، وأمية بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله تعالى وفي صفاته بغير علم اهـ خازن.

قوله: ﴿في الله﴾ أي: في توحيده وصفاته بغير علم أي: مستفاد من دليل ولا هدى أي: من جهة رسول اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولا كتاب منير﴾ أي: نير واضح بخلاف الكتب المبدلة فإنها مظلمة لأن المتمسك بها مخطىء على شفا جرف هار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإذ قيل لهم﴾ أي: لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اهـ أبو السعود.

قوله: (أيتبعونه) فيه إشارة إلى هذا الشرط للحال، والتقدير: أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أي: في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب، فلا حاجة إلى أن جواب لو محذوف، واختار البيضاوي أن الواو للعطف ولا يلزم عطف الإنشاء على الأخبار، فإن الاستفهام للإنكار أي: لا ينبغي أن يكون حالهم كذلك، والأول أولى كما في الكشاف اهـ كرخي.

قوله: ﴿يدعوهم﴾ أي: يدعو آباءهم فالضمير لآبائهم لا لأنفسهم كما قيل، لأن مدار إنكار الأتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أبو السعود.

قوله: ﴿لا﴾ لا ينبغي ولا يليق هذا الاتباع. قوله: (أي يقبل على طاعته) مأخوذ من أسلمت المتاع إلى الزبون اهـ بيضاوي.

والزبون: بفتح الزاي المشتري من الزبن وهو الدفع اهـ شهاب. لأنه يدفع غيره عن أخذ المبيع.

وفي الكرخي: قوله: (أي: يقبل الخ) يريد أن الوجه بمعنى الذات، والمراد من إسلامه إسلام أموره اهـ.

قوله: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي: تعلق بأوثق ما يتعلق به هو تمثيل للمتوكل المشتغل

انقطاعه ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ مرجعها ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ أي بما فيها كغيره فمجاز عليه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وجوبه عليهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ المحمود في صنعه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ﴾ عطف على اسم أن ﴿يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ

بالطاعة بمن أراد أن يرتقي إلى شاهق جبل، فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلي منه اهـ بيضاوي.

قوله: (بالطرف الأوثق) وهو جانب الله سبحانه فإنه مرجو لكل عبد اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: بالطرف الأوثق الخ أي: الحبل الأوثق الموصل إلى الله بلا انفصام وهو تشبيه تمثيلي لذكر طرف التشبيه اهـ.

قوله: ﴿ومن كفر﴾ الخ تسلية للنبي ﷺ، وقوله: ﴿فلا يحزنك﴾ بفتح الياء وبضم الزاي وبضم الياء وكسر الزاي سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (أي بما فيها) أي: من الخواطر والمقاصد والنيات، وقوله: (فمجازي) أي فهو مجاز عليه.

قوله: ﴿ثم نضطرهم﴾ أي: نلجئهم ونردهم، وقوله: ﴿غليظ﴾ أي: يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ، أو يضم إلى الإحراق والتضييق اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ليقولن الله﴾ أي: لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به، وقوله: ﴿قل الحمد لله﴾ أي: على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ﴿قل الحمد لله﴾ على إلزامهم وإلجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم اهـ.

وعبارة القرطبي: ﴿قل الحمد لله﴾ أي: على ما هدانا من دينه وليس الحمد لغيره اهـ.

قوله: (وجوبه) أي: التوحيد عليهم. قوله: (فيهما) أي: السموات والأرض.

قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ أي: الذي في الأرض، وبيّنه بقوله ﴿من شجرة﴾ وتوحيد شجرة لأن المراد تفصيل الآحاد اهـ بيضاوي.

وقوله: (وتوحيد شجرة) أي: حيث قيل شجرة بتاء الوحدة دون شجر أو أشجار، لأن المراد تفصيل الشجر واستقصاؤه شجرة شجرة حتى لا يبقى واحدة من جنسها إلا وقد بريت أقلاماً، ولو لم يفرد لم يفد هذا المعنى إذ الجمع يتحقق بما فوق الثلاثة إلا أن تدخل عليه لام الاستغراق هكذا قرروه

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مداد ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ لا يخرج شيء من علمه وحكمته ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ خلقاً

وفيه بحث، فإن المفرد التفصيل بدون تكرار أو الاستغراق بدون نفي محل نظر لأنه إنما عهد ذلك في نحو: جاؤوني رجلاً رجلاً وما عندي تمرة اهـ شهاب.

قوله: ﴿والبحر﴾ أي: المحيط لأنه المتبادر من التعريف إذ هو الفرد الكامل اهـ شهاب.

قوله: (عطف على اسم أن) أي: وهو ما. والتقدير: ولو أن البحر يمد. وهذا على قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على موضع أن ومعمولها إذ هو مرفوع على الفاعلية بفعل مضمر أي: لو ثبت أو مبتدأ خبره يمده، والجملة حال أي: في حال كون البحر ممدوداً اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده﴾ الآية لما احتج على المشركين بما احتج بيَّن أن معاني كلامه سبحانه لا تنفد، وأنها لا نهاية لها. وقال القفال: لما ذكر أنه سخر لهم ما في السموات وما في الأرض، وأنه أسبغ النعم نبه على أن الأشجار لو كانت أقلاماً والبحار مداداً فتكتب بها عجائب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد تلك العجائب. قال القشيري: فرد معنى الكلمات إلى المقدورات وحمل الآية على الكلام القديم أولى، والمخلوق لا بد له من نهاية، وإذا نفيت النهاية فهو نفي للنهاية عما يقدر في المستقبل على إيجاده، فأما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على التحقيق. وقال أبو علي: المراد بالكلمات ما في الإمكان دون ما خرج منه إلى الوجود وهذا نحو ما قاله القفال، وإنما الغرض الإعلام بكثرة معاني كلمات الله وهي في نفسها غير متناهية، وإنما قرب الأمر إلى أفهام البشر من الكثرة لا أنها تنفد بأكثر من هذه الأقلام والبحور، وسياق نزول الآية يدل على أن المراد بالكلمات الكلام القديم. قال ابن عباس: إن سبب هذه الآية أن اليهود قالت: يا محمد كيف عنينا بهذا القول: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] ونحن قد أوتينا التوراة فيها كلام الله وأحكامه، وعندك أنها تبيان كل شيء؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «التوراة قليل من كثير»، ونزلت هذه الآية والآية مدنية. قوله: ﴿كلمات الله﴾ أي: كلامه القديم النفسي القائم بذاته تعالى، وقوله (المعبر بها عن معلوماته) يعني على سبيل الفرض، والتقدير: أي: لو كان يعبر به وإلاَّ فالتعبير به محال، لأن التعبير إنما يكون بالألفاظ المحدثة، وبعد هذا كله لا حاجة لقوله (المعبر بها الخ) لأن الكلام القديم في حد ذاته لا يتناهى ولا ينحصر فليتأمل اهـ.

قوله: (بكتبها) أي: بسبب كتبها، أي لو كتبت بتلك الأقلام بذلك المداد ما نفدت ولا تناهت الخ اهـ.

قوله: ﴿إلا كنفس واحدة﴾ أي: إلا كخلقها وبعثها، فقوله: (خلقاً وبعثاً لف ونشر مرتب). وفي القرطبي: قال الضحاك: المعنى ما ابتداء خلقكم جميعاً إلا كخلق نفس واحدة، وما بعثكم يوم القيامة إلا كبعث نفس واحدة: قال النحاس: وهكذا قدره النحويون يعني إلا كخلق نفس مثل: ﴿واسأل

وبعثاً، لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطباً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِىٓ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل

القرية﴾ [يوسف: ٨٢] وقال مجاهد: لأنه يقول للقليل والكثير ﴿كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] ونزلت الآية في أبي بن خلف وجماعة قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً، ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة، فأنزل الله عز وجل ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ لأن الله تعالى لا يصعب عليه ما يصعب على العباد وخلقه للعالم كخلقه لنفس واحدة اهـ.

قوله: (بما نقص) أي: بالجزء الذي نقص من الآخر.

قوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ عطف على يولج، والاختلاف بينهما في الصيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد في كل حين، وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه ولا تجدد، وإنما التعدد والتجدد في آثاره اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾ قاله هنا بلفظ إلى وفي فاطر والزمر بلفظ اللام، لأن ما هنا وقع بين آيتين دالتين على غاية ما ينتهي إليه الخلق وهما قوله: ﴿ما خلقكم﴾ الآية وقوله: ﴿اتقوا ربكم واخشوا يوماً﴾ [لقمان: ٣٣] الآية فناسب ذكر إلى الدالة على الانتهاء. وما في فاطر والزمر خالٍ عن ذلك، إذ ما في فاطر لم يذكر مع ابتداء خلق ولا انتهائه وما في الزمر ذكر مع ابتدائه فناسب ذكر اللام، والمعنى يجري كل كما ذكر لبلوغ أجل اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلك﴾ (المذكور) أشار إلى ما تلي من الآيات الكريمة، وهو مبتدأ خبره قوله ﴿بأن الله هو الحق﴾ أي بسبب أنه تعالى هو الحق الثابت ألوهيته، وقوله: ﴿وأن ما يدعون﴾ أي: ولأجل بطلان ألوهية ما يدعون من دونه اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: ذلك إشارة إلى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها اهـ.

وقوله: (بسبب أنه الثابت) الخ أشار إلى أن الحق الثابت المحقق، ومعنى ثباته وجوده، ومعنى كونه في ذاته أن ذلك ليس باستناده إلى شيء آخر فيكون واجب الوجود لذاته، فلذا فسره بقوله الواجب من جميع جهاته فهو عطف بيان له، والمراد بالجهات الوجوه أي: في ذاته وصفاته وغيرهما مما يليق بجنابه اهـ شهاب.

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾ العظيم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ ۝٣١﴾ لنعمته ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الدعاء بأن ينجيهم، أي لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ ۝٣٢﴾ لنعم الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي

قوله: ﴿ألم تر أن الفلك﴾ الخ استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول إنعامه اهـ أبو السعود.

والباء للصلة أو للحال اهـ بيضاوي.

وقوله: (للصلة) أي: للتعدية أو للسببية، وقوله: (أو للحال) أي: للملابسة والمصاحبة واقعة مع متعلقها حالاً أي: مصحوبة أي: بنعمته اهـ شهاب.

قوله: ﴿بنعمة الله﴾ أي: بإحسانه في تهيئة أسباب الجري. قوله: (عبراً) ﴿لكل صبار شكور﴾ فبعث نفسه في التفكر في عدم غرقه، وفي سيره إلى البلاد الشاسعة والأقطار البعيدة، وفي كون سيره ذهاباً وإياباً تارة بريحين وتارة بريح واحدة، وفي إنجاء أبيه نوح عليه السلام، ومن أراد الله تعالى من خلقه وإغراق غيرهم من جميع أهل الأرض وفي غير ذلك من شؤونه وأموره اهـ خطيب.

قوله: (أي على الكفار) أي: أحاط بهم اهـ.

قوله: (أي لا يدعون معه غيره) أي: لزوال ما ينازع الفطرة الإيمانية من الهوى ولتقليد بما دهاهم من الشدائد اهـ أبو السعود.

قوله: (غيره) كالأصنام. قوله: (متوسط بين الكفر والإيمان) أي: لانزجاره بعض الانزجار، ومنهم باق على كفره لأن بعضهم كان أشد قولاً وأعلى في الافتراء من بعض. قال الأصفهاني: فمنهم مقتصد أي: عدلٌ موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له، يعني: ثبت على إيمانه اهـ.

قال الرازي: المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات، والظالم لنفسه وهو الذي تساوت سيئاته وحسناته اهـ.

وما قاله الشيخ المصنف تبع فيه الكشاف وعبارته: فمنهم مقتصد متوسط في الظلم والكفر لأنه انزجر بعض الانزجار اهـ كرخي.

وفي الخازن: قيل: نزلت في عكرمة بن أبي جهل، وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد ﷺ ولأضعن يدي في يده فسكنت الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه، ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله: ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ الخ اهـ.

قوله: (غدار) أي: لأنه نقض العهد الفطري ورفض ما كان عليه في البحر وهذا في مقابلة صبار

أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه شيئاً ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ الشيطان ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى، ولا

كما أن كفور في مقابلة شكور اهـ شيخنا.

وفي القاموس: الختر الغدر والخديعة أو أقبح الغدر كالختور، والفعل كضرب ونصر وهو خاتر وختار وختير وختور اهـ.

قوله: ﴿لا يجزي والد عن ولده ولا مولود﴾ الخ كل من الجملتين نعت ليوماً، والعائد في كل منهما مقدر قدره الشارح بقوله (فيه) اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ومعنى الآية أن الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما أي: الوالد والولد، فنبه بالأعلى على الأدنى وبالأدنى على الأعلى، فالوالد يجزي عن ولده في الدنيا لكمال شفقته عليه، والولد يجزي عن والده لما له عليه من حق التربية وغيرها، فإذا كان يوم القيامة فكل إنسان يقول نفسي ولا يهتم بقريب ولا بعيد، وقال ابن عباس: كل امرىء تهمه نفسه اهـ.

قوله: ﴿ولا مولود﴾ مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبره، والجملة خبر مولود وجاز الابتداء به وهو نكرة لأنه في سياق النفي اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: ﴿ولا مولود﴾ جوزوا فيه وجهين، أحدهما: أنه مبتدأ وما بعده الخبر. والثاني: أنه معطوف على والد، وتكون الجملة صفة اهـ.

قوله: ﴿شيئاً﴾ تنازع فيه العاملان أن يجزي وجاز فأعمل الثاني وحذف من الأول، فلذلك قدره الشارح في الأول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ بأن يرجئكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿بالله﴾ أي: بسبب الله وفي الكلام حذف المضاف أي: بسبب حلم الله كما أشار له بقوله (في حلمه وإمهاله) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ نزلت لما قال الحارث بن عمرو للنبي ﷺ: متى الساعة؟ وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وامرأتي حامل فهل حملها ذكر أم أنثى؟ وأي شيء أعمله غداً؟ ولقد علمت بأي أرض ولدت فبأي أرض أموت؟ اهـ خازن بتصرف.

قوله: ﴿علم الساعة﴾ أي: علم وقت قيامها كما أشار له بقوله: (متى تقوم) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وينزل الغيث﴾ معطوف على عنده علم الساعة الواقع خبر إن، أي: وإن الله ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وقوله: (بوقت) أي: في وقت يعلمه أي: وفي مكان يعلمه اهـ شيخنا.

يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ ۝٣٤﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ إلىٰ آخر السورة.

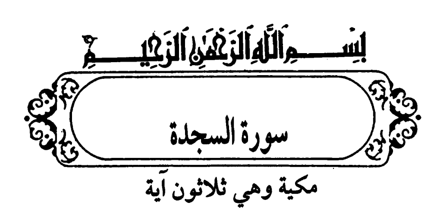
وهذا من حيث ظاهر التركيب وأما من حيث المعنى فهو معطوف على الساعة فيكون العلم مسلطاً أي: وعنده علم ينزل الغيث أي: علم وقت نزوله يشير لهذا التقدير قول الشارح بوقت أي: في وقت يعلمه ويشير إلى العطف المذكور، قوله: (ولا يعلم واحداً) من الثلاثة غير الله فهذا يقتضي أن كلاً من الثلاثة في حيز العلم، وأن العلم مسلط على ينزل تأمل. قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان. قوله: ﴿ماذا تكسب غداً﴾ يجوز أن تكون ما استفهامية فتعلق الدراية وأن تكون موصولة فتنصب بها اهـ سمين.

وقوله: (يجوز أن تكون) ما استفهامية وعلى هذا الاحتمال فتكون مبتدأ، وذا اسم موصول خبره، قوله: وأن تكون موصولة هذا الاحتمال لا يستقيم لأن ذا بعدما تمنع من ذلك إذ هي الأحق بأن تكون موصولة، فالأولى إبدال هذا الاحتمال باحتمال أن تكون ما مع ذا ركباً وجعلاً اسم استفهام، ويكون مفعولاً للفعل بعده أي ما تدري نفس تكسب غداً أي شيء، وجملة تكسب سادة مسد مفعول تدري وهي بمعنى العرفان فتنصب مفعولاً واحداً تأمل. قوله: ﴿بأي أرض﴾ متعلق بتموت وهو معلق للدراية، فالجملة في محل نصب، والباء ظرفية بمعنى أي في أي أرض نحو: زيد بمكة أي: فيها، فإن قيل: لم قال ذلك ولم يقل بأي وقت تموت مع أن كلاً منهما غير معلوم لغيره، بل نفي العلم بالزمان أولى لأن من الناس من يدعي علمه بخلاف المكان؟ فالجواب: أنه إنما خص المكان بنفي علمه، لأن الكون في مكان دون مكان في وسع الإنسان واختياره، فاعتقاده علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان، ولأن للمكان دون الزمان تأثيراً في جلب المصلحة والسقم وتأثيرهما فيه أكثر.

تنبيه

أضاف في الآية العلم إلى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة ونفي العلم عن العباد في الأخيرتين منها. مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفاء علم العباد بها، كما أشار إليه الشيخ المصنف في التقرير بقوله: (ويعلمه الله)، لأن الثلاثة الأولى أمرها أعظم وأفخم فخصت بالإضافة إليه تعالى، والأخيرتان من صفات العباد فخصتا بالإضافة إليهم مع أنه إذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علم ما عداهما من الخمسة أولى اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الله عليم﴾ (بكل شيء الخ) يشير إلى أن الله تعالى لما خصص أولاً علمه بالأشياء المذكورة بقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ الخ ذكر أن علمه غير مختص بها بل هو عليم مطلقاً بكل شيء وليس علمه بظواهر الأشياء فقط، بل هو خبير بظواهر الأشياء وبواطنها اهـ كرخي.



مكية وهي ثلاثون آية

﴿الٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة قاله الكلبي ومقاتل، وقال غيرهما، إلا خمس آيات من قوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة: ١٦] إلى ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ [السجدة: ٢٠] وفي الصحيح عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿آلم تنزيل الكتاب﴾ السجدة، و ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ [الإنسان: ١] الحديث. وخرَّج الدارمي أبو محمد في مسنده، عن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة، ﴿وتبارك الذي بيده الملك﴾ [الملك: ١]. قال الدارمي: وأخبرنا أبو المغيرة قال: حدثنا عبدة عن خالد بن معدان قال: اقرؤوا المنجية وهي ﴿ألم تنزيل﴾، فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي، فشفعه الرب فيه وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة اهـ قرطبي.

قوله: (ثلاثون آية) وقيل: تسع وعشرون بناء على الاختلاف في أن آخر الآية ﴿لفي خلق جديد﴾ أو هو كافرون، فعلى الأولى تكون ثلاثين وعلى الثاني تكون تسعاً وعشرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿تنزيل الكتاب﴾ فيه أوجه خمسة، أحدها: أنه خبر عن ﴿ألم﴾ لأن ألم يراد به السورة وبعض القرآن، وتنزيل بمعنى منزل والجملة من قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ حال من الكتاب، والعامل فيها تنزيل لأنه مصدر، ومن رب العالمين متعلق به أيضاً، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير فيه لوقوعه خبراً والعامل فيه الظرف أو الاستقرار. والثاني: أن يكون تنزيل مبتدأ، ولا ريب فيه خبره، ومن رب العالمين حال من الضمير في فيه، ولا يجوز حينئذ أن يتعلق بتنزيل لأن المصدر أخبر عنه فلا يعمل ومن يتسع في الجار لا يبالي بذلك. الثالث: أن يكون تنزيل مبتدأ أيضاً، ومن رب خبره، ولا ريب حال أو معترض. الرابع: أن يكون لا ريب ومن رب العالمين خبرين لتنزيل. الخامس: أن يكون تنزيل خبر مبتدأ مضمر، وكذلك لا ريب، وكذلك من رب فيكون كل جملة مستقلة برأسها ويجوز أن يكونا حالين من تنزيل، وأن يكون من رب وهو الحال ولا ريب معترض، وتقدم في أول البقرة ما يرشد لهذا، وإنما أعدته تطرئة اهـ سمين.

أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ خبر ثان ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد؟ لا ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّآ﴾ نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ بإنذارك ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وهو

قوله: ﴿أم يقولون﴾ أم مقطعة وهي عند البصريين تقدر ببل الإضرابية وهمزة الاستفهام الإنكاري، والشارح هنا قدرها ببل فقط، وقال بعده: لا إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم النساخ، وقوله: (لا) أي لا ينبغي ولا يليق منهم هذا القول اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل هو الحق﴾ إضراب ثان، ولو قيل: بأنه إضراب إبطال لنفس افتراه وحده لكان صواباً وعلى هذا يقال كل ما في القرآن إضراب فهو انتقال إلا هذا فإنه يجوز أن يكون إبطالاً لأنه إبطال لقولهم أي: ليس هو كما قالوا مفترى بل هو الحق اهـ سمين.

قوله: ﴿لتنذر قوماً﴾ ينصب مفعولين، والثاني محذوف قدره بقوله. وفي السمين: الظاهر أن المفعول الثاني للإنذار محذوف وقوماً هو الأول إذ التقدير لتنذر قوماً العقاب، وما أتاهم جملة منفية في محل نصب صفة لقوماً. يريد الذين في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وجعله الزمخشري كقوله: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ [يسٓ: ٦] فعلى هذا يكون من نذير هو فاعل أتاهم، ومن مزيدة فيه ومن قبلك صفة لنذير، ويجوز أن يتعلق من قبلك بأتاهم، وجوز الشيخ أن تكون ما موصولة في الموضعين، والتقدير لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك، ومن نذير متعلق بأتاهم أي: أتاهم على لسان نذير من قبلك وبواسطته، وكذلك ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ أي: العقاب الذي أنذره آباؤهم، فما مفعولة في الموضعين، وأنذر متعد إلى اثنين. قوله تعالى: ﴿فقل أنذرتكم صاعقة﴾ [فصلت: ١٣] وهذا القول جار على ظواهر القرآن. قوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ [فاطر: ٢٤] أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير. قلت: وهذا الذي قاله ظاهر اهـ.

وفي الخازن: المراد بالقوم العرب لأنهم كانوا أمة لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ، وقال ابن عباس: يعني أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام اهـ.

قوله: ﴿لعلهم يهتدون﴾ متعلق بقوله: ﴿لتنذر قوماً﴾، والترجي معتبر من جهته عليهم السلام، أي لتنذرهم راجياً لاهتدائهم أو لرجاء اهتدائهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في ستة أيام﴾ أي: على التوزيع كما يأتي في سورة فصلت فخلق الأرض أولاً في الأحد والاثنين، وخلق ما فيها ثانياً في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السموات ثالثاً في الخميس والجمعة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: قال الحسن: في ستة أيام أي: من أيام الدنيا، وقال ابن عباس: إن اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيها مقداره ألف سنة من سني الدنيا، وقال الضحاك: في ستة آلاف سنة أي: في مدة ستة أيام من أيام الآخرة، وليست ثم للترتيب وإنما هي بمعنى الواو اهـ.

في اللغة سرير الملك، استواء يليق به ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ اسم ما بزيادة من أي ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ هذا فتؤمنون ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ مدّة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ

قوله: (وهو في اللغة سرير الملك) والمراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله اهـ شيخنا.

قوله: (استواء يليق به) اختلف العلماء في هذه الآية ونظائرها على قولين، أحدهما: ترك التعرض إلى بيان المراد. والثاني: التعرض إليه، والأول أسلم كما جرى عليه الشيخ المصنف، لأن صفة الاستواء مما لا يجب العلم بها، فمن لم يتعرض إليه لم يترك واجباً ومن تعرض إليه فقد يخطىء فيعتقد خلاف ما هو عليه، فالأول غاية ما يلزمه أنه لا يعلم، والثاني يكاد يقع في أن يكون جاهلاً، وعدم العلم والجهل المركب كالسكوت والكذب، ولا شك أن السكوت خير من الكذب اهـ كرخي.

قوله: (اسم ما) فيه أن الترتيب مفقود هنا إلا أن يقال إنه جرى على رأي ضعيف لا يشترطه في عملها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يدبر الأمر﴾ أي: أمر الدنيا أي: شأنها وحالها والأمور التي تقع فيها، والمراد بتدبير أمرها القضاء السابق الذي هو الإرادة الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، وجعل القضاء مبتدأ من جانب السماء لكون القضاء منوطاً بأسباب سماوية منتهياً إلى الأرض لانتهاء آثار تلك الأسباب إلى الأرض، وعروج أمر الدنيا إليه تعالى مجاز عن ثبوته في علمه اهـ زاده.

فإلى متعلقة بيدبر لتضمنه معنى ينزل، ومن ابتدائية وإلى انتهائية اهـ.

وفي القرطبي: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض قال ابن عباس: ينزل القضاء والقدر، وقيل: ينزل الوحي مع جبريل. وروى عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين، فأما جبريل عليه السلام فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، وقد قيل: إن العرش موضع التدبير كما أن ما دون العرش موضع التفصيل. قال الله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ يدبر الأمر: يفصل الآيات وما دون السموات موضع التصريف. قال الله تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾ [الفرقان: ٥٠] اهـ.

قوله: (مدة الدنيا) وهي سبعة آلاف سنة كما ورد من عدة طرق، والنبي ﷺ بعث في الألف السادس، ودلت الآثار على أن مدة أمته ﷺ تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة اهـ من كتاب للسيوطي سماه الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف.

قوله: (يرجع الأمر والتدبير) أي: التصرف في المخلوقات بالحشر والحساب ووزن الأعمال والتعذيب والتنعيم وغير ذلك مما يقع في ذلك اليوم. قوله: ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة من سني العالم، وليس بيوم محدود الطرفين بين ليلتين، والعرب تعبر

﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ في الدنيا، وفي سورة سأل ﴿خمسين ألف سنة﴾، وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ بأهل طاعته ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام فعلاً

عن مدة العصر باليوم، وقوله هنا ﴿كان مقداره ألف سنة﴾ مشكل مع قوله تعالى في سورة سأل ﴿خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤] وقد تكلم العلماء في ذلك فقيل: إن يوم القيامة فيه أيام فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة، وقيل: هو أوقات مختلفة فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة، وقيل: مواقف القيامة خمسون موقفاً كل موقف ألف سنة، فمعنى يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة أي مقدار وقت أو موقف من يوم القيامة. وقال النحاس: اليوم في اللغة بمعنى الوقت، فالمعنى تعرج الملائكة والروح إليه في وقت كان مقداره ألف سنة، وفي وقت آخر كان مقداره خمسين ألف سنة اهـ من القرطبي.

قوله: (لشدة أهواله) أي: فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلك﴾ مبتدأ، وعالم: خبر أول، والعزيز خبر ثان، والرحيم ثالث، والذي أحسن الخ رابع اهـ شيخنا.

وفي السمين: العامة على رفع عالم، والعزيز والرحيم على أن يكون ذلك مبتدأ وعالم خبره والعزيز والرحيم خبر إن، أو نعتان أو العزيز الرحيم مبتدأ وصفته والذي أحسن خبره، أو العزيز الرحيم خبر مبتدأ مضمر، وقرأ زيد بن علي بجر الثلاثة وتخرجها على أشكالها أن يكون فلك إشارة إلى الأمر المدبر ويكون فاعلاً ليعرج والأوصاف الثلاثة بدل من الضمير في إليه كأنه قيل: ثم يعرج الأمر المدبر إليه عالم الغيب أي: إلى عالم الغيب، وأبو زيد برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على أن يكون ذلك عالم مبتدأ وخبراً، والعزيز الرحيم بدلان من الهاء في إليه أيضاً وتكون الجملة بينهما اعتراضاً اهـ.

قوله: ﴿الذي أحسن﴾ يجوز أن يكون تابعاً لما قبله في قراءتي الرفع والخفض، وأن يكون خبراً آخر، وأن يكون خبر مبتدأ مضمر، وأن يكون منصوباً على المدح اهـ سمين.

ومعنى أحسن أتقن وأحكم. قوله: (صفة) أي: للمضاف وهو كل، فتكون في محل نصب أو للمضاف إليه وهو شيء فتكون في محل جر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿خلقه﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو، وابن عامر بسكون اللام، والباقون بفتحها. فأما الأولى ففيها أوجه، أحدها: أن يكون خلقه بدلاً من كل شيء بدل اشتمال، والضمير عائد على كل شيء، وهذا هو المشهور المتداول. الثاني: أنه بدل كل من كل والضمير على هذا عائد على الباري تعالى، ومعنى أحسن حسن لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة، فالمخلوقات كلها حسنة. الثالث: أن يكون كل شيء مفعولاً أول، وخلقه مفعولاً ثانياً على أن يضمن

ماضياً صفة، وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ ۝٧﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ علقة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ ضعيف هو النطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي جعله حياً حساساً، بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي لذريته ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٩﴾ ما زائدة مؤكدة للقلة ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غبنا فيها، بأن صرنا تراباً مختلطاً بترابها ﴿أَءِنَّا

أحسن معنى أعطى وألهم. قال مجاهد: أعطي كل جنس شكله، والمعنى خلق كل شيء على شكله الذي خصه به. الرابع: أن يكون كل شيء مفعولاً ثانياً قدم، وخلقه مفعول أول أخر على أن يضمن أحسن معنى ألهم وعرف. قال الفراء: ألهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون إليه فيكون أعلمهم ذلك. وأما القراءة الثانية: فخلق فيها فعل ماض، والجملة صفة للمضاف أو المضاف إليه فتكون منصوبة المحل أو مجرورته اهـ.

قوله: (ذريته) سميت الذرية بالنسل لأنها تنسل منه أي: تنفصل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من ماء مهين﴾ أي: كما أن آدم من سلالة من طين فلا يخالف ما في سورة المؤمنون لأن المذكور هنا صفة ذرية آدم، والمذكور ثم صفة آدم اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم سواه﴾ أي: قومه بتصوير أعضائه على ما ينبغي اهـ بيضاوي.

وجعل الشارح هذا الضمير عائداً لآدم، وجعله غيره عائداً لنسله. وعبارة أبي السعود: ثم سواه أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي اهـ.

قوله: ﴿من روحه﴾ إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله اهـ خازن.

والمراد بروحه جبريل، وإلاّ فالله تعالى منزه عن الروح الذي يقوم الجسد وتكون به حياته كما أشار إليه في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿(أي لذريته) أي: المذكورين في قوله: ﴿ثم جعل نسله﴾، ففي الكلام التفات عن الغيبة إلى الخطاب اهـ شيخنا.

وفي زاده: ﴿وجعل لكم السمع﴾ فيه التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله: ﴿ثم جعل نسله الخ﴾ إلى الخطاب، ولم يخاطبهم قبل ذلك لأن الخطاب إنما يكون مع الحي، فلما قال: ونفخ فيه من روحه وخاطبه بعد ذلك وقال ﴿وجعل لكم﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿قليلاً﴾ معمول لتشكرون، والقلة بمعنى النفي كما ينبيء عنه بعده أي: شكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً تشكرون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقالوا أئذا ضللنا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات عن الخطاب إلى الغيبة إيذاناً بأن ما ذكر من عدم شكرهم لتلك النعم موجب للإعراض عنه وتعديد جناياتهم اهـ أبو السعود.

﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ استفهام إنكاري، بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين، قال تعالى ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ ﴿۞ قُلْ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ أحياء فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطئوها

قوله: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ تقدم اختلاف القراء في الاستفهامين في سورة الرعد، والعامل في إذا محذوف تقديره نبعث أو نخرج لدلالة خلق جديد عليه، ولا يعمل فيه خلق جديد لأن ما بعد إن والاستفهام لا يعمل فيما قبلهما، وجواب إذا محذوف إذا جعلتها شرطية. وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا مع قولهم ضل اللبن في الماء، وقيل: غيبنا. والمضارع من هذا يضل بكسر العين وهو كثير. وقرأ يحيى بن يعمر، وابن محيصن، وأبو رجاء بكسر اللام وهي لغة العالية، والمضارع من هذا يضل بالفتح. وقرأ علي وأبو حيوة ضللنا بضم الضاد وكسر اللام المشدد من ضلله بالتشديد اهـ سمين.

قوله: (في الموضعين) متعلق بقوله استفهام إنكار، وبقوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) الموضوعان هما ﴿أئذا ضللنا﴾ ﴿أئنا لفي خلق جديد﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل هم بلقاء ربهم كافرون﴾ إضراب انتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه، وكفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأهوال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ قال ذلك هنا وقال في الأنعام ﴿توفته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١] وفي الزمر ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: ٤٢] ولا منافاة لأن الله تعالى هو المتوفى حقيقة بخلق الموت وأمر الوسائط بنزع الروح وهم غير ملك الموت أعوان له ينزعونها من الأظافر إلى الحلقوم، فصحت الإضافات كلها، والتوفي استيفاء العدد ومعناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت كما أشار إليه في التقرير، ومعلوم أن التفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع مثل تقضيته واستقضيته وتعجلته واستعجلته قاله في الكشاف، وهو جواب ما يقال كيف فسرنا التوفي بالاستيفاء اهـ كرخي.

روي أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة، فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وقال ابن عباس: إن خطوته ما بين المشرق، والمغرب وقال مجاهد: جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء، وقيل: إنه على معراج بين السماء والأرض، وقيل: إن له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له: الآن ينزل بك عسكر الموت اهـ خازن.

قوله: ﴿ولو ترى إذ المجرمون﴾ الخ عبارة أبي السعود: ولو ترى إذ المجرمون وهم القائلون

حياء يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون،

﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ الآية، أو جنس المجرمين وهم من جملتهم ﴿ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترحوها في الدنيا. ربنا أي: يقولون ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ أي: صرنا ممن يبصر ويسمع، وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عمياً وصماً لا ندرك شيئاً، فارجعنا إلى الدنيا نعمل عملاً صالحاً حسبما تقتضيه تلك الآيات، وقوله تعالى: ﴿إنا موقنون﴾ دعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها، كما أن قبله ادعاء لصحة صفتي البصر والسمع كأنهم قالوا: وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلاً، وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة إظهاراً لثباتهم على الإيقاع، وكما رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعاً في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة، ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه، فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة وتخبرهم الملائكة بأن مصيرهم إلى النار لا محالة. فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة، وسمعنا أن مردنا إلى النار وهو الأنسب بما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا، وقد قيل: المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه، وقيل: وسمعنا قول الرسل أي: سمعنا سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لنرى مفعول إذ المعنى لو تكن منك رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما تنبىء عنه صلة إذ والمضي فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع، وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً لا يقادر قدره، والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان إذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستعظامها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة، بل كل من تتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها اهـ.

وفي السمين: وإذ على بابها من المضي لأن لو تصرف المضارع للمضي وإنما جيء به هنا ماضياً لتحقيق وقوعه نحو: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل: ١] وجعله أبو البقاء مما وقعت فيه إذ موقع إذا ولا حاجة إليه اهـ.

قوله: ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾ العامة على أنه اسم فاعل مضاف لمفعوله تخفيفاً، وزيد بن علي نكسوا فعلاً ماضياً رؤوسهم مفعول به اهـ سمين.

قوله: (مطأطئوها) أي: خافضوها. قوله: ﴿وسمعنا﴾ (منك تصديق الرسل) عبارة أبي السعود: وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه اهـ.

قوله: ﴿إنا موقنون﴾ (الآن) أي: إنا آمنا في الحال ويحتمل أن يكون المراد منه أنهم ينكرون الشرك كقولهم: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] اهـ كرخي.

وجواب لو رأيت أمراً فظيعاً، قال تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ من الكفر والتكذيب ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا

قوله: (وجواب لو لرأيت أمراً فظيعاً) أي: شنيعاً عجيباً، ويجوز أن تكون لو للتمني والمضي فيها وفي إذ، لأن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لنرى مفعول لأن المعنى لو تكون منك رؤية في هذا الوقت أو يقدر ما دل عليه صلة إذ اهـ بيضاوي.

وقوله: (والمضي فيها) أي: في لو على كونها شرطية لأنها حرف امتناع لامتناع فيما مضى، وقوله: (ما دل عليه) صلة إذ أي: ما أضيفت إليه لأنه بمنزلة الصفة المتممة لها للزومها للإضافة وهو المجرمون أو وقوفهم على النار اهـ شهاب.

قوله: ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي: وجب قضائي وثبت وعيدي، وقوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ قدم الجن لأن المقام مقام تحقير، ولأن الجهنميين منهم أكثر فيما قيل، ولا يلزم من قوله ﴿أجمعين﴾ دخول جميع الإنس والجن فيها، لأنها تفيد عموم الأنواع لا الأفراد، فالمعنى لأملانها من ذينك النوعين جميعاً كما ذكره بعض المحققين، ورد بأنه قصد ما ذكر كان المناسب التثنية دون الجمع بأن يقول كليهما، فالظاهر أنها لعموم الأفراد والتعريف فيهما للعهد، والمراد عصاتهما، ويؤيده قوله في آية أخرى خطاباً لإبليس: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص: ٨٥] فتأمل اهـ.

قوله: (أي بترككم الإيمان به) أي: فالمراد بالنسيان لازمه وهو الترك وقوله: ﴿وذوقوا عذاب الخلد﴾ تكرير هذا للتأكيد والتشديد ولتبيين المفعول المطوي للذوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد النسيان، بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا اهـ أبو السعود.

وقد يعبر بالذوق عما يطرأ على النفس وإن لم يكن مطعوماً لإحساسها به كإحساسها بذوق المطعوم. قال الجوهري: وذقت ما عند فلان أي: خبرته، وذقت القوس إذا جذبت وترها لتنظر ما شدتها، وأذاقه الله وبال أمره وتذوقته أي: ذقته شيئاً بعد شيء، وأمر مستذاق أي: مجرب معلوم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ الخ هذا تسلية للنبي ﷺ أي: أنهم لإلفهم الكفر لا يؤمنون بك، وإنما يؤمن بك وبالقرآن المتدبرون له المتعظون به، وهم الذين إذا قرىء عليهم القرآن خروا سجداً، قال ابن عباس: ركعاً، وقال المهدوي: وهذا على مذهب من يرى الركوع عند قراءة آية السجدة، واستدل بقوله عز وجل: ﴿وخر راكعاً وأناب﴾ [ص: ٢٤] وقيل: المراد به السجود المعروف وعليه أكثر العلماء أي: خروا سجداً لله على وجوههم تعظيماً لآياته وخوفاً من سطوته وعذابه، ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾

﴿ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ ﴾ متلبسين ﴿ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ أي قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ ترتفع ﴿ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتها بالليل تهجداً ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا ﴾ من عقابه ﴿ وَطَمَعًا ﴾ في رحمته ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يتصدقون ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ ﴾ خبىء ﴿ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ ما تقرُّ به

أي: خلطوا التسبيح بالحمد أي: نزهوه وحمدوه، فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده سبحان ربي الأعلى وبحمده أي: تنزيهاً له عن قول المشركين، وقال سفيان: ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أي: صلوا حمداً لربهم وهم لا يستكبرون كما استكبر أهل مكة عن السجود اهـ قرطبي.

قوله: (القرآن) يتأمل ما المراد به، فإن كان المراد به مطلق القرآن، وإن لم يكن فيه آية أشكل قوله خروا سجداً، فإن السجود لا يشرع لتلاوة القرآن إلا إذا كان فيه آية سجدة من آيات السجود المعروفة، وإن كان المراد به خصوص آيات السجدات أشكال قوله إذا ذكروا بها مع تفسير التذكير بالوعظ كما ذكروه، ووجه الإشكال أن أكثر آيات السجدات بل كلها ليس فيها وعظ أي: تخويف وتذكير بالعواقب، إذ هذا حقيقة الوعظ بل غالبها يرجع لمدح الساجدين تصريحاً وذم غيرهم تلويحاً كهذه الآية، وقد يكون بعكس ذلك أي: ذم غير الساجدين تصريحاً ومدح الساجدين تلويحاً كآية الانشقاق فليتأمل. فلم نر من المفسرين من بين هذا ولا من تعرض له.

قوله: ﴿تتجافى جنوبهم﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون حالاً، وكذلك يدعون. وإذا جعل يدعون حالاً احتمل أن يكون حالاً ثانية، وأن يكون حالاً من الضمير في جنوبهم لأن المضاف جزء، والتجافي الارتفاع وعبّر به عن ترك النوم خوفاً وطمعاً إما مفعول من أجله وإما حالان وإما مصدران لعامل مقدر اهـ سمين.

قوله: (بفرشها) الباء للمصاحبة أي: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ المفروشة للنوم، والتقييد بهذا لمزيد مدحهم لأن المضجع إذا كان مفروشاً كان النوم فيه ألذ والنفس إليه أميل، فإذا هجروه في تلك الحالة كان أمدح لهم، وقوله: (لصلاتهم﴾ متعلق بتتجافى أي: تتباعد عن المضاجع لأجل اشتغالهم بالصلاة. وفي الخازن: تتجافى جنوبهم ترتفع عن المضاجع جمع مضجع بفتح الجيم وهو الموضع الذي يضطجع فيه بفرش وهم المتهجدون بالليل الذين يقيمون الصلاة اهـ.

قوله: ﴿فلا تعلم نفس﴾ أي: لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمن عداهم اهـ أبو السعود.

والمراد لا تعلم نفس ما أخفي لهم علماً تفصيلياً وإلاّ فنحن نعلم ما أعد للمؤمنين من النعيم إجمالاً من حيث إنه غرف في الجنة وقصور وأشجار وأنهار وملابس ومآكل وغير ذلك اهـ.

قوله: (خبىء) ﴿لهم﴾ في المصباح: خبأت الشيء خبأ مهموز من باب نفع سترته ومنه الخابية وترك همزها تخفيفاً لكثرة الاستعمال، وربما همزت على الأصل، وخبأته حفظته والتشديد تكثير ومبالغة، والخبء بالفتح اسم لما خبىء اهـ.

قوله: ﴿من قرة أعين﴾ القرة بمعنى اسم الفاعل أي: ما يحصل به القرير أي: الفرح والسرور كما

أعينهم، وفي قراءة بسكون الياء مضارع ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨﴾ أي المؤمنون والفاسقون ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ

أشار له بقوله: (ما تقربه أعينهم) أي: فلا يلتفتون إلى غيره اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية بسكون الياء أي: التي في آخر الفعل، وقوله: (مضارع) أي: مضارع أخفى، فالهمزة للتكلم وهو مبني للفاعل مرفوع بضمة مقدرة على الياء الساكنة منع من ظهورها الثقل، وعلى القراءة الأولى يكون فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول مبنياً على فتح الياء اهـ شيخنا.

وما يجوز أن تكون موصولة أي: لا تعلم الذي أخفاه الله. وفي الحديث: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ويجوز أن تكون استفهامية معلقة لتعلم، فإن كانت متعدية لاثنين سدت مسدهما أو لواحد سدت مسده، وإذا كانت استفهامية فعلى قراءة من قرأ ما بعدها فعلاً ماضياً تكون في محل رفع بالابتداء والفعل بعدها الخبر، وعلى قراءة من قرأه مضارعاً تكون مفعولاً مقدماً، ومن قرة أعين حال مما اهـ سمين.

قوله: ﴿جزاء﴾ مفعول مطلق معمول لمحذوف أي: جوزوا جزاء، أو مفعولا لأجله معمول لأخفي أي: أخفي لهم لأجل جزائهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ الخ الهمزة داخلة على مقدر أي: أفبعد ما بينهما من التفاوت والتباين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه كالفاسق الذي ذكرت أحواله، والتصريح بقوله: ﴿لا يستوون﴾ مع إفادة الإنكار لنفي المساواة على أبلغ وجه، وآكده ليبني عليه التفصيل الآتي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كمن كان فاسقاً﴾ أي: كافراً، والمراد بالمؤمن مقابله ليشمل العاصي. وفي السمين: أنه ﷺ كان يتعمد الوقف على قوله ﴿فاسقاً﴾، ويبتدىء بقوله ﴿لا يستوون﴾ اهـ.

أي: في المآل والمستقر بدليل قوله: ﴿أما الذين آمنوا﴾ الخ. وفي الكرخي: لا يستوون أي: شرفاً ومثوبة، والضمير في يستوون لمن الواقعة على الفريقين وفيه مراعاة معناها بعد مراعاة لفظها، فلذلك قال الشارح: أي: المؤمنون والفاسقون اهـ شيخنا.

قوله: (أي المؤمنون) كعلي رضي الله عنه، والفاسقون كالوليد بن عقبة بن أبي معيط أخي عثمان لأمه، وذلك أنه كان بينهما تنازع، فقال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال علي: اسكت فإنك فاسق، فأنزل الله عز وجل: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾، والمراد به هنا الفسق الكامل بقرينة المقابلة للمؤمنين، وإلاَّ فالمؤمن قد يكون فاسقاً، ونظيره: ﴿أفتجعل المسلمين كالمجرمين أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ [الجاثية: ٢١] الآية، إذ ليس كل مجرم ومسيء كافراً، ولم يقل يستويان لأنه لم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً، بل أراد جنس المؤمنين والفاسقين اهـ كرخي.

قوله: ﴿أما الذين آمنوا﴾ الخ تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا اهـ أبو السعود.

﴿نُزُلًا﴾ هو ما يعدُّ للضيف ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ إلى الإيمان ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

قوله: ﴿نزلاً﴾ حال من جنات المأوى أي: حالة كونها مهيأة ومعدة لهم كما يعد ما يحصل به الإكرام للضيف اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما كانوا يعملون﴾ أي: بسبب أعمالهم، وليس المراد السبب الحقيقي حتى يخالف حديث لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله بل ما يفضي إلى الجنة بمقتضى وعد الله تعالى اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأما الذين فسقوا﴾ (بالكفر والتكذيب) هذا إشارة إلى حال الكافر واعلم أن العمل الصالح له مع الإيمان تأثير، فلذلك قال: آمنوا واعملوا الصالحات، وأما الكفر فلا التفات إلى الأعمال معه، فلهذا لم يقل: وأما الذين فسقوا وعملوا السيئات، لأنه المراد من قوله: ﴿فسقوا﴾ كفروا، ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل، لظن أن مجرد الكفر لا عقاب عليه اهـ كرخي.

قوله: (والتكذيب) أي: للرسل. قوله: ﴿كلما أرادوا﴾ الخ استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم. روي أنه تضربهم النار فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً، وكلمة في للدلالة على أنهم مستقرون فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقيل لهم﴾ معطوف على أعيدوا أي: تقول لهم الخزنة ذوقوا، أو يقول الله ﴿لهم ذوقوا الخ﴾، والذوق حسي ومعنوي اهـ قرطبي.

قوله: ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ صفة لعذاب، وجوز أبو البقاء أن يكون صفة للنار قال: وذكر على معنى الجحيم أو الحريق قال ذلك هنا، وقال في سبأ: ﴿التي كنتم بها تكذبون﴾ [سبأ: ٤٢] فذكر الوصف، والضمير هنا نظراً للمضاف وهو العذاب وأنثهما ثم نظراً للمضاف إليه وهو النار، وخص ما هنا بالتذكير لأن النار وقعت موقع ضميرها لتقدم ذكره، والضمير لا يوصف فناسب التذكير، وفي سبأ لم يتقدم ذكر النار ولا ضميرها فناسب التأنيث اهـ كرخي.

قوله: (بالقتل والأسر الخ) عبارة الخطيب: من العذاب الأدنى أي عذاب الدنيا: قال الحسن: هو مصائب الدنيا وأسقامها، وقال عكرمة: هو الجوع بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب، وقال ابن مسعود: هو القتل بالسيف يوم بدر اهـ.

قوله: (أي من بقي منهم) أي: بعد القحط وبعد يوم بدر اهـ خازن.

قوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾ (إلى الإيمان) أي: فلا يقعوا في الأكبر، فإن قيل: ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى محال؟ فالجواب فيه وجهان، أحدهما: معناه لنذيقنهم إذاقة الراجين، كقوله: ﴿إنا نسيناكم﴾ [السجدة: ١٤] يعني تركناكم كما يترك الناس حيث لا يلتفت إليه أصلاً فكذلك

ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقد التقيا

ههنا. والثاني: نذيقهم العذاب إذاقة يقول القائل: إذا رآهم لعلهم يرجعون بسببه اهـ كرخي.

قوله: ﴿ومن أظلم﴾ الخ بيان إجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالإعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح، وكلمة ثم لاستبعاد الإعراض عنها عقلاً مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين اهـ أبو السعود.

قوله: (أي لا أحد أظلم منه) أي: فالاستفهام إنكاري. قوله: (أي المشركين) أي: كل من اتفق منه إجرام وإن هانت جريمته، فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرماً من كل مجرم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ إنما ذكر موسى لقربه من النبي ﷺ ووجود من كان على دينه إلزاماً لهم، وإنما لم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال، لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته، وأما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالمجمع عليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿من لقائه﴾ في الهاء أقوال، أحدها: أنها عائدة على موسى، والمصدر مضاف لمفعوله أي: من لقائك موسى ليلة الإسراء. الثاني: أن الضمير يعود على الكتاب، وحينئذ يجوز أن تكون الإضافة للفاعل أي: من لقاء الكتاب لموسى، أو المفعول أي: من لقاء موسى الكتاب، لأن اللقاء يصح نسبته إلى كل منهما. الثالث: أنه يعود على الكتاب على حذف مضاف أي: من لقاء مثل كتاب موسى. الرابع: أنه عائد على ملك الموت عليه السلام لتقدم ذكره. الخامس: أنه عائد على الرجوع المفهوم من قوله: ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ [السجدة: ١١] أي: لا تكن في مرية وشك من لقاء الرجوع. السادس: أنه يعود على ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من البلاء والامتحان قاله الحسن، أي: لا بد أن تلقى ما لقي موسى من قومه، وهذه أقوال بعيدة ذكرتها للتنبيه على ضعفها وأظهرها أن الضمير إما لموسى وإما للكتاب أي: لا ترتب في أن موسى لقي الكتاب وأنزل عليه اهـ سمين.

وفي القرطبي: أي: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى قاله ابن عباس، ولقد لقيه ليلة الإسراء. وقال قتادة: المعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها، وقيل: فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول قاله مجاهد والزجاج. وعن الحسن أنه قال في معناه: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ فأوذي وكذب، فلا تكن في شك من أنه سيلقاك مثل ما لقيه من التكذيب والأذى، فالهاء عائدة على محذوف، والمعنى من لقاء مثل ما لاقى. قال النحاس: وهذا قول غريب إلا أنه من رواية عمرو بن عبد، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه﴾ [السجدة: ١١] فجاء معترضاً بين: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ [البقرة: ٨٧] وبين ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ [الإسراء: ٢] اهـ.

قوله: (وقد التقيا ليلة الإسراء) أشار به إلى أن المصدر مضاف لمفعوله أي: من لقائك موسى

ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من أمر الدين ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا

أي: التقيا في الأرض عند الكثيب الأحمر وفي السماء السادسة. روى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ قال: «أتيت على موسى ليلة المعراج على الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره» فإن قلت: قد صح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة، فكيف الجمع بين هذين الحديثين؟ قلت: يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر كانت قبل صعوده إلى السماء، ثم صعد إلى السماء السادسة فوجده هناك قد سبقه لما يريده الله وهو على كل شيء قدير اهـ خازن.

قوله: ﴿أئمة﴾ وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل، وقيل: هم أتباع الأنبياء اهـ خازن.

قوله: (وإبدال الثانية ياء) هذا الوجه جائز عربية لا قراءة، ففي كلام الشارح الناس وفي شرح العقائد أصله أأممة لأنها جمع إمام، ولكن لما اجتمع المثلان وهما الميمان أدغمت الأولى في الثانية ونقلت حركتها على الهمز، فصار أئمة بهمزتين فأبدل من الهمزة المكسورة ياء كراهة اجتماع الهمزتين اهـ.

وقوله: (قادة) جمع قائد مثل سيد وسادة اهـ.

قوله: ﴿بأمرنا﴾ أي: بأمرنا إياهم بذلك أو بتوفيقنا لهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لما صبروا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم في قراءة الجمهور على أن لما هنا هي التي فيها معنى الجزاء، وهي ظرف بمعنى حين أي: جعلناهم أئمة حين صبروا نحو: أحسنت إليك لما جئتني، والضمير للأئمة، وجوابها محذوف دل عليه: وجعلنا منهم أو هو نفسه هو الجواب، والتقدير: ولما صبروا جعلنا منهم أئمة، وفي قراءة لحمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم على جعل اللام جارة تعليلية، وما مصدرية، والجار متعلق بالجعل أي: جعلناهم كذلك لصبرهم وإيقانهم اهـ كرخي بزيادة.

قوله: ﴿وكانوا﴾ معطوف على صبروا وقوله: ﴿بآياتنا﴾ أي: التي في تضاعيف الكتاب لإمعانهم النظر فيها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يفصل بينهم﴾ أي: بين الأنبياء وأممهم، وقيل: بين المؤمنين والمشركين اهـ شيخنا.

قوله: (من أمر الدين) بيان لما.

قوله: ﴿أولم يهد لهم﴾ الهمز للإنكار، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أغفلوا ولم يتبين لهم، والفاعل مأخوذ من قوله: ﴿أهلكنا﴾، والمفعول مأخوذ من كم فقوله: (إهلاكنا) إشارة للفاعل، وقوله: (كثيراً) إشارة لكم التي هي المفعول ومن في قوله: ﴿من القرون﴾ بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون اهـ شيخنا.

كثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب

قوله: ﴿يمشون في مساكنهم﴾ جملة مستأنفة بيان لوجه هدايتهم، أو حال من ضمير لهم، أو من القرون اهـ شهاب.

وعبارة أبي السعود: ﴿يمشون﴾ أي: يمرون في أسفارهم إلى التجارة على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم، وقوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي: فيما ذكر من كثرة إهلاكنا الأمم الخالية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلى الأرض الجرز﴾ أي: التي جرز نباتها أي: قطع وأزيل بالمرة، وقيل: هو اسم موضع باليمن اهـ شيخنا.

وفي المختار: أرض جرز وجرز كعسر وعسر لا نبات بها وجرز وجرز كنهر ونهر كله بمعنى اهـ.

وفي المصباح: الجرزة القبضة من القت ونحوه أو الحزمة والجمع جرز مثل غرفة وغرف، وأرض جرز بضمتين قد انقطع الماء عنها فهي يابسة لا نبات فيها اهـ.

قوله: ﴿تأكل منه﴾ أي: من ذلك الزرع أنعامهم كالتبن والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وأنفسهم كالحبوب التي يعتادها الإنسان والثمار اهـ أبو السعود.

وقدم الأنعام لأن انتفاعها مقصور على النبات، ولأن أكلها منه مقدم لأنها تأكله قبل أن يثمر ويخرج سنبله، وجعلت الفاصلة يبصرون لأن الزرع مرئي وفيما قبله يسمعون لأن ما قبله مسموع، أو ترقياً إلى الأعلى في الاتعاظ مبالغة في التذكير ودفع العذر اهـ شهاب.

قوله: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ الخ كان المسلمون يقولون: إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء: ﴿متى هذا الفتح﴾ أي: النصر والفصل بالحكم اهـ أبو السعود.

وعبارة زاده: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾. الفتح إما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل، وإما نصر المؤمنين وإظهارهم على الكفار، لأن المؤمنين كانوا يقولون: يبعث الله الخلائق أجمعين ويحكم بين المطيع والعاصي فيثيب المطيع ويعاقب العاصي، فيقولون: متى هذا الفتح والحكم. وكذا كان المؤمنون يقولون: إن الله ينصرنا عليكم اهـ.

قوله: ﴿قل يوم الفتح﴾ المراد به يوم القيامة الذي هو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس مما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً

بهم ﴿ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ ﴾ أنزل العذاب بهم ﴿ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

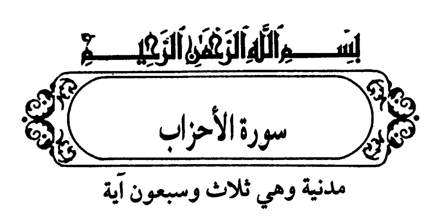
بيناً، وإنما المحتاج إلى البيان عدم نفع إيمانهم في ذلك اليوم، كأنه قيل: لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنتظروا اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: ومناسبة الجواب لسؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم، فإنهم لما أرادوا الاستعجال تكذيباً واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال اهـ.

قوله: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ إن عم غير المستهزئين فهو تعميم بعد تخصيص، وإن خص بهم فهو إظهار في مقام الإضمار تسجيلاً عليهم بالكفر وبياناً، لعلة عدم النفع وعدم إمهالهم اهـ شهاب.

وعبارة زاده: قوله: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ هذا ظاهر على تقدير أن يراد بيوم الفتح يوم القيامة، لأن الإيمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها ولا هم ينظرون أي: يمهلون بالإعادة إلى الدنيا ليؤمنوا، ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر أو يوم فتح مكة قال: معناه ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ إذا جاءهم العذاب وقتلوا، لأن إيمانهم حال القتل إيمان اضطرار، ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: يمهلون بتأخير العذاب عنهم، ولما فتحت مكة هربت قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فأظهروا الإسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم، فلذلك قوله تعالى: ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ اهـ.

قوله: (أو معذرة) أي: اعتذار. قوله: (وهذا) أي قوله: ﴿فأعرض عنهم﴾ قبل الأمر الخ أي: فهو منسوخ بآية السيف اهـ شيخنا.



مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ دم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله: (مدنية) أي: في قول جميعهم نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ وطعنهم في مناكحته وغيرها، وهي ثلاث وسبعون آية. وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم. ذكره أبو بكر بن الأنباري، عن أبي بن كعب، وهذا يحمله أهل العلم على أن الله تعالى رفع أي: نسخ من سورة الأحزاب إليه ما يزيد على ما في أيدينا مما هي عليه الآن، وأن آية الرجم نسخ لفظها وبقي حكمها. وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن فمن تأليف الملاحدة والروافض اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يا أيها النبي﴾ لم يقل في ندائه يا محمد كما قال في نداء غيره يا موسى يا عيسى يا داود بل عدل إلى يا أيها النبي إجلالاً له وتعظيماً، كما قال: يا أيها الرسول، وإن عدل عن وصفه إلى اسمه في الإخبار عنه في قوله: ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله: ﴿وما محمد إلا رسول﴾ [آل عمران: ١٤٤] ليعلم الناس أنه رسول الله ليلقبوه بذلك ويدعوه به اهـ كرخي.

قوله: (دم على تقواه) أي: فالمراد بالتقوى المأمور بها الثبات عليها والازدياد منها، فإن لها باباً واسعاً وعرضاً عريضاً لا ينال مداه اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: (دم على تقواه) جواب عما يقال: ما الفائدة في الأمر لمن هو مشتغل بشيء بالاشتغال بذلك الشيء فإنه لا يقال للجالس مثلاً اجلس، وفيه إشارة إلى ما روي أن أهل مكة طلبوا من النبي ﷺ أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم، ويزوجه شيبة بن ربيعة ابنته، وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه إن لم يرجع فنزلت اهـ.

وفي الخازن: نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي، وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن

﴿كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا ۝١﴾ فيما يخلقه ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ وفي قراءة بالفوقانية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ حافظاً لك، وأمته تبع له في ذلك كله ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ رداً على من قال من الكفار: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في

أبيرق فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم، فقال: «إني أعطيتهم الأمان»، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي ﷺ عمر أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ اهـ.

قوله: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾ هذه الجملة تعليل للأمر والنهي مؤكدة لمضمون وجوب الامتثال اهـ أبو السعود: والواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتية أي: أن الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك اهـ بيضاوي.

وقوله: (وفي قراءة) أي سبعية.

قوله: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ بالله في موضع رفع لأنه فاعل كفى، ووكيلاً نصب على البيان أو الحال اهـ كرخي.

قوله: (تبع له في ذلك) أي: ما ذكر من قوله: ﴿اتق الله﴾ إلى هنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من قلبين﴾ من زائدة في المفعول وقوله: ﴿في جوفه﴾ أي: لأنه معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الإنساني ومنبع القوى بأسرها فيمتنع تعدده لأنه يؤدي إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل لها اهـ كرخي.

قوله: (رداً على من قال من الكفار الخ) تعليل لمحذوف أي: نزل رداً على من قال من الكفار الخ. فنزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري كان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين وكان هو يقول: لي قلبان أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا. فقال: ما بال إحدى نعليك في يديك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده اهـ خازن.

قوله: ﴿تظهرون﴾ بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء والهاء دون ألف، والأصل تتظهرون بتاءين فسكنت التاء الثانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء، فهذه قراءة واحدة، وقوله: (وبها) أي: بالألف بعد الظاء إما مع فتح التاء وفتح الهاء وتشديد الظاء مضارع تظاهر، والأصل تتظاهرون بتاءين فسكنت التاء الثانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء، وإما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء والأصل أيضاً بتاءين

الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ بقول الواحد مثلاً لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ أي كالأمهات في تحريمها بذلك، لعد ذلك في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ﴾ جمع دعيّ وهو من يدعى لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾

حذفت إحداهما، وأما بضم التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء مضارع ظاهر، فالحاصل أن فيها أربع قراءات واحدة بلا ألف وثلاثة مع الألف كما يؤخذ من السمين ومتن الشاطبية، وفي الماضي ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كتقاتل وظاهر كقاتل. وهذا القراءات الأربعة واردة في الموضعين بقدر سمع، إلا واحدة من هذه الأربع وهي فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وعدم تأتيها هناك لعدم اجتماع تاءين، لأن المضارع هناك مبدوء بالياء، وقوله: (والتاء الثانية) أي على قراءتين من الأربع وهما تشديد الظاء بدون ألف ومع الألف، والقراءتان الباقيتان ليس فيهما تاء ثانية حتى تدغم في الظاء تأمل اهـ شيخنا.

وفي السمين: وأخذ هذه الأفعال من لفظ الظهر كأخذ لبى من التلبية، وإنما عدى بمن لأنه ضمن معنى التباعد كأنه قيل متباعدين من نسائهم بسبب الظاهر كما تقدم في تعدية الإيلاء بمن في البقرة اهـ.

قوله: (مثلاً) متعلق بما بعده أي: أو يقول صيغة أخرى، كأنت عليَّ كأختي أو كبنتي أو غير ذلك، وضابطه أن يشبه زوجته بأنثى محرم له اهـ.

قوله: ﴿أمهاتكم﴾ مفعول ثان لجعل. قوله: (بشرطه) وهو العود كما ذكر في سورة المجادلة بقوله: ﴿والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ [المجادلة: ٣] أي: فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها زمن يمكنه أن يفارقها فيه ولا يفارقها، لأن مقصود المظاهر وصف المرأة بالتحريم وإمساكها بخالفه اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ أجمع أهل التفسير على أن هذا القول أنزل في زيد بن حارثة. روى الأئمة عن ابن عمر قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله، وكان زيد فيما روي عن أنس بن مالك وغيره مسبياً من الشام بستة خيل من تهامة، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة، ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي ﷺ: «خيراه فإن اختاركما فهو لكما دون فداء» فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: «يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه» وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا اهـ قرطبي.

قوله: (جمع دعي) بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول وأصله دعيو فأدغم ولكن جمعه على أدعياء غير مقيس لأن أفعلاء إنما يكون جمعاً لفعيل المعتل اللام إذا كان بمعنى فاعل نحو: تقي وأتقياء وغني وأغنياء، وهذا وإن كان فعيلاً معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول، فكان القياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى، ونظير هذا في الشذوذ قولهم: أسير وأسارى والقياس أسرى، وقد سمع في الأصل اهـ سمين.

حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝٤﴾ سبيل الحق لكن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ بنو عمكم

قوله: ﴿ذلكم قولكم﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿بأفواهكم﴾ أي: فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة في الخارج اهـ أبو السعود.

والإشارة إلى ما ذكر من الأمور الثلاثة أو إلى الأخير منها فقط وهو المتبادر من صنيع الشارح ومن السياق لقوله فيما يأتي: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ذلكم إشارة إلى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو إلى الأخير الذي هو المقصود من مساق الكلام أي: دعاؤكم بقولكم: هذا ابني قولكم الخ اهـ.

قوله: (أي اليهود) تفسير للكاف في أفواهكم اهـ.

قوله: (قالوا لما تزوج الخ) أعيد تأكيداً فهم مما قبله اهـ.

قوله: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ الخ نزلت في زيد بن حارثة على ما تقدم بيانه، وفي قول ابن عمر: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد دليل على أن التبني كان معمولاً في الجاهلية والإسلام يتوارث به ويتناصر، إلى أن نسخ الله بقوله: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ أعدل، فرفع الله حكم التبني ومنع من إطلاق لفظه وأرشد بقوله: ﴿أقسط﴾ إلى الأولى والأعدل أن ينسب الرجل إلى أبيه نسباً. وقال النحاس: هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنّة بالقرآن، فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف، فإن لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولائه، فإن لم يكن له ولاء معروف قيل يا أخي يعني في الدين، قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] فلو نسبه إنسان إلى أبيه من التبني فإن كان على جهة الخطأ وهو أن يسبق لسانه إلى ذلك من غير قصد فلا إثم ولا مؤاخذة لقوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به﴾ وكذلك لو دعوت رجلاً لغير أبيه وأنت ترى أنه أبوه ليس عليك بأس قاله قتادة بخلاف الحال في زيد بن حارثة، فإنه لا يجوز أن يقال فيه زيد بن محمد، فإن قاله متعمداً عصى لقوله، ﴿ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ أي: فعليكم الجناح، ولذلك قال بعده: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي: غفوراً للعمد رحيماً برفع إثم الخطأ اهـ قرطبي.

قوله: ﴿هو﴾ أي: دعاؤهم لآبائهم، فالضمير لمصدر ادعوهم كما في قوله: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: ٨] وأقسط: أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل أي: الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فإن لم تعلموا آباءهم﴾ أي: حتى تنسبوهم لهم، وقوله: ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين أي: فادعوهم بمادة الأخوة كأن تقول له يا أخي، وقوله: (بنو عمكم) تفسير للموالي، فإن الموالي يطلق على معان من جملتها ابن العم أي: فإذا لم تعرفوا أبا شخص تنسبونه إليه

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه وهو بعد النهي ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا ۝﴾ بكم في ذلك ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ

وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمي اهـ شيخنا.

قوله: (في ذلك) أي في دعائهم لغير آبائهم حقيقة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولكن ما تعمدت﴾ يجوز في ما وجهان، أحدهما: أنها مجرورة المحل عطفاً على ما قبلها المجرور بفي والتقدير: ولكن الجناح فيما تعمدت. والثاني: أنها مرفوعة المحل بالابتداء والخبر محذوف تقديره تؤاخذون به، أو عليكم فيه الجناح ونحوه اهـ سمين.

قوله: ﴿أولى بالمؤمنين﴾ أي: أرأف وأشفق فيما دعاهم إليه من أمر الدين والدنيا، فإن نفوسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم، وهو يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم، والمعنى: أن طاعتهم للنبي أولى من طاعتهم لأنفسهم اهـ شيخنا.

وقوله: (فيما دعاهم إليه) متعلق بأولى. قوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي: سواء دخل بهن أو لا، وسواء مات عنهن أو طلقهن اهـ شيخنا.

قوله: (في حرمة نكاحهن عليهم) أي: تحريماً مؤبداً أي: لا في غير ذلك من النظر إليهن والخلوة بهن فإنه حرام كما في حق سائر الأجنبيات، ولا يقال لبناتهن أخوات للمؤمنين، ولا لأخواتهن وأخواتهن أخوال وخالات للمؤمنين اهـ خازن.

قوله: ﴿وأولوا الأرحام﴾ جمع رحم وهو القرابة، وقوله: ﴿أولى ببعض﴾ على حذف مضاف أي: بإرث بعض، كما أشار بقوله (في الأرث). وقوله: (في كتاب الله) متعلق بأولي أي: هذه الأولوية وهذا الاستحقاق كائن وثابت في كتاب الله تعالى، وقوله: ﴿من المؤمنين﴾ متعلق بأولى أيضاً أي: الأقارب بعضهم أولى بإرث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب، وقوله: (أي: من الإرث) أشار به إلى أن المؤمنين متعلق بأولى، وقوله: (فنسخ) يحتمل أن يكون النسخ بهذه الآية كما يشير له قوله: ﴿كان ذلك﴾ على صنيع الشارح حيث فسر اسم الإشارة بالنسخ المذكور، ويحتمل أن يكون بآية الأنفال وهو قوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ [الأنفال: ٧٥] قال الشهاب: وهذا الاحتمال أولى، لأن سورة الأنفال متقدمة نزولاً على هذه السورة، فنسبة النسخ إليها أولى، وتكون هذه الآية مؤكدة لتلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بعضهم﴾ يجوز فيه وجهان، أن يكون بدلاً من أولوا. والثاني: أنه مبتدأ وما بعده خبر والجملة خبر الأول اهـ سمين.

قوله: ﴿في كتاب الله﴾ يجوز أن يتعلق بأولى، لأن أفعل التفضيل يعمل في الظرف، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الضمير في أولي، والعامل فيها أولى لأنها شبيهة بالظرف، ولا جائز

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة، بإرث ذوي الأرحام ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته،

أن يكون حالاً من أولو للفصل بالخبر، ولأنه لا عامل فيها اهـ كرخي.

قوله: ﴿من المؤمنين﴾ أي: من التوارث بوصف الإيمان الذي كان في صدر الإسلام أي: بالإيمان مع ضميمة المؤاخاة. وفي الخازن: قيل: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وقيل: آخى رسول الله ﷺ بين الناس، فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ اهـ.

قوله: ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ يجوز في من وجهان، أحدهما: أنها من الجارة للمفضل عليه كهي في زيد أفضل من عمرو، والمعنى وأولو الأرحام أولى بالإرث من المؤمنين والمهاجرين الأجانب. والثاني: أنها للبيان جيء بها بياناً لأولي الأرحام فتتعلق به، والمعنى: وأولو الأرحام من المؤمنين أولى بالإرث من الأجانب اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا أن تفعلوا﴾ الاستثناء منقطع كما أشار له الشارح بتفسير إلا بلكن على عادته، وأن تفعلوا في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله (فجائز) اهـ شيخنا.

وفي السمين قوله: ﴿إلا أن تفعلوا﴾ هذا استثناء من غير الجنس وهو مستثنى من معنى الكلام وفحواه. إذ التقدير: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ في الإرث وغيره، لكن إذا فعلتم مع غيرهم من أوليائكم خيراً كان لكم ذلك اهـ.

قوله: ﴿إلى أوليائكم﴾ أي: من توالونهم وتوادونهم من المؤمنين والمهاجرين الأجانب وضمن تفعلوا معنى توصلوا أو تسدوا فعدى بإلى اهـ شيخنا.

قوله: (بوصية) وذلك أن الله تعالى نسخ التوارث بالحلف والإخاء والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن تولاه بما أحب من ثلث ماله اهـ خازن.

قوله: (بإرث ذوي الأرحام) متعلق بنسخ اهـ.

قوله: ﴿مسطوراً﴾ أي: مكتوباً.

قوله: ﴿وإذ أخذنا﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن يكون منصوباً باذكر أي: واذكر إذ أخذنا. والثاني: أن يكون معطوفاً على محل في الكتاب فيعمل فيه مسطوراً أي: كان هذا الحكم مسطوراً في الكتاب ووقت أخذنا اهـ سمين.

قوله: (وهي أصغر النمل) وهي صغيرة جداً بحيث إن نحو الأربعين منها أصغر من جناح بعوضة اهـ شيخنا.

وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى، ثم أخذ الميثاق ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ تعالى ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ مؤلماً هو عطف

قوله: (بأن يعبدوا الله الخ) تفسير للميثاق، والمراد بالميثاق هنا الوصية والأمر اهـ.

قوله: (من عطف الخاص على العام) أي: لأنهم أصحاب الشرائع والكتب، وأولو العزم من الرسل وأئمة الأنام فذكرهم لمزيد شرفهم، وقدم نبينا ﷺ مع أنه مؤخر بعثاً تعظيماً له، وإنما قدم نوح عليه في آية ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ [الشورى: ١٣] لأنها سيقت لوصف ما بعث به نوح من العهد القديم، وما بعث نبينا من العهد الحديث، وما بعث به من توسطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح فيها أشد مناسبة للمقصود من بيان أصالة الدين وقدمه اهـ كرخي.

قوله: (بالوفاء بما حملوه) أي: من عبادة الله والدعاء إليها، وقوله: (وهو اليمين) أي: وهو أي الميثاق الغليظ اليمين. أي: الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، فالميثاق الثاني غير الأول لما عرفت أن الميثاق الأول هو الوصية والأمر هذا ما جرى عليه الشارح اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (وهو اليمين بالله تعالى) كما جزم به الواحدي، وهذا جواب ما فائدة إعادة الميثاق بقوله: ﴿وأخذنا﴾ الخ. وإيضاحه أن المراد بالميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا، وعليه فلا إعادة لاختلاف الميثاقين أو هو الأول، وإنما كرر لزيادة صفته وإيذاناً بتوكيده. قال الزمخشري: فإن قلت: فماذا أراد بالميثاق الغليظ؟ قلت: أراد به ذلك الميثاق بعينه ومعناه، وأخذنا منهم الميثاق غليظاً وجزم به البغوي اهـ.

وفي القرطبي: والميثاق هو اليمين بالله، فالميثاق الثاني تأكيد للميثاق الأول باليمين، وقيل: الأول هو الإقرار بالله، والثاني في أمر النبوة، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾ [آل عمران: ٨١] الآية أي: أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمداً رسول الله وأن يعلن محمد ﷺ بأن لا نبي بعده. قوله: (ثم أخذ الميثاق الخ) أشار بهذا إلى أن قوله ﴿ليسأل﴾ متعلق بأخذنا، ويكون في الكلام التفات عن التكلم إلى الغيبة وكذا يقال في قوله: ﴿وأعد للكافرين﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (ثم أخذ الميثاق الخ) أشار به إلى أن اللام في ليسأل لام كي، وأن أخذ الميثاق ليسأل المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن كذبهم، فاستغنى عن الثاني بذكر مسببه وهو قوله: ﴿وأعد﴾ ومفعول صدقهم محذوف كما قدره الشارح، ويجوز أن يكون صدقهم في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف أيضاً، أي: عن تصديقهم الأنبياء، وقيل: اللام للصيرورة أي: وأخذ الميثاق على الأنبياء ليصير الأمر إلى كذا اهـ.

قوله: ﴿الصادقين﴾ أي: الرسل. قوله: (تبكيتاً للكافرين بهم) أي: أن الحكمة في سؤالهم مع علمه تعالى أنهم صادقون تبكيت من أرسلوا إليهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأعد للكافرين﴾ يجوز فيه وجهان، أحدهما: أن يكون معطوفاً على ما دل عليه ليسأل

على أخذنا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر

الصادقين إذ التقدير فأثاب الصادقين وأعد للكافرين. والثاني: أنه معطوف على أخذنا لأن المعنى أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لإثابة المؤمنين وأعد للكافرين، وقيل: إنه قد حذف من الثاني ما أثبت مقابله في الأول، ومن الأول ما أثبت مقابله في الثاني، والتقدير: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ فأثابهم، ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم وأعد لهم عذاباً أليماً اهـ سمين.

قوله: ﴿للكافرين﴾ (بهم) أي: بالصادقين وهم الرسل.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم﴾ هذا إشارة إلى غزوة الأحزاب، وكانت في شوال سنة أربع، وقيل: سنة خمس. وسببها: أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم: سيدهم حيي بن أخطب إلى أن قدموا مكة على قريش، فحرضوهم على حرب رسول الله وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق، فأنزل الله: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ [النساء: ٥١] الآيات. فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد، ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان وقيس وغيلان فطلبوهم لحرب محمد فأجابوهم، وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، ولما تهيأ الكل للخروج أتى ركب من خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه، فشرع في حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي فقال له: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه النبي والمسلمون حتى أحكموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً ومكثوا في حفره ستة أيام، وقيل: خمسة عشر، وقيل: أربع وعشرين، وقيل: شهراً. فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفاً، فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين، فلما رأته قريش قالوا: هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها، فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل: أربعة وعشرين يوماً، فاشتد على المسلمين الخوف. ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي من غطفان جاء ليلاً إلى رسول الله ﷺ فقال له: إني أسلمت وأن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له رسول الله ﷺ: «خذل عنا إن استطعت»، فإن الحرب خدعة، فخرج نعيم فألقى فتنة بين العدو بعضهم مع بعض حتى نفر قلوب بعضهم من بعض، وقصته مشهورة في كتب السير، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم، وصارت تلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل، بل نفثت في قلوبهم الرعب، ثم إن رسول الله دعا حذيفة بن اليمان فقال له: «اذهب فأتني بخبر القوم» قال حذيفة: فأخذت سهمي ثم انطلقت أمشي فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً. فلمّا رأى أبو سفيان ما تفعل الريح بهم قام فقال: يا معشر قريش ليستعرف كل منكم جليسه وأحذروا الجواسيس، فبادرت أنا فأخذت بيد عن يميني وقلت له: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان وقبضت بيد من على يساري وقلت له: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص، فعلت ذلك خشية أن

الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين ﴿بَصِيرًا ۝﴾ ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله، من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة

يظنوا بي، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش والله إنكم لستم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ووثب على جمله وشرع القوم يقولون: الرحيل الرحيل والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة ولم تجاوز عسكرهم، ورحلوا وتركوا ما استثقلوا من متاعهم، وحين انجلى الأحزاب قال ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» اهـ ملخصاً من الخازن وسيرة الحلبي.

قوله: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ وهي نصره لكم المذكور في قوله: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً الخ﴾، وقوله: ﴿إذ جاءتكم﴾ يجوز أن يكون منصوباً بنعمة أي: النعمة الواقعة في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون منصوباً باذكروا على أن يكون بدلاً من نعمة بدل اشتمال اهـ سمين.

قوله: (متحزبون) أي: مجتمعون، وكانوا اثني عشر ألفاً من قريش ومن غطفان ومن يهود قريظة والنضير اهـ شيخنا.

وكان المسلمون في هذه الواقعة ثلاثة آلاف، وقوله: (أيام حفر الخندق) ومدة أيام حفره تقدم الخلاف في عددها. قوله: ﴿ريحاً﴾ وهي ريح الصبا التي تهب من الشرق، وكانت باردة شديدة جداً حتى قلعت خيامهم ورمهم بالحجارة والحصى، وسفت التراب في وجوههم ومع هذا لم تتجاوزهم اهـ شيخنا.

قوله: (من الملائكة) وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا وإنما ألقوا الرعب في قلوب الأحزاب اهـ شيخنا.

قوله: (بالتاء وبالياء) سبعيتان.

قوله: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم﴾ بدل من إذ جاءتكم اهـ أبو السعود.

قوله: (من أعلى الوادي) وهم أسد وغطفان، وقوله: (وأسفله) وهم قريش وكنانة اهـ خازن.

وقوله: (من المشرق والمغرب) بدل مما قبله على اللف والنشر المرتب. قوله: ﴿وإذا زاغت الأبصار﴾ معطوف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿الأبصار﴾ أي: أبصاركم اهـ.

قوله: (إلى عدوها) أي: حال كونها ناظرة وشاخصة إلى عدوها، وقوله: (من كل جانب) أي: المحيط من كل جانب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وبلغت﴾ أي: وصلت القلوب الحناجر جمع حنجرة، وهي رأس الغلصمة، والغلصمة: رأس الحلقوم، والحلقوم مجرى الطعام والشراب، وقيل: الحلقوم مجرى النفس، والمريء مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم. وقال الراغب: رأس الغلصمة من خارج اهـ سمين.

الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۝﴾ المختلفة بالنصر واليأس ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝﴾ من شدة الفزع ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا ۝﴾ باطلاً ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن

وقوله: (وهي منتهى الحلقوم) أي: من أسفله، وقوله: (من شدة الخوف)متعلق ببلغت. قوله: ﴿الظنونا﴾ قرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر بإثبات ألف بعد نون الظنون وبعد لام الرسول في قوله: ﴿وأطعنا الرسولا﴾ [الأحزاب: ٦٦] ولام السبيل في قوله: ﴿فأضلونا السبيلا﴾ [الأحزاب: ٦٧] وصلاً ووقفاً للرسم، لأن هذه الثلاثة رسمت في المصحف كذلك، وأيضاً فإن هذه الألف تشبه هاء السكت لبيان الحركة، وهاء السكت ثبتت وقفاً للحاجة إليها وقد ثبتت وصلاً إجراء للوصل مجرى الوقف كما تقدم في البقرة والأنعام، فكذلك هذه الألف. وقرأ أبو عمرو، وحمزة بحذفها في الحالين لأنها لا أصل لها، وقولهم: أجريت الفواصل مجرى القوافي غير معتد به لأن القوافي يلزم الوقف عليها غالباً والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبه بها، والباقون بإثباتها وقفاً وحذفها وصلاً إجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الإطلاق، ولأنها كهاء السكت وهي تثبت وقفاً وتحذف وصلاً اهـ سمين.

قوله: (بالنصر واليأس) أي: بعضهم ظن النصر، وبعضهم ظن اليأس اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هنالك﴾ منصوب بابتلى، وقيل: بتظنون، واستضعفه ابن عطية وفيه وجهان، أظهرهما: أنه ظرف مكان بعيد أي: في ذلك المكان الدحض وهو الخندق. والثاني: أنه ظرف زمان اهـ سمين.

قوله: ﴿زلزالاً﴾ مصدر مبين للنوع بالوصف، والعامة على كسر الزاي، وعيسى والجحدري فتحاها وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال نحو: زلزال وقلقال وصلصال، وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل، وزلزال بمعنى مزلزل اهـ سمين.

قوله: ﴿وإذ يقول المنافقون﴾ الخ قائله معتب بن بشير قال: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً وخوفاً ما هذا إلا وعد غرور اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ القائل هو أوس بن قيظي بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين اهـ بيضاوي وشهاب.

قوله: (هي أرض المدينة) أي: هي اسم للأرض التي المدينة في ناحية منها سميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها في قديم الزمان، وقيل: يثرب اسم لنفس المدينة، وقد نهى النبي ﷺ أن تسمى بهذا الاسم لما فيه من التثريب وهو التقريع والتوبيخ، فذكروها بهذا الاسم مخالفة للنبي اهـ شيخنا.

وفي المختار: التثريب التعيير والاستقصاء في اللوم، وثرب عليه تثريباً قبح عليه فعله اهـ.

وفي الخطيب: وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال: هي طابة كأنه

الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها، أي لا إقامة ولا مكانة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع، جبل خارج المدينة للقتال ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يخشى عليها، قال تعالى ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ من القتال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾ أي سألهم الداخلون ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾ بالمد والقصر، أي أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾

كره تلك اللفظة، فعدلوا عن هذا الاسم الذي وسمها به النبي ﷺ إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديماً مع نهيه عنه، واحتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذي هو اللوم والتعنيف اهـ.

قوله: (ووزن الفعل) أي: فإنها على وزن يضرب. قوله: (بضم الميم وفتحها) سبعيتان. قوله: (ولا مكانة) أي: تمكناً. وعلى هذه النسخة هو بمعنى الإقامة فيكونان راجعين لقراءة الضم، وفي نسخة ولإمكانها، وعليها فالأول راجع للضم والثاني للفتح اهـ شيخنا.

قوله: (جبل خارج المدينة) أي: قريب منها بينها وبين الخندق، فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم إلى العدو اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يستأذن﴾ معطوف علي مرَّ وصيغة المضارع لاستحضار الصورة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ أصل العورة في اللغة الخلل في البناء ونحوه بحيث يمكن دخول السارق فيها، وهي في الأصل مصدر فيوصف بها مبالغة أو بالتأويل اهـ شهاب.

قوله: (غير حصينة) أي: لأنها قصيرة الحيطان وفي أطراف المدينة فيخشى عليها من السراق اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) أي: تكذيباً لهم.

قوله: ﴿ولو دخلت عليهم﴾ أي: دخلها الأحزاب. قوله: ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ أي: الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها: لأعطوها. وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة أي: باجتنابها إلا يسيراً قدر ما يكون السؤال والجواب، وقيل: وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيراً اهـ بيضاوي.

وعبارة الخازن: وما تلبثوا بها أي باجتنابها أي: لأسرعوا الإجابة إلى الشرك طيبة به نفوسهم، وقيل: معناه وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى يهلكوا اهـ بيضاوي.

قوله: (بالمد والقصر) سبعيتان. وقوله: (أي: أعطوها الخ) لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿لقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ أي: حلفوا من قبل غزوة الخندق أن لا يولوا ظهورهم فراراً من العدو، بل يثبتوا على القتال حتى يموتوا شهداء وهم قوم لم يحضروا وقعة بدر، فلما رأ ما وعد الله لأهلها من الكرامة قالوا: لئن شهدنا قتالاً لنقاتلن ولا نفر اهـ شيخنا.

عن الوفاء به ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ بقية آجالكم ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾ يجيركم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيراً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ يدفع الضر عنهم ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين

وفي الخطيب، وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، فرأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن فساق الله تعالى إليهم ذلك اهـ.

قوله: ﴿لا يولون﴾ جواب لقوله: ﴿عاهدوا﴾ لأنه في معنى أقسموا، وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة، ولو جاء على حكاية المعنى لقيل: لا نولي، والمفعول الأول محذوف أي: لا يولون العدو الأدبار، وقال أبو البقاء: ويقرأ بتشديد النون وحذف الواو على تأكيد جواب القسم اهـ سمين.

قوله: (عن الوفاء به) أي: مسؤولاً صاحبه هل وفى به أو لا فيسأل عن الوفاء به، وقيل: معنى كونه مسؤولاً أنه مطلوب الوفاء به اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل لن ينفعكم الفرار﴾ الخ. أي: لأنه لا بد لكل إنسان من الموت، إما حتف أنفه، أو يقتل بالسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن فررتم﴾ جوابه محذوف لدلالة النفي قبله عليه أو متقدم عند من يرى ذلك اهـ سمين.

قوله: ﴿وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً﴾ أي: وإن نفعكم الفرار مثلاً فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعاً أو إلاّ زماناً قليلاً اهـ بيضاوي.

وإذاً حرف جواب وجزاء، ولما وقعت بعد عاطف جاءت على الأكثر وهو عدم إعمالها، ولم يشذ هنا ما شذ في الإسراء فلم يقرأ بالنصب، والعامة على الخطاب في تمتعون وقرىء بالغيبة اهـ سمين.

قوله: (إن) ﴿أراد بكم رحمة﴾ على حد قوله: علفتها تبناً وماء بارداً، فلذلك قدر الشارح ما يناسبه فقال: (أو يصيبكم بسوء الخ). فليس معمولاً للسابق وهو يعصمكم لعدم صحة المعنى عليه كما لا يخفى اهـ شيخنا.

وفي السمين: قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة إلا من الشر؟ قلت: معناه أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة، فاختصر الكلام وأجري مجرى قوله: (متقلداً سيفاً ورمحاً)، أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع. قال الشيخ: أما الوجه الأول ففيه حذف جملة لا ضرورة تدعو إلى حذفها، والثاني: هو الوجه لا سيما إذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مراد الله قلت: وأين الثاني من الأول ولو كان معه حذف جمل اهـ.

قوله: (المثبطين) أي للمسلمين عن القتال مع رسول الله، وهم جماعة من المنافقين كانوا يخذلون المسلمين اهـ شيخنا.

﴿مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨﴾ رياء وسمعة ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة جمع شحيح، وهو حال من ضمير يأتون ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾

وفي المصباح: ثبطه تثبيطاً قعد به عن الأمر وشغله عنه أو منعه تخذيلاً ونحوه اهـ.

قوله: ﴿هلم إلينا﴾ اسم فعل أمر عند الحجازيين، ويلزم صيغة واحدة في خطاب الواحد وغيره والمذكر والمؤنث وعند بني تميم فعل أمر وتلحقه علامات التثنية والجمع والتأنيث، وقوله: (تعالوا) أي: ارجعوا إلينا واتركوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب، فإنا نخاف عليكم الهلاك اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (تعالوا) ﴿إلينا﴾ أي لتستريحوا. يعني أن يهود المدينة طلبوا المنافقين ليستريحوا وخوفوا المؤمنين لرجعوا.

تنبيه:

هلم هنا لازم وفي الأنعام متعد لنصبه مفعوله وهو شهداءكم بمعنى أحضروهم وههنا بمعنى أحضروا وتعالوا، وكلام الزمخشري هنا مؤذن بأنه متعد أيضاً وحذف مفعوله فإنه قال: هلموا إلينا أي قربوا أنفسكم إلينا اهـ.

قوله: (رياء وسمعة) أي: من غير احتساب، ولو كان ذلك لله لكان كثيراً اهـ خازن.

قوله: ﴿أشحة عليكم﴾ العامة على نصبه وفيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب على الذم. الثاني: إلى الحال. وفي العامل فيه وجهان، أحدهما: ولا يأتون قاله الزجاج. الثاني: هلم إلينا قاله الطبري. وقرأ ابن أبي عبلة أشحة بالرفع على خبر ابتداء مضمر أي: هم أشحة، وأشحة جمع شحيح وهو لا ينقاس إذ قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد أن يجمع في أفعلاء نحو: خليل وأخلاء وظنين، وأظناء، وضنين وأضناء. وقد سمع أشحاء وهو القياس، والشح: البخل. وتقدم في آل عمران اهـ سمين.

قوله: ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ وصفهم بالجبن، وكذا سبيل الجبان ينظر يميناً وشمالاً محدداً بصره وربما غشي عليه. وفي الخوف وجهان، أحدهما: من قتال العدو إذا أقبل قاله السدي. الثاني: الخوف من النبي ﷺ إذا غلب قاله ابن شجرة. وقوله: ﴿رأيتهم ينظرون إليك﴾ خوفاً من القتال على القول الأول، ومن النبي ﷺ على الثاني. تدور أعينهم لذهول عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة، وقيل: لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم العقل من كل جهة اهـ قرطبي.

وجملة ينظرون حال، لأن الرؤية هنا بصرية اهـ.

قوله: ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ أي: فإنه يذهب عقله ويشخص بصره، وقوله: (كنظر أو كدوران الخ) أشار به إلى أن قوله: ﴿كالذي يغشى عليه﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه نعت لمصدر محذوف من ينظرون. أي: ينظرون إليك نظراً كنظر الذي يغشى عليه. والثاني: أنه نعت لمصدر

وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي الغنيمة يطلبونها ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ بإرادته ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة أخرى ﴿يَوَدُّوا﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي كائنون في البادية ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ

محذوف أيضاً من تدور أي: دوراناً كدوران عين الذي يغشى عليه فبعد الكاف محذوفان وهما دوران وعين اهـ كرخي.

قوله: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾ أي: لها تأثير في الأذية كتأثير الحديد، وأصل السلق بسط العضو للضرب وهو من باب ضرب اهـ شيخنا.

وفي المختار: سلقه بالكلام آذاه وهو شدة القول باللسان، وقال تعالى: ﴿سلقوكم بألسنة حداد﴾. وسلق البصل والبيض أغلاه بالنار إغلاء خفيفاً وباب الكل ضرب اهـ.

وفي المصباح أنه من باب قتل أيضاً اهـ.

وعبارة الشهاب: أصل السلق بسط العضو ومده للقهر سواء كان يداً أو لساناً كما قال الراغب، فتفسيره بالضرب مجاز، والحامل عليه توصيل الألسنة بالحداد، ويجوز أن يشبه اللسان بالسيف على طريق الاستعارة المكنية والضرب تخييل اهـ.

وفي السمين: يقال: سلقه أي: اجترأ عليه في خطابه وخاطبه مخاطبة بليغة وأصله البسط، ومنه سلق امرأته أي: بسطها وجامعها والسليقة الطبيعة اهـ.

قوله: ﴿أشحة على الخير﴾ أي: لهم حرص واعتناء بالمال، ففي المختار: الشح البخل مع الحرص اهـ.

قوله: ﴿لم يؤمنوا﴾ (حقيقة) أي: وإن أظهروا الإيمان لفظاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أي: أظهر بطلانها إذ ليس لهم أعمال صحيحة حتى تحبط، أو المراد أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعاً لمنفعة دنيوية أصلاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يحسبون﴾ أي: هؤلاء المنافقون لشدة جبنهم يظنون أن الأحزاب لم يذهبوا ولم ينهزموا، ففروا إلى داخل المدينة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿يحسبون الأحزاب﴾ الخ يجوز أن يكون مستأنفاً أي: هم من الخوف بحيث إنهم لا يصدقون أن الأحزاب قد ذهبوا عنهم، ويجوز أن يكون حالاً من أحد الضمائر المتقدمة إذا صح المعنى ولو بعد العامل كذا قاله أبو البقاء اهـ.

قوله: ﴿الأحزاب﴾ أي: قريشاً وغطفان واليهود اهـ خازن.

قوله: ﴿لو أنهم بادون﴾ جمع باد وهو ساكن البادية، أي: يتمنوا أن لو كانوا ساكنين خارج المدينة بعداء عن الأحزاب، وجملة يسألون الخ حال من الواو في بادون فهي من جملة المتمني أي:

﴿أَنبَآئِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ هذه الكرة ﴿مَّا قَاتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ رياء وخوفاً من التعيير ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾ بدل من لكم ﴿كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ بخلاف من ليس كذلك ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً بوعد الله

يتمنوا لو كانوا سكان بادية، ويتمنوا أن تأتيهم أخبار المسلمين مع الكفار اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: يسألون كل قادم من جانب المدينة عن أنبائكم عما جرى عليكم اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً، وأن يكون حالاً من فاعل يحسبون اهـ.

قوله: (هذه الكرة) أي: ووقع قتال آخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ هذا عتاب للمتخلفين عن القتال أي: كان لكم قدوة في النبي ﷺ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق، وأيضاً فقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه، ولم يكن إلا صابراً محتسباً وشاكراً راضياً. واختلف فيمن أريد بهذا الخطاب على قولين، أحدهما: أنه المنافقون عطفاً على ما تقدم من خطابهم. الثاني: أنه المؤمنون لقوله تعالى: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ واختلف في هذه الأسوة بالنبي ﷺ هل هي على الإيجاب أو على الاستحباب؟ على قولين، أحدهما: أنها على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب. الثاني: أنها على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب ويحتمل أن تحمل على الإيجاب في أمور الدين، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا اهـ قرطبي.

قوله: ﴿أسوة حسنة﴾ الأسوة بمعنى الاقتداء، وهي اسم وضع موضع المصدر وهو الائتساء كالقدوة من الاقتداء، وائتسى فلان فلان أي اقتدى به اهـ سمين.

وفي المصباح: الأسوة بكسر الهمزة وضمها القدوة وتأسيت به وائتسيت اقتديت اهـ.

قوله: (بكسر الهمزة وضعها) سبعيتان اهـ.

قوله: (في مواطنه) أي: القتال. قوله: (بدل من لكم) أي: بدل بعض بإعادة العامل.

قوله: ﴿ما وعدنا الله﴾ أي: بقوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ [البقرة: ٢١٤] إلى قوله: ﴿ألا أن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله: ﴿ورسوله﴾ أي بقوله: أن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر، وبقوله: سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم، وقوله: ﴿وصدق الله ورسوله﴾ أي: ظهر صدق خبرهما اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وصدق الله ورسوله﴾ من تكرير الظاهر تعظيماً، ولأنه لو أعادهما مضمرين لجمع بين اسم الله تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة فكان يقول: وصدق النبي ﷺ قد كره ذلك ورد على من قاله حيث قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له: بئس خطيب القوم أنت قل:

﴿وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ لأمره ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ في العهد وهم بخلاف حال المنافقين ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على

ومن يعص الله ورسوله قصداً إلى تعظيم الله، وقيل: إنما رد عليه لأنه وقف على يعصهما، وعلى الأول استشكل بعضهم قوله ﷺ حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد، وأجيب: بأن والنبي ﷺ أعرف بقدر الله منا، فليس لنا أن نقول كما يقول اهـ سمين.

قوله: ﴿وما زادهم﴾ (ذلك) أي: الوعد أو الصدق، وفي السمين: قوله: ﴿وما زادهم﴾ فاعل زاد ضمير الوعد أي: وما زادهم وعد الله أو الصدق، وقال مكي: ضمير النظر لأن قوله: ﴿لما رأى﴾ بمعنى لما نظروا، وقيل: ضمير الرؤية وإنما ذكر لأن تأنيثهما غير حقيقي ولم يذكر مكي غيرهما، وهذا عجيب منه حيث ضيق واسعاً مع الغنية عنه، وقرأ ابن أبي عبلة: وما زادوهم بضمير الجمع ويعود للأحزاب، لأن النبي ﷺ أخبرهم أن الأحزاب تأتيهم بعد تسع أو عشر اهـ.

قوله: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا﴾ الخ هم رجال من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا، وقوله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ الخ تفصيل لحال الصادقين وتقسم لهم إلى قسمين، والنحب في الأصل النذور وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به، وقوله: ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أي ينتظر قضاء نحبه كأنهم مستمرون على نذورهم، وقد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله والقتال إلى حين نزول الآية وينتظرون انقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت. ويجوز أن يكون النحب مستعاراً لالتزام الموت شهيداً إما بتنزيل أسبابه التي هي أفعال اختيار للناذر منزلة التزام نفسه، وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراده الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح، وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة الحيوان فهو تقبيح للاستعارة وإذهاب لرونقها اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: نحب نحباً من باب ضرب بكى، والاسم النحيب ونحب نحباً من باب قتل نذر، وقضى نحبه مات أو قتل في سبيل الله وفي التنزيل: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ اهـ.

وفي القرطبي: والنحب النذر والعهد والموت والحاجة والمدة اهـ.

قوله: ﴿ومنهم من ينتظر ذلك﴾ أي: القتل في سبيل الله اهـ.

قوله: ﴿ليجزي الله الصادقين﴾ متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع إلى وقوع ما حكي من الأقوال والأحوال، كأنه قيل: وقع جميع ما وقع﴿ليجزي الله الصادقين﴾ الخ. وقيل: متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق به وإثبات المعرض به للمنافقين، وقيل: تعليل لصدقوا، وقيل: تعليل لما يفهم من قوله: ﴿وما زادهم﴾ الخ، وقيل لما يستفاد من قوله: ﴿ولما رأى المؤمنون الخ﴾ كأنه قيل: ابتلاهم الله برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويعذب المنافقين﴾ معطوف على العلة لكن لم يتقدم له في النظم ما يكون علة له، فلذلك أشار الشارح لتقديره بقوله: (وهم بخلاف حال المنافقين)، فيفهم من هذا ما هو معلل بالعلة

نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ به ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ غالباً على أمره ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به

المعطوفة، والمعنى أن المنافقين لم يصدقوا فلذلك يعذبهم الخ. وفي السمين: **قوله: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾** جوابه محذوف، وكذلك مفعول شاء محذوف أيضاً أي: إن شاء تعذيبهم عذبهم، فإن قيل: عذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشيئة وقد شاء تعذيبهم إذا ماتوا؟ أجيب: بأن المراد بتعذيبهم إماتتهم على النفاق بدليل العطف في قوله: **﴿أو يتوب عليهم﴾** اهـ.

وقد أشار له الشارح بقوله: **(بأن يميتهم على نفاقهم)** اهـ.

قوله: ﴿بغيظهم﴾ أي: متغيظين فهو حال والباء للمصاحبة، وأجاز أبو البقاء أن يكون مفعولاً به. قلت: وهذا لا يظهر اهـ كرخي.

قوله: ﴿لم ينالوا خيراً﴾ حال ثانية أو حال من الحال الأولى فهي متداخلة، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير المجرور بالإضافة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ روى البخاري عن سلمان بن صرد قال: سمعت رسول الله ﷺ حيز انجلى الأحزاب يقول: «الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم» اهـ خازن.

قوله: ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ الخ شروع في غزوة بني قريظة. قيل: كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس، وقيل: سنة أربع على الخلاف المتقدم في غزوة الخندق. قال العلماء بالسير: لما أصبح ﷺ من الليلة التي انصرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف هو والمؤمنين إلى المدينة ووضعوا السلاح. فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من استبرق راكباً على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه الأيمن، فقال: يا رسول الله قد وضعت السلاح؟ قال: نعم. قال جبريل: عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. وروي أنه كان الغبار على وجه جبريل ووجه فرسه، فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانهض إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم في زلزال وألقيت الرعب في قلوبهم. فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: إن من كان مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. فحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أتنزلون في حكمي» فأبوا، فقال: «أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس» فرضوا به فحكمه فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع سموات» فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحارث من نساء بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقاً ثم بعث إليهم فأتى بهم إليه، وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكعب بن أسد رأس القوم أي: بني قريظة وكانوا ستمائة أو سبعمائة، فأمر علياً

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾ منهم أي الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما

والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق. فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب، وحضره رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر. قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني في حجرتي قالت: وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿رحماء بينهما﴾ [الفتح: ٢٩] اهـ ملخصاً من الخازن.

قوله: (وهو ما يتحصن به) أي: من الحصون وغيرها حتى الشوكة في رجل الديك أو في السمك يقال لها صيصية اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: جمع صيصية وهي ما يتحصن به، ولذلك تقال لقرن الثور والظباء وشوكة الديك اهـ.

وفي القاموس: وفي الصيصية شوكة الحائك يسوي بها السدى واللحمة وشوكة الديك التي في رجله وقرن البقر والظباء والحصن وكل ما امتنع به اهـ.

قوله: ﴿فريقاً تقتلون﴾ فريقاً منصوب بما بعده، وكذلك فريقاً منصوب بما قبله، والجملة مبينة ومقررة لقذف الله الرعب في قلوبهم، والعامة على الخطاب في الفعلين، وابن ذكوان في رواية بالغيبة فيهما، واليماني بالغيبة في الأولى فقط، وابن حيوة تأسرون بضم السين اهـ سمين.

قوله: (وهم المقاتلة) أي: الطوائف التي قاتلت وكانوا ستمائة، وقيل: سبعمائة اهـ خازن.

قوله: (أي الذراري) وكانوا سبعمائة، وقيل: وخمسين اهـ خازن.

قوله: (بعد) أي: الآن أي وقت قتال بني قريظة. قوله: (وهي خيبر) أي: أو فارس أو الروم أو غيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة والمضي لتحقق وقوعه اهـ كرخي.

قوله: (أخذت بعد قريظة) أي: بسنتين أو ثلاث، لأن قريظة كانت في الرابعة أو الخامسة على الخلاف المتقدم، وخيبر كانت في السابعة في المحرم وهي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية، وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل فأقبل عليها صبيحة النهار، وفي تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا، وكان فيها عشرة آلاف مقاتل، فنزل رسول الله عليها وحاصرها وبنى هناك مسجداً صلى به طول مقامه عندها، وقطع من نخلها أربعمائة نخلة، وسبى أهلها وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وتقدم أنه مات مع بني قريظة في وقعتهم وكانت من سبط هارون أخي موسى، فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها اهـ من سيرة الحلبي.

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الخ اختلفوا في هذا التخيير هل كان تفويضاً للطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضاً للطلاق، وإنما خيرهن على أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى: ﴿فتعالين أمتعكن وأسرحكن﴾ ولأن

. . . .

جوابهن لم يكن على الفور بدليل أنه قال لعائشة: لا تستعجلي حتى تستشيري أبويك، ولو كان تفويضاً لكان الجواب على الفور. وذهب قوم إلى أنه كان تفويضاً ولو اخترن أنفسهن لكان الاختيار طلاقاً اهـ خازن.

قوله: (وهن تسع) أي: اللاتي كن تحته وقت هذا التخيير تسع وهن اللاتي مات عنهن. وفي المواهب: واختلف في عدة أزواجه ﷺ وترتيبهن، وعدة من مات منهن قبله ومن مات عنهن، ومن دخل بها ومن لم يدخل بها، ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه. والمتفق على دخوله بهن إحدى عشرة امرأة ست من قريش: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية، وسودة بنت زمعة. وأربع عربيات: زينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية. وواحدة غير عربية من بني إسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني النضير. ومات عنده ﷺ منهن إثنتان: خديجة وزينب أم المساكين، ومات ﷺ عن تسع دخل بهن باتفاق. وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير من ذكرن وجملتهن اثنتا عشرة امرأة الأولى: الواهبة نفسها له ﷺ وهي أم شريك القرشية. الثانية: خولة بنت الهذيل بن هبيرة. الثالثة: عمرة بنت يزيد. الرابعة: أسماء بنت النعمان. الخامسة: مليكة بنت كعب. السادسة: فاطمة بنت الضحاك. السابعة: عالية بنت ظبيان. الثامنة: قتيلة بنت قيس. التاسعة: سبأ بنت أسماء. العاشرة: شراق بنت خليفة أخت دحية الكلبي. الحادية عشرة: ليلى بنت الخطيم. الثانية عشرة: امرأة من غفار. فهؤلاء الاثنتا عشرة جملة من ذكر من أزواجه ﷺ، وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده على خلاف، فجملة من عقد عليهن ثلاث وعشرون امرأة دخل ببعضهن دون بعض. مات عنده منهن بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة، ومات منهن قبل الدخول اثنتان أخت دحية وبنت الهذيل باتفاق. واختلف في مليكة وسبأ هل ماتت أو طلقهما مع الاتفاق على أنه لم يدخل بهما. وفارق بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة وأسماء الغفارية. واختلف في أم شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها، فالمفارقات باتفاق سبع، واثنتان على خلف، والميتات في حياته باتفاق أربع. ومات ﷺ عن عشر واحدة لم يدخل بها وهي قتيلة بنت قيس، وخطب ﷺ ثمان نسوة ولم يعقد عليهن باتفاق. وأما سراريه التي دخل عليهن بالملك فأربعة: مارية القبطية، وريحانة بنت شمعون من بني قريظة، وقيل: من بني النضير، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش واسمها نفيسة، والرابعة أصابها في بعض السبي ولم يعرف اسمها اهـ من المواهب من المقصد الثاني.

وقد بسط الكلام عليهن هناك جداً فارجع إليه إن شئت. قوله: ﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا﴾ أي: السعة والتنعم فيها. وقوله: ﴿وزينتها﴾ أي: زخارفها. روي أنهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله، ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ [الأحزاب: ٥٢] أي: بعد التسع اللاتي اخترنك. وتعليق التسريح بإرادتهن الدنيا وجعلها قسيماً لإرادتهن الرسول يدل على أن المخيرة إذا

ليس عنده ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨﴾ أطلقكن من غير ضرار ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي الجنة ﴿فَإِنَّ

اختارت زوجها لم تطلق خلافاً لزيد والحسن ومالك وإحدى الروايتين عن علي، ويؤيده قول عائشة: خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ولم يعد طلاقاً وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق، وقيل: لأن الفرقة كانت بإرادتهن كاختيار المخيرة نفسها فإنه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية اهـ بيضاوي.

وقوله: (وقيل لأن الفرقة الخ) علة أخرى لتقديم التمتيع أي بعضهم قال: إن الفرقة تحصل بمجرد إرادتهن الدنيا لأن الآية توجب تفويض الطلاق إليها فبمجرد إرادتهن لها يحصل الطلاق، وإذا حصل الطلاق ترتبت عليه المتعة اهـ كازروني.

أي: فذكر المتعة في محله والتسريح ليس بمعنى التطليق بل بمعنى الإخراج من البيوت بعده، وهذا أيضاً مما فسرت به الآية اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وروى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر ليستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل، فوجد النبي ﷺ جالساً واجماً ساكناً وحوله نساؤه قال عمر فقلت: والله لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقلت يا رسول الله: لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ما ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ثم نزلت هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ حتى بلغ قوله: ﴿للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال يا عائشة: «إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك» قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. قال العلماء: أما أمر النبي ﷺ عائشة أن تشاور أبويها فإنه كان يحبها وكان يخاف أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه، ويعلم أن أبويها لا يشيران عليها بفراقه اهـ.

قوله: ﴿فتعالين﴾ فعل أمر مبني على سكون الياء ونون النسوة فاعل، وأصل هذا الأمر أن يكون الأمر على مكاناً من المأمور فيدعوه أن يرفع نفسه إليه، ثم كثر استعماله حتى صار معناه أقبل، وهو هنا كناية عن الاختيار والإرادة والعلاقة هي أن المخير يدنو إلى من يخيره اهـ خطيب.

قوله: ﴿أمتعكن وأسرحكن﴾ العامة على جزمهما وفيه وجهان، أحدهما: أنه مجزوم على جواب الشرط وما بين الشرط وجزائه معترض ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض. والثاني: أن الجواب قوله: ﴿فتعالين أمتعكن﴾ جواب لهذا الأمر اهـ سمين.

قوله: ﴿تردن الله ورسوله﴾ أي: تردن رسوله، وذكر الله للإيذان بجلالة محمد ﷺ عنده تعالى اهـ أبو السعود.

﴿اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ أي الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد، وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ﴾

قوله: (فاخترن الآخرة) فلما اخترنها قصره الله عليهن وحرم عليه النكاح غيرهن، فقال: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ [الأحزاب: ٥٢] اهـ خازن.

قوله: ﴿من يأت منكن﴾ العامة على يأت بالياء من تحت حملاً على لفظ من، وزيد بن علي والجحدري ويعقوب بالتاء من فوق حملاً على معناها، لأنه ترشح بقوله: ﴿منكن﴾ ومنكن حال من فاعل يأت، وتقدمت القراءة في ﴿مبينة﴾ بالنسبة لكسر الياء وفتحها وفي النساء اهـ سمين.

قوله: ﴿منكن﴾ من بيانية لأنهن كلهن محسنات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بفاحشة﴾ أي: معصية ظاهرة قيل: هو كقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [الزمر: ٦٥] لا أن منهن من أتت بفاحشة، لأن الله صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة، وقال ابن عباس: المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق اهـ خازن.

وفي القرطبي: وقال قوم: لو قدر الله الزنا من واحدة وقد أعاذهن الله عن ذلك لكانت تحد حدين لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الأمة، والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [النور: ٢] وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين أو المرتين. قال أبو رافع: كان عمر رضي الله عنه كثيراً ما يقرأ سورة يوسف وسورة الأحزاب في صلاة الصبح، وكان إذا بلغ: يا نساء النبي رفع بها صوته، فقيل له في ذلك. فقال: «أذكرهن العهد». وقال قوم: الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإذا وردت منكرة فهي سائر المعاصي، وإذا وردت منعوتة فهي عقوق الزوج وفساد عشرته. وقالت فرقة: بل قوله تعالى: ﴿بفاحشة مبينة﴾ يعم جميع المعاصي، وكذلك الفاحشة كيف وردت. قال مقاتل: هذا التضعيف في العذاب إنما هو في الآخرة كما أن إيتاء الأجر مرتين في الآخرة، وهذا حسن لأن نساء النبي ﷺ لم يأتين بفاحشة توجب حداً، وقد قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط وإنما خانتا في الإيمان والطاعة. وقال بعض المفسرين: العذاب الذي توعدون به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وكذلك الأجر. قال ابن عطية: وهذا ضعيف اللهم إلا أن يكون أزواج النبي ﷺ لا ترفع عنهن حدود الدنيا عذاب الآخرة كل ما هو حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت، وهذا أمر لم يرو في أزواج النبي ﷺ ولا حفظ تقرره، وأهل التفسير على أن الرزق الكريم الجنة ذكره النحاس اهـ.

قوله: (بفتح الياء وكسرها) سبعيتان. وقوله: (أي: بينت) أي: بينها الله أي: بين قبحها وفحشها: وقوله: (أو هي بينة) أي: من بان الأمر أي: ظهر أي: بان فحشها وقبحها، فهذا لف ونشر مرتب اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة يضعف الخ) والقراءات الثلاث سبعيات اهـ شيخنا.

ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة بالتحتية في تعمل ونؤتها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ في الجنة زيادة ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ كجماعة ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فإنكن أعظم ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطْمَعَ

قوله: (أي مثليه) أي: لأن الذنب منهن أقبح، فإن زيادة قبح الذنب تابعة لزيادة فضل المذنب وزيادة النعمة عليه، ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتبت الأنبياء بما لا تعاتب به الأمم اهـ أبو السعود.

وفي المصباح: ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاً وأضعافه أمثاله، وقال الخليل: التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل مثليه وأكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة، وقال الأزهري: الضعف في كلام العرب المثل هذا هو الأصل، ثم استعمل الضعف في المثل وما زاد وليس للزيادة حد يقال: هذا ضعف هذا أي: مثله، وهذان ضعفا هذا أي: مثلاه وثلاثة أمثاله لأن التضعيف زيادة غير محصورة، فلو قال في الوصية: أعطوه ضعف نصيب ولد أعطى ثلاث أمثاله حتى لو حصل للابن مائة أعطى مائتين في الضعف وثلاثمائة في الضعفين، وعلى هذا جرى عرف الناس واصطلاحهم، والوصية تحمل على العرف لا على دقائق اللغة اهـ.

قوله: ﴿وكان ذلك﴾ أي: التضعيف على الله يسيراً أي: فليس كونكن تحت النبي ﷺ وكونكن جليلات شريفات مما يدفع العذاب عنكن، وليس أمر الله كأمر الخلق حتى يتعذر عليه تعذيب الأعزة بسبب كثرة أوليائهن وأعوانهن أو شفعائهن وإخوانهن، وخص الله تعالى نساء النبي ﷺ بتضعيف العقوبة على الذنب والمثوبة على الطاعة. أما الأول: فلأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهده غيرهن، ولأن في معصيتهن إيذاءً لرسول الله ﷺ وذنب من آذى رسول الله ﷺ أعظم من ذنب غيره، وأما الثاني: فلأنهن أشرف من سائر النساء لقربهن من رسول الله ﷺ فكانت الطاعة منهن أشرف كما أن المعصية منهن أقبح اهـ كرخي.

قوله: ﴿وتعمل صالحاً﴾ فيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مرتين﴾ أي: مرة على الطاعة والتقوى، وأخرى على طلبهن رضاء رسول الله بالقناعة وحسن المعاشرة اهـ أبو السعود.

قوله: (زيادة) أي: على أجرها المضاعف اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لستن كأحد من النساء﴾ قال الزمخشري: أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد، ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه، والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي: إذا تقصيت جماعات النساء واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ [النساء: ١٥٢] يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق بين قال الشيخ: أما قوله أحد

﴿ٱلَّذِى فِى قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ نفاق ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ من غير خضوع ﴿وَقَرۡنَ﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿تَبَرُّجَ

في الأصل بمعنى وحده وهو الواحد فصحيح، وأما قوله: وضع إلى قوله وما وراءه فليس بصحيح، لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد، لأن واحداً يطلق على كل شيء اتصف بالوحدة، وأحد المستعمل في النفي العام مختص بمن يعقل، وأيضاً فيفرق بينهما بأن المختص بالنفي جامد وهذا وصف، وأيضاً المختص بالنفي مختص بالعقلاء، وهذا لا يختص، وأما معنى النفي فإنه ظاهر على ما قاله الزمخشري من الحكم على المجموع اهـ سمين.

وفي الخازن: ﴿لستن كأحد من النساء﴾ قال ابن عباس: يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات، بل أنتن أكرم عليَّ وثوابكن أعظم لدي اهـ.

وفي زكريا على البيضاوي: قوله: ﴿لستن﴾ (كجماعة) واحدة من جماعات النساء سلك كالزمخشري ذلك ليطابق بين المتفاضلين في الجمع، وإلاَّ فالحمل على الإفراد بأن يقال: ليست كل واحدة منكن كواحدة من آحاد النساء صحيح، بل أولى ليلزم منه تفضيل الجماعة على الجماعة بخلاف الحمل على الجمع اهـ.

قوله: ﴿إن اتقيتن﴾ قيل: جواب هذا الشرط محذوف يدل عليه ما قبله، وهو الذي يشير له صنيع الشارح، فإن قوله: (فإنكن أعظم) تعليل لنفي المساواة التي يفيدها التشبيه، وعلى هذا فقوله: ﴿فلا تخضعن﴾ الخ مستأنف، وقيل: هو الجواب اهـ شيخنا.

قوله: (نفاق) عبارة غيره فجور. قوله: ﴿قولاً معروفاً﴾ عبارة غيره أي: حسناً بعيداً عن الريبة، وعبارة الخازن: معروفاً أي: يوجبه الدين والإسلام عند الحاجة إليه من غير خضوع فيه، فإن المرأة بطلب منها الغلظة في المقال وتخشين الصوت إذا خاطبت الأجانب لقطع الطمع فيها اهـ.

قوله: (بكسر القاف وفتحها) سبعيتان. قوله: (من القرار) أي: الثبات أشار إلى توجيه القراءتين فمن كسر القاف قال: إن قرن أمر من القرار وهو السكون تقول قر يقر إذا سكن، وأصله أقرون بكسر الراء وفتحها لغتان، ومن فتحا قال: إنه من قررت المكان بفتح الراء وكسرها فمضارعه يقررن، والأمر اقررن حذفت الراء الأولى لثقل التضعيف اهـ كرخي.

قوله: (وأصله أقررن) بوزن أفعلن فالقاف فاء الكلمة والراء الأولى عينها، والثانية لامها، وقوله (بكسر الراء) أي: لأنه من باب ضرب يضرب وهذه هي اللغة الفصحى فيه، وقوله: (وفتحها) أي: بناء على أنه من باب علم يعلم، فقوله (بفتح الراء) راجع للأولى، وقوله: (وكسرها) راجع للثاني، وقوله (نقلت حركة) الراء أي: الأولى إذ هي المتحركة وهي عين الكلمة كما علمت وحركتها على القراءة الأولى كسرة، وعلى الثانية فتحة، وقوله (وحذفت) أي: لالتقائها ساكنة مع الراء الثانية، وقوله: (مع همزة الوصل) أي: للاستغناء عنها بحركة القاف المنقولة من الراء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تبرجن﴾ أي: لا تتبخترن في مشيكن. قوله: ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ اختلف

﴿ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ ﴿وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ﴾ الإثم يا ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ أي نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾

الناس في الجاهلية الأولى، فقيل: في الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام، وكانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال، وقال الحكم بن عيينة: ما بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة وحكيت لهم سيرة دميمة، وقال ابن عباس: ما بين نوح وإدريس، وقال الكلبي: ما بين نوح وإبراهيم قيل: إن المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين وتلبس الثياب الرقاق ولا تواري بدنها، وقالت فرقة: ما بين موسى وعيسى، وقال الثعلبي: ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقال أبو العالية: هي زمان داود وسليمان عليهما السلام كان فيه للمرأة قميص من الدرع غير مخيط الجانبين، وكان النساء يظهرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الإزار وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل، وقال مجاهد: كان النساء يمشين بين الرجال فلذلك التبرج. قال ابن عطية: والذي يظهر عندي أنه أشار للجاهلية التي أدركنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار، لأنهم كانوا لا غيرة عندهم، فكان أمر النساء دون حجبة، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى، وقد أوقع لفظ الجاهلية تلك المدة التي قبل الإسلام، وذكر الثعلبي وغيره: أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى يبتل خمارها، وذكر أن سودة قيل لها: لم لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟ فقالت: قد حججت واعتمرت فأمرني الله أن أقر في بيتي فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها رضوان الله عليها. قال ابن العربي: لقد دخلت نيفاً على ألف قرية فما رأيت نساء أصون عيالاً ولا أعف نساء من نساء نابلس التي ألقي بها الخليل عليه السلام بالنار فإني أقمت فيها، فما رأيت امرأة في الطريق نهاراً إلا يوم الجمعة فإنهن يخرجن إليها ثم يمتلىء المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة انصرفن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى، وقد رأيت بالمسجد الأقصى عفائف ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه اهـ قرطبي.

قوله: (والإظهار بعد الإسلام الخ) هذا في قوة قوله: (والجاهلية الأخرى) هي ما يفعله فسقه النساء في الإسلام، وقد بين حكمها في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ [النور: ٣١] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما يريد الله الخ﴾ تعليل لجميع ما تقدم من الأوامر والنواهي من قوله: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ [الأحزاب: ٣٢] إلى هنا اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ أي: الذنب المدنس لعرضكم، وهذا تعليل لأمرهن ونهبهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم، وقوله: ﴿أهل البيت﴾ نصب على النداء أو المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيراً، واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها اهـ.

قوله: ﴿ويطهركم﴾ (منه) أي: الرجس.

منه ﴿تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ السنة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا ۝٣٤﴾ بجميع خلقه ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ المطيعات ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ في الإيمان ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على الطعات ﴿وَالْخَاشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن الحرام ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ للمعاصي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ على الطاعات ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

قوله: ﴿واذكرن ما يتلى﴾ أي: اذكرن في أنفسكن ذكراً دائماً أو اذكرن للغير على جهة الوعظ والتعليم اهـ خطيب.

وهذا تذكير بما أنعم الله به عليهن حيث جعلن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي، وشاهدن من حال الوحي ما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها، مع أنه الأنسب بكونها مهبط الوحي لعموم تلاوة جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول، وعدم تعيين التالي التلاوة تلاوة جبريل وتلاوة النبي وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليماً وتعلماً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من آيات الله﴾ بيان لما.

قوله: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ الخ نزلت لما قال أزواج رسول الله ﷺ إن الله ذكر الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقيل: السائل أم سلمة قالت: يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء، فنخشى أن لا يكون فيهن خير اهـ خازن.

قوله: ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ إن قلت لم عطف هذا على ما قبله مع أنهما متحدان شرعاً. فالجواب: أنهما ليسا بمتحدين مطلقاً، بل هما متحدان ما صدقاً لا مفهوماً أخذاً من الفرق بين الإسلام والإيمان الشرعيين إذ الإسلام الشرعي هو التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي ﷺ والإيمان الشرعي عكس ذلك، وكفى في العطف المقتضي للاختلاف اختلافهما مفهوماً، وإن اتحد ما صدقاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿والحافظات﴾ حذف مفعوله لتقدم ما يدل عليه، والتقدير: والحافظاتها. وكذا يقال في والذاكرات وحسن الحذف رؤوس الفواصل، وغلب المذكر على المؤنث في لهم ولم يقل ولهن اهـ سمين.

قوله: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ أي: ما صح وما استقام لرجل ولا لامرأة من المؤمنين إذا قضى الله ورسوله أمراً. أي: إذا أراد رسول الله أمراً، وذكر الله لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه قضاء الله تعالى اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الخ لفظ ما كان وما ينبغي ونحوهما معناه الحظر

﴿وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ أي الاختيار ﴿مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ خلاف أمر الله ورسوله؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما بظنهما قبل، أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ۝٣٦﴾ بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفس زيد

والمنع فيجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون كما في هذه الآية، وربما كان لامتناع ذلك الشيء عقلاً كقوله: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ [النمل: ٦٠] وربما كان للعلم بامتناعه شرعاً كقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ [الشورى: ٥١] وربما كان في المندوبات كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل ونحو هذا اهـ.

والجار والمجرور خبر كان مقدم وأن تكون اسمها مؤخر، وقوله: ﴿إذا قضى الله﴾ يجوز أن يكون ظرفاً محضاً معمولاً للاستقرار الذي تعلق به الخبر أي: وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله كون خيرة له في أمره وأن تكون شرطية، ويكون جوابها مقدراً مدلولاً عليه بالنفي المتقدم. وقرأ الكوفيون وهشام: يكون بالياء من أسفل لأن الخيرة مجازي التأنيث وللفصل أيضاً، والباقون بالتاء من فوق مراعاة للفظها، وقد تقدم أن الخيرة مصدر تخير كالطير من تطير. ونقل عيسى بن سليمان أنه قرىء الخيرة بسكون الياء ومن أمرهم حال من الخيرة، وقيل: من بمعنى في وجمع الضمير في أمرهم وما بعده، لأن المراد بالمؤمن والمؤمنة الجنس وغلب المذكر على المؤنث اهـ سمين.

قوله: ﴿أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أي: يختاروا من أمرهم ما شاؤوا، بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأي رسول الله ﷺ وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي اهـ أبو السعود.

فلما وقعا في سياق النفي كانا بمعنى كل مؤمن ومؤمنة اهـ زاده.

قوله: (بالتاء والياء) سبعيتان. قوله: ﴿الخيرة﴾ مصدر كما أشار له بقوله (أي: الاختيار)، وقوله: (خلاف أمر الله) منصوب بذلك المصدر أي: مفعول به أي: أن يختاروا خلاف أمر الله اهـ شيخنا.

قوله: (نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب) أي بنت جحش أيضاً وأمهما أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله، وقوله: (فكرها ذلك) أي كون الخطبة لزيد، وذلك أنها لما علمت الحال قالت: أنا بنت عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود اهـ خازن.

وقوله: (لظنهما قبل) أي: قبل علمهما بأن الخطبة لزيد، وقوله: (للآية) علة لرضيا أي: ورضيا لما نزلت الآية موبخة لهما اهـ شيخنا.

فلما سمعا الآية سلما وجعلا الأمر بيد رسول الله اهـ خازن.

قوله: ﴿مبيناً﴾ أي: بينا انحرافه عن الصواب اهـ بيضاوي.

قوله: (فزوجها النبي لزيد) أي: وساق إليها رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً

كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ كما قال تعالى ﴿وَإِذْ﴾ منصوب باذكر ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق وهو زيد بن حارثة

وملحفة وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر اهـ خازن.

وكان زوجة النبي قبلها أم أيمن وولدت له أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنة، وقيل: بخمس: وفي شرح المواهب: أن أم أيمن هي بركة الحبشة بنت ثعلبة بن حصن أعتقها عبد الله أبو النبي ﷺ، وقيل: بل أعتقها هو ﷺ، وقيل: كانت لأمه أسلمت قديماً وهاجرت الهجرتين وماتت بعده ﷺ بخمسة أشهر، وقيل: بسنة اهـ.

وكان تزوج زيد بزينب قبل الهجرة بنحو ثمان سنين، وبعدما طلق زيد زينب زوجه ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد اهـ شيخنا.

قوله: (ثم وقع بصره عليها الخ) فيه شيء من حيث إنه يقتضي أنه لم يكن يعرفها قبل ذلك مع أنها بنت عمته ومقتضى العادة أن لا يخفى عليه شيء من حالها ومن حيث إن حبه لها وتعلقه بها وهي في عصمة رجل بعيد من كماله ﷺ، وسيأتي لهذا مزيد إيضاح. قوله: (فقال أمسك عليك زوجك) أي: لا تفارقها.

قوله: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليك﴾ الخ اختلف الناس في تأويل هذه الآية، فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره إلى أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم إن زيداً لما أخبره بأنه يريد فراقها وشكا منها غلظة القول وعصيان الأمر والأذى باللسان والتعظيم بالشرف قال له: اتق الله فيما تقول عنها ﴿وامسك عليك زوجك﴾ وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها، وهذا الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه فعل ما يجب عليه من الأمر بالمعروف. وقيل: والله أحق أن تخشاه أي: أحق أن تستحي منه ولا تأمر زيداً بإمساكه زوجته بعد أن أعلمك الله أنها تكون زوجتك فعاتبه الله على هذا. وروي عن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله إليه إن زيداً يطلق زينب وإنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكا زيد للنبي ﷺ خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك ﴿وأمسك عليك زوجك﴾، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول الله ﷺ أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه لو أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله تعالى بأن قال ﴿أمسك عليك زوجك﴾ مع علمك بأنه يطلق، وأعلمه أن الله أحق بالخشية أي: في كل حال. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي أبي بكر بن العلاء القشيري، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. والمراد بقوله تعالى: ﴿وتخشى الناس﴾ إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهي عن التزوج بنساء الأبناء وتزوج هو بزوجة ابنه، فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد وأنه عشقها، فهذا إنما يصدر عن الجاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا أو مستخف بحرمته ﷺ قال الترمذي الحكيم في نوادر

كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾

الأصول: إنما عتب الله عليه من أجل أنه قد أعلمه بأنه ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد ﴿أمسك عليك لزوجك﴾، وأخذتك خشية الناس أن يقولوا تزوج زوجة ابنه والله أحق أن تخشاه. وقال النحاس: قال بعض العلماء: ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار، وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشية أن تفتتن الناس. قال ابن العربي: فإن قيل: لأي معنى قال له أمسك عليك زوجك، وقد أخبره الله أنها زوجته؟ قلنا: أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبته عنها، فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها. فإن قيل: كيف يأمره بإمساكها وقد علم أن الفراق لا بد منه وهذا تناقض؟ قلت: بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة كإقامة الحجة ومعرفة العاقبة، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن فليس في مخالفته متعلق الأمر بمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم فاقبلوه اهـ قرطبي.

قوله: (اشتراه رسول الله) أي: صورة وإلاَّ فهو كان حراً لعدم مشروعية الرق بالسبي قبل البعثة خصوصاً والوقت وقت فترة وأهلها ناجون لا يقال فيهم حربيون، وفي نسبة الشراء لرسول الله ﷺ نسمح إلى المنقول في السير أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم ووهبته للنبي ﷺ اهـ شيخنا.

وفي القرطبي ما نصه: المنعم عليه في هذه الآية هو زيد بن حارثة، وقد تقدم خبره في أول السورة. وروي أن عمه لقيه يوماً وكان ورد مكة في شغل له فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: زيد. قال: ابن من؟ قال: ابن حارثة. قال: ابن من؟ قال: ابن شراحيل الكلبي. قال: فما اسم أمك؟ قال: سعدى وكنت في أخوالي طيىء فضمه إلى صدره وأرسل إلى أخيه وقومه فحضروا وأرادوا منه أن يقيم عندهم، فقالوا: لمن أنت؟ قال: لمحمد بن عبد الله فأتوه وقالوا: هذا ابننا فرده علينا، فقال: اعرضوا عليه فإن اختاركم فخذوا بيده، فبعث إلى زيد وقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم هذا أبي وهذا أخي وهذا عمي، فقال له النبي ﷺ: «فأي صاحب كنت لك؟» فبكى. قال: «لم سألتني عن ذلك أخبرك فإن أحببت أن تلحق بهم فالحق وإن كنت أردت أن تقيم عندي فأنا من قد عرفت»، فقال: ما أختار عليك أحداً فجذبه عمه وقال: يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك. قال: أي والله العبودية عند محمد أحب إليَّ من أن أكون عندكم فقال النبي ﷺ: «اشهدوا أني وارث وموروث»، فلم يزل يقال زيد بن محمد إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] ونزل ﴿ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] قال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي الله عنه: كان يقال زيد بن محمد حق نزل ﴿ادعوهم لآبائهم﴾، فقال: أنا زيد بن حارثة وحرم عليه أنا زيد بن محمد، فلما نزع هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك شرفه بخصيصية لم يكن يخص بها أحداً من أصحاب النبي ﷺ، وهو أنه سماه في القرآن فقال تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها﴾ يعني من زينب فذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرآناً يتلى في المحاريب ونوه به غاية التنويه، فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ ألا ترى إلى قول أبي بن كعب حين قال له النبي ﷺ: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة كذا»، فبكى وقال أذكرك هناك وكان بكاؤه من الفرح حيث إن

في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره من محبتها، وأن لو فارقها زيد تزوجتها

الله تعالى ذكره، فكيف بمن صار اسمه قرآن يتلى مخلداً لا يبلى يتلوه أهل الدنيا إذا قرؤوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبداً لا يزال على ألسنة المؤمنين، كما لم يزل مذكوراً على الخصوص عند رب العالمين إذ القرآن كلام الله القديم وهو باق لا يبيد، فاسم زيد في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ذكره في تلاوتهم السفرة للكرام البررة وليس ذلك لاسم من أسماء المؤمنين إلا لنبي من الأنبياء، ولزيد بن حارثة تعويضاً من الله له مما نزع منه وزاد في الآية أن قال: ﴿إذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾ أي: بالإيمان، فدل على أنه من أهل الجنة، علم ذلك قبل أن يموت، وهذه فضيلة أخرى رضي الله عنه اهـ بحروفه.

قوله: (وأعتقه وتبناه) أي: قبل البعثة أيضاً. قوله: (من محبتها) بيان لما أبداه، وقوله: (وأن لو فارقها الخ) معطوف عليه فهو من جملة البيان، فالحاصل أن الذي أخفاه في نفسه ثم أظهره الله هو محبتها وتزوجها لو فارقها زيد اهـ شيخنا.

وفي الكرخي قوله: (من محبتها الخ) هذا أحد القولين في الآية قاله ابن عباس، والثاني أن الذي أخفاه هو ما أعلمه الله تعالى به من أن زيداً سيطلقها وينكحها النبي ﷺ فعاتبه الله تعالى فقال: لم قلت ﴿أمسك عليك زوجك﴾ وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك. وهذا القول هو المقصود المعول عليه عند الجمهور.

وفي الخطيب: ﴿وتخفي في نفسك﴾ أي: ما أخبرك الله به من أنها ستصير إحدى زوجاتك عند طلاق زيد. ﴿ما الله مبديه﴾ أي: مظهره بحمل زيد على تطليقها وإن أمرته بإمساكها وتزويجك بها وأمرك بالدخول عليها، وهذا دليل على أنه ما أخفى غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عند طلاق زيد، لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك، ولو أخفى غيره لأبداه الله سبحانه، وقول ابن عباس كان في قلبه حبها بعيد، وكذا قول قتادة ودَّ أنه لو طلقها زيد وكذا قول غيرهما كان في قلبه إن فارقها زيد تزوجها. وروى سفيان بن عيينة عن علي عن زيد بن جدعان قال: سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قال: قلت يقول لما جاء زيد إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله إني أريد أن أطلقها، فقال له النبي ﷺ: «﴿أمسك عليك زوجك﴾»، فقال علي بن الحسين: ليس كذلك كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ فعاتبه الله تعالى وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمت أنها ستكون من أزواجك وهذا هو اللائق والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزوجها منه، فقال: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها لكل يظهر ذلك، لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله تعالى من أنها ستكون زوجة له، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد إن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي. قال البغوي: وهذا هو الأولى والأليق وإن كان الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء، لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم، لأن الود وميل النفس من طبع البشر اهـ بحرفه.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد، وانقضت عدتها، قال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ مقضيه ﴿مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن

قوله: (وتزوجها) فعل أمر. وفي نسخة ويزوجكها فعلاً مضارعاً اهـ.

قوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ أي: حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها، وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها اهـ خازن.

قوله: ﴿زوجناكها﴾ أي: ولم نحوجك إلى ولي من الخلق يعقد لك عليها تشريفاً لك ولها. قال أنس: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، وكانت تقول للنبي: جدي وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله والسفير في ذلك جبريل اهـ خازن.

قوله: (فدخل عليها النبي بغير إذن) عبارة القرطبي: فدخل عليها بغير إذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شيء مما يكون شرطاً في حقوقنا ومشروعاً لنا، وهذا من خصوصياته ﷺ التي لا يشاركه فيها أحد بإجماع المسلمين اهـ قرطبي.

وكان تزوجه ﷺ بزينب سنة خمس من الهجرة، وقيل: سنة ثلاث وهي أول من مات بعده من زوجاته الشريفات، ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة اهـ من المواهب.

قوله: (وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً) روى الشيخان عن أنس قال: ما أولم النبي ﷺ على أحد من نسائه كما أولم على زينب، أولم عليها بشاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه اهـ خازن.

قوله: ﴿لكيلا يكون﴾ الخ علة للتزويج وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل اهـ بيضاوي.

أي: فما ثبت له من الأحكام يثبت لأمته إلا ما علم أنه من خصوصياته بدليل اهـ شهاب.

قوله: ﴿حرج﴾ أي: إثم في أزواج أدعيائهم جمع دعي وهو المتبنى أي: زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني اهـ زاده.

قوله: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ أي: مفعولاً في الخارج لا محالة اهـ بيضاوي.

قوله: (فنصب بنزع الخافض) هو سماعي كما مرَّ، وأحسن منه إنه اسم موضوع المصدر قاله الزمخشري، أو على المصدر كصنع الله ووعد الله، واختار الشيخ المصنف الأول لما جاء أن اليهود عابوا النبي ﷺ بكثرة النساء، فرد الله عليهم بقوله: ﴿سنة الله﴾ أي: كسنة الله في الأنبياء الذين من قبل.

﴿قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ مقضياً ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٣٩﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد، أي والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً، وفي قراءة بفتح

قال بعضهم: هذا ما ظهر لي اهـ كرخي.

قوله: (أن لا حرج عليهم) تفسير لسنة الله، وقوله (في ذلك) أي نكاح زوجة المتبنى، وقوله: (توسعة لهم في النكاح) فكان لهم الحرائر والسراري، فقد كان لداود مائة امرأة، ولسليمان سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية اهـ خازن.

قوله: ﴿قدراً مقدوراً﴾ كظل ظليل وليل أليل في قصد التأكيد، والقضاء الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه، والقدر عبارة عن إيجاده إياها على تقدير مخصوص معين، لكن كل منهما يستعمل بمعنى الآخر كما فسر المصنف القدر بالقضاء، فالمراد إيجاد ما تعلقت به الإرادة اهـ شهاب.

قوله: (فلا يخشون مقالة الناس) في نسخة ما قاله الناس.

قوله: ﴿ولكن رسول الله﴾ أي: وكل رسول أبو أمته لا مطلقاً، بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم، وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة، وقرىء رسول الله بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وقرىء لمن بالتشديد على حذف الخبر أي: ولكن رسول الله أب من غير وراثة إذ لم يعش له ولد ذكر اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: ﴿ولكن رسول الله﴾ العامة على تخفيف لكن ونصب رسول، ونصبه إما على إضمار كان دلالة السابقة عليها أي: ولكن كان رسول الله، وإما بالعطف على أبا أحد، والأول أليق لأن لكن ليست عاطفة لأجل الواو، فالأليق بها أن تدخل على الجمل كالتي ليست بعاطفة. وقرأ أبو عمرو في رواية بتشديدها على أن رسول الله اسمها، وخبرها محذوف للدلالة عليه، ولكن رسول الله هو أي محمد وحذف خبرها سائغ. وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلة بتخفيفها، ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أي: هو أو بالعكس أي: ولكن هو رسول الله اهـ.

ولعل وجه الاستدراك أنه لما نفى كونه أباً لهم كان ذلك مظنة أن يتوهم أنه ليس بينهم وبينه ما يوجب تعظيمهم إياه وانقيادهم له، فدفعه ببيان أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي من حيث إنه رسولهم، ولما كان قوله: ﴿من رجالكم﴾ مظنة أن يتوهم أنه أبو أحد من رجال نفسه الذين ولدوا منه دفعه بقوله: ﴿وخاتم النبيين﴾ فإنه يدل على أنه لا يكون بالواحد من رجال نفسه أيضاً، لأنه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق به أن يكون نبياً بعده فلا يكون هو خاتم النبيين اهـ زاده.

وأورد في الكشف منع الملازمة إذ كثير من أولاد الأنبياء لم يكونوا أنبياء، فإنه أعلم حيث يجعل رسالته. وأجاب الشهاب عن ذلك بقوله: الملاءمة ليست مبنية على اللزوم العقلي والقياس المنطقي،

التاء كآلة الختم أي به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ منه بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ أول النهار وآخره ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي يرحمكم ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾

بل على مقتضى الحكمة الإلهية، وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل، ونبينا أكرمهم وأفضلهم، فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء اهـ.

قوله: (فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً) النفي في الحقيقة متوجه للوصف أي: كون ابنه رجلاً وكونه نبياً بعده، وإلاّ فقد كان له من الذكور أولاد ثلاثة إبراهيم والقاسم والطيب، ويقال له أيضاً الطاهر، ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا مبلغ الرجال اهـ من الخازن.

قوله: (كآلة الختم) راجع لقراءة الفتح، وكذا قوله: (أي به ختموا) اهـ شيخنا.

قوله: (منه بأن لا نبي بعده) أي: من علمه بكل شيء علمه بأن لا نبي بعده، وعبارة الخازن: دخل في علمه بكل شيء علمه أن لا نبي بعده، انتهت.

قوله: (وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته) جواب ما يقال كيف قال تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ وعيسى ينزل بعده وهو نبي ولا يرد على هذا حكمه بأشياء من وضع الجزية وعدم قبوله غير الإسلام، ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا الآن، لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام، وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ بعده أحد، وعيسى ممن نبىء قبله وحين ينزل ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾ الخ قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حداً معلوماً وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلاّ مغلوباً على عقله، فلذلك أمرهم به في الأحوال فقال: فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم وقال: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ أي: بالليل والنهار، وفي البر والبحر: وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية اهـ خازن.

قوله: ﴿بكرة وأصيلاً﴾ تخصيصها بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الأوقات، بل لإظهار فضلهما لكونهما مشهودين، كما أن إفراد التسبيح بين سائر الأذكار مع اندراجه فيها إنما هو لكونه العمدة فيها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين، فإن صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها ومع استغنائه تعالى عن العالمين مما يوجب المداومة على ما أوجبه عليهم من ذكره وتسبيحه، وقوله: ﴿وملائكته﴾ عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل، لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولاً والاستغفار ثانياً، فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له، بل على أن يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا

ليديم إخراجه إياكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ هو الجنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدَّقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ منذراً من كذبك بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا

المعنيين فردا له حقيقياً وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم، فإن كلاً من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له، وقوله: ﴿ليخرجكم﴾ الخ متعلق بيصلي أي: يعتني بأموركم هو وملائكته ليخرجكم الخ وقوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من الظلمات إلى النور﴾ جمع الأول لتعدد أنواع الكفر وإفراد الثاني لأن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي: كان بكافة المؤمنين الذي أنتم من زمرتهم رحيماً، ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء بإصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم إلى الإيمان والطاعة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تحيتهم﴾ الخ بيان للأحكام الآجلة لرحمة الله بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي العناية بأمرهم وهدايتهم إلى ما يحيون به، وقوله: ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ بيان لآثار رحمته تعالى الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يوم يلقونه﴾ أي: يوم لقائه عند الموت أو عند الخروج من القبور، أو عند دخول الجنة اهـ بيضاوي.

وقوله: (بلسان الملائكة) يصح رجوعه لكل من الاحتمالات الثلاثة، فقد روى الشيخان عن ابن مسعود: أنه إذا جاء ملك الموت بقبض روح المؤمن يقول له: ربك يقرئك السلام، وورد أن الملائكة تسلم على المؤمن حين يخرجون من قبورهم بشارة لهم، وأنها تسلم عليهم في الجنة كما في قوله تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾ [الرعد: ٢٣] اهـ من الخازن وأبي السعود.

قوله: ﴿سلام﴾ أي إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفه اهـ بيضاوي.

قوله: (على من أرسلت إليهم) أي: لتترقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم، وتتحمل الشهادة على ما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال تؤديها يوم القيامة أداء مقبولاً فيما لهم وفيما عليهم اهـ أبو السعود.

فعلى هذا تكون شهادته عليهم مراقبة أحوالهم في الدنيا، وتكون الحال مقارنة، وجعلها بعضهم مقدرة منتظرة بأن حمل الشهادة على شهادته عليهم في الآخرة بأن يشهد في القيامة عليهم بما حصل منهم في الدنيا من تصديق وتكذيب، وعن سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم لهم اهـ.

قوله: (بأمره) أشار به إلى أنه لم يرد به حقيقة الإذن لأنه مستفاد من أرسلناك، وإنما أراد بأمره،

﴿مُنِيرًا ۝٤٦﴾ أي مثله في الاهتداء به ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧﴾ هو الجنة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾ اترك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾ مفوّضاً إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

ويوضحه قول الكشاف فإن قلت: قد فهم من قوله: ﴿إنا أرسلناك﴾ داعياً أنه مأذون له في الدعاء، فما فائدة قوله ﴿بإذنه﴾؟ قلت: لم يرد به حقيقة الإذن، وإنما جعل الإذن مستعاراً للتسهيل والتيسير، لأن الدخول في حق الملك متعذر، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر، فلما كان الإذن تسهيلاً لما تعذر من ذلك وضع موضعه، وذلك أن دعاءه أهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر فقال بإذنه للإيذان بأن الأمر صعب لا يستطاع إلا إذا سهله الله ويسره اهـ.

وحاصله أنه أطلق الإذن وأريد به التيسير بعلاقة السببية، فإن التصرف في ملك الغير متعذراً فإذا أذن سهل وتيسر اهـ كرخي.

قوله: (أي مثله في الاهتداء به) أي: فيهتدي بالرسول من ظلمات الجهالات وتقتبس من نوره أنوار البصائر اهـ بيضاوي.

فإن قلت: كيف شبه الله تعالى نبيه بالسراج دون الشمس مع أنها أتم؟ فالجواب: أن المراد بالسراج هنا الشمس كما قوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦] أو شبهه بالسراج لأنه تفرع منه بهدايته جميع العلماء كما يتفرغ من السراج سرج لا تحصى بخلاف الشمس اهـ كرخي.

قوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً أي: على مؤمني سائر الأمم في الرتبة والشرف وزيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان، ولما وصف عليه الصلاة والسلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحاً، وهو الأمر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابلة المبشر عليه وهو الأمر بالتبشير حسبما ذكر آنفاً، وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في إنذارهم كما تحققته، وقوبل الداعي إليه تعالى بإذنه بالأمر بالتوكل عليه من حيث إنه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به، وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فإن من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه بالنبوة وجعله برهاناً نيراً يهدي الخلق من ظلمات الغي إلى نور الرشاد حقيق بأن يكتفي عن كل ما سواه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولا تطع الكافرين﴾ نهي عن مداراتهم في أمر الدعوة وعن استعمال لين الجانب في التبليغ كنى على ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه اهـ أبو السعود.

قوله: (لا تجازهم عليه) أي: بالمحاربة هذا إشارة إلى أن أذاهم مضاف للفاعل أي: أذيتهم إياك أي: مجازاتها من عقاب وغيره، ويجوز أن يكون مضافاً لمفعوله أي: اترك ما آذوك به فلا تؤاخذهم حتى تؤمر، أي: دعه إلى الله فإنه يعذبهم بأيديكم وبالنار اهـ كرخي.

قوله: (إلى أن تؤمر فيهم بأمر) وقد أمر فيهم بالقتال فهذا منسوخ بآية القتال اهـ خازن.

﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ اعطوهن ما يستمتعن به، أي إن لم يسم لهنَّ أصدقة، وإلا فلهنَّ نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ

قوله: ﴿إذا نكحتم المؤمنات﴾ أي: أو الكتابيات، وإنما خص المؤمنات بالذكر للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً للنطفة، وقوله: ﴿ثم طلقتموهن﴾ التراخي ليس قيداً، وفائدة التعبيرة بثم إزالة ما عسى أن يتوهم من أن تراخي الطلاق بقد إمكان الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة اهـ بيضاوي.

وقوله: (كما يؤثر في النسب) أي: إذا دعت أن ما ولد لها منه ومضى قدر زمن مدة الحمل اهـ شهاب.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية، وقوله: (أي تجامعوهن) راجع للقراءتين اهـ.

قوله: ﴿تعتدونها﴾ أي: تعدونها من عددت الدراهم، وإسناد عدها إلى الرجل فيه إشارة إلى أنها حق الأزواج اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: (تعتدونها) صفة لعدة تعتدونها تفتعلونها إما من العدد وإما من الاعتداد أي: تحسبونها أي: تستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها أي: استوفى عددها نحو كلته فاكتاله وزنته فاتزنه اهـ.

قوله: (أعطوهن ما يستمتعن) أي: يتمتعن به، وهو المتعة الواجبة للمفارقة في الحياة إذا كانت مدخولاً بها أو غير مدخول بها، وكانت مفوضة ولم يفرض لها شيء قبل الفراق، وأشار الشارح إلى هذا التفصيل بقوله: (إن لم يسم لهن أصدقة الخ). قوله: (خلوا سبيلهن) أي: أخرجوهن من منازلكم، إذ ليس لكم عليهن عدة من غير إضرار ولا منع حق اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك﴾ الخ لما خير رسول الله ﷺ نساءه فاخترنه حرم عليه التزويج لغيرهم والاستبدال بهن مكافأة لهن عن فعلهن، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾ [الأحزاب: ٥٢] الآية. وهل كان يحل له أن يطلق واحدة منهن بعد ذلك؟ فقيل: لا يحل له ذلك جزاء لهن على اختيارهن له. وقيل: كان يحل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها، ثم نسخ هذا التحريم وأبيح له أن يتزوج بمن شاء عليهم من النساء، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾ فالإحلال يقتضي تقدم حظر، وزوجاته اللاتي في حياته لم تكن محرمات عليه، وإنما كان حرم عليه التزوج بالأجنبيات فانصرف الإحلال إليهن، ولأنه قال في سياق الآية: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ الآية. ومعلوم أنه لم يكن تحته من بنات عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته أحد، فثبت أنه أحل له التزوج بهن زيادة على من كن في عصمته، وهذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول على الآية المنسوخة، كآية الوفاة في البقرة. وقد اختلف

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن

الناس في قوله تعالى: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك﴾، فقيل: المراد بها أن الله تعالى قد أحل له أن يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها قاله ابن زيد والضحاك، فعلى هذا تكون الآية مبيحة جميع النساء حاشا ذوات المحارم، وقيل: المراد ﴿أحللنا لك أزواجك﴾ أي: الكائنات عندك لأنهن قد اخترنك على الدنيا والآخرة قاله الجمهور من العلماء وهو الظاهر، لأن قوله ﴿آتيت﴾ ماض، ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال إلا بشروط، ويكون أمر الحل على هذا التأويل ضيقاً على النبي ﷺ، ويؤيد هذا التأويل ما قاله ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوج في أي الناس شاء وكان يشق على نسائه، فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمى سرَّ نساؤه بذلك. قلت: والقول الأول لما ذكرناه ويدل أيضاً على صحته ما أخرجه الترمذي عن عطاء قال: قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النساء. قال: هذا حديث حسن صحيح اهـ قرطبي.

قوله: ﴿اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي: دفعتها معجلة أو سميتها في العقد، وأياً ما كان فتقييد الإحلال بهذا القيد وتقييد المملوكات بكونهن مسبيات وتقييد الأقارب بالهجرة يحتمل كل من القيود الثلاثة أن يكون قيداً للحل في حقه ﷺ، ويحتمل أن يكون لبيان الأفضل، والأولى لا لكون الحل متوقفاً عليه أفاده البيضاوي وأبو السعود. وسميت المهور أجوراً لأنها أجرة الابضاع اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿مما أفاء الله عليك﴾ بيان لما ملكت، وليس هذا قيداً بل لو ملكت يمينه بالشراء كان الحكم كذلك وإنما خرج مخرج الغالب اهـ سمين.

قوله: (كصفية) كانت بنت حيي بن أخطب من نسل هارون أخي موسى وهي من سبي خيبر. أذن النبيّ ﷺ لدحية الكلبي في أخذ جارية فأخذها، فقيل للنبي: أعطيته سيدة بني قريظة والنضير وهي لا تصلح إلا لك، فخشي عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة. وفي رواية أنه ﷺ قال لها: «هل لك في؟» قلت: نعم يا رسول الله إني كنت أتمنى ذلك في الشرك، وكان بعينها خضرة فسألها عنها، فقالت: إنها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها، فرأت قمراً وقع في حجرها، فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال: تتمنين ملك يثرب. ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع. وقوله: (وجويرية) كانت بنت الحارث الخزاعية، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري فكاتبها، فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرفته بنفسها، فقال: هل لك إلى ما هو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ قالت: نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق. خرجه أبو داود. وقسم لها النبي ﷺ، وكانت بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين اهـ من ابن حجر على الهمزية.

قوله: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ أي: أحللنا لك ذلك زائداً على الأزواج اللاتي آتيت أجورهن على قول الجمهور، لأنه لو أراد أحللنا كل امرأة تزوجت وآتيت أجرها لما قال بعد ذلك

﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ

وبنات عمك وبنات عماتك، لأن ذلك داخل فيما تقدم. قلت: وهذا لا يلزم، وإنما خص هؤلاء بالذكر تشريفاً لهن كما قوله تعالى: ﴿فيهما ملائكة ونخل ورمان﴾ [الرحمن: ٦٨] والله أعلم اهـ قرطبي.

وفي الخازن: ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ أي: نساء قريش، وقوله: ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ أي: نساء بني زهرة اهـ.

وقد سئل كثير عن حكمة إفراد العم والخال دون العمة والخالة، حتى أن السبكي صنف جزءاً فيه سماه بذل الهمة في أفراد العم وجمع العمة، وقد رأيت لهم فيه كلمات كلها ضعيفة كقول الرازي: إن العم والخال على زنة المصدر والمصدر يستوي فيه المفرد والجمع بخلاف العمة والخالة، وقيل: إنهما يعمان إذا أضيفا والعمة والخالة لا يعمان لتاء الوحدة اهـ من الشهاب.

قوله: (بخلاف من لم يهاجرن) أي: فلا يحللن له. وهذا الاشتراط قد نسخ اهـ خازن.

قال السيوطي: مما حرم عليه ﷺ خاصة نكاح من لم تهاجر في أحد الوجهين، وفي بعض شروح الكشاف أنه حرم عليه ثم نسخ اهـ شهاب.

قوله: ﴿وامرأة مؤمنة﴾ معطوفة على مفعول أحللنا أي: وأحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق، أما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه، ثم إن ظاهر الآية النكاح ينعقد في حقه ﷺ بلفظ الهبة فيكون من خصوصياته وعليه جماعة. وذهب آخرون إلى أنه لا ينعقد في حقه إلا بلفظ النكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة، وعلى هذا فاختصاصه إنما هو في ترك المهر وعدم لزومه له لا في لفظ النكاح، واختلفوا في أن العقد بلفظ الهبة هل وقع له بالفعل؟ قال ابن عباس، ومجاهد: لم تكن عند النبي امرأة وهبت نفسها منه، ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، وقوله: ﴿إن وهبت نفسها﴾ جملة شرطية لا تستلزم الوقوع، وقال آخرون: وقع له نكاح الواهبة بالفعل. واختلفوا فيها فقال الشعبي: هي زينب بنت خزيمة الأنصارية الهلالية أم المساكين، وقال قتادة: هي ميمونة بنت الحارث، وقال علي بن الحسين، والضحاك، ومقاتل: هي أم شريك بنت جابر من بني أسد، وقال عروة، والزهري: هي خولة بنت حكيم من بني سليم اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال الزمخشري: قيل الموهوبات أربع؟ ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم اهـ.

قوله: ﴿مؤمنة﴾ يدل على أن الكافرة لا تحل له. قال إمام الحرمين: وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه. قال ابن العربي، والصحيح عند تحريمها عليه وبهذا يتميز علينا، فإنه ما كان في جانب الفضائل والكرامات فحظه فيه أكثر، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أطهر، فجوز لنا نكاح الحرائر الكتابيات، وقصر هو ﷺ على المؤمنات، ولذا كان لا تحل له الكتابية الكافرة لنقصانها بالكفر اهـ قرطبي.

وأما تسريه بالأمة الكتابية فالأصح فيه الحل، لأنه ﷺ استمتع بأمته ريحانة قبل أن تسلم اهـ من المواهب.

. . . .

وفي الروض وشرحه لشيخ الإسلام ما نصه: وما خص به ﷺ أنه حرم عليه نكاح الكتابية الكافرة لأنها تكره صحبته، ولأنه أشرف من أن يضيع ماءه في رحم كافرة، ولقوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] ولا يجوز أن تكون المشركة أم المؤمنين، ولخبر: «سألت ربي أن لا أزوج إلا من كان معي في الجنة فأعطاني» رواه الحاكم وصحح إسناده لا التسري بها فلا يحرم. قال الماوردي: لأنه ﷺ تسرى بريحانة وكانت يهودية من سبي قريظة، واستشكل بهذا تعليلهم السابق بأنه أشرف من أن يضع ماءه في رحم كافرة، ويجاب بأن القصد بالنكاح إصالة التوالد فاحتيط له، وبأنه يلزم فيه أن تكون الزوجة المشركة أم المؤمنين بخلاف الملك فيهما، ومما خص به أيضاً أنه يحرم عليه نكاح الأمة ولو مسلمة، لأن نكاحها معتبر بخوف العنت وهو معصوم وبفقدان مهر الحرة ونكاحه غني عن المهر ابتداء وانتهاء ويرق الولد ومنصبه ﷺ ينزه عنه اهـ.

قوله: ﴿إن وهبت نفسها للنبي﴾ أي: ملكته بضعها بأي عبارة كانت بلا مهر أي: إن اتفق ذلك كما ينبيء عنه تنكيرها لكن لا مطلقاً، بل عند إرادته استنكاحها كما نطق به قوله: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ فإن ذلك جار منه مجرى القبول، وحيث لم تكن الآية نصاً في كون تمليكها بلفظ الهبة لم تصلح أن تكون مناطاً للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة، وإيراده في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات عن الخطاب للإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به كما ينطق به قوله: ﴿خالصة لك﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ أي: ينكحها، يقال: نكح واستنكح مثل عجل واستعجل وعجب واستعجب ويجوز أن يراد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح أو طلب الوطء اهـ قرطبي.

والشرط الثاني قيد للشرط الأول في استيجاب الحل، فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول اهـ بيضاوي.

وفي السمين ما نصه: قوله: ﴿إن وهبت﴾ نفسها للنبي إن أراد النبي هذا من اعتراض الشرط على المشروط، والثاني قيد في الأول، ولذلك أعربوه حالاً لأن الحال قيد، ولهذا اشترط الفقهاء أن يتقدم الثاني على الأول في الوجود. فلو قال: إن أكلت إن ركبت فأنت طالق، فلا بد أن يتقدم الركوب على الأكل، وهذا لتتحقق الحالية والتقييد كما ذكرت، إذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الأكل غير مقيد بركوب فلهذا اشترطنا تقدم الثاني وقد مضى تحقيق هذا وأنه يشترط أن لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الأول كقولك: إن تزوجتك إن طلقتك فعبدي حرّ لا يتصور هنا تقديم الطلاق على التزويج، إلا أني قد عرض لي إشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الآية، وذلك أن الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة إلى الحكم الخاص بالنبي ﷺ، لا أنه لا يمكن عقلاً. وذلك أن المفسرين فسروا قوله تعالى: ﴿إن أراد﴾ بمعنى قبل الهبة لأنه بالقبول منه عليه السلام يتم نكاحه، وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة، إذ القبول متأخر، وأيضاً فالقصة كانت على ما ذكرته من تأخر إرادته عن هبتها وهو مذكور في التفسير، والشيخ لما جاء إلى ههنا جعل الشرط الثاني مقدماً على الأول على القاعدة العامة ولم يشتمل شيئاً مما ذكرته، وقد عرضت هذا الإشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به، ولم يظهر عنه

﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المؤمنين ﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ من الأحكام بألا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيۡلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾﴾ بالتوسعة في ذلك ﴿۞ تُرۡجِي﴾ بالهمزة والياء بدله تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أيّ أزواجك عن نوبتها

جواب إلا ما قدمته من أن ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلت لك آنفاً اهـ بحروفه.

قوله: ﴿خالصة﴾ مصدر معمول لمحذوف أي: خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذه الزنة وارد كالعاقبة والكاذبة، وفاعله محذوف قدره الشارح بقوله (النكاح بلفظ الهبة الخ). وأل عوض عن الضمير المضاف إليه أي: خالصاً لك نكاحها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿خالصة﴾ العامة على النصب وفيه أوجه، أحدها: أنه منصوب على الحال من فاعل وهبت أي: حال كونها خالصة لك دون غيرك. الثاني: أنها حال من امرأة لأنها وصفت فتخصصت وهو بمعنى الأول، وإليه ذهب الزجاج. الثالث: أنها نعت مصدر مقدر أي: هبة خالصة فنصبها بوهبت. الرابع: أنها مصدر مؤكد كوعد الله اهـ.

قوله: (من غير صداق) أي: ومن غير ولي ومن غير شهود اهـ كرخي.

قوله: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ الخ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من خلوص الإحلال له ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه تكرمة له وتوسيعاً عليه اهـ أبو السعود.

قوله: (متعلق بما قبل ذلك) وهو قوله: ﴿إنا أحللنا لك﴾ الخ. وعبارة الخازن: وهذا يرجع إلى أول الآية، والمعنى ﴿أحللنا لك أزواجك﴾ ﴿وما ملكت يمينك﴾ والموهوبة لك لئلا يكون عليك ضيق الخ اهـ.

وفي البيضاوي: أنه متعلق بخالصة. وعبارة أبي السعود: واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الإحلال وحصوله له ﷺ اهـ.

قوله: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ الخ شروع في بيان حكم معاشرته لنسائه بعد بيان حلهن له اهـ شيخنا.

واختلف العلماء في تأويل هذه الآية وأصح ما قيل فيها التوسعة على النبي ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته، وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي ثبت معناه في الصحيح. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على النبي ﷺ على اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أو تهب المرأة نفسها لرجل، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي

﴿وَتُؤْوِيٓ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّر في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾ ما ذكر المخير فيه

إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ قالت: قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. قال ابن العربي: هذا الذي ثبت في الصحيح هو الذي ينبغي أن يعول عليه، والمعنى المراد هو أن النبي ﷺ كان مخيراً في أزواجه إن شاء أن يقسم قسم وإن شاء أن يترك القسم ترك، فخص النبي ﷺ بأن جعل الأمر إليه فيه، لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض عليه تطيبياً لنفوسهن وصوناً لهن عن أقوال الغيرة التي تؤدي إلى ما لا ينبغي، وقيل: كان القسم واجباً على النبي ﷺ ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الآية، وقيل: المراد الواهبات. روى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة في قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ قالت: هذا في الواهبات أنفسهن. قال الشعبي: هن الواهبات أنفسهن، تزوج النبي ﷺ منهن وترك منهن. وقال الزهري: ما علمنا أن رسول الله ﷺ أرجأ أحداً من أزواجه بل آواهن كلهن. قال أبو رزين: كان رسول الله ﷺ قد همَّ بطلاق بعض نسائه فقلن له: اقسم لنا ما شئت فكان ممن أوى إليه عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب فكانت قسمتهن من نفسه فسوّى بينهن، وكان ممن أرجأ سودة، وجويرية، وأم حبيبة، وميمونة، وصفية فكان يقسم لهن ما شاء. وقال ابن عباس وغيره: المعنى في طلاق من شاء ممن حصل في عصمته وإمساك من شاء. وقيل غير هذا وعلى كل معنى فالآية معناها التوسعة على رسول الله ﷺ والإباحة وما اخترناه أصح، والله أعلم اهـ قرطبي.

قوله: (والياء بدله) أي: الياء الساكنة فهو مرفوع بضمة مقدرة عليها اهـ شيخنا.

قوله: (عن نوبتها) أي: نوبتها من القسم. قوله: ﴿ومن ابتغيت﴾ (طلبت) أي: طلبت ردها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة اهـ خازن.

وفي القرطبي: ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت﴾ ابتغيت طلبت والابتغاء الطلب، وعزلت أزلت والعزلة الازالة، أي: إن أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن من القسمة وتضمها إليك فلا بأس عليك في ذلك، وكذلك حكم الإرجاء فدلَ أحد الطرفين على الثاني اهـ.

ومن يجوز فيها وجهان، أحدهما: أنها شرطية في محل نصب بما بعدها وقوله: ﴿فلا جناح عليك﴾ جوابها، والمعنى من طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك جناح. والثاني: أن تكون مبتدأ والعائد محذوف، وعلى هذا فيجوز في من أن تكون موصولة وأن تكون شرطية، وقوله: ﴿فلا جناح عليك﴾ خبر أو جواب أي: والتي ابتغيتها، ولا بد حينئذ من ضمير راجع إلى اسم الشرط من الجواب أو في ابتغائها وطلبها. وقيل: في الكلام حذف معطوف تقديره ومن ابتغيت ممن عزلت ومن لم تعزل سواء لا جناح عليك، كما تقول: من لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر، تريد: من لقيك ومن لم يلقك وهذا فيه الغاز اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا يحزن﴾ أي: وأقرب إلى قلة حزنهن وأقرب إلى رضاهن جميعاً لأنه حكم كلهن فيه سواء، ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك، وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن له نفوسهن اهـ بيضاوي.

﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾ عن عقابهم ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالتاء والياء ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد التسع اللآتي اخترنك

فعلم منه أن قوله: ﴿ولا يحزن﴾ معطوف على أن تقر ويرضين معطوف عليه أيضاً اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿ذلك أدنى﴾ أي: ذلك التخيير الذي خيرتك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب لنفوسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله تعالى، ﴿ويرضين بما آتيتهن﴾ أي: أعطيتهن كلهن من تقريب وإرجاء وعزل وإيواء، والله يعلم ما في قلوبكم من أمر النساء والميل إلى بعضهن اهـ.

وفي القرطبي: قال قتادة وغيره: إن ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أدنى إلى رضاهن إذا كان من عندنا، لأنهن إذا علمن أن العدل من الله قرت أعينهن بذلك، لأن المرء إذا علم أنه لا حق له في شيء كان راضياً بما أوتي منه وإن قل، وإن علم أن له حقاً لم يقنعه ما يؤتى منه واشتدت غيرته عليه وعظم وحرصه فيه، فكان ما فعل الله لرسوله ﷺ من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه إلى قرار أعينهن بما يسمح به لهن دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه اهـ.

قوله: (ما ذكر) مفعول به والمخير فيه بدل منه، وفي نسخة من المخير فيه، والمخير فيه هو القسم وتركه والعزل والإيواء كما في الخازن.

قوله: ﴿كلهن﴾ العامة على رفعه توكيداً للفاعل في يرضين، وأبو إياس بالنصب توكيداً لمفعول آتيتهن اهـ سمين.

قوله: (والميل إلى بعضهن) أي: طبعاً. وفي البحر: اتفقت الروايات على أنه ﷺ كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات، ولم يستعمل شيئاً مما أبيح له ضبطاً لنفسه وأخذاً بالأفضل غير سودة رضي الله عنها، فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها اهـ كرخي.

قوله: ﴿حليماً﴾ (عن عقابهم) أي: فينبغي أن تتقي محارمه، لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم اهـ شيخنا.

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان. قوله: (بعد التسع) أي: بعد اجتماعهن في عصمتك، وكذا في قوله: (وقد ملك بعدهن الخ). وعبارة البيضاوي: من بعد التسع أي: فهن في حقه كالأربع في حقنا، أو من بعد اليوم أي: يوم نزول الآية حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى اهـ.

وقوله: (اللاتي اخترنك) أي: كما تقدم في آية التخيير اهـ.

فقد قصرك الله عليهن تكرمة وجزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله، وهن التسع اللاتي توفي عنهن. وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسوده بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية اهـ أبو السعود.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء فتحل لك وقد ملك ﷺ بعدهن

قوله: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ قال ابن زيد: هذا شيء كانت العرب تفعله يقول أحدهم: خذ زوجتي وأعطني زوجتك. روى الدارقطني عن أبي هريرة قال: كان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ اهـ قرطبي.

وهذا خلاف ما قرره الشارح من أن المراد التبديل بالطلاق اهـ.

قوله: ﴿من أزواج﴾ مفعول به، ومن مزيدة فيه لاستغراق الجنس اهـ سمين.

قوله: (بدل من طلقت) أي: من كلهن أو بعضهن. قوله: ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ أي: حسن من تأتي بهن بدلاً، وهذا كقولك: أعطوا السائل ولو على فرس. أي: في كل حال، ولو على هذه الحالة المنافية للإعطاء. قال الزمخشري: قوله: ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ في معنى الحال والفاعل وهو الضمير في تبديل لا من المفعول الذي هو من أزواج لأنه متوغل في التنكير، وتقديره: مفروضاً إعجابك بهن اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل: منقطع اهـ بيضاوي.

وفي السمين: قوله: إلا ما ملكت يمينك فيه وجهان، أحدهما: أنه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان، النصب على أصل الاستثناء، والرفع على البدل وهو المختار. والثاني: أنه مستثنى من أزواج قاله أبو البقاء، فيجوز أن يكون في موضع نصب على أصل الاستثناء، وأن يكون في موضع جر بدلاً منهن على اللفظ، وأن يكون في موضع نصب بدلاً منهن على المحل اهـ.

وفي القرطبي: واختلف العلماء في حل الأمة الكافرة للنبي ﷺ على قولين:

أحدهما: تحل لعموم قوله: ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ قاله مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن قالوا قوله تعالى: ﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾ أي: لا تحل لك النساء من غير المسلمات، فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك أي: لا يحل لك أن تتزوج كافرة فتكون أماً للمؤمنين ﴿ولو أعجبك حسنها إلا ما ملكت يمينك﴾، فإن له أن يتسرى بها.

القول الثاني: لا تحل تنزيها لقدره عن مباشرة الكافرة، وقد قال الله عز وجل: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ [الممتحنة: ١٠] فكيف به ﷺ اهـ.

قوله: (وقد ملك بعدهن مارية) أي: القبطية أهداها له المقوقس ملك القبط وهم أهل مصر وإسكندرية، وذلك أنه ﷺ بعث له حاطب بن أبي بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام صورته: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم

مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ حفيظاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

القبط: ﴿ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [آل عمران: ٦٧] الآية. فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده في الإسكندرية فدفعه إليه فقرأه ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية، ثم كتب جوابه في كتاب صورته: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وعلمت أن نبياً قد بقي وما كنت أظن أنه يخرج إلا بالشام، وقد أكرمت رسولك أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أي وهما مارية وسيرين، وثياب أي: عشرين ثوباً من قباطي مصر. قال بعضهم: وأرسل له عمائم وقباطي وطيباً وعوداً ونداً ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب والسلام عليك. ولم يزد على ذلك ولم يسلم، وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين وخصياً يقال له مأبور، والبغلة وهي الدلدل وكانت شهباء وفرساً وهو اللزاز، فإنه سأل حاطباً ما الذي يحب صاحبك من الخيل؟ فقال له: الأشقر وقد تركت عنده فرساً يقال لها المرتجز فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بنها قرية من قرى مصر وأعجب به ﷺ وقال: «إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى» ثم دعا فيه بالبركة اهـ من سيرة الحلبي.

قوله: (وولدت له إبراهيم) أي: في ذي الحجة سنة ثمان، وقوله: (ومات في حياته) أي: حياة أبيه وله سبعون يوماً، وقيل: سنة وعشرة أشهر. وفي رواية أنه ﷺ لم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه اهـ من ابن حجر على الهمزية. قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الخ شروع في بيان ما تجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي أثر بيان ما تجب مراعاته عليه من حقوقهن، وقوله: ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي: لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا حال كونكم مأذوناً لكم. وقوله: ﴿إلى طعام﴾ متعلق بيؤذن لتضمنه معنى الدعاء اهـ أبو السعود.

وقد أشار الشارح للتضمين بقوله (بالدعاء) اهـ.

قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله ﷺ: روى الشيخان عن أنس بن مالك قال: كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي ﷺ ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر وأنزل الحجاب. زاد في رواية قال: دخل معي النبي ﷺ البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ إلى ﴿والله لا يستحي من الحق﴾ وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول والغائط، وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: احجب

. . . .

نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة حرصاً على أن ينزل الحجاب فأنزل الله بآية الحجاب. وقال ابن عباس: إن الآية أي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الخ نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون قبل الطعام ويجلسون إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وكان رسول الله ﷺ يتأذى بهم، فنزلت الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية اهـ خازن.

وفي القسطلاني على البخاري: وقد تحصل من جملة الأخبار من موافقات عمر بن الخطاب خمسة عشر: تسع لفظيات، وأربع معنويات، واثنتان في التوراة.

فأما اللفظيات فمقام إبراهيم حيث قال: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت والحجاب وأسارى بدر حيث شاوره ﷺ فيهم فقال رسول الله: «هؤلاء أئمة الكفر فاضرب أعناقهم» فهوي ﷺ ما قاله الصديق من أطلاقهم وأخذ الفداء فنزلت: ﴿ما كان لنبي أن تكون له أسرى﴾ [الأنفال: ٦٧] رواه مسلم وغيره. وقوله: (لأمهات المؤمنين) لتكففن عن رسول الله ﷺ أو ليبدله الله أزواجاً خيراً منكن فنزلت، أخرجه أبو حاتم وغيره. وقوله لما اعتزل عليه السلام نساءه في المشربة: يا رسول الله إن كنت طلقت نساءك فالله عز وجل معك وجبريل وأنا وأبو بكر والمؤمنون فأنزل الله: ﴿وإن تظاهروا عليه﴾ [التحريم: ٤] الآية وأخذه بثوب النبي ﷺ لما قام يصلي على عبد الله بن أبي ومنعه من الصلاة عليه فأنزل الله ﷺ ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ [التوبة: ٨٤] أخرجه الشيخان: ولما نزل: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ [التوبة: ٨٠] قال عليه الصلاة والسلام: فلأزيدنك على السبعين فأخذ في الاستغفار لهم، فقال عمر: يا رسول الله والله لا يغفر الله لهم أبداً استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فنزلت: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾ [المؤمنون: ٦] خروجه في الفضائل ولما نزل قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ [المؤمنون: ١٢] إلى قوله: ﴿أنشأناه خلقاً آخر﴾ [المؤمنون: ١٤] قال عمر: ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] فنزلت، رواه الواحدي في أسباب النزول. وفي رواية: فقال ﷺ: «تزيد في القرآن يا عمر» فنزل جبريل بها وقال: إنها تمام الآية خرجها السخاوندي في تفسيره. ولما استشاره عليه الصلاة والسلام في عائشة حين قال لها أهل الأفك ما قالوا فقال: يا رسول الله من زوجكها؟ قال: «الله تعالى». قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فأنزلها الله تعالى ذكره، صاحب الرياض عن رجل من الأنصار.

وأما المعنويات فروى ابن السمان في الموافقة أن عمر قال لليهود: أنشدكم بالله هل تجدون وصف محمد ﷺ في كتابكم؟ قالوا: نعم. قال: فما يمنعكم من اتباعه؟ قالوا: إن الله لم يبعث رسولاً إلا كان له من الملائكة كفيل وإن جبريل هو الذي يكفل محمداً ﷺ وهو عدونا من الملائكة وميكائيل سلمنا، فلو كان هو الذي يأتيه لاتبعناه. قال عمر: فإني أشهد أنه ما كان ميكائيل ليعادي سلم جبريل، وما كان جبريل ليسالم عدو ميكائيل فنزل: ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ [البقرة: ٩٧] إلى قوله:

ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ

﴿عدو للكافرين﴾ [البقرة: ٩٨] وعند السلفي أن عمر كان حريصاً على تحريم الخمر وكان يقول: اللهم بيِّن لنا في الخمر فإنها تذهب المال والعقل فنزل: ﴿ويسألونك عن الخمر والميسر﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية. فتلاها عليه السلام فلم ير فيها بياناً شافياً فنزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء: ٤٣] فتلاها عليه السلام فلم ير فيها بياناً شافياً، فقال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ [المائدة: ٩٠] الآية فتلاها عليه السلام فقال عمر عند ذلك: انتهينا يا رب انتهينا وذكر الواحدي أنها نزلت في عمر، ومعاذ، ونفر من الأنصار. وعن ابن عباس أنه ﷺ أرسل غلاماً من الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها، فقال عمر: يا رسول الله وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ [النور: ٥٨] الآية رواه أبو الفرج وصاحب الفضائل، وقال بعد قوله: فدخل عليه وكان نائماً وقد انكشف بعض جسده فقال: اللهم حرم الدخول علينا في وقت نومنا فنزلت. ولما نزل قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ [الواقعة: ٣٩ و ٤٠] بكى عمر وقال: يا رسول الله. وقليل: من الآخرين آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ [الواقعة: ٣٩ و ٤٠] فدعاه رسول الله ﷺ وقال: قد أنزل الله فيما قلت.

وأما موافقته لما في التوراة؛ فعن طارق بن شهاب: جاء رجل يهودي إلى عمر بن الخطاب فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٢] فأين النار؟ فقال لأصحاب النبي ﷺ: أجيبوه، فلم يكن عندهم منها شيء فقال عمر: أرأيت النهار إذا جاء أليس يملأ السموات والأرض؟ قال: بلى. قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله عز وجل. قال عمر: فالنار حيث شاء الله عز وجل. قال اليهودي: والذي نفسك بيده يا أمير المؤمنين إنها لفي كتاب الله المنزل كما قلت. خرجه الخلعي وابن السمان في الموافقة. وروي أن كعب الأحبار قال يوماً عند عمر بن الخطاب: ويل لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: والذي نفس عمر بيده إنها لتابعتها في كتاب الله عز وجل. فخرَّ عمر ساجداً لله، اهـ ملخصاً من مناقب عمر من الرياض اهـ قسطلاني بحروفه.

قوله: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي﴾ فيه دليل على أن البيت للرجل ويحكم له به فإن الله أضافه إليه، فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ [الأحزاب: ٣٤] قلنا: إضافة البيوت إلى النبي ﷺ إضافة ملك، وإضافة البيوت إلى الأزواج إضافة محل بدليل أنه جعل فيها الإذن إلى النبي ﷺ والآذن إنما يكون المالك. واختلف العلماء في بيوت النبي ﷺ التي كان يسكن فيها نساؤه بعد موته هل هي ملك لهن أو لا؟ على قولين: فقالت طائفة: كانت ملكاً لهن بدليل أنهن سكن فيها بعد موت النبي ﷺ إلى وفاتهن، وذلك أن النبي ﷺ وهب لهن ذلك في حياته. الثاني: أن ذلك كان إسكاناً كما يسكن الرجل أهله ولم يكن هبة وامتدت سكناهن بها إلى الموت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه أبو عمر بن عبد البر، وابن العربي وغيرهما، فإن ذلك من مؤونتهن التي

﴿نَظِرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾ نضجه مصدر أنى يأني ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا﴾

كان رسول الله ﷺ استثناها لهن كما استثنى لهن نفقاتهن حين قال: لا تقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة أهلي، ومؤونة عاملي فهو صدقة. هكذا قال أهل العلم، قالوا: ويدل على ذلك أن مساكنهن لم ترثها عنهن ورثتهن. قالوا: وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على أنها لم تكن لهن ملكاً، وإنما كان لهن سكنى حياتهن، فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الحرام الذي يعم المسلمين نفعه، كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول الله ﷺ لما مضين إلى سبيلهن، فزيد إلى أصل المال فصرف لمنافع المسلمين مما يعم نفعه الجميع والله الموفق اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ فيه أوجه، أحدهما: أنه في موضع نصب على الحال تقديره: إلا مصحوبين بالإذن. الثاني: أنه على إسقاط باء السببية تقديره: إلا بسبب الإذن لكم كقوله: ﴿فأخرج به﴾ [الحجر: ٣٤] أي: بسببه. الثالث: أنه منصوب على الظرف. قال الزمخشري: إلا أن يؤذن في معنى الظرف تقديره: إلا وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الحال والوقت معاً، كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن لكم، ولا تدخلوا إلا غير ناظرين إناه اهـ سمين.

قوله: (بالدعاء) ﴿إلى طعام﴾ أشار به إلى أنه متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة إليه وإن حصل الإذن في الدخول اهـ كرخي.

قوله: (فتدخلوا) ﴿غير ناظرين إناه﴾ هذا التقدير من الشارح يفسد المعنى لأنه يقتضي أنه إذا أذن له في الدخول لا يجوز له القعود انتظاراً لاستواء الطعام مع أنه يجوز، فالأولى ما قاله غيره من أن هذه الآية منزلة على قوم كانوا يدخلون من غير إذن وينتظرون نضج الطعام، فنهاهم الله عن كل من الأمرين. وفي البيضاوي: والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم، وإلاَّ لما جاز لأحد أن يدخل بيوته ﷺ بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمر مهم اهـ.

وفي الكشاف: والاستثناء واقع على الوقت والحال معاً كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي إلا وقت الإذن ولا تدخلوها إلا غير ناظرين إناه اهـ شهاب.

قوله: (نضجه) بفتح النون وضمها وهو مصدر. أي: استواءه وإدراكه، وفعله نضج ينضج كفره يفرح اهـ شيخنا.

وفي المختار: نضج الثمر واللحم بالكسر من باب سمع نضجاً بضم النون وفتحها أي: أدرك فهو ناضج ونضيج اهـ.

وقوله: (مصدر أنى يأني) أي: مصدر سماعي لأنه من باب رمى وقياس مصدره أنى كرمى، لكنه لم يسمع وإنما المسموع أنى بالكسر والقصر بوزن رضى اهـ.

قوله: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾ فيه لطيفة وهي أن في العادة إذا قيل لمن يعتاد دخول دار من غير إذن لا تدخلها إلا بإذن يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلاً ولا بالدعاء فقال: لا تفعلوا مثل ما

تمكثوا ﴿مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يخرجكم أي لا يترك بيانه، وقرىء يستحي بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَٰلِكُمْ

يفعله المستنكفون، بل كونوا طائعين إذا قيل لكم لا تدخلوا فلا تدخلوا، وإذا قيل لكم: ادخلوا فادخلوا. وقوله: ﴿إلا أن يؤذن لكم﴾ يفيد الجواز، وقوله: ﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾ يفيد الوجوب فليس تأكيداً، بل هو مفيد فائدة جديدة اهـ رازي.

قوله: ﴿فإذا طعمتم﴾ أي: أكلتم الطعام. يقال: طعم بكسر العين يطعم بفتحها طعماً كفهم وطعماً كقفل كما في المصباح والمختار. في الخطيب: فإذا طعمتم أي: أكلتم طعاماً أو شربتم شراباً فانتشروا أي: اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب اهـ.

قوله: ﴿ولا مستأنسين﴾ يجوز أن يكون منصوباً عطفاً على غير لا تدخلوها مستأنسين، وأن يكون مجروراً عطفاً على ناظرين أي: غير ناظرين ومستأنسين، وقوله: (لحديث) يحتمل أن تكون اللام لام العلة أي: مستأنسين لأجل أن يحدث بعضكم بعضاً، وأن تكون المقوية للعامل لأنه فرع أي: ولا مستأنسين حديث أهل البيت أو غيرهم اهـ سمين.

وفي المصباح: أنست به أنساً من باب علم، وفي لغة من باب ضرب، والأنس بالضم اسم منه، واستأنست به وتأنست به إذا سكن القلب ولم ينفر اهـ.

قوله: ﴿كان﴾ أي: في علم الله يؤذي النبي أي: لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واشتغاله فيما لا يعنيه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فيستحيي منكم﴾ أي: من إخرجكم. فالكلام على حذف مضاف أشار له بقوله: (أن يخرجكم) وعبارة غيره: من إخراجكم، وقوله: ﴿من الحق﴾ المراد بالحق الاخراج ليكون النفي والإثبات متواردين على شيء واحد، وقد أشار له بقوله: (أن يخرجكم)، ومن البيانية مقدرة في كلامه أي: من أن يخرجكم أي: من إخراجكم أي: لا يستحيي من الحق الذي هو إخراجكم، وأشار بقوله: (أي لا يترك) بيانه إلى أن إطلاق الاستحياء في حقه تعالى مجاز علاقته اللزوم أو السببية، لأن من استحيا من شيء يتركه ولا يفعله عادة اهـ شيخنا.

قوله: (أي لا يترك بيانه) أي: بل يأمر به أي: ببيانه. قوله: (وقرىء يستحي) أي: قرىء شاذاً وهذه القراءة في الثاني فقط، وعبارة البيضاوي: وقرىء والله لا يستحي بياء واحدة اهـ.

والمحذوفة قيل هي الأولى بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها، فعلى هذا وزنه يستفع، لأن الأولى عين الكلمة وقد حذفت، وقيل: الثانية فوزنه يستفع اهـ شيخنا.

قوله: (أي أزواج النبي) أي: المدلول عليهن بذكر بيوته. روي أن عمر قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت. وروي أن رسول الله ﷺ كان يأكل ومعه أصحابه يأكلون فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك فنزلت هذه الآية اهـ أبو السعود.

﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا ٥٣﴾ ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥٤﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من

وقوله: متاعاً أي: ما ينتفع به. قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وراء الحجاب اهـ أبو السعود.

قوله: (من الخواطر المريبة) عبارة القرطبي: ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال، أي: ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية، وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته اهـ.

قوله: ﴿وما كان لكم﴾ أي: ما صح وما استقام لكم أي: تؤذوا الخ، وأن تؤذوا هو اسم كان ولكم الخبر، وقوله: ﴿ولا أن تنكحوا﴾ عطف على اسم كان وأبداً ظرف، وقوله: ﴿واتقين الله﴾ عطف على محذوف أي: امتثلن ما أمرتن به واتقين الله اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ نزلت في رجل من الصحابة قال: إذا قبض رسول الله ﷺ نكحت عائشة. قيل: وهذا الرجل هو طلحة بن عبيد الله. قال ابن عباس: وندم هذا الرجل على ما حدث به نفسه، فمشى إلى مكة على رجليه، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقيقاً فكفّر الله عنه اهـ قرطبي.

قوله: ﴿من بعده﴾ أي: بعد وفاته أو بعد فراقه اهـ بيضاوي.

والذي جرى الرملي في شرح المنهاج، أي: من عقد عليها ﷺ تحرم على غيره سواء دخل بها ﷺ أو لا، وأما حكم إمائه فمن دخل بها منهن حرمت على غيره وإلاّ فلا، هذا ما جرى عليه فيه أيضاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن ذلكم﴾ أي: ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن تبدوا شيئاً﴾ أي: تظهروه على ألسنتكم، وقوله: ﴿أو تخفوه﴾ أي: في صدوركم.
قوله: (فيجازيكم عليه) هذا في الحقيقة جواب الشرط في قوله: ﴿إن تبدوا﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا جناح عليهن﴾ أي: أزواج النبي وهذا استثناء في المعنى من وجوب الاحتجاب. روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء: يا رسول الله إن نكلمهن أيضاً من وراء الحجاب؟ فنزل: ﴿لا جناح عليهن﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في آبائهن﴾ أي: في رؤية وكلام آبائهن لهن، فالكلام على حذف المضاف أشار له بقوله: (أن يروهن ويكلموهن) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ المضاف إليه واقع على أزواج النبي ﷺ، وقوله الشارح: أي: المؤمنات

الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝﴾ أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

تفسير للمضاف أي: ولا جناح على زوجات النبي في عدم الاحتجاب عن نسائهن أي: عن النساء المسلمات وإضافتهن لهن من حيث المشاركة في الوصف وهو الإسلام، وأما النساء الكافرات فيجب على أزواج النبي الاحتجاب عنهن كما يجب على سائر المسلمات أي: ما عدا ما يبدو عند المهنة، أما هذا فلا يجب على المسلمات حجبه وستره عن الكافرات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿واتقين الله﴾ عطف على محذوف أي: امتثلن ما أمرتن به، واتقين الله في أن يراكن غير هؤلاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن الله وملائكته﴾ الخ هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ في حياته وموته، وأظهر بها منزلته عنده تعالى، والصلاة من الله عليه ﷺ رحمته ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره اهـ قرطبي.

فإن قيل: إذا صلى الله وملائكته فأي حاجة به إلى صلاتنا؟ أجيب: بأن الصلاة عليه ليس لحاجته إليها وإلاَّ فلا حاجة به إلى صلاة الملائكة أيضاً، وإنما القصد بها تعظيمه ﷺ وعود فائدتها علينا بالثواب والقرب منه ﷺ اهـ خطيب.

قوله: ﴿وملائكته﴾ العامة على النصب نسقاً على اسم إن ويصلون هل هو خبر عن الله وملائكته أو عن الملائكة فقط. وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلاتين خلاف. وقرأ ابن عباس: ورويت عن أبي عمرو وملائكته رفعاً. فيحتمل أن يكون عطفاً على محل اسم إن عند بعضهم، وأن يكون مبتدأ والخبر محذوف وهو مذهب البصريين، وقد تقدم فيه بحث نحو: زيد ضارب وعمرو أي: ضارب في الأرض اهـ سمين.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ أي: فإنكم أولى بذلك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تسليماً﴾ مصدر مؤكد. قال الإمام: ولم تؤكد الصلاة لأنها مؤكدة بقوله: ﴿إن الله وملائكته﴾ الخ وقيل: إنه من الاحتباك فحذف عليه من أحدهما، والمصدر من الآخر. وقال بعض الفضلاء: أنه سئل في منامه لم خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة ولم يذكر له جواباً. قلت: وقد لاح لي فيه نكتة سرية أي شريفة، وهي أن السلام تسليمه عما يؤذيه، فلما جاءت هذه الآية عقيب ذكر ما يؤذي النبي، والأذية إنما هي من البشر فناسب التخصيص بهم والتأكيد، وإليه الإشارة بما ذكر بعده اهـ.

قوله: (أي قولوا اللهم صلِّ على محمد وسلم) هما فرض غير مؤقت عند الأكثرين، ويجبان في تشهد الصلوات فقط عند الشافعي ويكرهان على غير الرسل والملائكة إلاَّ تبعاً، لأنه في العرف صار شعاراً لذكر الرسل ﷺ، ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً اهـ كرخي.

﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك، ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ ذا إهانة وهو النار ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾

وفي أبي السعود: هذه الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقاً أي: من غير تعرض لوجوب التكرار، وعليه قيل: يجب ذلك كلما جرى ذكره، ومنهم من قال: يجب في مجلس مرة وإن تكرر ذكره مراراً، ومنهم من قال: يجب في العمر مرة، وقيل: في كل صلاة اهـ.

وفي القسطلاني في مسالك الحنفاء ما نصه: اختلف في مشروعية الصلاة عليه ﷺ على قولين. قيل: مستحبة، وقيل واجبة وعلى الثاني قيل: واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة وعليه الشافعي، وهو إحدى الروايتين عن أحمد. وقيل: تجب في الصلاة من غير تعيين لمحل منها، وقيل: تجب في خارج الصلاة. قيل: كلما ذكر. وقيل: في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره فيه، وقيل: تجب في العمر مرة واحدة، وقيل: تجب في الجملة من غير حصر، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، وبسط الكلام على ذلك فراجعه إن شئت.

قوله: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ أريد بالإيذاء فعل ما يكرهانه ليعم هذا القدر والإيذاء الحقيقي في حق الرسول والمجازي في حقه تعالى لاستحالة حقيقة التأذي عليه تعالى أفاده أبو السعود. وفي القرطبي: اختلف العلماء في إذاية الله تعالى بماذا تكون؟ فقال الجمهور من العلماء: معناه تكون بالكفر، ونسبة الصاحبة والولد والشريك إليه ووصفه بما لا يليق به كقول اليهود: ﴿يد الله مغلولة﴾ [المائدة: ٦٤] وقول النصارى: ﴿المسيح ابن الله﴾ [التوبة: ٣٠] وقول المشركين: الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وقال عكرمة: معناه تكون بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله إلا الله بنحت الصور وغيرها. وقد قال رسول الله ﷺ: «لعن الله المصورين» قلت: هذا مما يقوي قول مجاهد بتحريم تصوير الشجر وغيره إذ كل ذلك صفة اختراع وتشبه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى وقالت فرقة: ذلك على حذف مضاف تقديره يؤذن أولياء الله، وأما إذاية رسول الله فمعناه ظاهر اهـ.

قوله: (وهم الكفار) أي: اليهود والنصارى والمشركون. فاليهود قالوا: عزير ابن الله والنصارى قالوا: ﴿المسيح ابن الله﴾ والمشركون قالوا الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه. اهـ خازن.

قوله: (أبعدهم) أي: عن رحمته.

قوله: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ الخ قيل: نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانوا يؤذونه ويسمعونه، وقيل نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها، وقيل: نزلت في شأن الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يبتغون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيتبعون المرأة فإن سكتت تبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة، لأن زي الكل كان واحداً فشكون ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزل: ﴿والذين

تحملوا كذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ بيناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة، أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عيناً واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ بهن إذ سترهن ﴿۞ لَّئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنا ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو، وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا

يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ الآية اهـ خازن.

قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الخ لما بيَّن حال المؤذين وزجرهم عن الإيذاء أمر نبيه بأن يأمر المتأذيات بما يدفع أذاهن في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الإيذاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يدنين﴾ يحتمل أن يكون مقول القول وهو خبر بمعنى الأمر ويحتمل أن يكون جواب لأمر على حد: ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ [إبراهيم: ٣١] والجلباب: إزار واسع يلتحف به اهـ شهاب.

قوله: (تشتمل) أي: تتغطى وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار، وقيل: هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره اهـ خازن.

قوله: (إلا عيناً واحدة) قال ابن عباس: وأمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب إلا عيناً واحدة ليعلم أنهم حرائر وهو قوله تعالى: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (فلا يغطين وجوههن) أي: فكن لا يغطين وجوههن، وقوله: (وكان المنافقون يتعرضون لهن) أي: للنساء إذا خرجن، لكن كانوا يتعرضون للإماء دون الحرائر، ولم يكونوا يعرفون الحرة من الأمة لأن زي الكل كان واحداً، فكن يخرجن في درع وخمار فشكوا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزل نهي الحرائر عن أن يتشبهن بالإماء بقوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ الخ أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد يعني أن بعض الناس جمع هذه الأوصاف الثلاثة، فالواو مقحمة، وقيل الموصوف متغاير ومتعدد، فكان من المنافقين قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة اهـ.

قوله: ﴿مرض﴾ (بالزنا) عبارة الخازن: في قلوبهم مرض، أي: فجور وهم الزناة اهـ.

وفي الخطيب مرض أي: غل مقرب من النفاق حامل على المعاصي اهـ.

قوله: ﴿والمرجفون﴾ أصل الإرجاف التحريك مأخوذ من الرجفة التي هي الزلزلة ووصفت بها الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة اهـ أبو السعود.

قوله: (لنسلطنك عليهم) أي: فتستأصل بالقتل وقد أمره الله أيضاً بلعنهم وهذا هو الإغراء بهم

﴿يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾ ثم يخرجون ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي سن الله ذلك ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ منه ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى

وقد أغراه بهم أيضاً في قوله: ﴿أينما ثقفوا أخذوا﴾ الخ. والحاصل أن معنى الآية أنهم إن أصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة إلا وهم مطرودون ملعونون، وقد فعل بهم ﷺ هذا، فإنه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي ﷺ: «يا فلان قم فاخرج فإنك منافق، ويا فلان قم»، فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ إنما عطف بثم، لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن الحال المعطوف عليه اهـ كشاف.

يعني: أنها للتفاوت الرتبي، والدلالة على أن ما بعدها أبعد مما قبلها وأعظم وأشد عندهم اهـ شهاب.

قوله: ﴿ملعونين﴾ حال من مقدر حذف هو وعامله أشار له بقوله: (ثم يخرجون) اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿ملعونين﴾ حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشري وأبو البقاء. قال ابن عطية لأنه بمعنى ينتفون منها ملعونين، وقال الزمخشري: دخل حرف الاستثناء على الحال والظرف معاً كما مرَّ في قوله: ﴿إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين﴾ [الأحزاب: ٥٣] وجوز الزمخشري أن ينتصب على الذم، وجوز ابن عطية أن يكون بدلاً من قليلاً على أنه حال كما تقدم تقريره، ويجوز أن يكون ملعونين نعتاً لقليلاً على أنه منصوب على الاستثناء من واو يجاورونك كما تقدم تقريره. أي: لا يجاورك منهم أحد إلاَّ قليلاً ملعوناً، ويتجوز أن يكون منصوباً بأخذ والذي هو جواب الشرط وهذا عند الكسائي والفراء فإنما يجيزان تقديم معمول الجواب على أداة الشرط نحو خيراً أن تأتني نصب اهـ.

قوله: (أي الحكم فيهم هذا) أي: الأخذ والقتل على جهة الأمر به يعني أن الآية خبر بمعنى الأمر أي: خذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف اهـ.

قوله: (أي سنَّ الله ذلك) أي: أخذهم وقتلهم أينما ثقفوا، وأشار بذلك إلى أن سنة الله منصوب على المصدر المؤكد، وقوله: ﴿تبديلاً﴾ (منه) أي: من الله أي لا يبدل الله سنته اهـ ابن العماد.

قوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ أي: لابتنائها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ، فإن النسخ بكون في الأقوال أما الأفعال إذا وقعت والأخبار فلا تنسخ اهـ.

قوله: ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ الخ قيل: إن اليهود كانوا يسألونه عنها امتحاناً لأن الله أخفى

تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها أي أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ ناراً شديدة يدخلونها ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدراً خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ يدفعها عنهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا﴾ للتنبيه ﴿أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي الأتباع منهم ﴿رَبَّنَا

علمها في التوراة، فأمر نبيه أن يجيبهم بقوله: ﴿قل إنما علمها﴾ الخ اهـ خازن.

وعبارة أبي السعود: يسألونك عن الساعة أي: عن وقت قيامها، لأن المشركين سألوا عن ذلك استعجالاً بطريق الاستهزاء واليهود، سألوا عنه امتحاناً، لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب اهـ.

قوله: ﴿عن الساعة﴾ أي: عن وقت قيامها ووجودها، كما أشار له بقوله: (متى تكون) اهـ.

قوله: ﴿عند الله﴾ أي: لا يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما يدريك﴾ ما: مبتدأ، أو جملة يدريك خبره والاستفهام إنكاري، وقد أشار لهذا الإعراب ولتفسير الاستفهام بقوله له: (أي أنت لا تعلمها) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعل الساعة﴾ الظاهر أن لعل تعلق كما يعلق التمني، وقريباً خبر كان على حذف موصوف أي شيئاً قريباً، وقيل: التقدير قيام الساعة فروعيت الساعة في تأنيث تكون، وروعي المضاف المحذوف في تذكير قريباً، وقيل قريباً كثر استعماله استعمال الظروف فهو هنا ظرف في موضع الخبر اهـ سمين.

وقوله: (الظاهر أن لعل تعلق الخ) هذا يقتضي أن لقوله: ﴿لعل الساعة﴾ معمول لفعل الدراية، والمعنى عليه وما يدريك قرب قيامها، لكن صنيع الشارح وكذا غيره من التفاسير يقتضي أن قوله: ﴿وما يدريك﴾ جملة مستقلة، وقوله: ﴿لعل الساعة﴾ جملة مستقلة أيضاً فتأمل.

قوله: ﴿خالدين فيها﴾ أي: في السعير لأنها مؤنثة أو لأنه في معنى جهنم، وقوله: ﴿أبداً﴾ تأكيد لما استفيد من خالدين، وقوله: ﴿لا يجدون﴾ حال ثانية أو حال من خالدين اهـ سمين.

قوله: ﴿يوم تقلب﴾ ظرف ليقولون مقدم عليه، أو ظرف لخالدين أو لنصيراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿تقلب وجوههم﴾ أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم فيشوى بالنار، أو من حال إلى حال وقرىء تقلب بمعنى تتقلب، وقرىء تقلب أي: نحن اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿يقولون يا ليتنا﴾ الخ استئناف مبني على سؤال نشأ في حكاية حالهم الفظيعة، كأنه قيل: فماذا يصنعون عند ذلك؟ فقيل: يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا الخ أو حال من ضمير وجوههم، أو من نفس الوجوه. وقوله: ﴿وقالوا﴾ الخ عطف على يقولون والعدول إلى الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمراً كقوله السابق، بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضرباً من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة اهـ أبو السعود.

﴿إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ طريق الهدى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي مثلي عذابنا ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ﴾ عذبهم ﴿لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ عدده وفي قراءة بالموحدة أي عظيماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففرَّ

قوله: ﴿إنا أطعنا سادتنا﴾ يعنون بهم الذين لقنوهم الكفر والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبراء لتقوية الاعتذار، وإلاَّ فهم في مقام التحقير والإهانة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿سادتنا﴾ جمع على غير قياس سواء جعل جمعاً لسيد أو سائد، وقوله: (جمع الجمع) أي: هو على هذه القراءة جمع الجمع. أي: جمع تصحيح بالألف والتاء اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿ساداتنا﴾ قرأه ابن عامر في آخرين بالجمع بالألف والتاء الباقون سادتنا على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء ثم سادة يجوز أن يكون جمعاً لسيد ولكنه لا ينقاس لأن فعيلاً لا يجمع على فعلة، وسادة بوزن فعلة إذ الأصل سودة، ويجوز أن يكون جمعاً لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وهو أقرب إلى القياس مما قبله، وابن عامر جمع هذا ثانياً بالألف والتاء وهو غير مقيس أيضاً نحو: جمالات. وقرأ عاصم كبيراً بالموحدة والباقون بالمثلثة وتقدم معناهما في البقرة اهـ.

قوله: (أي مثلي عذابنا) أي: لأنهم ضلوا وأضلوا اهـ شيخنا.

قوله: (مثلاً) راجع لقوله: (إلا أنه آدر)، أي: أو قولهم إنه أبرص اهـ شيخنا.

وقوله: (ما يمنعه أن يغتسل معنا الخ). روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعضهم، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر» قال: «فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال: فجعل موسى عليه السلام يعدو إثره يقول ثوبي حجر ثوبي حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه» قال: «فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضرباً». قال أبو هريرة: والله إن به ندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى اهـ قرطبي.

وفي القاموس: الندابة أثر الجرح الباقي على الجلد، والجمع ندب مثل شجر وأندب وندوب اهـ.

قوله: ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ أي: أظهر براءته لهم، وقوله: ﴿مما قالوا﴾ ما مصدرية أو موصولة أي: من الذي قالوه اهـ.

قوله: (ففر الحجر به) أي: بالثوب. قوله: (لا أدرة به) الأدرة بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وراء مفتوحة مرض تنتفخ منه الخصيتان وتكبران جداً لانصباب مادة أو ريح غليظ فيهما، ورجل آدر بالمد كآدم به أدرة اهـ شهاب.

الحجر به حتى وقف بين ملإٍ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه لا أدرة به وهي نفخة في الخصية ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ ذا جاه. ومما أوذي به نبينا ﷺ أنه قسم قسماً، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، رواه البخاري. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ صواباً ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ نال غاية مطلوبه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب

قوله: ﴿وكان عند الله وجيهاً﴾ (ذا جاه) يقال: وجه الرجل يوجه وجاهة، فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر، والعامة على قراءة عند الظرفية المحازية، وابن مسعود، والأعمش، وأبو حيوة عبداً من العبودية لله جار ومجرور وهي حسنة اهـ كرخي.

قوله: (يتقبلها) أو يوفقكم للأعمال الصالحة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ قال ابن عباس: أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم. وقال ابن مسعود: الأمانة أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال، وأشد من هذا كله الودائع. وقيل: هي جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وقيل: هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى من الشرائع. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: أول ما خلق الله من الإنسان الفرج، وقال: هذه الأمانة استودعكها، فالفرج أمانة والأذنان أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة، ولا إيمان لمن لا أمانة له. وفي رواية عن ابن عباس: هي أمانات الناس والوفاء بالعهود، فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً في شيء لا في قليل ولا في كثير، فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال، وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن. قلن: لا يا رب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله تعالى، لئلا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها، والجمادات كلها خاضعة لله تعالى مطيعة لأمره ساجدة له. قال بعض أهل العلم: ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الأمانة حتى عقلن الخطاب وأجبن بما أجبن. وقيل: المراد من العرض على السموات والأرض والجبال هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها، والقول الأول أصح وهو قول العلماء: فأبين أن يحملنها وأشفقن منها أي: خفن من الأمانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب، وحملها الإنسان يعني آدم. قال الله عز وجل لآدم: إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: أما إذا تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل فارخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلاماً، فإذا خشيت فاغلق عليه وأجعل

وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهماً ونطقاً ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله

لفرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك. قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر. إنه كان ظلوماً جهولاً. قال ابن عباس: ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه وما تحمل من الأمانة. وقيل: ظلوماً حين عصى ربه جهولاً أي لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة. وقيل: ظلوماً جهولاً حيث حمل الأمانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها: وقيل في تفسير الآية قول آخر، وهو أن الله تعالى ائتمن السموات والأرض على شيء وائتمن آدم وأولاده على شيء، والأمانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له. وقوله: (فأبين أن يحملنها) أي: أدين الأمانة ولم يخن فيها، وأما الأمانة في حق بني آدم فهو ما ذكر من الطاعة والقيام بالفرائض، وقوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ أي: خان فيها، وعلى هذا القول حكي عن الحسن أنه قال: الإنسان هو الكافر والمنافق حملاً الأمانة وخانا فيها، والقول الأول قول السلف وهو الأول في تفسير الآية اهـ خازن.

قوله: (مما في فعلها) من بمعنى مع أي مع ما في فعلها أي: الأمانة التي هي التكاليف، وقوله: (من الثواب) بيان لما أي: عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات اهـ شيخنا.

قوله: (بأن خلق فيها فهماً) أي: حتى عقلت الخطاب. وقوله: (ونطقاً) أي: حتى أجابت بما تقدم اهـ خازن.

قوله: ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أتى بضمير هذه كضمير الإناث لأن جمع التكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وإن كان مذكراً، وإنما ذكرنا ذلك لئلا يتوهم أنه قد غلب المؤنث وهو السموات على المذكر وهو الجبال، واعلم أنه لم يكن إباؤهن كإباء إبليس في قوله تعالى: ﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾ [الحجر: ٣١] لأن السجود هناك كان فرضاً، وههنا الأمانة كانت عرضاً والإباء هناك كان استكباراً وههنا كان استصغاراً لقوله تعالى: ﴿وأشفقن منها﴾ أي: خفن من الأمانة أن لا يؤدينها كما أشار إليه الشيخ المصنف في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ معطوف على مقدر أي: فعرضناها على الإنسان فحملها كما أشار له بقوله: (بعد عرضها عليه)، وهذا المقدر هو المشار إليه بقوله: (متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم) أي: متعلقة بعرضنا المقدر اهـ شيخنا.

ولا حاجة إلى هذا كله بل كان يكفي أن يقول متعلقة بحملها اهـ.

وفي القرطبي: واللام متعلقة بحملها أي: حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع، وقيل: متعلقة بعرضنا أي: عرضنا الأمانة على الجميع ثم قلدناها الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله، وإيمان المؤمن ليثيبه الله اهـ.

قوله: ﴿ظلوماً﴾ (لنفسه) المراد بظلمه لها إتعابه إياها كما أشار له بقوله: (بما حمله) وهذا الظلم

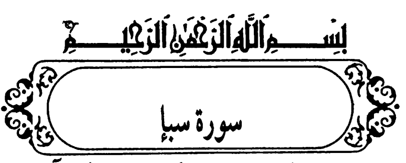
﴿جَهُولًا ۝٧٢﴾ به ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا ۝٧٣﴾ بهم.

ممدوح من الأنبياء ومن توقف فيه، فهم أن المراد بالظلم حقيقته وهي مجاوزة حد الشرع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جهولاً﴾ (به) أي: بعاقبته وأن النفس لا تطيق الدوام عليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليعذب الله المنافقين﴾ الخ أي: حملها الإنسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها على أن اللام للعاقبة، فإن التعذيب وإن لم يكن غرضاً حاملاً على تحملها، لكن لما ترتب الأغراض على الأفعال المعلل بها أبرز في معرض الغرض أي: كان عاقبة حمل الإنسان أن يعذب الله من أفراده من لم يقم بهذه الأمانة، وأن يثيب من قام بها والالتفات إلى الاسم الجليل أولاً لتهويل الخطب وتربية المهابة والإظهار في موضع الإضمار ثانياً في قوله: ﴿ويتوب الله﴾ لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه، والله أعلم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿غفوراً﴾ (للمؤمنين) أي: حيث عفا عن فرطاتهم رحيماً بهن حيث أثابهم بالعفو على طاعتهم، مكرماً لهم بأنواع الكرم والله أعلم اهـ خطيب.



سورة سبإ

مكية إلا ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ الآية.
وهي أربع أو خمس وخمسون آية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ بخلقه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم

بالصرف وتركه كما سيأتي في الشرح. قوله: (حمد تعالى نفسه) من باب فهم كما في المختار، وقوله: (بذلك) أي: بذلك القول وهو الجملة المذكورة، وقوله: (المراد به) نعت لذلك، وقوله: (من ثبوت الحمد الخ) بيان للمضمون، وقوله: (لله) متعلق بثبوت اهـ شيخنا.

قوله: (ملكاً وخلقاً) تمييزان عن نسبة ما في السموات اهـ كرخي.

قوله: (كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة) يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، الحمد لله الذي صدقنا وعده فله الحمد في الدارين فحذف الدنيا لدلالة الآخرة عليها، لأن النعم فيهما كله منه. فإن قلت: الحمد مدح النفس ومدحها مستقبح فيما بين الخلق فما وجه ذلك؟ فالجواب: إنه دليل على أن حاله تعالى بخلاف حال الخلق، وأنه يحسن منه ما يقبح من الخلق، وذلك يدل على أنه تعالى أن تقاس أفعاله على أفعال العباد وهذا يهدم أصول المعتزلة بالكلية قاله الفخر الرازي اهـ كرخي.

قوله: ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه تعالى من الأمور التي نيطت بها مصالحهم الدينية والدنيوية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما يلج في الأرض﴾ أي: من المطر والكنوز والأموات وما يخرج منها أي: من النبات والأشجار والعيون والمعادن والأموات إذا بعثوا ﴿وما ينزل من السماء﴾ أي: من الثلج والبرد والمطر وأنواع البركات والملائكة، ﴿وما يعرج فيها﴾: أي: في السماء من الملائكة وأعمال العباد، ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ أي: للمفرطين في أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه اهـ خازن.

رزق وغيره ﴿ وَمَا يَعْرُجُ ﴾ يصعد ﴿ فِيهَا ﴾ من عمل وغيره ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ ﴾ بأوليائه ﴿ الْغَفُورُ ۝ ﴾ لهم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾ القيامة ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ بالجر صفة، والرفع خبر مبتدإ، وعلام بالجر ﴿ لَا يَعْزُبُ ﴾ يغيب ﴿ عَنْهُ مِثْقَالُ ﴾ وزن ﴿ ذَرَّةٍ ﴾ أصغر نملة ﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ ﴿ لِّيَجْزِيَ ﴾ فيها ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾

قوله: (كماء وغيره) أي: كالكنوز والدفائن والأموات، وعورض هذا بأنها مما يوضع فيها لا مما يلج فيها. فالجواب: بأن الوضع هو الإيلاج والولوج مطاوعة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما يعرج فيها﴾ ضمن العروج معنى الاستقرار فعداه بفي دون إلى والسماء جهة العلو مطلقاً اهـ شهاب.

قوله: ﴿لا تأتينا الساعة﴾ أرادوا بضمير التكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصريهم فقط، كما أرادوا بنفي إتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر، وإنما عبروا بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل﴾ (لهم) ﴿بلى﴾ رد لكلامهم وإثبات لما نفوه على معنى ليس الأمر إلا إتيانها. وقوله: ﴿وربي لتأتينكم﴾ تأكيد له على أتم الوجوه وأكملها، وقوله: ﴿عالم الغيب الخ﴾ تقوية للتأكيد لأن تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة إثباته وصحته لما أن ذلك في حكم الاستشهاد على الأمر اهـ أبو السعود.

قوله: (بالجر صفة الخ) والقراءات الثلاث سبعيات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يعزب عنه﴾ بضم الزاي في قراءة الجمهور، وقرأ الكسائي بكسرها اهـ بيضاوي.

وفي المصباح: وعزب الشيء من باب قتل وضرب غاب وخفي اهـ.

قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ جملة من مبتدأ وخبر مؤكدة لنفي العزوب اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ العامة على رفع أصغر وأكبر وفيه وجهان، أحدهما: الابتداء والخبر إلا في كتاب. والثاني: النسق على مثقال وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إلا في كتاب﴾ تأكيداً للنفي في لا يعزب كأنه قال: لكنه في كتاب مبين ويكون في محل الحال. وقرأ قتادة، والأعمش، ورويم، عن أبي عمرو، ونافع أيضاً: بفتح الراءين وفيه وجهان، أحدهما: أن لا هي لا التبرئة بني اسمها معها، والخبر قوله: ﴿إلا في كتاب﴾. والثاني: النسق على ذرة اهـ.

قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ إشارة إلى أن مثقال لم يذكر للتحديد بل الأصغر منه لا يعزب أيضاً فإن قيل: فأي حاجة إلى ذكر الأكبر، فإن من علم الأصغر من الذرة لا بد وإن يعلم الأكبر؟ فالجواب: لما كان الله تعالى أراد بيان إثبات الأمور في الكتاب، فلو اقتصر على الأصغر لتوهم متوهم أنه يثبت الصغائر لكونها محل النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فقال: الإثبات في الكتاب ليس كذلك، فإن الأكبر مكتوب فيه أيضاً اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليجزي الذين آمنوا﴾ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضيه إتيانها اهـ أبو السعود.

حسن في الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ وفي قرءاة وفيما يأتي معاجزين، أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيىءِ العذاب ﴿أَلِيمٌ ۝﴾ مؤلم بالجر والرفع، صفة لرجز وعذاب ﴿ وَيَرَى﴾

وقد أشار له للشارح بقوله: (فيها) أي: الساعة اهـ شيخنا.

قوله: (حسن في الجنة) أي: محمود العاقبة.

قوله: ﴿والذين سعوا﴾ يجوز فيه وجهان، أظهرهما: أنه مبتدأ، وأولئك وما بعده خبره. والثاني: أنه عطف على الذين قبله أي: ويجزي الذين سعوا ويكون أولئك بعده مستأنفاً، وأولئك الذين قبله وما في حيزه معترضاً بين المتعاطفين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في﴾ (إبطال) ﴿آياتنا﴾ (القرآن) أي: بالطعن فيها ونسبتها إلى السحر والشعر وغير ذلك لأن المكذب آت بإخفاء آيات بينات، فيحتاج إلى السعي العظيم والجد البليغ ليروج كذبه لعله يعجز المتمسك به اهـ كرخي.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. وقوله: (وفيما يأتي) أي: آخر السورة. قوله: (أي مقدرين الخ) لف ونشر مرتب، فالأول توجيه للقراءة الأولى، والثاني للثانية. وقد تقدم نظير ذلك مع زيادة في سورة الحج اهـ كرخي.

وفي البيضاوي: معجزين أي: مثبطين عن الإيمان من أراده اهـ.

ومعنى التقدير في كلام الشارح الاعتقاد وقوله: (مسابقين) أطلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحوق به والمسابقة مع الله وإن كانت مما لا يتصور إلا أن المكذبين بآيات الله لما قدروا في أنفسهم وطمعوا أن كيدهم في الإسلام يتم لهم شبهوا بمن يسابق الله بحسب زعمهم اهـ زاده.

وفي الشهاب: عند الآية الآتية ما نصه قال الراغب: أصل معنى العجز التأخر لكون المتأخر خلف عجز السابق أو عنده، ثم تعورف فيما هو معروف ظاهراً، فالمراد هنا بالمعاجزة التأخر المسبوق بتقديم السابق، ومعنى المفاعلة غير مقصود هنا إذ المقصود السبق وعدم قدرة غيرهم عليهم لغلبتهم، فلذا لم يقل في تفسيره مسابقين فغلبتهم إما للأنبياء وهي متصورة أو لله وهي غير متصورة، فلذا جعلها بناء على زعمهم الفاسد وظنهم الباطل لا أنه موضوع له اهـ.

قوله: (فيفوتونا) في نسخة فيفوتوننا، وفي البيضاوي: كي فوتونا وعليها فحذف النون ظاهر اهـ.

وقوله: (لظنهم أن لا بعث الخ) علة لقوله سعوا.

قوله: ﴿ويرى الذين﴾ معطوف على يجزي فهو منصوب أو مستأنف فهو مرفوع، فقول الشارح يعلم يصح قراءته بالوجهين، والذين: فاعل، والذي أنزل: مفعول أول، وقوله: ﴿هو﴾ (فصل) أي:

يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ أي الله ذي العزة المحمود ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ

ضمير فصل متوسط بين المفعولين، والحق مفعول ثان، ويهدي معطوف على المفعول الثاني أي: يرونه حقاً وهادياً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: ويهدي عطف على الحق عطفَ الفعل على الاسم لأن الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ وهادياً اهـ.

وفي الشهاب: قوله: ﴿ويهدي﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه مستأنف وفاعله إما ضمير الذين أنزل أو الله، فقوله: ﴿العزيز الحميد﴾ التفات. الثاني: أنه معطوف على الحق بتقدير، وأنه يهدي. الثالث: أنه معطوف عليه عطف الفعل على الاسم. الرابع: أنه حال بتقدير وهو يهدي اهـ.

قوله: (مؤمنو أهل الكتاب الخ) عبارة القرطبي: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ قال مقاتل: الذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال ابن عباس: هم أصحاب محمد ﷺ، وقيل: أهل الكتاب، وقيل: جميع المسلمين وهو أصح لعمومه، والرؤية بمعنى العلم وهي في موضع نصب عطفاً على ليجزي أي: ليجزي وليرى قاله الزجاج والفراء اهـ.

ويرد على العطف المذكور أن المراد من الآية ثبوت العلم لهم في الدنيا، والعطف يقتضي ثبوته لهم في الآخرة وليس مراداً فالحق هو الاستئناف اهـ.

قوله: (هو محمد) ونكروه سخرية به واستهزاء قاتلهم الله اهـ أبو السعود.

وفي الشهاب: والتعبير عنه برجل المنكر من باب التجاهل كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل وهو عندهم أشهر من الشمس اهـ.

وفي القرطبي: فإن قلت: كان رسول الله ﷺ مشهوراً علماً في قريش وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم فما معنى قولهم ﴿هل ندلكم على رجل ينبئكم﴾ فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول؟ قلت: كانوا يقصدون بذلك السخرية والهزء به فأخرجوه مخرج التحاكي ببعض الحكايات التي يتحاكى بها للضحك والتلهي متجاهلين به اهـ.

قوله: (أنكم) ﴿إذا مزقتم﴾ الخ تقديره: أنكم غير واف بالمقصود فإن غرضه الإشارة إلى العامل في إذا، وعبارة غيره: أنكم تبعثون إذا مزقتم ولو قدره هكذا لكان أوضح. وعبارة السمين: قوله: ﴿إذا مزقتم﴾ إذا منصوب بقدر أي: تبعثون وتحشرون وقت تمزقكم لدلالة ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ عليه، ولا يجوز أن يكون العامل ينبئكم لأن التنبئة لهم تقع ذلك الوقت ولا مزقتم، لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا خلق جديد لأن ما بعد إن يعمل فيما قبلها، ومن توسع في الظرف أجازه. هذا إذا جعلنا إذا ظرفاً محضاً، فإن جعلناها شرطاً كان جوابها مقدر أي: تبعثون وهو العامل في

جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغنى بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون تخيل به ذلك، قال تعالى ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ من الحق في الدنيا ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ

إذا عند الجمهور. قال الشيخ: والجملة الشرطية يحتمل أن تكون معمولة لينبئكم لأنه في معنى يقول لكم إذا مزقتم تبعثون، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾، ويحتمل أن يكون إنكم لفي خلق جديد معلقاً لينبئكم ساداً مسد المفعولين ولولا اللام لفتحت إن، وعلى هذا فجملة الشرط اعتراض وقد منع قوم التعليق في أعلم وبابها والصحيح جوازه اهـ.

قوله: (بمعنى تمزيق) يشير به إلى أن ممزق اسم مصدر وهو قياس كل ما زاد على الثلاث أن يجيء مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم مفعوله أي: كل تمزيق، ويجوز أن يكون ظرف مكان قاله الزمخشري أي: كل مكانٍ تمزيق من القبور وبطون الوحش والطير اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي: تنشؤون خلقاً جديداً بعد أن تمزقت أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير تراباً اهـ بيضاوي.

وجديد عند البصريين بمعنى فاعل يقال: جد الشيء فهو جاد وجديد، وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جددته أي قطعته اهـ سمين.

قوله: ﴿أفترى على الله كذباً﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام قول الكافرين أولاً أي: من كلام القائلين هل ندلكم، ويحتمل أن يكون من كلام السامع المجيب للقائل هل ندلكم، كأنه القائل لما قال له هل ندلكم على رجل؟ أجابه فقال هو يفتري على الله كذباً الخ اهـ خطيب.

قوله: (واستغنى بها) أي: في التوصل للنطق بالساكن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذباً﴾ (في ذلك) أي: في الأخبار بأنهم يبعثون، وقوله: (تخيل به ذلك) أي أنهم يبعثون اهـ شيخنا.

قوله: (قال تعالى) ﴿بل الذين﴾ الخ أي: جواباً عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال مناد عليهم بسوء حالهم وبطلان ما قالوا في حقه كأنه قيل: ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلاط العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقة وفميا يؤدي إليه ذلك من العذاب، ولذلك يقولون ما يقولون اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفلم يروا﴾ الخ استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه من تكذيب آيات الله واستعظام ما قالوا في حق رسول الله، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿أفلم يروا﴾ فيه الرأيان المشهوران، فقدره الزمخشري: أعموا فلم يروا وغيره يدعي أن الهمزة مقدمة على حرف العطف اهـ.

قوله: ﴿إلى ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ من المعلوم أن ما بين يدي الإنسان هو كل ما يقع نظره

﴿نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً وقلنا ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ ارجعي ﴿مَعَهُۥ﴾

عليه من غير أن يحول وجهه إليه، وما خلفه هو كل ما لا يقع نظره عليه حتى يحول نظره إليه فيعم الجهات كلها، فإن قيل: هلا ذكر الأيمان والشمائل كما ذكرهما في قوله في الأعراف: ﴿لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ [الأعراف: ١٧] فالجواب: أنه وجد هنا ما يغني عن ذكرهما من لفظ العموم والسماء والأرض بخلاف هناك اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن نشأ﴾ الخ بيان لما ينبيء عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما، وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه إلا تعلق المشيئة به أي: فعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة، فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص. إن نشأ جرياً على موجب جناياتهم نخسف بهم الأرض كما خسفناها بقارون، أو نسقط عليهم كسفاً أو قطعاً من السماء كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم اهـ أبو السعود.

قوله: (قطعة) الأولى أن يقول قطعاً، لأن كلاً من كسف وكسف جمع كسفة بمعنى قطعة كما تقدم عن القاموس في سورة الروم. قوله: (**في الأفعال الثلاثة**) أي: نشأ ونخسف ونسقط. قوله: ﴿إن في ذلك﴾ (المرئي) أي: من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالنظر من جميع الجوانب اهـ أبو السعود.

وقاله هنا بتوحيد آية، وقال بعد ذلك: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم: ٥ ولقمان: ٣١ وسبأ: ١٩] بجمعها لأن ما هنا إشارة إلى إحياء الموتى فناسب التوحيد وما بعده إشارة إلى سبأ قبيلة تفرقت في البلاد فصاروا فرقاً فناسب الجمع اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا جبال﴾ محكي بقول مضمر، ثم إن شئت قدرته مصدراً ويكون بدلاً من فضلاً على جهة تفسيره به، كأنه قيل: آتيناه فضلاً قولنا يا جبال. وإن شئت قدرته فعلاً، وحينئذ فلك وجهان: إن شئت جعلته بدلاً من آتيناه، وإن شئت جعلته مستأنفاً اهـ سمين.

قوله: ﴿أوِّبي معه﴾ العامة على فتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع، وقيل: التسبيح بلغة الحبشة، والتضعيف يحتمل أن يكون للتكثير، واختار الشيخ أن يكون للتعدي. قال: لأنهم فسروه برجعي معه التسبيح ولا دليل فيه لأنه تفسير معنى، وقرأ ابن عباس، والحسن، وقتادة، وابن أبي إسحاق: أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب يؤوب أي: ارجعي معه بالتسبيح اهـ سمين.

قوله: (ارجعي) ﴿معه﴾ (بالتسبيح) أي: كلما رجع فيه، فكان كلما سبح يسمع من الجبال التسبيح معجزة له اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: فكان داود إذ نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال وعطفت الطير عليه من

بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال، أي ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ۝١٠﴾ فكان في يده كالعجين وقلنا ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي نسج الدروع، قيل لصانعها سرَّاد، أي اجعله بحيث تتناسب

فوقه، وقيل: كان إذا لحقه ملل أو فتور أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له اهـ.

قوله: (عطفاً على محل الجبال) ويؤيده القراءة بالرفع عطفاً على لفظها تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بحركة الإعراب، أو بالنصب عطفاً على فضلاً أو هو مفعول معه لأوبي اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿وألنّا له الحديد﴾ عطف على أتينا وهو من جملة الفضل اهـ سمين.

وسبب ذلك أن الله تعالى أرسل له ملكاً في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له: ما تقول في داود؟ فقال: نعم هو لولا خصلة فيه. فقال داود: وما هي؟ فقال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال. فسأل داود ربه أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع، فهو أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك صفائح. قيل: كان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم وينفق ويتصدق منها، فلذا قال ﷺ: «كان داود لا يأكل إلا من عمل يده» اهـ خازن.

قوله: (فكان في يده كالعجين) أي: من غير نار ومن غير آلة اهـ.

قوله: ﴿أن اعمل سابغات﴾ فيها وجهان، أظهرهما: أنها مصدرية على حذف الحرف أي: لأن أعمل. والثاني: قاله الحوفي وغيره إنها مفسرة، ورد هذا بأن شرطها تقدم ما هو بمعنى القول ولم يتقدم هنا إلا ألنا، واعتذر بعضهم عن هذا بأن يقدر ما هو بمعنى القول. أي: وأمرناه أن اعمل ولا ضرورة تدعو إلى ذلك، وقرىء صابغات لأجل الغين وتقدم تقديره في لقمان عند قوله: ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ [لقمان: ٢٠] اهـ سمين.

قوله: ﴿وقدر في السرد﴾ اختلف في معنى قوله: ﴿وقدر في السرد﴾ أي: نسج الدروع: يقال لصانعه: الزراد والسراد، فقيل: معناه قدر المسامير في حلق الدروع أي: لا تجعل المسامير غلاظاً فتكسر الحلق ولا دقاقاً فتقلقل فيها، ويقال: السرد المسمار في الحلقة يقال: درع مسرودة أي: مسمورة الحلق، أو قدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة، وقيل: اجعل كل حلقة مساوية لأختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها السهم، ولتكن في ثخنها بحيث لا يقطعها سيف ولا تثقل على الدراع فتمنعه خفة التصرف وسرعة الانتقال في الكر والفر والطعن والضرب في البر والبحر، والبرد والحر، والظاهر كما قال البقاعي: إنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد، وإلاَّ لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للإلانة كبير فائدة، وقد أخبر بعض من رأى ما نسب إليه بغير مسامير، وقال الرازي: يحتمل أن يقال السرد هو عمل الزرد، وقوله تعالى: ﴿وقدر في السرد﴾ أي: إنك غير مأمور أمر إيجاب، وإنما هو اكتساب والكسب يكون بقدر الحاجة، وباقي الأيام والليالي للعبادة، فقدِّر في ذلك العمل ولا تشتغل جميع أوقاتك بالكسب بل حصل فيه القوت فحسب اهـ خطيب.

قوله: (أي اجعله) أي: النسج، وقوله: (بحيث تتناسب حلقه) بأن تكون على مقادير متناسبة اهـ شهاب.

حلقه ﴿وَاعْمَلُوا﴾ أي آل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ⑪﴾ فأجازيكم به ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ وقراءة الرفع بتقدير تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾ مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما

ولو قال حلقها لكان أوضح كما قال القاري والحلق بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون وقد يقال بفتحتين اهـ من المختار.

وفيه أيضاً: سرد الدرع أي: نسجها، وهو إدخال الحلق بعضها في بعض يقال: سرد الدرع سرداً من باب نصر اهـ.

قوله: (أي آل داود) بالنصب على أن ندائية، وبالرفع على أنها تفسيرية للواو اهـ شيخنا.

قوله: (وسخرنا) ﴿لسليمان الريح﴾ أخذ تقدير هذا العامل من التصريح به في موضع آخر في قوله: ﴿وسخرنا له الريح تجري بأمره﴾ [صٓ: ٣٦] الخ. قوله: (بتقدير تسخير) أي: على أنه مبتدأ مضاف للريح، والجار والمجرور في محل رفع خبر، والأصل وتسخر الريح كائن لسليمان، ثم حذف المبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فارتفع ارتفاعه ثم قدم الخبر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿غدوها شهر﴾ أي: جريها بالغداة وهي من أول النهار إلى الزوال مسيرة شهر، ورواحها شهر أي: سيرها من الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح. وعن الحسن: كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في إسطخر وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من إسطخر فيبيت ببابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع اهـ من الخازن وأبي السعود.

قوله: (أي مسيرته) راجع لكل من القسمين قبله اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ القطر: النحاس المذاب، ومعنى أسلنا له عين القطر جعلنا النحاس في معدنه كالعين النابعة من الأرض، وفي القرطبي: والظاهر أن الله جعل النحاس لسليمان في معدنه عيناً تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته اهـ.

وعبارة البيضاوي: أساله الله من معدنه ينبع منه نبوع الماء من الينبوع، ولذلك سماه عيناً وكان ذلك باليمن اهـ.

قوله: (فأجريت ثلاثة أيام) قيل: مرة واحدة، وقيل: كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام اهـ أبو السعود.

قوله: (وعمل الناس) مبتدأ، وقوله: (مما أعطي سليمان) خبر. أي: من الكرامة التي أعطيها سليمان. أي: عمل الناس في النحاس. أي: اصطناعهم له بعد لينه وإذابته، ولو كانت بالنار من آثار الكرامة التي أعطيها سليمان ولولاها ما لان النحاس أصلاً، لأنه قبل سليمان لم يكن يلين أصلاً بنار ولا بغيرها اهـ شيخنا.

أعطي سليمان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾ النار في الآخرة، وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع

قوله: ﴿من يعمل بين يديه﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء، وخبره الجار والمجرور قبله أي: من الجن من يعمل، وأن يكون في موضع نصب بفعل مقدر أي: وسخرنا من يعمل، ومن الجن متعلق بهذا المقدر أو بمحذوف على أنه حال أو بيان اهـ سمين.

ويؤيد الاحتمال الثاني ما في سورة صٓ من قوله تعالى: ﴿والشياطين كل بناء وغواص﴾ [صٓ: ٣٧] فإنه هناك منصوب بسخرنا المصرح به. قوله: ﴿عن أمرنا﴾ (له) أي: لمن يزغ، وقوله: (بطاعته) أي: سليمان. قوله: (بأن يضربه ملك) أي: وكله الله الجن للذين يستعملهم سليمان، فكان بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته اهـ خازن.

قوله: ﴿يعملون له﴾ الخ تفصيل لما ذكر من عملهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أبنية مرتفعة) فليس المراد بها محاريب المساجد التي هي مواضع صلاة الإمام الراتب المسماة بالقبل اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: من محاريب أي: أبنية مرتفعة سميت بالمحاريب لأنها يذب عنها ويحارب عليها اهـ. وكتب عليها الشهاب.

قوله: (أبنية مرتفعة) هذا أصل معنى المحراب وسمي باسم صاحبه لأنه يحارب غيره في حمايته ثم نقل إلى الطاق التي يقف بحذائها الإمام وهي مما أحدث في المساجد اهـ.

وكان مما عملوا له بيت المقدس، وذلك أن داود ابتدأه، أي: ابتدأ بناءه في موضع فسطاط أي: خيمة موسى التي كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة، فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان. فلما قضي على داود واستخلف سليمان وأحب إتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال، فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام، وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، فلما فرغ منها ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً منهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها، ومنهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدر الصافي من أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه. فأتى من ذلك بشيء كثير، ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار وإصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت واللآلي، فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وجعل عمده من البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر، وبسط أرضه بالعنبر، فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه، فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمه وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله إلى ملكه بالعراق اهـ خازن.

قوله أيضاً: ﴿من محاريب﴾ المحاريب في اللغة كل موضع مرتفع، وقيل للذي يصلى فيه: محراب لأنه يجب أن يرفع ويعظم، وقال الضحاك: من محاريب أي: من مساجد وكذا قال قتادة،

تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن، يصعد إليها بالسلالم، وقلنا ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ العامل بطاعتي شكراً لنعمتي ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي مات ومكث قائماً على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك

وقال مجاهد: المحاريب دون القصور، وقال أبو عبيدة: المحراب أشرف بيوت الدار اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وتماثيل﴾ قيل: كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل أشياء ليست بحيوان وذكر بعضهم أنها صور الأنبياء عليهم السلام والعلماء، وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً قال ﷺ: أن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة أي: ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة، وقيل: إن هذه التماثيل رجال اتخذوهم من نحاس، وسأل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل الله ولا يحيق فيهم السلاح، ويقال: إن أسفنديار كان منهم والله أعلم. وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد على الكرسي بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا جلس أظل النسران بأجنحتهما اهـ قرطبي.

قوله: (هي حوض كبير) سمي جابية لأن الماء يجبى فيه أي: يجمع اهـ خازن.

وقوله: (يجتمع على الجفنة الخ) هذا بيان لعظم وكبر الجفان المشبهة بالحيضان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آل داود﴾ قيل: المراد من آل داود نفسه، وقيل: آل داود سليمان وأهل بيته. قال ثابت البناني: كان داود عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي اهـ خازن.

قوله: (شكراً﴾ يجوز فيه أوجه، أحدهما: أنه مفعول به أي اعملوا الطاعة سميت الصلاة ونحوها شكراً لسدها مسده. الثاني: أنه مصدر من معنى عملوا كأنه قيل اشكروا شكراً بعملكم، أو اعملوا عمل شكر. الثالث: أنه مفعول من أجله أي: لأجل الشكر. الرابع: أنه مصدر واقع موقع الحال أي: شاكرين. الخامس: أنه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكراً. السادس: أنه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا عملاً شكراً اهـ سمين.

قوله: ﴿وقليل﴾ خبر مقدم، وعن عبادي صفة له، والشكور مبتدأ مؤخر اهـ سمين.

قوله: ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ الخ قال العلماء: كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فدخله المرة التي مات فيها فأعلمه الله بوقت موته، فقال: اللهم اخف على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس بأنهم يعلمونه، فقام في المحراب يصلي على عادته متكئاً على عصاه قائماً،

الأعمال الشاقة على عادتها، لا تشعر بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه، فخرّ ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول، أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾

وكان للمحراب طاقات من بين يديه ومن خلفه، فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطوله منه قبل ذلك، فمكثوا يعملون حولاً كاملاً حتى أكلت الأرضة عصاه فخرَّ ميتاً اهـ خازن.

وفي القرطبي: وذلك أن داود أسس بيت المقدس، فلما مات أوصى إلى سليمان في إتمامه فأمر سليمان الجن به فلما دنت وفاته قال لأهله: لا تخبروهم بموتي حتى يتموا بناء المسجد وكان بقي لإتمامه سنة، ثم قال: اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما في غد، ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي واتكأ على عصاه على كرسيه فمات، ولم تعلم الجن إلى أن مضت سنة وتم بناء بيت المقدس. قال أبو جعفر النحاس: وهذا أحسن ما قيل في هذه الآية.

وحكي أن سليمان عليه السلام ابتدأ بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه وكان عمره سبعاً وستين سنة، وملك وهو ابن سبع عشرة سنة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ فيه بنائه عيداً وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء، وقال: اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد، اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت عليَّ وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنته، ولا سقيم إلا شفيته. ولا فقير إلا أغنيته، والخامس أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحاداً أو ظلماً يا رب العالمين ذكره الماوردي.

قلت: وهذا أصح مما تقدم من أنه لم يتم بناؤه إلا بعد موته بسنة، والدليل على صحة هذا ما أخرجه النسائي وغيره بإسناد صحيح، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «إن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه». فهذا وما قبله صريح أنه أكمل بناءه في حال حياته والله أعلم اهـ.

قوله: (حتى أكلت الأرضة عصاه) فلما أكلتها شكرتها الجن وأحبوها فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب اهـ خازن.

وفي القرطبي: وفي الخبر أن الجن شكرت ذلك للأرضة فأينما كانت يأتونها بالماء قال السدي: والطين ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشبة فإنه مما تأتيها به الشياطين شكراً وقالوا لها: لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما اهـ.

قوله: (بالبناء للمفعول) يتأمل ما وجه اعتباره لهذا المصدر من المبني للمفعول مع أن الدابة مضافة إليه. والظاهر من إضافتها إليه أن يكون المراد به المعنى الذي يقوم بها وهو مصدر المبني

بالهمز وتركه بألف، عصاه، لأنها ينسأ ويطرد ويزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة أي أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ العمل الشاق لهم، لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة، بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف

للفاعل لأنها هي الفاعلة لأكل الخشبة فليتأمل اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿ما دلهم﴾ أي: الجن، وقيل: آله على موته إلا دابة الأرض أي: الأرضة أضيفت إلى فعلها، وقرىء الأرض بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها، يقال: أرضت الأرضة الخشبة أرضاً، فأرضت أرضاً مثل أكلت السوس الأسنان أكلاً فأكلت أكلاً اهـ.

وفي السمين: في دابة الأرض وجهان، أظهرهما: أن المراد بها الأرض المعروفة، والمراد بدابة الأرض الأرضة دويبة تأكل الخشب. والثاني: أن الأرض مصدر كقولك: أرضت الدابة الخشبة تأرضها أرضاً أي: أكلتها فكأنه قيل: دابة الأكل يقال أرضت الدابة الخشبة تأرضها أرضاً فأرضت بالكسر أي: تأكل أكلاً بالفتح، ونحوه: جدعت أنفه جدعاً فجدع هو جدعاً بفتح عين المصدر وبفتح الراء. قرأ ابن عباس، والعباس بن الفضل: وهي مقوية للمصدرية في القراءة المشهورة، وقيل: الأرض بالفتح ليس مصدراً بل هو جمع أرضة، وعلى هذا يكون من باب إضافة العام إلى الخاص، لأن الدابة أعم من الأرضة وغيرها من الدواب اهـ.

قوله: (بالهمز) أي: الساكن أو المفتوح، فهاتان قراءتان مع قوله: (وتركه بألف)، فالقراءات ثلاث وكلها سبعية اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿تأكل منسأته﴾ إما حال أو مستأنفة، وقرأ منسأته بهمزة ساكنة ابن ذكوان، وبألف محضة نافع وأبو عمرو، وبهمزة مفتوحة الباقون. والمنسأة: العصا اسم آلة من نسأه أي: أخره كالمكسحة والمكنسة اهـ.

قوله: (لأنها تنسأ الخ) عبارة البيضاوي: من نسأت البعير إذا طردته لأنها يطرد بها، انتهت.

قوله: (العمل الشاق لهم) في نسخة له أي: الكائن له، أي: لسليمان. وعلى نسخة لهم فاللام بمعنى على اهـ شيخنا.

قوله: (لظنهم حياته) علة للبثهم المنفي، وقوله: (خلاف ظنهم) أي: ظناً خلاف ظنهم علم الغيب الذي كانوا يدعونه وقوله: (وعلم) بالبناء للمفعول أي: علم لهم كونه أي: العمل سنة بحساب الخ. أو يقرأ وعلم بصيغة المصدر على أنه مبتدأ، وقوله: (بحساب الخ) خبره. وفي أبي السعود ما نصه: فأراد الجن أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة اهـ.

قوله: ﴿ولقد كان لسبأ﴾ الخ لسبأ خبر مقدم، وآية اسمها مؤخر وفي مساكنهم حال من سبأ أي: كانت لهم الآية المذكورة حال كونهم في مساكنهم قبل تفرقهم منها، والمقصود من ذكر هذه القصة أن

وعدمه، قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ

النبي ﷺ يذكرها لقومه لعلهم يتعظون وينزجرون ويعتبرون بها اهـ شيخنا.

قوله: (بالصرف وعدمه) وفي عدم الصرف وجهان فتح الهمزة وسكونها، فالقراءات ثلاث. وقوله: ﴿في مساكنهم﴾ فيه ثلاث قراءات أيضاً: الجمع كمساجد، والإفراد بكسر الكاف كمسجد، والإفراد بفتحها كمذهب اهـ شيخنا.

قوله: (سميت باسم جد لهم) وهو سبأ بن يشجب بضم الجيم ابن يعرب بن قحطان. روى فروة ابن مسيك المرادي قال: وأنزل في سبأ ما أنزل قال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشراً من العرب فتيامن منهم ستة أي: سكنوا اليمن، وتشاءم منهم أربعة أي: سكنوا الشام فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة، أما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار»، فقال رجل: يا رسول الله وأما أنمار؟ قال: «الذين منهم خثعم وبجيلة» أخرجه الترمذي مع زيادة وقال: حديث حسن غريب اهـ خازن.

قوله: ﴿في مساكنهم﴾ (باليمن) وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿آية﴾ (دالة على قدرة الله) أي: بملاحظة أحوالها السابقة وهي نضارتها وخصبها وثمارها واللاحقة كتبديلها وعدم ثمرها اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: آية دالة على قدرة الله تعالى، وعلى أن لهم خالقاً خلقهم، وإن كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا إلى اختلاف أجناس الثمار وألوانها وطعومها وروائحها وأزهارها. وفي ذلك ما يدل على أنها لا تكون إلا من عالم قادر اهـ.

قوله: ﴿جنتان﴾ أي: جماعتان من البساتين عن يمين وشمال. أي: جماعة عن يمين وجماعة عن شمال كل طائفة من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: قال القشيري: ولم يرد جنتين اثنتين، بل أراد من الجهتين يمنة ويسرة، أي: كانت بلادهم ذات بساتين وأشجار وثمار تستتر الناس بظلالها اهـ.

قوله: (بدل) أي: من آية التي هي اسم كان بدل مثنى من مفرد، لأن هذا المفرد يصدق على المثنى لأنهما لما تماثلتا في الدلالة واتحدت جهتهما فيهما صح جعلها آية واحدة كما في قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون: ٥٠]. واعتمد أبو حيان كون جنتان خبر مبتدأ محذوف أي: هي جنتان أي: بستانان اهـ كرخي.

قوله: (عن يمين واديهم وشماله) أشار إلى أن واديهم قد أحاطت به الجنتان باليمين والشمال، وهذا هو المشهور. وقيل: المراد عن يمين وشمال من أتاهما، والظاهر أن كلمة في هنا بمعنى عند، فإن المساكن محفوفة بالجنتين لا مظروفة لهما اهـ كرخي.

﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبإ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس بها سباخ، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ جمع

قوله: (وقيل لهم) أي: بلسان الحال أو بلسان المقال من نبي لهم أو ملك، وهذا الأمر للإذن والإباحة اهـ شيخنا.

قوله: (أرض سبأ الخ) هذا التقدير يقتضي عدم ارتباط الجملة الثانية على تقديره بما قبلها، وعبارة القرطبي: بلدة طيبة هذا كلام مستأنف أي: هذه بلدة طيبة أي: كثيرة الثمار، وقيل: غير سبخة، وقيل: طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها، قال مجاهد: هي صنعاء، ورب غفور أي والمنعم بها عليكم ورب غفور يستر ذنوبكم، فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه. وقيل: إنما ذكر المغفرة مشيراً إلى أن الرزق قد يكون فيه حرام، وقد مضى القول في هذا في أول البقرة. وقيل: إنما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الأنبياء إلى أن استداموا الإصرار فاستؤصلوا اهـ.

وفي المصباح: ويطلق البلد والبلدة على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء اهـ.

قوله: (سباخ) جمع سبخة كرقاب جمع رقبة. وقوله: (ولا بعوضة) البعوض البق كما في المختار، وقوله: (ولا برغوث) بضم الباء كما في المختار أيضاً اهـ شيخنا.
وفي القاموس: والسبخة محركة ومسكنة أرض ذات نز وملح والجمع سباخ وقد أسبخت الأرض اهـ.

قوله: ﴿فأعرضوا﴾ (عن شكره) أي: مع ما أعطوه من النعم الداعية إليه. قيل: أرسل لهم ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذورهم عقابه فكذبوهم، وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا له فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع اهـ خازن.

وفي القرطبي: ﴿فأعرضوا﴾ يعني عن أمره واتباع رسله بعد أن كانوا مسلمين. قال السدي: بعث إلى أهل سبأ ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم. قال القشيري: وكان لهم رئيس يلقب بالحمار وكانوا في زمن من الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل: كان له ولد فمات فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر، فلهذا يقال: أكفر من حمار. وقال الجوهري: وقولهم أكفر من حمار وهو رجل من عاد مات له أولاد فكفر كفراً عظيماً، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه إلى الكفر فإن أجابه وإلاَّ قتله، ثم لما سال السيل بجنتيهم تفرقوا في البلاد على ما يأتي، ولهذا قيل في المثل: تفرقوا أيادي سبأ. وقيل: الأوس والخزرج منهم اهـ.

قوله: (جمع عرمة) بوزن كلم جمع كلمة، وقوله: (وغيره) أي: كالوادي والجسور اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾. العرم فيما يروى عن ابن عباس السد، فالتقدير سيل السد العرم. وقال عطاء: العرم اسم الوادي، وقال قتادة العرم اسم وادي سبأ كان يجتمع إليه

عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مرٍّ بشع، بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ

مسايل من الأودية، فردموا ردماً بين جبلين وجعلوا لذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأرة فنقبت الردم. قال وهب: كانوا يزعمون أنهم يجدون في علمهم وكهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة، فلما جاء ما أراده الله بهم أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهرر فثاورتها حتى استأخرت عن الحجر، ثم وثبت فدخلت في الفرجة التي عندها ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم. وقال الزجاج: العرم اسم الجرذ الذي نقب السد عليهم، وهو الذي يقال له الخلد قاله قتادة أيضاً، ونسب السيل إليه لأنه سببه، وقد قال ابن الأعرابي أيضاً: العرم من أسماء الفأر، وقال مجاهد، وابن أبيَ نجيح: العرم ماء أحمر أرسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه، وعن ابن عباس: أن العرم المطر الشديد. وروي أن العرم سد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وهو المنسأة بلغة حمير بنته بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة وهي الشدة يقال: رجل عارم أي: شديد اهـ.

قوله: (الممسوك) نعت للسيل وقوله: (بما ذكر) أي: بالعرم أي: الذي كان ممسوكاً ومحبوساً بالعرم قبل إرساله عليهم، وقطع العرم بواسطة الفأر فتهدم ودخل السيل عليهم، وإضافة السيل إلى العرم من حيث إنه كان ممسوكاً به ومن حيث إنه قطعه وغلبه ودخل عليهم تأمل. قوله: ﴿جنتين﴾ تسميتهما جنتين تهكم بهم على طريق المشاكلة اهـ.

قوله: (تثنية ذوات مفرد) أي: أن لفظ ذوات مفرد لأن أصله ذوية، فالواو عين الكلمة، والياء لامها لأنه مؤنث ذو، وذو أصله ذوي فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفاً. وفي تثنيته وجهان: تارة ينظر للفظه الآن فيقال ذاتان، وتارة ينظر له قبل حذف الواو فيقال ذواتان، فقول الشارح على الأصل متعلق بتثنية أي: تثنيته بهذه الصيغة منظور فيها لأصله وهو حالته قبل حذف الواو. وعبارة السمين في سورة الرحمن: وفي تثنية ذات لغتان، إحداهما: الرد إلى الأصل فإن أصله ذوية، فالعين واو، واللام ياء لأنها مؤنثة ذو. والثانية: تثنيته على اللفظ فيقال ذاتان اهـ.

قوله: (مر) أي: فالخمط اسم للمر والحامض من كل شيء، وفي المختار: الخمط ضرب من الأراك له حمل يؤكل له.

وفي السمين: والخمط قيل شجر الأراك، وقيل كل شجر ذي شوك، وقيل كل نبت أخذ طعماً من مرارة وقيل شجرة لها ثمر تشبه الخشخاش لا ينتفع به اهـ.

قوله: (بشع) في القاموس: البشع ككتف من الطعام الكريه فيه مرارة، والكريه ريح الفم الذي لا

قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ بالياء والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور، أي ما يناقش إلا هو ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبإ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى

يتخلل ولا يستكاك، والمصدر البشاعة والبشع محركة، وقد بشع كفرح ومن أكل شبعاً، والسيىء الخلق والدميم والخبيث النفس والعابس اليابس، وبشع الوادي كفرح تضايق بالماء وبالأمر ضاع به ذرعاً اهـ.

قوله: (بإضافة أكل) أي: على أنها من إضافة الموصوف لصفته وعلى الإضافة فالكاف مضمومة لا غير، وقوله: (وتركها) أي: يقرأ أكل بالتنوين وخمط صفة له، وعلى ترك الإضافة ففي الكاف وجهان تسكينها وضمها، فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (ويعطف عليه) أي: على أكل لا على خمط اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأثل﴾ قال الفراء: يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه طولاً، ومنه اتخذ منبر رسول الله ﷺ وورقه كورق الطرفاء الواحدة أثلة والجمع أثلات اهـ قرطبي.

قوله: ﴿من سدر قليل﴾ وصف بالقلة لأن ثمره وهو النبق يطيب أكله ولذا يغرس في البساتين، والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل ثمره وينتفع بورقه في غسل الأيدي، وصنف له ثمرة غضة لا تؤكل أصلاً ولا ينتفع بورقه وهو الضال وهو المراد هنا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلك﴾ مفعول ثان لجزيناهم مقدم عليه لأنه ينصب مفعولين أي: جزيناهم ذلك التبديل لا غيره اهـ شيخنا.

قوله: (بكفرهم) أي: بسببه. قوله: (بالياء والنون) سبعيتان. قوله: (أي ما يناقش إلا هو) أشار إلى جواب كيف حصر الأمر بالمجازاة في الكافر مع أن المؤمن والكافر يجازيان وإيضاحه أنه لا يجازى بكل عمله ويناقش عليه إلا الكافر، وأما المؤمن ففي الحديث: «إن الصلاتين يكفران ما بينهما» الخ اهـ كرخي.

قوله: ﴿وجعلنا بينهم﴾ الخ مجموعة معطوف على ما مجموع قبله عطف قصة على قصة، فذكر أولاً ما أنعم به عليهم من الجنتين ثم تبديلهما بما مر، ثم ذكر هنا ما كان أنعم به عليهم أيضاً قبل هلاكهم بالسيل من جعل بلادهم متواصلة ثم عاقبهم بجعلها متفاصلة اهـ شهاب.

وفي الكرخي: ﴿وجعلنا بينهم﴾ أي: قبل إرسال السيل عليهم اهـ.

فقوله: ﴿وجعلنا بينهم الخ﴾ معطوف على قوله: ﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان﴾ الخ. وقوله: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ الخ معطوف في المعنى على قوله: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم الخ﴾. فالحاصل أنه ذكر لهم نعمتين ونقمتين فعطف النعمة على النعمة، وعطف النقمة على النقمة اهـ.

قوله: ﴿قرى ظاهرة﴾ عبارة الخازن: قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، انتهت.

﴿ظَـٰهِرَةً﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ بحيث يقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، أي وقلنا ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ﴾ وفي قراءة باعد ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطروا

قوله: (متواصلة) أي: يرى بعضها من بعض لتقاربها، فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن الطريق للسائر فيه غير بعيدة عن مسالكهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي: جعلنا السير بين قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية. وقال الفراء: أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم يكون المقيل في قرية والمبيت في قرية أخرى، وإنما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء لخوف الطريق، فإذا وجد الزاد والأمن لم يحمل على نفسه المشقة ونزل أيتها أراد اهـ قرطبي.

قوله: (بحيث يقيلون) من باب باع أي: ينزلون وقت القيلولة اهـ شيخنا.

قوله: (أي وقلنا) ﴿سيروا فيها﴾ أي: في هذه المسافة فهو أمر تمكين أي: كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا آمنين، فهو أمر بمعنى الخبر وفيه إضمار القول، وليالي وأياماً منصوبان على الحال، وقيل: ليالي وأياماً بلفظ النكرة تنبيهاً على قصر أسفارهم أي: كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه. قال قتادة: كانوا يسيرون غير خائفين ولا جائعين ولا ظامئين كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أماكن لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه اهـ قرطبي.

قوله: ﴿سيروا فيها﴾ في لفظ في إشعار بشدة القرب، حتى كأنهم لم يخرجوا من نفس القرى اهـ شهاب.

قوله: ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ وعجل لهم إجابة هذه الدعوة بتخريب تلك القرى المتواصلة وجعلها بلقعاً لا يسمع فيها داع ولا مجيب اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة، ولم يصبروا على العافية تمنوا طول الأسفار والكد في المعيشة كقول بني إسرائيل: ﴿ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها﴾ [البقرة: ٦١] الآية. وكالنضر بن الحارث حين قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية. فأجابه الله تعالى، وقتل يوم بدر بالسيف صبراً، وكذلك هؤلاء تبددوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق، وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الزاد اهـ.

قوله: ﴿أحاديث﴾ جمع حديث بمعنى الخبر كما في القاموس، وفي القرطبي: فجعلناهم أحاديث أي: يتحدث بأخبارهم وتقديره في العربية ذوي أحاديث اهـ.

قوله: (اجعلها مفاوز) تفسير لقوله باعد ولم يظهر من كلامه تفسير البينية فكان معناها بعد بين

النعمة ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ على النعم ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ فصدق بالتخفيف في ظنه، أو صدق بالتشديد

منازل أسفارنا أي: المنازل التي ننزل فيها بأن يكون بين كل واحد والآخر مسافة بعيدة، والمفاوز جمع مفوزة. وفي المصباح: المفاوز الموضع المهلك مأخوذة من فوز بالتشديد إذا مات لأنها مظنة الموت، وقيل: من فاز إذا نجا وسلم سميت به تفاؤلاً بالسلامة اهـ.

قوله: (في ذلك) أي: بسبب ذلك أي: بسبب ما حصل لهم أي: جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ويتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل، فيقولون: تفرقوا أيدي سبأ اهـ.

الأيدي هنا بمعنى الأولاد لأنه يعتضد بهم، وفي المفصل الأيدي الأنفس كناية أو مجاز. قال في الكشف: وهو أحسن تأمل اهـ شهاب.

قوله: ﴿كل ممزق﴾ أي: فرقناهم تفريقاً لا يتوقع بعده عود اتصال: قال الشعبي: فلحقت الأنصار بيثرب، وغسان بالشام، والأزد بعمان، وخزاعة بتهامة وكانت العرب تضرب بهم المثل فيقال: تفرقوا أيادي سبأ، وأيادي سبأ أي: مذاهب سبأ وطرقها اهـ قرطبي.

قوله: (المذكور) أي: من قصتهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد صدق عليهم﴾ عليهم متعلق بصدق كما تقول: صدقت عليك فيما ظننته بك ولا تتعلق بالظن لاستحالة تقدم شيء من الصلة على الموصول اهـ قرطبي.

قوله: (إنهم بإغوائه يتبعونه) وسنده في هذا الظن ما رآه منهم من انهماكهم في الشهوات أو من إصغار آدم إلى وسوسته، فقال: إن ذريته أضعف منه، وقيل: ظن ذلك عند قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ [البقرة: ٣٠] اهـ أبو السعود.

قوله: (فصدق بالتخفيف الخ) مراده بهذا تفسير القراءتين وهما سبعيتان. وقوله: (في ظنه) يشير به إلى أن ظنه على قراءة التخفيف منصوب بنزع الخافض، وقوله: (أو صدق بالتشديد الخ) يشير به إلى أن ظنه على قراءة التشديد مفعول به، والمعنى حقق ظنه أو وجده صادقاً، ويصح أن يكون على التخفيف مفعولاً به أيضاً، فإن الصدق يعدى إلى ما هو في معنى القول بنفسه، فيقال: صدق وعده أي: جعل وعده مصادقاً، والظن كالوعد في أنه نوع من القول ومن قرأ صدق بالتشديد جعله مفعولاً به، وقال: معناه حقق عليهم ظنه أي: صار فيما ظنه على يقين لأنه ظن أولاً أن يغويهم حيث قال في حق بني آدم: ﴿لأغوينهم﴾ [ص: ٨٢] و﴿لأحتنكن ذريته﴾ [الإسراء: ٦٢] إلا أنه لم يكن على يقين في أنه يتأتى له ذلك اهـ زاده.

ظنه، أي وجده صادقاً ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ للبيان أي وهم المؤمنون لم يتبعوه ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليطاً منا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ

قوله: (بمعنى لكن) إنما حمل على الانقطاع لأنه فسر الضمير أولاً بالكفار فلا يتناول المؤمنين اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿إلا فريقاً من المؤمنين﴾ نصب على الاستثناء وفيه قولان، أحدهما: أن يراد به بعض المؤمنين، لأن كثيراً من المؤمنين من يذنب وينقاد لإبليس في بعض المعاصي، أي: ما سلم من المؤمنين أيضاً إلا فريق منهم وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] فأما ابن عباس فعنه أنه قال: هم المؤمنون كلهم فمن على هذا للتبيين لا للتبعيض اهـ.

قوله: ﴿وما كان له عليهم﴾ أي: على من صدق عليهم ظن إبليس وعلى الفريق المؤمنين اهـ شيخنا.

قوله: (تسليط منا) الظاهر أن الشيخ المصنف رحمه الله تعالى نظر إلى أن التسلط وهو فعل الحق تعالى هو الأصل والمرجع لأن فعل العبد مخلوق لله تعالى ونحوه في الكشاف. وأما عبارة القاضي البيضاوي: تسلط واستيلاء فالظاهر أنه نظر إلى الذي هو وصف الشيطان وهو التسليط بالإغواء وإن كان ناشئاً عن التسليط وفيه رعاية الأليق في عدم إسناد الأمور القبيحة ولو بالنسبة إلينا تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠] حيث لم يقل: وإذا أمرضني الخ ونحو ذلك كثير اهـ.

قوله: ﴿إلا لنعلم﴾ ضمن معنى نميز فعدى بمن في قوله: ﴿ممن هو منها في شك﴾. ومنها متعلق بمحذوف على معنى البيان أي: أعني منها وبسببها، وقيل: من بمعنى في، وقيل: هو حال من شك اهـ سمين.

قوله: (علم ظهور) أي: فاللام للعاقبة لا تعليلية اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (علم ظهور) فعلى هذا يكون الاستثناء مفرغاً من أعم العلل تقديره: وما كان له عليهم استيلاء لشيء من الأشياء إلا لهذا وهو تمييز المحق من الشاك. قال ابن الخطيب: إن علم الله من الأزل إلى الأبد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالماً لا يتغير، ولكن يتغير تعلق علمه، فإن العلم صفة كاشفة يظهر بها كل ما في نفس الأمر، فعلم الله في الأزل أن العالم سيوجد فإذا وجد علمه موجوداً بذلك العلم، وإذا عدم علمه معدوماً، كذلك المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد إن قابلها، ثم إذا قابلها عمرو تظهر فيها صورته، والمرآة لم تتغير في ذاتها ولا تبدل في صفاتها، وإنما التغيير في الخارجات فكذلك ههنا اهـ.

قوله: ﴿من يؤمن بالآخرة﴾ يجوز في من وجهان، أحدهما: أنها استفهامية فتسد مسد مفعولي العلم كذا ذكره أبو البقاء وليس بظاهر، لأن المعنى إلا لنميز ونظهر للناس من يؤمن ممن لا يؤمن، فعبر عن مقابله بقوله: ﴿ممن هو منها في شك﴾ لأنه من نتائجه ولوازمه. والثاني: أنها موصولة وهذا هو

﴿مِنْهَا فِى شَكٍّۗ﴾ فنجازي كُلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ رقيب ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أي غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ معين ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾

الظاهر كما تقدم تفسيره. وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وهي التخالف بينهما بالفعلية الدالة على الحدوث والاسمية المشعرة بالدوام والثبات ومقابلة الإيمان بالشك المؤذن بأن أدنى مرتبة الكفر توقع في الورطة، وجعل الشك محيطاً وتقديم صلته والعدول إلى كلمة من مع أنه يتعدى نفي للمبالغة والإشعار بشدته وأنه لا يرجى زواله. وقال العلامة الطيبي: لعل نكتة إيقاع الشك في الصلة الثانية في مقابل الإيمان المذكور في الصلة الأولى، وأنه لم يقل من هو مؤمن بالآخرة ممن هو كافر بها، أو من يوقن بالآخرة ممن هو في شك منها ليؤذن بأن أدنى شك في الآخرة كفر، وأن الكافرين لا يوقنون في الرد بل هم مستقرون في الشك لا يتجاوزون إلى اليقين اهـ.

والأول أوجه اهـ كرخي.

قوله: ﴿حفيظ﴾ (رقيب) فهو تعالى قادر على منع إبليس منهم عالم بما سيقع، فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة إذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل ادعوا﴾ بكسر اللام على أصل التخلص من التقاء الساكنين وبضمها اتباعاً لضمة العين، والدال بينها حاجز غير حصين لسكونها، ويصح أن يكون ضم اللام بالنقل من ضمة الهمزة إذ أصله قل ادعوا فنقلت ضمة الهمزة للام وهما قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: (أي زعمتموهم آلهة) أي: فالمفعولان محذوفان، الأول: لطول الموصول بصفته، والثاني: لقيام صفته. أعني قوله: ﴿من دون الله﴾ مقامه اهـ أبو السعود.

قوله: (لينفعوكم) متعلق بادعوا. وعبارة الخازن: والمعنى أدعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، انتهت.

وقوله: (فيهم) أي في الآلهة أي: في شأنهم لا يملكون الخ، والجملة مستأنفة لبيان حالهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في السموات ولا في الأرض﴾ أي: لا يملكون أمراً من الأمور، وذكر السموات والأرض للتعميم عرفاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما له منهم ظهير﴾ أي: ما لله من هؤلاء من معين على خلق شيء، بل الله تعالى هو المنفرد بالإيجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال اهـ قرطبي.

قوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة﴾ أي: شفاعة الملائكة وغيرهم عنده أي: عند الله تعالى إلا لمن أذن له. قراءة العامة أذن بفتح الهمزة لذكر الله عز وجل أولاً، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي أذن بضم

. . . .

الهمزة على ما لم يسم فاعله، والآذن هو الله عز وجل، ومن يجوز أن ترجع إلى الشافعين، ويجوز أن ترجع إلى المشفوع لهم: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ قال ابن عباس: جلي عن قلوبهم الفزع، وقال قطرب: أخرج ما فيها من الخوف، وقال مجاهد: كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة أي: أن الشفاعة لا تكون من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن الله يأذن للملائكة والأنبياء في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٨] والمعنى أنه إذا أذن في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف من أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الملائكة الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن: ماذا قال ربكم، أي: ماذا أمر الله به؟ فيقولون لهم: قال الحق وهو أن أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين وهو العلي الكبير، فله أن يحكم في عباده بما يريد، ثم يجوز أن يكون هذا إذناً لهم في الدنيا في شفاعة أقوام، ويجوز أن يكون في الآخرة، وفي الكلام إضمار أي: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن ففزع لما ورد عليه من الإذن مهابة لكلام الله عز وجل، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجابوا بالانقياد. وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل أمر يأمر به الرب تعالى أي: لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين. وفي صحيح الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله: (كأنها سلسلة على صفوان) فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم قالوا: الحق وهو العلي الكبير». قال: «والشياطين بعضهم فوق بعض» قال: حديث حسن صحيح. وقال النواس بن سمعان. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى إذا أراد أن يوحي بأمر وتكلم بالوحي أخذت السموات والأرض منه رجفة أو رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخرّوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد، ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير» قال: «فيقول كلهم كما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى». وذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ قال: كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي، وكان إذا نزل الوحي سمع له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، ثم يقول: يكون في هذا العام كذا ويكون كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة، والكهنة تخبر الناس يكون كذا وكذا فيجدونه كذلك، فلما بعث الله سيدنا محمداً ﷺ دحروا ومنعوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك: هلك من في السماء فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً، وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة، وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة، حتى أشرعوا في أموالهم فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب: أيها الناس أمسكوا على أموالكم فإنه لم يمت من في السماء أما ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر والليل، والنهار، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض اليوم حدث فأتوني من كل تربة أرض فأتوه بها، فلما شم تربة مكة قال: من ههنا جاء الحدث فأنصتوا

تعالى رداً لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة وضمها ﴿لَهُۥ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها ﴿قَالُوا۟﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي قد أذن فيها ﴿وَهُوَ

فإذا رسول الله ﷺ قد بعث، وهذا تنبيه من الله تعالى وإخبار منه أن الملائكة مع اصطفائهم ورفعتهم لا يمكنهم أن يشفعوا لأحد حتى يؤذن لهم فإذا أذن لهم وسمعوا صعقوا، وكانت هذه حالهم فكيف تشفع الأصنام، أو كيف يؤملون الشفاعة منهم ولا يعترفون بالقيامة اهـ قرطبي.

قوله: (رداً) أي: نزل رداً الخ اهـ.

قوله: ﴿إلا لمن أذن له﴾ أي: إلا لشافع أذن له في الشفاعة على ما يشير له قوله: (رداً لقولهم الخ) اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا لمن﴾ أذن له فيه أوجه، أحدها: أن اللام متعلقة بنفس الشفاعة. قال أبو البقاء: كما تقول شفعت له. الثاني: أن يتعلق بتنفع قاله أبو البقاء أيضاً وفيه نظر لأنه يلزم عليه أحد أمرين، إما زيادة اللام في المفعول في غير موضعها وإما حذف مفعول تنفع وكلاهما خلاف الأصل. الثالث: أنه استثناء مفرغ من مفعول الشفاعة المقدر أي: لا تنفع الشفاعة لأحد إلا لمن أذن له، ثم المستثنى منه المقدر يجوز أن يكون هو المشفوع له وهو الظاهر، والشفع ليس مذكوراً إنما دل عليه الفحوى، والتقدير لا تنفع الشفاعة لأحد من المشفوع لهم إلا لمن أذن تعالى للشافعين أن يشفعوا فيه، ويجوز أن يكون هو الشافع والمشفوع له ليس مذكوراً تقديره لا تنفع الشفاعة من أحد إلا لشافع أذن له أن يشفع، وعلى هذا فاللام في له لام التبليغ لا لام العلة اهـ.

قوله: (بفتح الهمزة وضمها) سبعيتان اهـ.

قوله: ﴿حتى إذا فزع﴾ التضعيف هنا للسلب كما أشار له بقوله: (كشف عنها الفزع) كما يقال: قردت البعير أي: أزلت قراده وهذا غاية لمحذوف. قال الزمخشري: فإن قلت: بأي شيء اتصل قوله: ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾، وأي شيء وقعت حتى غاية له؟ قلت: بما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظاراً وتوقفاً وتمهلاً وفزعاً من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن لهم، وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان وطول من التربص، ودل على هذه الحال قوله في سورة النبأ ﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن﴾ [النبأ: ٣٧] إلى قوله: ﴿إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [النبأ: ٣٨] فكأنه قال يتربصون ويتوقفون ملياً فزعين وهلين حتى إذا فزع عن قلوبهم أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين، والمشفوعين لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق أي القول وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى اهـ سمين.

قوله: (والمفعول) أي: والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿القول الحق﴾ أي: قالوا: قال ربنا القول الحق وهو الإذن في الشفاعة للمستحقين لها اهـ أبو السعود.

﴿ٱلْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ العظيم ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾ بيِّن الإبهام، تلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٥﴾ لأنا بريئون منكم ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ بما يحكم به ﴿قُلْ أَرُونِىَ﴾ أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة

وفي السمين: والحق منصوب بقال مضمر أي قالوا: قال ربنا الحق أي: القول الحق اهـ.

قوله: ﴿وهو العلي الكبير﴾ من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافاً بغاية عظمة جنابه تعالى وقصور شأن كل من سواه اهـ أبو السعود.

فليس لملك ولا نبي أن يتكلم في ذلك اليوم إلا بإذنه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿قل من يرزقكم﴾ الخ أمر ﷺ بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار بأن آلهتم لا يملكون شيئاً، وأن الرازق هو الله وأنهم لا ينكرونه كما نطق به قوله: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿فسيقولون الله﴾ لما كانوا قد يتلعثمون في الجواب أيضاً مخافة الإلزام قيل له: قل الله، إذ لا جواب سواه عندهم اهـ أبو السعود.

قوله: (لا جواب غيره) أي: لأنه لا جواب غيره. قوله: (أي أحد الفريقين الخ) عبارة البيضاوي: أي وأن أحد الفريقين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال واختلاف الحرفين، لأن الهادي كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلع عليها أو ركب جواداً يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئاً، أو محبوس في مطمورة لا يستطيع أن يتقصى منها اهـ.

قوله: (في الإبهام) خبر مقدم وقوله: (تلطف الخ) مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿قل لا تسألون الخ﴾ هذا أيضاً من جملة التلطف اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا﴾ هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في التواضع، حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين اهـ فهو أيضاً من جملة التلطف.

قوله: ﴿أروني﴾ فيها وجهان، أحدهما: أنها علمية متعدية قبل النقل إلى اثنين، فلما جيء بهمزة النقل تعدت لثلاثة، أولها: المتكلم. ثانيها: الموصول. ثالثها: شركاء وعائد الموصول محذوف أي: ألحقتموهم. والثاني: أنها بصرية متعدية قبل النقل لواحد وبعده لاثنين، أولهما: ياء المتكلم. ثانيهما: الموصول وشركاء نصب على الحال من عائد الموصول أي: بصروني الملحقين به حال كونهم شركاء له اهـ سمين.

وأريد بأمرهم بإراءته الأصنام مع كونها بمرأى منه ﷺ إظهار خطئهم وإطلاعهم على بطلان رأيهم أي: أرونيها لأنظر أي صفة فيها اقتضت إلحاقها بالله في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزامهم الحجة اهـ أبو السعود.

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حال من الناس قدم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ذلك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فيه ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ عليه وهو يوم

قوله: ﴿بل هو﴾ في هذا الضمير قولان، أحدهما: أنه ضمير عائد على الله تعالى أي: ذلك الذي ألحقتم به شركاء هو الله والعزيز الحكيم صفتان. والثاني: أنه ضمير الأمر والشأن والله مبتدأ والعزيز الحكيم خبران له والجملة خبر هو اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا كافة﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه حال من الكاف في أرسلناك، والمعنى إلا جامعاً للناس في الإبلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة وراوية قاله الزجاج. وهذا بناء منه على أنه اسم فعل من كف يكف بمعنى جمع. الثاني: أن كافة مصدر جاءت على الفاعل كالعاقبة والعافية، وعلى هذا فوقوعها حالاً إما على المبالغة، وإما على حذف مضاف أي: ذا كافة للناس. الثالث: أن كافة صفة لمصدر محذوف تقديره إلا رسالة كافة. قال الزمخشري: إلا رسالة عامة لهم محيطة بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم. الرابع: أن كافة حال من الناس أي: للناس كافة إلا أن هذا قد رده الزمخشري فقال: المجرور على الجار وكم ترى من يرتكب مثل هذا الخطأ ثم لا يكتفي به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى فيرتكب الخطأين معاً. قال الشيخ: أما قوله لأن تقدم حال المجرور عليه الخ فليس كذلك بل هو مختلف فيه، فذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز، وذهب أبو علي، وابن كيسان، وابن برهان، وابن ملكون إلى جوازه قال الشيخ: وهو الصحيح ثم قال الشيخ: وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه فتقديمها على صاحبها وحده أجوز. قال: وممن حملها على الحال من الناس ابن عطية، فإنه قال قدمت للاهتمام اهـ.

قوله: ﴿بشيراً ونذيراً﴾ حالان من الكاف. قوله: (ذلك) أي: المذكور من الأمور الثلاثة وهي عموم رسالته وكونه بشيراً وكونه نذيراً.

قوله: ﴿ويقولون﴾ أي: بطريق الاستهزاء متى هذا الوعد يعنون به المبشر به والمنذر عنه، أو الموعود بقوله: ﴿يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا﴾ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن كنتم﴾ خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين.

قوله: ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ أي وعد يوم أو زمان وعد والإضافة للتبيين، ويؤيده أنه قرىء ميعاد يوم منونين على البدل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا تستأخرون﴾ أي: إن طلبتم التأخير عنه ساعة، ﴿ولا تستقدمون﴾ أي: إن طلبتم الاستعجال. وهذا جواب تهديد جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار اهـ بيضاوي.

القيامة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له، قال تعالى فيهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ الرؤساء ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ بالنبي ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾؟ لا ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله: (جواب تهديد الخ) جواب عما يقال كيف انطبق هذا جواباً لسؤالهم، مع أنهم سألوا عن تعيين وقت الوعد، لأن متى سؤال عن الوقت المعين، ولا تعرض في الجواب لتعيين الوقت. وتقرير الجواب: أن سؤالهم وإن كان على صورة استعلام الوقت إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت، والجواب المطابق لمثل هذا السؤال أن يجاب بطريق التهديد على تعنتهم اهـ زاده.

وجملة لا تستأخرون عنه يجوز أن تكون صفة لميعاد إن عاد الضمير في عنه عليه أو ليوم إن عاد الضمير في عنه عليه، فيجوز أن يحكم على موضعها بالرفع أو الجر اهـ سمين.

قوله: ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن﴾ الخ وسبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم: إن صفة محمد في كتبنا فاسألوه، فلما سألوه فوافق ما قال أهل الكتاب. قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي: قبله من التوراة والإنجيل، بل نكفر بالجميع، وكانوا قبل ذلك يراجعون أهل الكتاب ويحتجون بقولهم، فظهر بذلك تناقضهم وقلة عقلهم اهـ قرطبي.

قوله: (لإنكارهم له) أي: للبعث. قوله: (قال تعالى فيهم) أي: في بيان حالهم في القيامة. قوله: ﴿ولو ترى﴾ جوابها محذوف أي: لرأيت أمراً عجيباً، وقوله: ﴿إذ الظالمون﴾ بمعنى وقت ظرف لترى، وقوله: ﴿موقوفون﴾ أي: محبوسون في موقف الحساب جمع موقوف اسم مفعول من وقف الثلاثي المتعدي. وفي المصباح: وقفت الدابة تقف وقفاً ووقوفاً سكنت ووقفتها أنا يتعدى ولا يتعدى، ووقفت الرجل عن الشيء وقفاً منعته عنه اهـ. وبابه وعد كما في المختار اهـ.

وقوله: (يرجع الخ) حال وقوله: (يقول الخ) بدل منه اهـ شيخنا.

وفي السمين: ولو ترى مفعول ترى، وجواب لو محذوفان للفهم أي: لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم راجعاً بعضهم إلى بعض القول لرأيت حالاً فظيعة وأمراً منكراً ويرجع حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع لأنه يتعدى قال تعالى: ﴿فإن رجعك الله﴾ [التوبة: ٨٣] وقوله: ﴿يقول الذين استضعفوا الخ﴾ تفسير لقوله: (يرجع) فلا محال له، وأنتم بعد لولا مبتدأ على أصح المذهب، وهذا هو الأفصح أعني وقوع ضمائر الرفع بعد لولا خلافاً للمبرد حيث جعل خلاف هذا لحناً اهـ.

قوله: ﴿قال الذين استكبروا﴾ أي: جواباً للأتباع فهو كما في أبي السعود استئناف مبني على سؤال كأنه قيل: فماذا قال الذين استكبروا في الجواب اهـ.

قوله: ﴿بعد إذ جاءكم﴾ إنما وقعت إذ مضافاً إليها وإن كانت من الظروف اللازمة للظرفية لأنه

في أنفسكم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ أي الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ في

يتوسع في الزمان ما لا يتوسع في غيره فأضيف إليه الزمان اهـ عمادي.

وتقدم في آل عمران قول آخر وهو أن إذ بمعنى أن المصدرية. قوله: (لا) أي: فالاستفهام إنكاري اهـ شيخنا.

فأنكروا كونهم الصادين لهم عن الإيمان وأثبتوا أنهم هم الصادون لأنفسهم بسبب كونهم راسخين في الجرم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقال الذين استضعفوا﴾ فإن قيل: لم عطف هنا وترك العطف فيما سبق؟ قلت: لأن الذين استضعفوا مر أولاً كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف، ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول اهـ كشاف.

قوله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ المعنى أن المستكبرين لما أنكروا أن يكونوا السبب وأثبتوا أن ذلك باختيارهم كرَّ عليهم المستضعفون بقولهم: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾، فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا: بل من جهة مكركم لنا ليلاً ونهاراً وحملكم إيانا على الشرك وإتخاذ الأنداد اهـ عمادي.

وفي السمين: قوله: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ إضراب عن إضرابهم وإبطال له، ومكر فاعل فعل محذوف أي بل صدنا مكرهم بناء في الليل والنهار، فحذف المضاف إليه وأقيم مقامه الظرف اتساعاً وجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي، وقوله: ﴿إذ تأمروننا﴾ ظرف للمكر أي: بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا اهـ.

وفي السمين: قوله: ﴿بل مكر الليل﴾ يجوز رفعه من ثلاثة أوجه، أحدها: الفاعلية تقديره بل صدنا مكركم في هذين الوقتين. الثاني: أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي: مكر الليل صدنا. الثالث: العكس أي: سبب كفرنا مكركم، وإضافة المكر إلى الليل والنهار إما على الإسناد المجازي كقولهم: ليل ماكر فيكون مصدراً مضافاً لمرفوعه، وإما على الاتساع في الظرف فجعل كالمفعول به فيكون مضافاً لمنصوبه، وهذان أحسن من قول من قال إن الإضافة بمعنى في أي: في الليل لأن ذلك لم يثبت في غير محل النزاع اهـ.

قوله: ﴿وأسروا الندامة﴾ الخ جملة مستأنفة أو حال من كل من الذين استضعفوا والذين استكبروا.

قوله: (أي أخفاها كل عن رفيقه) عبارة أبي السعود: أي: أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير أو أظهروها، فإنه من الأضداد وهو المناسب لحالهم اهـ.

النار ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٣٣﴾ في الدنيا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۝٣٤﴾ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ ذلك ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا

قوله: ﴿وما أرسلنا﴾ شروع في تسلية النبي ﷺ، وقوله: ﴿إلا قال﴾ الخ حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بما أرسلتم﴾ متعلق بخبر إن وبه متعلق بأرسلتم والتقدير إنا كافرون بالذي أرسلتم به، وإنما قدم للاهتمام وحسنه تراخي الفواصل اهـ سمين.

قوله: ﴿وقالوا نحن﴾ الخ أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظراً إلى أحوالهم في الدنيا، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم منها، فأبطل الله ظنه بقوله: ﴿قل إن ربي﴾ الخ اهـ عمادي.

وفي الخازن: وقالوا: أي: المترفون والأغنياء للفقراء الذين آمنوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً أي: فلو لم يكن الله راضياً بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا أموالاً ولا أولاداً. وما نحن بمعذبين أي: لأنه تعالى قد أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة، وقوله: ﴿قل إن ربي﴾ الخ يعني أنه تعالى يبسط الرزق ويضيقه امتحاناً وابتلاء، ولا يدل البسط على رضاه ولا التضييق على سخطه اهـ.

قوله: ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أي: إما لأن العذاب الأخروي لا يقع أصلاً، وإما لأنه تعالى لما أكرمنا في الدنيا بالمال والبنين لا يهيننا في الآخرة على تقدير أن فيها عذاباً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل إن ربي﴾ أي: قل رداً عليهم وحسماً لمادة طمعهم وتحقيقاً للحق الذي يدور عليه أمر التكوين ﴿يبسط الرزق﴾ الخ أي: فلا غرض له في البسط ولا في التضييق فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع، وربما يعكس الأمر وربما يضيق عليهما معاً وربما يوسع على شخص في وقت ويضيق عليه في آخر. كل ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة، فلا ينقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لا يعلمون﴾ (ذلك) فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة، ومدار التضييق هو الهوان والذل، ولا يدرون أن الأول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج، والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما أموالكم﴾ الخ كلام مستأنف من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أي: وما جماعة أموالكم ولا أولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة، فإن الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي تقربكم عندنا وقرىء بالذي أي بالشيء الذي اهـ أبو السعود.

﴿أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ قربى أي تقريباً ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ أي جزاء العمل: الحسنة مثلاً بعشر فأكثر ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾ من الجنة ﴿ءَامِنُونَ ٣٧﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالإبطال

وفي السمين: قوله: ﴿بالتي تقربكم﴾ صفة للأموال والأولاد لأن جمع التكسير العاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة. وقال الفراء، والزجاج: إنه حذف من الأول لدلالة الثاني عليه قالا: والتقدير وما أموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا أولادكم بالتي تقربكم، وهذا لا حاجة إليه أيضاً. ونقل عن الفراء ما تقدم من أن التي صفة للأموال والأولاد معاً وهو الصحيح، وجعل الزمخشري التي صفة لموصوف محذوف قال: ويجوز أن يكون هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي: ليست أموالكم ولا أولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب. قال الشيخ: ولا حاجة إلى هذا الموصوف. قلت: والحاجة إليه بالنسبة إلى المعنى الذي ذكره اهـ.

قوله: ﴿زلفى﴾ مصدر من معنى العامل. إذ التقدير تقربكم قربى، وقرأ الضحاك زلفاً بفتح اللام وتنوين الكلمة على أنها جمع زلفة كقربة وقرب جمع المصدر لاختلاف أنواعه اهـ سمين.

قوله: ﴿إلا من آمن﴾ استثناء من الكاف في تقربكم، وحمله الشارح على الانقطاع لكون الخطاب للكفار، ومن آمن ليس داخلاً فيهم اهـ شيخنا.

وقيل: إنه متصل على أن يجعل الخطاب عاماً للكفرة والمؤمنين أو على أنه ابتداء كلام لا مقول لهم اهـ شهاب.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا من آمن﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه استثناء منقطع فهو منصوب المحل. الثاني: أنه في محل جر بدلاً من الضمير في أموالكم قاله الزجاج، وغلطه النحاس بأنه بدل من ضمير المخاطب قال: ولو جاز هذا لجاز رأيتك زيداً. الثالث: أن من آمن في محل رفع على الابتداء والخبر قوله: ﴿فأولئك لهم جزاء الضعف﴾ اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿إلا من آمن﴾ الخ أي: وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح، وقوله: ﴿فأولئك﴾ الخ إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها، كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار لفظها اهـ. وعلى تقديره يكون متصلاً.

قوله: ﴿فأولئك﴾ مبتدأ وقوله: ﴿لهم جزاء الضعف﴾ جملة من مبتدأ وخبر خبر عن أولئك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿جزاء الضعف﴾ مضاف إلى مفعوله أي: أن يجازيهم الله الضعف اهـ عمادي.

أو هو من إضافة الموصوف إلى صفته أي: لهم الجزاء المضاعف. قوله: (مثلاً) أي وجزاء الحسنتين بعشرين، وهكذا ويحتمل أن قوله مثلاً راجع لما بعده أي: بعشر أو بسبعين أو بسبعمائة أو بأكثر. قوله: (الموت وغيره) أي: من سائر المكاره. قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية. وقوله: (بمعنى الجمع) أي: حملاً لأل على أنها جنسية اهـ شيخنا.

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتونا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾ ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيقه ﴿لَهُۥٓ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ يقال كل إنسان يرزق

قوله: (مقدرين) أي: معتقدين عجزنا. قوله: (بعد البسط) أي: فالضمير في له راجع لمن يشاء بقيد أنه وقع له البسط، وقوله: (أو لمن يشاء) أي: فالضمير راجع لمن يشاء لا بقيد البسط فهما تفسيران، وقوله: (ابتلاء) علة لقوله: ﴿ويقدر له﴾ اهـ شيخنا.

وفي القاري: فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين أو في المؤمن وما سبق في شخصين أو في الكافر فلا تكرار وقيل: إنه تأكيد اهـ.

وعبارة البيضاوي: فهذا في شخص واحد بدليل قوله: ﴿ويقدر له﴾ باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير، انتهت.

وقوله: (فلا تكرير) أي: بل فيه تقرير لأن التوسيع والتقتير ليسا لكرامة ولا هوان، فإن لو كان كذلك لم يتصف بهما شخص واحد اهـ شهاب.

قوله: ﴿وما أنفقتم﴾ أي: على أنفسكم وعيالكم. وقيل: ما تصدقتم. وقوله: ﴿فهو يخلفه﴾ أي: إما عاجلاً بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، وإما آجلاً بالثواب في الآخرة اهـ خازن.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً».

وروي من حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم غربت شمسه إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين، اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً» وأنزل الله تعالى في ذلك من القرآن ﴿فأما من أعطى وأتقى﴾ [الليل: ٥] الآيات اهـ قرطبي في سورة الليل.

وفي السمين: قوله: ﴿وما أنفقتم﴾ يجوز أن تكون ما موصولة في محل رفع بالابتداء، والخبر قوله: ﴿فهو يخلفه﴾ ودخلت الفاء لشبهه بالشرط ومن شيء بيان كذا قيل، والثاني أن تكون شرطية فتكون في محل نصب مفعولاً مقدماً وفهو يخلفه جواب الشرط اهـ.

قوله: (في الخير) أي: في وجوهه قوله: ﴿يقال كل إنسان الخ﴾ أي: يقال قولاً لغوياً، وغرضه بهذا تصحيح التعبير بالجمع مع أن الرازق في الحقيقة واحد وهو الله. وعبارة الكرخي: فيه إشارة إلى أن الجمع من حيث الصورة لأن الرازق يطلق لغة على غيره تعالى، انتهت.

وأورد على هذا وعلى نظائره ابن عبد السلام في أماليه كما نقله السيوطي في شرح السنن أنه لا بد من مشاركة المفضل للمفضل عليه في أصل الفعل حقيقة لا صورة. وأجيب: بأن الرازقين بمعنى الموصلين للرزق والواهبين له بجعله حقيقة في هذا، كما صرح به الراغب حيث قال: الرزق العطاء الجاري والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه فيقال: رازق لغير الله ولا يقال لغيره تعالى رزاق ولا حاجة إلى ما قيل من أنه من عموم المجاز أو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه اهـ شهاب.

عائلته أي من رزق الله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي المشركين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠﴾ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ مصدقون فيما

قوله: (يرزق عائلته) أي: عياله وفي المختار: العيلة والعالة الفاقة، يقال: عال يعيل عيلة أي افتقر فهو عائل، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ [التوبة: ٢٨] وعيال الرجل من يعوله، وواحد العيال عيل كجيد، والجمع عيائل مثل جيائد، وأعال الرجل كثرت عياله فهو معيل والمرأة معيلة قال الأخفش: أي صار ذا عيال اهـ.

قوله: ﴿إياكم﴾ مفعول مقدم ليعبدون، فلما قدم انفصل وقدم لرعاية الفاصلة اهـ شيخنا.

قوله: (وإبدال الأولى ياء) هذا سبق قلم من الشارح، إذ لم يقرأ بهذه القراءة أحد، فالذي في كلامه قراءتان فقط تحقيقهما وإسقاط الأولى، وبقي ثلاثة وهي تسهيل الأولى مع تحقيق الثانية وعكسه، وإبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى، فالقراءات خمسة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كانوا يعبدون﴾ خبر هؤلاء، وإياكم مفعول يعبدون وتخصيص الملائكة بالخطاب لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم، وإلاَّ فيقال لعيسى ﷺ ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] فلا اختصاص لمثل هذا الخطاب بالملائكة، والتخصيص بالذكر هنا لأن المقصود حكاية ما يقال لهم. وقال صاحب الكشاف: هذا خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر: إياك أعني واسمعي يا جارة. ونحوه قوله عز وجل: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿أنت ولينا﴾ مضاف لمفعوله أي: أنت الذي نواليكَ أي: نتقرب منك بالعبادة ونواصلك، فقوله: ﴿من دونهم﴾ أي: ليس بيننا وبينهم موالاة من جهتنا أي: لم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا، فلذلك قال الشارح من جهتنا، ثم بينوا السبب الحامل لهم على عبادتهم بقولهم: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ فالإضراب انتقالي، كما قال الشارح أي: من بيان عدم مدخليتهم أي: الملائكة في عبادة الكفار لهم إلى بيان مدخلية الجن اهـ شيخنا.

قوله: (أي يطيعونهم) عبارة البيضاوي: حيث أطاعوهم في عبادة غير الله تعالى، وقيل: كانوا يتمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم اهـ.

وقوله: (حيث أطاعوهم الخ) أي: فعبادتهم مجاز عن إطاعتهم فيما سولوه لهم، وقوله: (وقيل كانوا يتمثلون الخ). وعلى هذا فعبادتهم لهم حقيقة اهـ شهاب.

وفي القرطبي: وفي التفاسير أن حياً يقال له بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وإنهم ملائكة وإنهم بنات الله، وهو قوله: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ [الصافات: ١٥٨] اهـ.

يقولون لهم، قال تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿ نَّفْعًا ﴾ شفاعة ﴿ وَلَا ضَرًّا ﴾ تعذيباً ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ كفروا ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ﴾ القرآن ﴿ بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ من الأصنام ﴿ وَقَالُوا مَا هَٰذَآ ﴾ أي القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ مُّفْتَرًى ﴾ على الله

قوله: ﴿أكثرهم﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿مؤمنون﴾ خبر، وبهم متعلق بمؤمنون، والأكثر هنا بمعنى الكل اهـ شهاب.

وفي الكرخي: فإن قيل: جميعهم متابعون للشياطين فما وجه قوله: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾، فإنه يدل على أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم؟ فالجواب من وجهين، أحدهما: أن الملائكة احترزوا عن دعوى الإحاطة بهم فقالوا: أكثرهم لأن الذين رأوهم واطلعوا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ويؤمنون بهم، ولعل في الوجود من لم يطلع الله الملائكة على حاله من الكفار. الثاني: هو أن العبادة عمل ظاهر والإيمان عمل باطن فقالوا: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ لاطلاعهم على أعمالهم، وقالوا: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ عند عمل القلب لئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب، فإن القلب لا يطلع على ما فيه إلا الله كما قال: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ [الأنفال: ٤٣] اهـ.

قوله: ﴿فاليوم لا يملك بعضكم﴾ الخ الفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة، فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الأخبار به عليه اهـ أبو السعود.

قوله: (أي بعض المعبودين) وهم الملائكة. وقوله: (لبعض العابدين) وهم الكفار. قوله: ﴿ونقول﴾ معطوف على لا يملك أي: واليوم نقول الخ اهـ.

قوله: ﴿التي كنتم بها تكذبون﴾ وقع الموصول هنا وصفاً للمضاف إليه وفي السجدة وصفاً للمضاف في قوله: ﴿عذاب النار الذي كنتم به تكذبون﴾ فقيل: لأنهم ثمة كانوا ملابسين للعذاب كما صرح به في النظم، فوصف لهم ما لابسوه وما هنا عند رؤية النار عقب الحشر فوصف لهم ما عاينوه، وكونه هنا وصفاً للمضاف على أن تأنيثه مكتسب تكلف اهـ شهاب.

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي: الدالة على التوحيد بدليل قوله: ﴿قالوا ما هذا إلا رجل الخ﴾ فلذلك أتى الشارح بمن التبعيضية فقال من القرآن اهـ شيخنا.

قوله: (بلسان نبينا) أشار بهذا إلى مرجع الإشارة في قوله: ﴿ما هذا﴾ أي: فهي راجعة على التالي المفهوم من تتلى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى﴾ وقوله: ﴿وقال الذين كفروا﴾ الخ في تكرير الفعل والتصريح بالفاعل إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه اهـ بيضاوي.

يعني: أنه لما ذكر قوله: ﴿قالوا﴾ في جواب قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ كان الظاهر أن يذكر مقول الكفرة بأن يعطف بعضه على بعض بأن يقال: كذا وكذا من غير أن يعاد فعل القول مع كل مقول، وقد أعيد ذلك حيث قيل: قالوا كذا وكذا، ثم قيل وقال الذين كفروا بإعادة الفعل مرة ثالثة، والتصريح

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ بيِّن، قال تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾﴾ فمن أين كذبوك ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ﴾ أي هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من القوّة وطول العمر، وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِى ۖ﴾

بفاعله والمقام مقام الإضمار كما في الأولين اهـ زاده.

قوله: ﴿إلا إفك﴾ (كذب) أي: في حد ذاته أي: غير مطابق للواقع وقوله: ﴿مفترى﴾ (على الله) أي: من حيث نسبته إلى الله، فمفترى تأسيس لا تأكيد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿للحق﴾ أي: في الحق أي في شأنه.

قوله: ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ أي: دالة على صحة الإشراك، وقوله: ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ أي يدعوهم إلى الإشراك، وإذا انتفت الكتب الدالة على ذلك والرسول الجائي به فمن أين لهم هذه الشبه وهذا في غاية تجهيلهم وتسفيه رأيهم اهـ بيضاوي.

فالمنفي إنما هو وصف الكتب المذكورة ووصف النذير المذكور، ولا أصل الكتب ولا أصل إرسال الرسول، وهذا ما أشار له الشارح بقوله: (فمن أين كذبوك). وهناك تفسير آخر ذكره الشهاب حاصله: أن المنفي أصل الكتب وأصل إرسال الرسل، وذلك لأن العرب كانوا في فترة إذ لم يبعث لهم نبي بعد إسماعيل وقد انقضت رسالته بموته.

وحاصل المعنى على هذا: أنه لا عذر لهم في الشرك ولا في عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب، فإن لهم نوع عذر لأن لهم ديناً وكتاباً فيشق عليهم تركهما، ويحتجون على عدم المتابعة بأن نبيهم حذرهم ترك دينه، وإن كان هذا احتجاجاً باطلاً اهـ شيخنا.

قوله: (أي هؤلاء) أي: كفار مكة وقوله: ﴿ما آتيناهم﴾ أي: كفار الأمم الماضية أو الضمير في بلغوا لكفار الأمم الماضية، والمعنى على هذا وما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى اهـ بيضاوي.

وقوله: ﴿معشار﴾ لغة في العشر. وعبارة البحر: المعشار مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المرباع ومعناهما العشر والربع، وقال وقوم: المعشار عشر العشر انتهت وبهامشه:

وقال الماوردي: المعشار هنا هو عشير العشير، والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف. قال: وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل اهـ.

قوله: (من القوة الخ) أي: ومع ذلك لم تنفعهم قوتهم وطول أعمارهم وكثرة أموالهم شيئاً في دفع الهلاك عنهم حين كذبوا رسلهم، فهؤلاء أولى بأن يحل بهم العذاب لتكذيبهم رسولهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكذبوا رسلي﴾ عطف على كذب الذين من قبلهم عطف تفسير وما بينها حال أو اعتراض اهـ أبو السعود.

إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾ هي ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أي لأجله ﴿مَثْنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَادَىٰ﴾ واحداً واحداً

وعبارة البيضاوي: ولا تكرير لأن الأول للتكثير، والثاني للتكذيب، انتهت.

وحاصله: أن الأول لما حذف مفعوله كان عاماً في تكذيب الرسل وغيرهم أي: حصل منهم التكذيب كثيراً لكل من أخبرهم بشيء فإنجر بهم الطغيان حتى كذبوا الرسل اهـ.

وفي الكشاف: فإن قلت: ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ قلت: لما كان معنى قوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ التكثير وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسبباً عنه. ونظيره: أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكذب بمحمد ﷺ اهـ كرخي.

قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ معطوف على محذوف قدره البيضاوي بقوله: فحين ﴿كذبوا رسلي﴾ جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري لهم أي: عليهم، فليحذر هؤلاء من مثله اهـ.

والنكير: تغيير المنكر أي: إزالته، فقوله: (بالعقوبة) أي: في الدنيا إذ هي التي يحصل بها تغييره، وقوله: (واقع موقعه) أي: فهو في غاية العدل خال عن الجور والظلم، وقوله: (إنكاري عليهم الخ) جعل تدميرهم إنكاراً تنزيلاً للفعل منزلة القول كما في قول الشاعر:

وتشتم بالأفعال لا بالتكلم

اهـ شهاب.

قوله: ﴿قل إنما أعظم﴾ أي: آمركم وأوصيكم بواحدة أي: بخصلة واحدة، ثم بيّن تلك الخصلة فقال: ﴿أن تقوموا لله﴾ الخ اهـ خازن.

وفي القرطبي: ﴿قل إنما أعظكم﴾ أي: إنما أذكركم وأحذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه بواحدة أي: بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك وإثبات الإله. قال مجاهد: هي لا إله إلا الله، وهذا قول ابن عباس والسدي، وعن مجاهد أيضاً: بطاعة الله، وقيل: بالقرآن لأنه يجمع كل المواعظ، وقيل: تقديره بخصلة واحدة ثم بينها بقوله: ﴿أن تقوموا لله مثنى وفرادى﴾ اهـ.

قوله: ﴿أن تقوموا لله﴾ ليس المراد حقيقة القيام الذي هو الانتصاب على القدمين، بل المراد به النهوض بالهمة والاعتناء والاشتغال بالتفكير في أمر محمد وما جاء به، أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه، وأما الواحد فيفكر في نفسه أيضاً بعدل ونصفة فيقول: هل رأينا من هذا الرجل جنوناً أو جربنا عليه كذباً قط، وقد علمتم أن محمداً ﷺ ما به من جنون، بل علمتموه أرجح قريش عقلاً وأوزنهم حلماً وأحدهم ذهناً وأرضاهم رأياً وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفساً وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمتدحون به، وإذا علمتم بذلك كفاكم أن تطالبوه بآية، وإذا جاء بها تبين أنه نبي صادق فيما جاء به اهـ خازن.

قوله: ﴿مثنى وفرادى﴾ إنهما قال مثنى وفرادى، لأن الجماعة يكون مع اجتماعها تشويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط الكلام والتعصب للمذاهب، وانتصب مثنى وفرادى على الحال،

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﴿مِّن جِنَّةٍۚ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ في الآخرة إن عصيتموه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ﴾ أي لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾ مطلع يعلم صدقي ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾﴾ ما

وقدم مثنى لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة، فإن انقدح الحق بين الاثنين فكر كل واحد منهما بعد ذلك فيزداد بصيرة. وقال الشاعر:

إذ اجتمعوا جاؤوا بكل غريبة فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

اهـ من البحر.

قوله: (فتعلموا) يحتمل أنه إشارة لتقدير ما ذكر لدلالة التفكر عليه لكونه طريقه، أو أن التفكر مجاز عن العلم، فلذا عمل في الجملة المعلق عنها. وذهب ابن مالك إلى أن تفكر يعلق حملاً له على أفعال القلوب، ولو حمل على التضمين لم يبعد والتعبير بصاحبكم للإيماء إلى أن حاله مشهور بينهم اهـ شهاب.

وعبارة البحر: ﴿ثم تتفكروا﴾ عطف بيان على أن تقوموا، والفكرة هنا في حال رسول الله ﷺ وفيما نسبوه إليه، فإن الفكرة تهدي غالباً إلى الصواب، والوقف عند أبي حاتم على قوله: ﴿ثم تتفكروا وما بصاحبكم من جنة﴾ نفي مستأنف، والذي يظهر أن الفعل معلق عن الجملة المنفية فهي في موضع نصب على إسقاط في، انتهت.

قوله: ﴿من جنة﴾ مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف قبله لاعتماده اهـ سمين.

قوله: ﴿إن هو﴾ أي: المحدث عنه بعينه إلا نذير، أي: خالص إنذاره لكم بين يدي. أي: قبل حلول عذاب شديد، أي: في الآخرة إن عصيتموه اهـ خطيب.

قوله: ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ يحتمل أن تكون ما شرطية مفعولاً مقدماً، وقوله: ﴿فهو لكم﴾ جوابها، وأن تكون موصولة في محل رفع بالابتداء والعائد محذوف أي: سألتكموه، والخبر فهو لكم، ودخلت الفاء لشبه الموصوف بالشرط، وعلى كل من الاحتمالين فيحتمل أن المعنى أنه لم يسألهم أجراً البتة فيكون كقولك: إن أعطيتني شيئاً فخذه مع علمك بأنه لم يعطك شيئاً، ويؤيده إن أجري إلا على الله، فيكون الكلام كناية عن أنه لم يسأل أصلاً لأن ما يسأله السائل يكون له، فجعله للمسؤول منه كناية عن عدم السؤال بالكلية، وهذا الاحتمال هو الذي أشار له الشارح بقوله: (أي: لا أسألكم عليه أجراً الخ). ويحتمل أنه سألهم شيئاً نفعه عائد عليهم، وهو المراد بقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ [الفرقان: ٥٧] وقوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] واتخاذ السبيل ينفعهم، وقربى رسول الله قرباهم اهـ ملخصاً من السمين والبيضاوي والشهاب.

قوله: ﴿يقذف بالحق﴾ يجوز أن يكون مفعوله محذوفاً لأن القذف في الأصل الرمي، وعبر به هنا عن الإلقاء أي: يلقي الوحي إلى أنبيائه بالحق أي: بسبب الحق أو ملتبساً بالحق، ويجوز أن يكون

غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ أي لم يبق له أثر ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ أي إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ الدعـاء ﴿قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿وَلَوْ

التقدير يقذف الباطل بالحق أي: يدفعه ويصرفه به كقوله: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ [الأنبياء: ١٨] ويجوز أن تكون الباء زائدة أي يلقي الحق كقوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ [البقرة: ١٩٥] ويضمن يقذف معنى يقضي ويحكم اهـ سمين.

قوله: ﴿علام الغيوب﴾ خبر ثان لإن أو خبر مبتدأ مضمر أو بدل من الضمير في يقذف اهـ سمين.

قوله: ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي: زهق الشرك بحيث لم يبق له إبداء ولا إعادة فجعل مثلاً في الهلاك بالمرة أبو السعود. والإبداء فعل الشيء ابتداء والإعادة فعله عن طريق الإعادة، ولما كان الإنسان ما دام حياً لا يخلو عن ذلك كنى به عن حياته وبنفيه عن هلاكه، ثم شاع ذلك في كل ما ذهب ولم يبق له أثر وإن لم يكن ذا روح فهو كناية أيضاً أو مجاز متفرع على الكناية، وإليه أشار المصنف والفعلان منزلان منزلة اللازم أو المفعول محذوف اهـ شهاب.

قوله: (أي لم يبق له أثر) يشير إلى أن ما نافية وهو الظاهر، وهذا مأخوذ من هلاك الحي فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة، أي: كان أصل هذا الكلام مستعملاً في معنى هلاك الحي كناية عنه من غير نظر إلى مفرداته فأخذ منه واستعمل ذهاب الباطل ذهاباً لم يبق معه أثر، فعلم من كلامه أنه لا مفعول ليبدىء ولا ليعيد إذ المراد لا يوقع هذين الفعلين، وقيل: مفعوله محذوف أي: ما يبتدىء لأهله خيراً ولا يعيده وهو تقدير الحسن اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ وذلك أن الكفار قالوا: تركت دين آبائك فضللت فقال الله له: قل يا محمد إن ضللت كما تزعمون فإنما أضل على نفسي. وقراءة العامة ضللت بفتح اللام، وقرأ يحيى بن وثاب وغيره: قل إن ضللت بكسر اللام فإنما أضل بفتح الضاد، والضلال والضلالة ضد الرشاد، وقد ضللت بفتح اللام أضل بكسر الضاد. قال الله تعالى: ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ وهذه لغة نجد وهي الفصيحة، وأهل العالية يقولون ضللت بكسر اللام أضل بفتح الضاد اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ أي: فإن وبال ضلالي لأنها سببه إذ هي الأمارة بالسوء، وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله: ﴿وإن اهتديت﴾ الخ أي لأن الاهتداء بهدايته وتوفيقه اهـ بيضاوي.

وقوله: وبهذا الاعتبار أي اعتبار أن كل ما هو بسببها فهو وبال عليها فوقع التقابل بين قوله: ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ وبين قوله: ﴿فيما يوحي إليَّ ربي﴾ وإلاَّ فلا تقابل بينهما ظاهراً، لأنه إنما يظهر التقابل بينهما إن أورد فيهما كلمة على أو كلمة الباء بأن يقال: وإن اهتديت فإنما أهتدي على نفسي، أو بأن يقال: ﴿إن ضللت فإنما أضل بنفسي﴾ الخ. فأجاب بأنهما متقابلان من جهة المعنى لأن قوله: ﴿فإنما أضل على نفسي﴾ في قوة أن يقال فإنما أضل بنفسي اهـ زاده باختصار.

قوله: ﴿فبما يوحي إليَّ ربي﴾ يجوز أن تكون ما مصدرية أي: بسبب إيحاء ربي إليَّ، وأن تكون

﴿تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عند البعث لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منا، أي لا يفوتونا ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ أي القبور ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾

موصولة أي: بسبب الذي يوحيه فعائدها محذوف اهـ سمين.

قوله: ﴿إنه سميع﴾ (للدعاء) عبارة البيضاوي: يسمع قول كل من المهتدي والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما وهي أنسب بالسياق، انتهت.

قوله: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت﴾ ذكر أحوال أهل الكفر في وقت يضطرون فيه إلى معرفة الحق، والمعنى: لو ترى إذ فزعوا في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم. روي معناه عن ابن عباس، وعن الحسن: هو فزعهم في القبور من الصيحة، وعنه أن ذلك الفزع إنما هو إذا خرجوا من قبورهم وقاله قتادة. وقال ابن معقل: إذا عاينوا عقاب الله جل جلاله يوم القيامة. وقال السدي: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فراراً إلى التوبة. وقال سعيد بن جبير: هو الجيش الذي يخسف به في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه فيفزعون، فهذا هو فزعهم فلا فوت فلا نجاة قاله ابن عباس. وقال مجاهد: فلا مهرب وأخذوا من مكان قريب أي: من القبور، قيل: من حيث كانوا فهم من الله قريبون لا يبعدون عنه ولا يفوتونه. وقال ابن عباس: نزلت في ثمانين ألفاً يغزون في آخر الزمان الكعبة ليخربوها، فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ من مكان قريب اهـ قرطبي.

قوله: (لرأيت أمراً عظيماً) أشار به إلى أن جواب لو محذوف، ويجوز أن تكون إذ مفعول ترى أي ولو ترى وقت فزعهم على المجاز العقلي، ويجوز أن يكون ظرفاً له اهـ كرخي.

والأولى من هذا أن مفعول ترى محذوف أي: ولو ترى حالهم وقت أن فزعوا الخ.

قوله: (أي لا يفوتوننا) أي: لا بهرب ولا بحصن اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأخذوا﴾ وقوله: ﴿وقالوا﴾ وقوله: ﴿وحيل بينهم﴾ الثلاثة معطوفة على فزعوا والأربعة بمعنى الاستقبال وعبّر فيها بالماضي لتحقق الوقوع اهـ شيخنا.

قوله: (أي القبور) وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا كما قاله أبو حيان، أو قريبة من الله أي: لا يبعد عليه أخذهم منها كما قاله غيره اهـ شيخنا.

وقيل: ﴿أخذوا من مكان قريب﴾ أي: قبضت أرواحهم في أماكنهم، فلم يمكنهم الفرار من الموت. وهذا على قول من يقول: هذا الفزع عند النزع، ويجوز أن يكون هذا الفزع الذي هو بمعنى الإجابة يقال: فزع الرجل إذا أجاب الصارخ الذي يستغيث به إذا نزل به خوف. قال: أراد الخسف أو القتل في الدنيا كيوم بدر قال: أخذوا في الدنيا قبل أن يأخذوا في الآخرة، ومن قال هو فزع يوم القيامة قال: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها: وقيل: أخذوا من مكان قريب أي: من جهنم فألقوا فيها اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وقالوا آمنا به﴾ أي: قالوا ذلك وقت النزع وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت

بالواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾ عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ۝٥٣﴾ أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن، وفي القرآن سحر شعر

كقوله تعالى: ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده﴾ [غافر: ٨٤] أو عند البعث فإن الكفار كلهم يؤمنون حينئذ، ونفى الله عنهم نفع الإيمان عنهم بقوله: ﴿وأنى لهم التناوش﴾ اهـ زاده.

قوله: ﴿وأنى لهم﴾ أي: من أين لهم، أي: كيف يقدرون على الظفر بالمطلوب، وذلك لا يكون إلا في الدنيا وهم في الآخرة، والدنيا من الآخرة بعيدة، فأنى هنا للاستبعاد، فإن قيل: كيف قال في كثير من المواضع إن الآخرة من الدنيا قريبة وسمى الساعة قريبة، فقال: ﴿اقتربت الساعة﴾ [القمر: ١] ﴿اقترب للناس حسابهم﴾ [الأنبياء: ١] ﴿لعل الساعة قريب﴾ [الشورى: ١٧]؟ فالجواب أن الماضي كالأمس الدابر وهو أبعد ما يكون إذ لا وصول إليه، والمستقبل وإن كان بينه وبين الحاضر سنين فإنه آت، فيوم القيامة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيامة في الدنيا قريب لإتيانه اهـ كرخي.

قوله: ﴿التناوش﴾ مبتدأ، وأنّى خبره، أي: كيف لهم التناوش ولهم حال، ويجوز أن يكون لهم رافعاً للتناوش لاعتماده على الاستفهام، أي: كيف استقر لهم التناوش وفيه بعد اهـ سمين.

وفي المصباح: ناشه نوشاً من باب قال تناوله، والتناوش التناول يهمز ولا يهمز، وتناوشوا بالرماح تطاعنوا بها اهـ.

وفي القرطبي: قال ابن عباس، والضحاك: التناوش الرجعة أي: يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا وهيهات من ذلك. وقال السدي: هو التوبة أي: طلبوها وقد بعدت لأنه إنما تقبل التوبة في الدنيا. وقيل: التناوش التناول. قال ابن السكيت: يقال للرجل إذا تناول رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته ناشه ينوشه نوشاً، ومنه المناوشة في القتال وذلك إذا تدانى الفريقان اهـ.

قوله: ﴿من مكان بعيد﴾ وهو الآخرة بدليل قوله: (عن محله الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويقذفون بالغيب﴾ الخ أي: ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول ﷺ من المطاعن، أو في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي تمحلوها في أمر الرسول وحال الآخرة كما حكاه من قبل، ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه اهـ بيضاوي.

وهذا استعارة تمثيلية تقريرها أنه شبه حالهم في ذلك أي: في قولهم آمنا به حيث لا ينفعهم الإيمان بحال من رمى شيئاً من مكان بعيد وهو لا يراه، فإنه لا يتوهم إصابته ولا لحوقه لخفائه عنه وغاية بعده، فالباء في بالغيب بمعنى في أي في محل غائب عن نظرهم أو للملابسة اهـ شهاب.

قوله: ﴿من مكان بعيد﴾ المكان البعيد وهو وهمهم الفاسد وظنهم الخاطىء، وهو بعيد عن رتبة العلم ورتبة الصدق والتحقيق اهـ شيخنا.

قوله: (أي بما غاب) وهو قولهم ساحر الخ. وقوله: (بعيدة) أي: عن الصدق والتحقق اهـ شيخنا.

كهانة ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان أي قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

قوله: ﴿وحيل بينهم﴾ أي: في الآخرة، وقوله: (أي: قبوله) أي نفعه بحيث يخلصهم من الخلود في النار اهـ شيخنا.

وحيل: فعل مبني للمفعول وإذا بني للفاعل يقال فيه حال وهو فعل لا يتعدى، ونائب الفاعل ضمير المصدر المفهوم من الفعل كأنه قيل: وحيل هو أي الحول. وجعل بعضهم نائب الفاعل الظرف وهو بينهم، واعترض بأنه كان ينبغي أن يرفع. وأجيب بأنه إنما بني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن، ورد بأن المضاف إلى غير متمكن لا يبنى مطلقاً، فلا يجوز قام غلامك ولا مررت بغلامك بالفتح، وتقدم في قوله: لقد تقطع بينكم ما يغنينا عن إعادته اهـ من البحر والسمين.

قوله: (أشباههم في الكفر) في المختار: وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع وقوله تعالى: ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾ أي: بأمثالهم اهـ.

قوله: ﴿من قبل﴾ متعلق بفعل أو بأشياعهم أي الذين شايعوهم قبل ذلك الحين اهـ سمين.

وعبارة البحر: من قبل يصح أن يكون متعلقاً بأشياعهم أي من أتصف بصفاتهم من قبل أي: في الزمان الأول، ويؤيده أن ما يفعل بجميعهم إنما هو في وقت واحد ويصح أن يكون متعلقاً بفعل إذا كانت الحيلولة في الدنيا، انتهت.

قوله: (أي قبلهم) أي: الذين كانوا قبلهم في الدنيا أي: كانوا فيها سابقين عليهم في الزمان، فالظرف وهو قوله: ﴿من قبل﴾ نعت لأشياعهم تأمل.

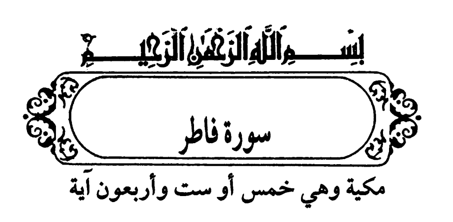
قوله: ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ أي: من أمر الرسل والبعث والجنة والنار، وقيل: في الدين والتوحيد والمعنى واحد، يقال: أراب الرجل أي: صار ذا ريبة فهو مريب، ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال: يقال شك مريب كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر في التأكيد اهـ قرطبي.

قوله: (موقع الريبة لهم) أي: فهو من أرابه أوقعه في ريبة وتهمة فالهمزة للتعدية اهـ شهاب.

وإسناد الإرابة إلى الشك مجاز قصد به المبالغة في الشك، وقال ابن عطية: الشك المريب أقوى ما يكون من الشك وأشده اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: (مع الريبة لهم) أو ذي ريبة منقول من المشكك أو الشاك نعت به الشك للمبالغة قاله القاضي. وإيضاحه، قول الكشاف: مريب إما من أرابه إذا أوقعه في الريبة والتهمة، أو من أراب الرجل إذا صار ذا ريبة، ودخل فيها وكلاهما أي: المعنيين مجاز إلا أن بينهما فرقاً وهو أن الريب من الأول أي: المتعدي منقول ممن يصبح أن يكون مريباً من الأعيان إلى المعنى، والمريب من الثاني أي: اللازم منقول من صاحب الشك إلى الشك كما تقول شعر شاعر اهـ.

قوله: (ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو في آمنوا به في الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله الواضحة وفي نسخة ولم يهتدوا لدلائله اهـ شيخنا.



سورة فاطر

مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله تعالى نفسه بذلك، كما بين في أول سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى أيضاً سورة الملائكة كما في البيضاوي وغيره وهذه السورة ختام السور المفتتحة بالحمد التي فصلت فيها النعم الأربع التي هي أمهات النعم المجموعة في الفاتحة، وهي الإيجاد الأول ثم الإبقاء الأول، ثم الإيجاد الثاني المشار إليه بسورة سبأ، ثم الإبقاء الثاني الذي هو أنهاها وأحكمها، وهو الختام المشار إليه بهذه السورة المفتحة بالابتداء خطيب.

قوله: (حمد تعالى نفسه) أي: تعظيماً لها وتعليماً لعباده كيفية الثناء عليه تعالى وباعتبار الثاني جعل الشارح هذه الجملة في سورة الحمد معمولة لقول محذوف حيث قدره هناك بقوله: **﴿قولوا الحمد لله﴾** وقوله: **(بذلك)** أي: بذلك التركيب فهو صادر من جهته تعالى، وحينئذ فالظاهر أن أل فيه جنسية أو استغراقية أي: جنس الحمد أو جميع أفراده مملوك أو مملوكة لي ومختصة بي، ولا يضر أن تكون عهدية إلا في الحمد الصادر من الخلق، لأنهم في تقرير العهدية يجعلون المعهود والمعلوم هو الصادر منه تعالى كالمذكور هنا، فلو جعلت هنا عهدية لم يكن هناك شيء معهود معلوم غير الحاصل بهذه الجملة فليتأمل اهـ شيخنا.

قوله: (بذلك) أي: بهذا اللفظ المذكور، وقوله: **(كما بين في أول سبأ)** عبارته هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله اهـ.

قوله: (خالقهما) أصل الفطر الشق مطلقاً. وقيل: الشق طولاً فكأنه شق العدم بإخراجهما منه اهـ أبو السعود.

وبابه نصر كما في المختار، وقول الشارح: على غير مثال سبق أي: وعلى غير مادة، والظاهر أن هذا ليس من معنى الفطر لغة، وإنما أخذه من المعنى وسياق الكلام تأمل.

قوله: ﴿جاعل الملائكة﴾ أي: بعضهم، إذ ليس كلهم رسلاً كما هو معلوم، وقوله: **﴿أولي أجنحة﴾** نعت لرسلاً وهو جيد لفظاً لتوافقهما تنكيراً أو للملائكة وهو جيد معنى: إذ كل الملائكة لها

﴿الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ كرزق

أجنحة فهي صفة كاشفة، والمسوغ للتخالف في التعريف جعل أل جنسية، وقوله: ﴿مثنى الخ﴾ القصد به التكثير واختلافهم في عدد الأجنحة لا الحصر، وإلاَّ فبعضهم له ستمائة وغير ذلك، ومثنى مجرور بفتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر نيابة عن الكسرة لأنه غير منصرف للوصف، والعدل عن المكرر أي: اثنين اثنين وهو بدل من أجنحة، فإن قلت: لا يخلو إما أن يكون جاعل بمعنى الماضي أو غيره. فإن كان الأول لزم أن لا يعمل مع أنه عامل رسلاً، وإن كان الثاني لزم أن تكون إضافته غير محضة، فلا يصح أن يكون صفة للمعرفة. قلنا: صرح الطيبي بأن جاعل هنا للاستمرار فباعتبار أنه يدل على المضي يصلح كونه للمعرفة، وباعتبار أنه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل اهـ كازروني.

قوله: ﴿رسلاً﴾ (إلى الأنبياء) عبارة البيضاوي: جاعل الملائكة رسلاً وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه اهـ.

قوله: ﴿يزيد في الخلق﴾ مستأنف وما يشاء هو المفعول الثاني للزيادة والأول لم يقصد فهو محذوف اقتصاراً، لأن ذكر قوله: ﴿في الخلق﴾ يغني عنه اهـ سمين.

قوله: (في الملائكة وغيرها) أي: يزيد صورة ومعنى كملاحة الوجه وحسن الصوت وجودة العقل ومتانته، فقد رأى النبي ﷺ جبريل ليلة المعراج بستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب أخرجه الشيخان اهـ كرخي.

وفي الخطيب: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته، والأصل الجناحان لأنهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قيل: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة؟ أجيب: بأن الثالث لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران. قال الزمخشري: فقد مرَّ بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة، فجناحان يلفون بهما أجسادهم، وجناحان للطيران يطيرون بهما في الأمر من أمور الله تعالى، وجناحان على وجوههم حيا من الله تعالى.

وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح ينتثر من رأسه الدر والياقوت». وروي أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال: إنك لن تطيق ذلك فقال: «إني أحب أن تفعل»، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال: «سبحان الله ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا». فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله، وأنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير. وروي عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ «هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن»، وقيل: هو الخط الحسن. عن قتادة: الملاحة في العينين. والآية كما قال الزمخشري مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة

ومطر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ أي بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ ۝٢﴾ في فعله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش ومتانة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلالة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأن في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف اهـ.

والوصع: بفتح الصاد المهملة وسكونها وبالعين المهملة كما في القاموس.

قوله: ﴿ما يفتح الله﴾ ما: اسم شرط جازم منصوبة المحل بفعل الشرط، ومن رحمة بيان لها وروعي معناها في قوله: ﴿فلا ممسك لها﴾. وروعي لفظ الأخرى في قوله: ﴿فلا مرسل له﴾ اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿وما يمسك﴾ يجوز أن يكون على عمومه أي: أي شيء أمسكه من رحمة أو غيرها. فعلى هذا التذكير في قوله له ظاهر لأنه عائد على ما يمسك، ويجوز أن يكون قد حذف المبين من الثاني لدلالة الأولى عليه تقديره: وما يمسك من رحمة، فعلى هذا التذكير في قوله له على لفظ ما في قوله أولاً: ﴿فلا ممسك لها﴾ التأنيث فيه حمل على معنى ما لأن المراد به الرحمة، فحمل أولاً على المعنى وفي الثاني على اللفظ والفتح والإمساك استعارة حسنة اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ عبّر عن إرسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون، وأعزها منالاً وتنكيرها للإشاعة والإبهام أي: أي شيء يفتح الله من خزائن رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به اهـ.

قوله: ﴿من رحمة﴾ تبيين أو حال من اسم الشرط، ولا يكون صفة لما لأن اسم الشرط لا يوصف. قال الزمخشري: وتنكير الرحمة للأشاعة والإبهام كأنه قيل: أي رحمة كانت سماوية أو أرضية. قال الشيخ: والعموم مفهوم من اسم الشرط، ومن رحمة بيان لذلك العام من أي صنف هو، وهو مما اجتزىء فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعروف المطابق في العموم لاسم الشرط، وتقديره: من الرحمات ومن في موضع الحال انتهى اهـ سمين.

قوله: (من ذلك) أي: من رحمة. ففي الكلام حذف من الثاني لدلالة الأول هذا ما سلكه الشارح، وبعضهم جعل ما عامة في الرحمة وغيرها كالغضب، ويؤيده عدم تبيينها وتبيين الأولى اهـ شيخنا.

وعبارة الخطيب: واختلاف الضميرين لأن الموصول الأول مفسر بالرحمة، والثاني مطلق يتناولها ويتناول الغضب، وفي ذلك أشعار بأن رحمته سبقت غضبه، انتهت.

قوله: ﴿اذكروا نعمت الله﴾ أي: لا تنسوها. وفي كلام الكشاف إشارة إلى ذلك حيث قال: ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن المراد ذكرها به وبالقلب اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ومعنى هذا الذكر الشكر اهـ.

بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ من زائدة وخالق مبتدأ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر، نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات والاستفهام للتقرير، أي لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ③﴾ من أين

قوله: ﴿نعمت الله عليكم﴾ النعمة: هنا بمعنى الإنعام بدليل تقدير المتعلق الذي ذكره هذا ما درج عليه الجلال اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: إنها بمعنى المنعم به حيث قال: احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها اهـ.

قوله: ﴿هل من خالق غير الله﴾ قرأ الأخوان غير بالجر نعتاً لخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ زيدت فيه من وفي خبره قولان، أحدهما: هو الجملة من قوله: ﴿يرزقكم﴾. والثاني: أنه محذوف تقديره لكم ونحوه. وفي يرزقكم على هذا وجهان، أحدهما: أنه صفة أيضاً لخالق فيجوز أن يحكم على موضعه بالجر اعتباراً باللفظ، وبالرفع اعتباراً بالموضع. الثاني: أنه مستأنف. وقرأ الباقون بالرفع وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه خبر المبتدأ. والثاني: أنه صفة لخالق على الموضع، والخبر إما محذوف وإما يرزقكم. الثالث: أنه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية، لأن اسم الفاعل قد اعتمد على أداة الاستفهام، إلا أن الشيخ توقف في مثل هذا من حيث إن اسم الفاعل وإن اعتمد إلا أنه لم يحفظ فيه زيادة من قال، فيحاج مثله إلى سماع ولا يظهر التوقف، فإن شروط الزيادة والعمل موجودة، وعلى هذا الوجه فيرزقكم إما صفة أو مستأنف. وجعل الشيخ استئنافه أولى قال: لانتفاء صدق خالق على غير الله بخلاف كونه صفة، فإن الصفة تقيد فيكون ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق. وقرأ الفضل بن إبراهيم النحوي غير بالنصب على الاستثناء، والخبر يرزقكم أو محذوف، ويرزقكم مستأنف أو صفة اهـ سمين.

قوله: (بالرفع والجر) سبعيتان، وقوله: (لفظاً ومحلاً) لف ونشر مشوش اهـ.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: والتوبيخ، وفي البيضاوي: أنه للإنكار اهـ.

قوله: (أي لا خالق رازق غيره) هذا حل معنى، وإلا فلو جرى على أسلوب الإعراب الذي ذكره لقال: أي: لا خالق غيره رازق اهـ شيخنا.

وفي نسخة أي: لا خالق ولا رازق غيره. قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد مما قبله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فأنّى تؤفكون﴾ من الأفك بالفتح وهو الصرف يقال: ما أفكك عن كذا، أي: ما صرفك عنه، وقيل: هو من الإفك بالكسر وهو الكذب، ويرجع هذا أيضاً إلى ما تقدم لأنه قول مصروف عن الصدق والصواب أي: من أين يقع لكم التكذيب بتوحيد الله اهـ قرطبي.

وفي المختار: والأفك بالفتح مصدر أفكه أي: قلبه وصرفه عن الشيء وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾ [الأعراف: ٢٨] قوله: (من أين تصرفون) أين هنا

تصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين، وينصر المرسلين ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ ۝﴾ الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾

بمعنى كيف، أي: من أي حالة ومن أي وجه وبأي سبب تعبدون غيره، فغيره ليس فيه وصف يقتضي أن تنصرفوا لعبادته، فإنه لا يقدر على خلق ولا على رزق ولا على غيرهما اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن يكذبوك﴾ الخ شروع في تسليته، وجواب الشرط محذوف قدره بقوله: ﴿فاصبر كما صبروا﴾ إذ هو الذي يصلح ترتبه على تكذيبهم له كما هو ظاهر اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (فاصبر كما صبروا) أشار إلى أن هذا هو جواب قوله: ﴿وإن يكذبوك﴾ دل عليه ﴿فقد كذبت رسل من قبلك﴾ أي: وصبروا يوضحه قول الكشاف، فإن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له؟ قلت: معناه وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فقد كذبت رسل من قبلك﴾ موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب يعني بالتكذيب عن التأسي اهـ.

قوله: (في ذلك) أي: في المجيء بما ذكر.

قوله: ﴿إن وعد الله﴾ مصدر مضاف لفاعله وقوله: (بالبعث وغيره) كالحساب والعقاب. قوله: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ المراد نهيهم عن الاغترار بها، وإن توجه النهي صورة إليها كما في قولهم: بعين ما لا أرينك ههنا اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ أي: فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتماداً على دفع الطبيعة اهـ.

قوله: (في حلمه) أي: بسبب حلمه وإمهاله أي: فلا يكن حلمه وإمهاله سبباً في اتباعكم الشيطان في غروره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الغرور﴾ العامة على الفتح وهو صيغة مبالغة كالصبور والشكور، وأبو السماك، وأبو حيوة يضمها إما جمع غار كقاعد وقعود، وإما مصدر كالجلوس اهـ سمين.

قوله: ﴿عدو﴾ أي: عظيم لأن عداوته عامة قديمة، والعموم يفهم من قوله: ﴿لكم﴾ حيث لم يخص ببعض دون بعض، والقدم من الجملة الاسمية الدالة على الاستمرار اهـ كرخي.

قوله: ﴿فاتخذوه عدواً﴾ أي: في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم اهـ بيضاوي.

أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦﴾ النار الشديدة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه. ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ بالتمويه ﴿فَرَآهُ حَسَنًا﴾ من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا، دلّ

أو كونوا معتقدين لعداوته عن صميم قلب، وإذا فعلتم فعلاً فتفطنوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح اهـ شهاب.

وقال القشيري: ولا يتعزى على عداوته إلا بدوام الاستعانة بالرب، فإنه لا يغفل عن عداوتكم فلا تغفلوا أنتم عن مولاكم لحظة اهـ خطيب.

قوله: ﴿إنما يدعو حزبه﴾ الخ تقرير لعداوته وتحذير من طاعته، واللام للتعليل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الذين كفروا﴾ يجوز رفعه ونصبه وجره. فرفعه من وجهين، أقواهما: أن يكون مبتدأ، والجملة بعده خبره، والأحسن أن يكون لهم هو الخبر وعذاب فاعله. والثاني: أنه بدل من واو ليكونوا. ونصبه من أوجه: البدل من حزبه، أو النعت له، أو إضمار فعل كأذم ونحوه. وجره من وجهين: النعت أو البدلية من أصحاب. وأحسن الوجوه الأول لمطابقة التقسيم، واللام في ليكونوا إما للعلة على المجاز من إقامة السبب مقام المسبب، وإما للصيرورة اهـ سمين.

قوله: (هذا) أي قوله: ﴿الذين كفروا﴾ الخ اهـ كرخي.

قوله: (ونزل في أبي جهل وغيره) أي: من مشركي مكة. قال ابن عباس، وقال سعيد بن جبير: نزلت في أصحاب الأهواء والبدع، وقال قتادة: منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر اهـ كرخي.

وفي القرطبي: وفيمن زين له سوء عمله أربعة أقوال، أحدها: أنهم اليهود والنصارى والمجوس قاله أبو قلابة، ويكون سوء عمله معاندة الرسول. الثاني: أنهم الخوارج رواه عمر بن القاسم، فيكون سوء عمله تحريف التأويل. الثالث: الشيطان قاله الحسن، ويكون سوء عمله الاغواء. الرابع: كفار قريش قاله الكلبي، ويكون عمله الشرك. وقيل: إنما نزلت في العاصي بن وائل السهمي، والأسود بن المطلب، وقال غيره: نزلت في أبي جهل بن هشام فرآه حسناً أي: صواباً قاله الكلبي، وقيل: جميلاً. قلت: والقول بأن المراد كفار قريش أظهر الأقوال لقوله تعالى: ﴿ليس عليك هداهم﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقوله: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ [آل عمران: ١٧٦] وقوله: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ [الكهف: ٦] وقوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] أي: لا يكونوا مؤمنين، وقوله في هذه الآية: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ وهذا ظاهر بيِّن أي: لا ينفع تأسفك على كفرهم فإن الله أضلهم، وهذه الآية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم أي: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ تريد أن نهديه، وإنما ذلك إلى الله لا إليك والذي إليك هو التبليغ اهـ.

قوله: ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ الخ تقدير لما سبق من التباين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين

عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ﴾ على المزين لهم ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ فيه التفات عن

حالهما المؤدي إلى تباين تينك العاقبتين وقوله: ﴿فإن الله﴾ الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكلّ بمشيئته اهـ أبو السعود.

قوله أيضاً: ﴿فمن زين له سوء عمله﴾ أي: زينه له الشيطان ونفسه الأمارة وهواه القبيح، وقوله: (بالتمويه) بأي: التحسين. ففي البيضاوي: بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انعكس رأيه فرأى الباطل حقاً والقبيح حسناً، كمن لم يزين له بل وفق عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبح ما هم عليه اهـ.

قوله: ﴿سوء عمله﴾ أي: عمله السيىء فهو إضافة الصفة للموصوف اهـ شهاب.

قوله: (لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري. وقوله: (دل عليه) أي: على الخبر المذكور أي: على تقديره بخصوص ما ذكر اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: فحذف الخبر لدلالة، ﴿فإن الله يضل من يشاء﴾ الخ اهـ.

ووجه الدلالة أنه يقتضي أن يكون الكلام السابق مشتملاً على ذكر من يهديه وهو من لم يزين له اهـ زاده.

قوله: ﴿فلا تذهب﴾ العامة على فتح التاء والهاء مسنداً لنفسك من باب لا أرينك ههنا، أي: لا تتعاط أسباب ذلك. وقرأ أبو جعفر، وقتادة والأشهب: بضم التاء وكسر الهاء مسنداً لضمير المخاطب نفسك مفعول به اهـ سمين.

أي: فلا تهلكها عليهم، أي: على عدم إيمانهم، وقوله: ﴿حسرات﴾ مفعوله لأجله، والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه على كثرة قبائحهم الموجبة للتأسف والتحسر عليهم، وعليهم صلة لتذهب كما يقال: هلك عليه حباً ومات عليه حزناً ولا يجوز أن يتعلق بحسرات، لأن المصدر لا يتقدّم عليه معموله اهـ أبو السعود.

والحسرة: همّ النفس على فوات أمر اهـ كرخي.

وفي المختار: والحسرة أشد التلهف على الشيء الفائت تقول: حسر على الشيء من باب طرب وحسره أيضاً فهو حسير اهـ.

قوله: (أن لا يؤمنوا) أي: على أن لا يؤمنوا. قوله: (وفي قراءة الريح) أي: سبعية. قوله: (الحكاية الحال الماضية) أي: استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة اهـ أبو السعود.

قوله: (أي تزعجه) أي تحركه وتثيره. قوله: (عن الغيبة) أي: التي في قوله: ﴿والله الذي أرسل﴾ اهـ شيخنا.

الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يبسها أي أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ أي البعث والإحياء ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

قوله: ﴿إلى بلد ميت﴾ في المصباح: البلد يذكر ويؤنث والبلدة البلد، وتطلق البلد والبلدة على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء، وفي التنزيل: إلى بلد ميت أي: إلى أرض ليس بها نبات ولا مرعى، فيخرج ذلك بالمطر فترعاه أنعامهم، فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى، وأطلق الحياة على وجودهما اهـ.

فقول الشارح: من البلد من فيه بيانية لما علمت أن البلد هي القطعة من الأرض تأمل. قوله: ﴿فأحيينا به﴾ أي: بمائة أي: المطر النازل منه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كذلك النشور﴾ أي: في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية، والكاف في محل رفع على الخبرية. أي: مثل ذلك الإحياء الذي تشاهدونه إحياء الأموات في صحة المقدورية وسهولة الثاني اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: ﴿كذلك النشور﴾ أي: كمثل إحياء الموت نشور الأموات في صحة المقدورية، إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه، وكذلك لا مدخل فيها. وقيل: في كيفية الإحياء، فإن الله تعالى يرسل ماء من تحت العرش فتنبت منه أجساد الخلق اهـ.

وفي الكرخي: ووجه التشبيه من وجوه، أحدها: أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة. وثانيها: كما أن الريح تجمع القطع السحابية كذلك تجمع أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء. وثالثها: .كما أنا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت كذلك نسوق الروح إلى الجسد الميت اهـ.

قوله: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ قيل: معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعاً. وقيل: معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء إلى طاعة من له العزة، أي: فليطلب العزة من عند الله بطاعته، وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز، فبين الله أن لا عزة إلا لله ولرسوله ولأوليائه المؤمنين اهـ خازن.

وفي القرطبي: ويحتمل أن يريد سبحانه أن ينبه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزة ومن أين تستحق، فتكون الألف واللام للاستغراق وهو المفهوم من آيات هذه السورة، فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع وجدها عنده إن شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه. قال ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده». وقد ذكر الله قوماً طلبوا العزة من عند سواه فقال: ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾ [النساء: ١٣٩] فقد أنبأك صريحاً لا إشكال فيه أن العزة له يعز بها من يشاء ويذل بها من يشاء. وقال ﷺ مفسراً لقوله: ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ «من أراد عز الدارين فليطع العزيز» وهذا معنى قول الزجاج. ولقد حسن من قال:

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً ... منا إليك فعزها في ذلها

﴿جَمِيعًاۚ﴾ أي في الدنيا والآخرة، فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعلمه وهو: لا إلـه إلا الله، ونحوها ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ يقبله ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ

فمن كان يريد العزة لينال الفوز ويدخل دار العزة فليقصد بالذلة لله سبحانه الاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبيد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله اهـ.

ومن شرطية مبتدأ، أو جواب الشرط محذوف قدره بقوله: (فليطعه)، وقوله: ﴿فلله العزة﴾ الخ تعليل للجواب المحذوف اهـ شيخنا.

وقدرة البيضاوي بقوله: فليطلبها من جنابه اهـ.

قوله: (يعلمه) أجاز بهذا إلى أن في الكلام مجازاً في المسند ومجازاً في الإسناد، فالصعود مجاز عن العلم، لأن الصعود حقيقة من صفات الاجرام، والكلم معلوم فأسند الفعل للمفعول به اهـ شيخنا. كقولهم: ﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١ القارعة: ٧].

وفي البيضاوي: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ بيان لما تطلب وتنال به العزة، وهو التوحيد والعمل الصالح، وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما اهـ.

وفي القرطبي: والصعود هو الحركة إلى فوق وهو العروج أيضاً، ولا يتصور ذلك في الكلام لأنه عرض، لكن ضرب صعوده مثلاً لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل. وقال الزجاج: يقال: الأمر إلى القاضي أي علمه، وخص الكلام الطيب بالذكر لبيان الثواب، وقوله: ﴿إليه﴾ أي: إلى الله يصعد، وقيل: يصعد إلى سمائه، والمحل الذي لا يجري فيه لأحد غيره حكم. وقيل: يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد إلى السماء والكلم الطيب هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة. وقيل هو التحميد والتمجيد ونحوه اهـ.

قوله: (ونحوها) أي: من الأذكار والتسبيحات وقراءة القرآن وغيرها من عبادات اللسان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ الخ بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيىء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وأهلهما اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿السيئات﴾ ليس مفعولاً به لأن مكر لازم بل هو مفعول مطلق، كما أشار لهذا بتقدير الموصوف الذي هو الموصوف الحقيقي والمكرات بفتحات جمع مكره بسكون الكاف، وهي المرة من المكر الذي هو الحيلة والخديعة اهـ شيخنا.

وقيل: المراد بالمكر هنا الرياء في الأعمال اهـ قرطبي.

وفي السمين: قوله: ﴿يمكرون السيئات﴾ يمكرون أصله قاصر، فعلى هذا ينتصب السيئات على نعت مصدر محذوف أي المكرات السيئات، أو نعت لمضاف إلى المصدر أي: أصناف المكرات

شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ يهلك ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ أي منيّ بخلق ذريّته منها ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ حال أي معلومة له ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ أي ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾ أي ذلك

السيئات، ويجوز أن يكون يمكرون السيئات مضمناً معنى يكسبون فينتصب السيئات مفعولاً به اهـ.

قوله: (في دار الندوة) وهي التي بناها قصي بن كلاب، والندوة: التحدث أو مكانه فهي كالنادي اهـ شيخنا.

وفي المختار: وتنادوا نادى بعضهم بعضاً، وتنادوا أيضاً تجالسوا في النادي، والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم، وكذا الندوة والنادي والمنتدى، فإن تفرق عنه فليس بندي، ومنه سميت دار الندوة التي بناها قصي بمكة لأنهم كانوا يندون فيها أي: يجتمعون للمشاورة اهـ.

قوله: (كما ذكر في الأنفال) أي: بقوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ [الأنفال: ٣٠] الخ.
قوله: ﴿ومكر أولئك﴾ وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للإيذان بكمال تميزهم بما هم عليه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك. وقوله: ﴿هو يبور﴾ أي: يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به، وقد أبادهم الله إبادة بسبب مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب، فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه بواحدة منها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هو يبور﴾ جوز الحوفي وأبو البقاء أن يكون هو فصلاً بين المبتدأ وخبره، وهذا مردود بأن الفصل لا يقع الخبر إذا كان فعلاً، إلا أن الجرجاني جوز ذلك، وجوز أبو البقاء أيضاً أن يكون هو تأكيداً وهذا مردود بأن المضمر لا يؤكد الظاهر اهـ سمين.

قوله: (يهلك) أي: يفسد ولا يتم لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والله خلقكم من تراب﴾ الخ دليل آخر على صحة البعث والنشور اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أي: أصنافاً ذكوراً وإناثاً اهـ خازن.

قوله: ﴿من أنثى﴾ من مزيدة في أنثى، وكذلك في من معمر، إلا أن الأول فاعل وهذا مفعول قام مقامه، وإلاَّ بعلمه حال أي: ملتبسة بعلمه اهـ سمين.

قوله: (حال) أي: من أنثى، وقوله: (أي معلومة) أي من حيث حملها أي علماً تفصيلياً اهـ.

قوله: ﴿وما يعمر من معمر﴾ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: وما يعمر من معمر إلا كتب عمره كم هو سنة، وكم هو شهراً، وكم هو يوماً، وكم هو ساعة، ثم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفي أجله. وقال ابن جبير أيضاً: فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذي يعمره، فالهاء على هذا للمعمر. وعن سعيد أيضاً: يكتب عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم يومان حتى يأتي إلى آخره، وعن قتادة: المعمر من بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل الستين سنة. وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو كتاب، وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحب أن يبسط

المعمر أو معمر آخر ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ هين ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾ شربه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح وقيل منهما ﴿حِلْيَةً

له في رزقه وينسأ له في أثره أي: يؤخر في عمره فليصل رحمه» أي: أنه يكتب في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فإن وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الأول دون الثاني ظن أنه زيادة أو نقصان وقد مضى هذا المعنى عند قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] والكناية على هذا ترجع إلى المعمر. وقيل: المعنى وما يعمر من معمر أي: هرم ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب أي: بقضاء من الله عز وجل روي معناه عن الضحاك. فالكناية في عمره ترجع إلى معمر آخر غير الأول على حد عندي درهم ونصفه أي: نصف درهم آخر، وقراءة العامة ينقص بضم الياء وفتح القاف، وقرأت فرقة منهم يعقوب ينقص بفتح الياء وضم القاف أي: لا ينقص من عمره شيء يقال: نقص الشيء بنفسه ونقصه غيره وزاد بنفسه وزاده غيره يتعدى ويلزم، وقرأ الأعرج، والزهري بسكون الميم وضمها الباقون وهما لغتان كالسحت والسحت اهـ.

قوله: ﴿إن ذلك﴾ أي: كتابة الأعمال والآجال غير متعذر عليه، بل هو يسير لا يتعذر عليه منها شيء ولا يعسر اهـ قرطبي.

وفي المصباح: ويسر الشيء مثل قرب قل فهو يسير، ويسر الأمر يسراً من باب تعب، ويسر يسراً من باب قرب فهو يسير أي سهل، ويسره الله فتيسر واستيسر بمعنى اهـ.

قوله: ﴿وما يستوي البحران﴾ هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، والفرات الذي يكسر العطش، والسائغ الذي يسهل الحرارة لعذوبته، والأجاج الذي يحرق الحلق بملوحته. وقوله: ﴿ومن كل تأكلون الخ﴾ إما استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع، وإما تكملة للتمثيل على معنى أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات، فكذلك المؤمن والكافر وإن اشتركا في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لا يتساويان في الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية اهـ أبو السعود.

وفي القاموس: وفرت الماء ككرم فروته عذاب اهـ.

وفيه: وأيضاً وأج الماء أجوجاً بالضم يأجج كيسمع ويضرب وينصر إذا اشتدت ملوحته اهـ.

قوله: ﴿سائغ شرابه﴾ أي: سهل انحداره، وسائغ شرابه يجوز أن يكون مبتدأ وخبراً، والجملة خبر ثان، وأن يكون سائغ خبراً وشرابه فاعلاً به لأنه اعتمد اهـ سمين.

وإنما فسر الشارح الشراب بالشرب، لأن الشراب هو المشروب فيلزم إضافة الشيء لنفسه اهـ.

قوله: (وقيل منهما) أي: من حيث إنه يكون في البحر الملح عيون عذبة تمتزج بالملح، فبهذا الاعتبار يكون اللؤلؤ منهما اهـ خازن.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ الله على ذلك ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ لفافة النواة ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا

وفي القرطبي: وقيل في البحر الملح عيون عذبة، ومنها يخرج اللؤلؤ عند التمازج، وقيل: من مطر السماء اهـ.

قوله: ﴿حلية تلبسونها﴾ فيه دليل على أن لباس كل شيء بحسبه، فالخاتم يجعل في الأصبع، والسوار في الذراع، والقلادة في العنق، والخلخال في الرجل اهـ قرطبي.

قوله: (والمرجان) في المصباح: والمرجان قال الأزهري وجماعة هو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشي: هو عروق حمر تطلع من البحر كأصبع الكف. قال: وهكذا شاهدناه بمغارب الأرض كثيراً اهـ.

قوله: (تمخر الماء) من باب دخل وقطع اهـ.

قوله: ﴿لتبتغوا من فضله﴾ متعلق بمواخر اهـ.

قوله: (يدخل الله) ﴿الليل﴾ أي: زيادته. وقوله: ﴿ويولج النهار﴾ أي: زيادته في الليل.

قوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ عطف على يولج، واختلاف الصيغة لما أن إيلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حيناً فحيناً، وأما تسخير النيرين فأمر لا تجدد ولا تعدد فيه، وإنما المتعدد المتجدد آثاره اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لأجل مسمى﴾ أي: قدره الله لفنائهما اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: المتصف بالصفات المتقدّمة من أول السورة إلى هنا، وهو مبتدأ وأخبر عنه بإخبار ثلاثة الله وما بعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿والذين تدعون من دونه﴾ الخ استدلال على تفرده تعالى بالألوهية والربوبية، وقوله: ﴿إن تدعوهم﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع اهـ أبو السعود.

قوله: (لفافة النواة) بكسر اللام وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (لفافة النواة) أي: القشرة الرقيقة الملتفة على النواة، وقيل: هي النكتة في ظهرها، ومعلوم أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة. الفتيل: وهو ما في شق النواة، والقطمير: وهو اللفافة، والنقير: وهو ما في ظهرها، والثفروق: وهو ما بين القمع والنواة اهـ.

دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا﴾ فرضاً ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ عالم وهو الله تعالى ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ المحمود في صنعه بهم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾

وفي القرطبي: والقطمير القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة قاله أكثر المفسرين، وقال ابن عباس: هو شق النواة وهو اختيار المبرد قاله قتادة وعن قتادة أيضاً: أن القطمير القمع الذي على رأس النواة، وقال الجوهري: ويقال هو النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة اهـ.

قوله: (ما أجابوكم) أي: بجلب نفع ولا دفع ضرر اهـ قرطبي.

قوله: (بإشراككم إياهم) أي: فالمصدر مضاف لفاعله وقوله: (أي يتبرؤون منكم) أي: بقولهم ما كانوا إيانا يعبدون اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ثم يجوز أن يرجع هذا إلى المعبودين، ممن يعقل كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين أي: يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقاً وأنهم أمروكم بعبادتهم، كما أخبر الله عن عيسى بقوله: ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ [المائدة: ١١٦] ويجوز أن يندرج فيه الأصنام أيضاً أي: يحييها الله حتى تخبر بأنها ليست أهلاً للعبادة اهـ.

قوله: ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ يعني الله بذلك نفسه أي: لا ينبئك أحد مثلي لأني عالم بالأشياء وغيري لا يعلمها اهـ خازن.

والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لها من الألوهية اهـ أبو السعود.

وهذا الخطاب يحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون خطاباً للنبي ﷺ. والثاني: أن ذلك الخطاب غير مختص بأحد أي: هذا الذي ذكر هو ما ذكر ولا ينبئك أيها السامع كائناً من كنت مثل خبير اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأنتم الفقراء إلى الله﴾ أي: في أنفسكم وفيما يعرض لكم من سائر الأمور وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم، كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء، وأن افتقار سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به، ولذلك قال تعالى: ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ [النساء: ٢٨] اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿الحميد﴾ فإن قلت: قد قوبل الفقير بالغني فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم، وليس كل غني نافعاً إلا إذا كان جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه اهـ كشاف.

قوله: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ الآية. هذا بيان لغناه وفيه بلاغة كاملة لأن قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ أي: ليس إذهابكم موقوفاً إلا على مشيئته، ثم إنه تعالى زاد على بيان الاستغناء بقوله: ﴿ويأت بخلق جديد﴾ يعني إن كان يتوهم متوهم أن هذا الملك كمال وعظمة، فلو أذهبه لزال ملكه

بدلكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ شديد ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحد ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قرابة كالأب والابن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله

وعظمته فهو قادر على أن يخلق خلقاً جديداً أحسن من هذا وأجمل، وما ذلك أي: الإذهاب والإتيان على الله بعزيز اهـ كرخي.

قوله: ﴿بخلق جديد﴾ أي: بقوم آخرين أطوع منكم أو بعالم آخر غير ما تعرفونه اهـ بيضاوي.

قوله: (شديد) عبارة البيضاوي: بمتعذر أو متعسر وعبارة الكشاف: بممتنع اهـ.

قوله: ﴿ولا تزر وازرة﴾ الخ وأما قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣] الآية فهي في الضالين المضلين، فيحملون أثقال ضلالتهم وأثقال إضلالهم لغيرهم، فما حملوا إلا أثقال وزر أنفسهم اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: قال ابن عباس، يلقي الأب والأم الابن فيقولان له: يا بني أحمل عنا بعض ذنوبنا. فيقول: لا أستطيع حسبي ما علّي اهـ.

قوله: ﴿وازرة﴾ أي: نفس وازرة، فحذف الموصوف للعلم به، ومعنى تزر تحمل أي: لا تحمل نفس حامله حمل نفس أخرى اهـ سمين.

وفي المصباح: والوزر الإثم والوزر الثقل، ومنه يقال: وزر يزر من باب وعد إذا حمل الإثم، وفي التنزيل ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: لا تحمل عنها حملها من الإثم والجمع أوزار مثل حمل وأحمال، ويقال: وزر بالبناء للمفعول من الإثم فهو موزور اهـ.

قوله: ﴿وإن تدع مثقلة﴾ أي: نفس مثقلة بالذنوب نفساً إلى حملها فحذف المفعول به للعلم، والعامة لا يحمل مبنياً للمفعول وشيء قائم مقام فاعله، وأبو السماك وطلحة. وتروى عن الكسائي: لا تحمل بفتح التاء من فوق وكسر الميم أسند الفعل إلى ضمير النفس المحذوفة التي جعلتها مفعولة لتدع، أي: لا تحمل تلك النفس المدعوة شيئاً مفعول بلا تحمل اهـ سمين.

قوله: ﴿منه﴾ صفة لحلمها بمعنى المحمول، والضمير راجع للوزر أي: إلى محمولها الكائن من الوزر اهـ شيخنا.

وفي المصباح: الحمل بالكسر ما يحمل على الظهر ونحوه، والجمع أحمال وحمول، وحملت المتاع حملاً من باب ضرب. فأنا حامل والأنثى حاملة بالتاء لأنها صفة مشتركة اهـ.

وفي المختار: قال ابن السكيت: الحمل بالفتح وما كان في البطن أو على رأس شجرة، والحمل بالكسر ما كان على ظهر أو رأس. قال الأزهري: وهذا هو الصواب وهو قول الأصمعي، وقال: امرأة حامل أو حاملة إذا كانت حبلى، فمن قال حامل قال هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال حاملة بناه على حملت فهي حاملة. وذكر ابن دريد: أن حمل الشجرة فيه لغتان الفتح والكسر اهـ.

قوله: ﴿ولو كان ذا قربى﴾ أي: ولو كان المدعو ذا قربى. وقيل: التقدير ولو كان الداعي ذا

تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ الكافر والمؤمن ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ الإيمان ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ الجنة والنار ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة لا في الثلاثة

قربى. والمعنيان حسنان، وقرىء ذو بالرفع على أنها التامة أي: ولو حضر ذو قربى نحو: ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠] قال الزمخشري: ونظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة، لأن المعنى على أن المثقلة إذا دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه ولو كان مدعوها ذا قربى وهو ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لخرج عن التئامه. قال الشيخ: وهو ملتئم على المعنى الذي ذكرناه. قلت: والذي قاله هو أي: ولو حضر إذ ذاك ذو قربى، ثم قال: وتفسيره كان هو مبني للفاعل بوجد وهو مبني للمفعول تفسير معنى، والذي يفسر النحوي به كان التامة نحو حدث وحضر ووقع اهـ سمين.

قوله: (في الشقين) أي: الحمل القهري المذكور بقوله: ﴿ولا تزر﴾ الخ والاختياري المذكور بقوله: ﴿وإن تدع﴾ الخ، فالأول نفي للحمل إجباراً، والثاني نفي للحمل اختياراً. وقوله: (حكم من الله تعالى) أي: وحكمه تعالى لا يخلو عن حكمة، فعدم الحمل في الشقين لا يخلو عن حكمة اهـ شيخنا.

قوله: (وما رأوه) أي: والحال أنهم ما رأوه فهو غائب عنهم بمعنى عدم رؤيتهم له، وهذا يشير إلى أن بالغيب حال من المفعول وإن كان يصح جعله حالاً من الفاعل ولا يأباه صنيع الشارح، وقوله: (لأنهم الخ) تعليل للقصر المذكور: إنما قصر إنذاره على أهل الخشية لأنهم المنتفون به، فالمعنى إنما ينفع إنذارك أهل الخشية اهـ شيخنا.

قوله: (أداموها) في نسخة أدوها.

قوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ استوى من الأفعال التي لا يكتفي فيها بواحد، فلو قلت: استوى زيد لم يصح، فمن ثم لزم العطف على الفاعل أو تعدد اهـ سمين.

وهذا شروع في ضرب مثل للمؤمن والكافر، وقد قررنا ببيان التنافي أولاً بين ذاتيهما، وثانياً بين وصفيهما، وثالثاً بين مستقريهما وداريهما في الآخرة، وقوله: ﴿وما يستوي الأحياء﴾ الخ تقرير لمثل آخر لهما وهو أبلغ من الأول لكمال التنافي بين الحي والميت، ولذلك أعيد الفعل، وأما التنافي بين الأعمى والبصير فليس تاماً لإمكان اشتراكهما في كثير من الإدراكات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا الحرور﴾ هو شدة حر الشمس اهـ سمين.

وفي المصباح: الحر بالفتح خلاف البرد يقال: حر اليوم والطعام يحر من باب تعب، وحر حراً وحروراً من بابي ضرب وقعد لغة، والاسم الحرارة فهو حار وحرت النار تحر من باب تعب توقدت وأسعرت، والحرة بالفتح أرض ذات حجارة سود، والجمع حرار مثل كلبة وكلاب، والحرور وزان

تأكيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ أي الكفار، شبههم بالموتى فيجيبون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ منذر لهم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ نبي ينذرها ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم

رسول الريح الحارة. قال الفراء: تكون ليلاً ونهاراً. وقال أبو عبيدة: أخبرنا رؤبة أن الحرور بالنهار والسموم بالليل، وقال أبو عمرو بن العلاء: الحرور السموم بالليل والنهار والحرور مؤنثة اهـ.

قوله: (وزيادة لا في الثلاثة) أي: في المواضع الثلاثة أي: في الجمل الثلاث، أولاها: ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ الثانية: ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ والثالثة: ﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ وقد زيدت في هذه الثلاثة خمس مرات اثنتين في الأولى، واثنتين في الثانية، وواحدة في الثالثة، والكل لتأكيد نفي الاستواء، فالزيادة في عبارته شاملة لأصل زيادتها كالأولى من الجملة الأولى، ولتكريرها كالثانية منها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ الخ شروع في تسليته ﷺ وتنتهي بقوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ والمراد من قوله: ﴿يسمع﴾ الخ أي: يهدي ويوصل من يشاء وصوله كما أشار له بقوله: (فيجيبه بالإيمان) اهـ شيخنا.

قوله: (شبههم بالموتى) أي: في عدم التأثر بدعوته، وقوله: (فيجيبون) الضمير راجع لمن باعتبار معناها لأنه فسرها بالكفار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن أنت إلا نذير﴾ أي: لا استقلالاً بل بإرسالنا إليك كما بين بقوله: ﴿إنا أرسلناك﴾، وقوله: ﴿بالحق﴾ حال من الكاف كما يشير إليه قوله: (بالهدى)، ويصح أن يكون حالاً من الفاعل أي: أرسلناك حال كوننا محققين في إرسالك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إلا نذير﴾ أي: رسول منذر فليس عليك إلا التبليغ، وليس لك من الهدي شيء إنما الهدي بيد الله عز وجل اهـ قرطبي.

قوله: (سلف) في المصباح: سلف سلوفاً من باب قعد مضى وانقضى فهو سالف، والجمع سلف وسلاف مثل خدم وخدام، ثم جمع السلف على أسلاف مثل سبب وأسباب اهـ.

وفي المختار: يقال سلف بفتح اللام يسلف بضمها إذا مضى وانقضى اهـ.

قوله: (نبي ينذرها) أي: أو عالم ينذر عنه فلا ترد الفترة واكتفى به عن البشير لأنه المقصود من البعثة اهـ كرخي.

تنبيه:

الأمة: للجماعة الكثيرة، وتقال لكل أهل عصر، والمراد هنا أهل العصر، فإن قيل: كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد لم يرسل إليا رسول ينذرها؟ أجيب: بأن آثار النذارة إذا كانت باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمداً ﷺ اهـ خطيب وخازن.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه

وهذا يقتضي أن أهل الفترة مكلفون لبقاء آثار الرسل المتقدمة فيهم، وهو خلاف ما في ابن حجر على الهمزية ونصه: ومن المقرر أن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل وإن إسماعيل انتهت رسالته بموته فما بين إسماعيل ومحمد من العرب من أهل الفترة وهم ناجون في الآخرة من الخلود في النار، وكذا كل من بين كل رسولين بنص الآية ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥] فما بين إسماعيل ومحمد من العرب أهل فترة فهذا الزمن فترة في حق خصوص العرب إذ لم يرسل إليهم قبل محمد غير إسماعيل، وأما ما بين عيسى ومحمد فهو فترة في حق العرب وغيرهم كبني إسرائيل: إذ لم يرسل بعد عيسى رسولاً أصلاً.

والحاصل أن أهل الفترة من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله، لأنه لم يرسل إليهم رسولاً لأن من قبلهم من الرسل انتهت رسالته بموته، إذ لم يعلم لأحد من الرسل استمرار رسالته بعد الموت إلا نبينا، فهم غير مكلفين بما يفعلون ولو كان صورة معصية، لكن ورد النص بتعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي فيتلقى ويعتقد فيمن ورد بخصوصهم لا لأن ما فعلوه كفر بل لحكمة يعلمها الله تعالى لم نطلع عليها اهـ ملخصاً.

وحينئذ فالظاهر أنه لا يحصل الانفصال بين الآية وبين ما تقرر إلا بأن يلتزم أن جملة العرب أمة ويصدق سبق وتقدم النذير فيها بتقدم إسماعيل وأن بني إسرائيل أمة، ويصدق تقدم النذير فيهم بتقدم عيسى ومن قبله فتأمل.

قوله: ﴿جاءتهم رسلهم﴾ حال قوله: ﴿وبالزبر﴾ اسم لكل ما يكتب، وعبارة الخطيب: والزبر الأمور المكتوبة، انتهت.

وقوله: (كصحف إبراهيم) وهي ثلاثون أي: وكصحف موسى قبل التوراة وهي عشرة، وكصحف شيث وهي ستون، فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الأربعة، فجملة الكتب المنزلة على الأنبياء مائة وأربعة اهـ شيخنا.

قوله: (فاصبر كما صبروا) أشار به إلى أن جواب الشرط محذوف وأن المذكور دليل له اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فكيف كان نكير﴾ تقدم أن النكير بمعنى الإنكار وهو تغيير المنكر، وفي قوله: (أي هو واقع) موقعه إشارة إلى أن الاستفهام تقريري كما قاله الكرخي، وينبغي أن يتأمل فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألم تر أن الله﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس، ببيان أن الاختلاف والتفاوت في الخلائق أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان اهـ أبو السعود.

التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾

قوله: ﴿فأخرجنا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم، وإنما كان ذلك لأن المنة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء، ومختلفاً: نعت لثمرات، وألوانها: فاعل به، ولولا ذلك لأنث مختلفاً، ولكنه لما أسند إلى جمع تكسير غير عاقل جاز تذكيره، ولو أنث فقيل مختلفة، كما تقول: اختلفت ألوانها لجاز، وبه قرأ زيد بن علي اهـ سمين.

قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي: لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مختلفاً ألوانها﴾ أي: في أصل اللون كالأصفر والأحمر، وفي شدة اللون الواحد وضعفه، فلذلك لم يذكر الشارح هذا المتعلق ليعم بخلاف قوله: فيما بعد مختلف ألوانها، فإن المراد الاختلاف بالشدة والضعف في اللون الواحد، ولذلك ذكره الشارح، وأما الاختلاف في أصل اللون فهو مذكور بقوله: ﴿بيض وحمر﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾ العامة على ضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهي الطريقة من قولك: جددت الشيء أي قطعته، وقال أبو الفضل: هي ما يخالف من الطرائق لون ما يليها، ومنه جدة الحمار للخط الذي في ظهره، وقرأ الزهري: جدد بضم الجيم والدال جمع جديدة، يقال: جديدة وجدد وجدائد، وقال أبو الفضل: جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الألوان، وعنه أيضاً جدد بفتحهما، وقد رد أبو حاتم هذه القراءة من حيث النقل، والمعنى وقد صححها غيره وقال: الجدد الطريق الواضح البين إلا أنه وضع المفرد موضع الجمع، إذ المراد الطرائق والخطوط اهـ سمين.

وفي البيضاوي: ﴿ومن الجبال جدد﴾ أي: ذو جدد، أي: خطط وطرائق يقال: جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقرىء جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة، وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح اهـ.

وفي الشهاب: الجدد جمع جده بالضم وهي الطريق، ومن جده إذا قطعه، وقدر المضاف لأن الجبال ليست نفس الطرائق والخطط بضم ثم فتح جمع خطة بالضم بمعنى الخط بالفتح اهـ.

والمعنى في الجبال ما هو ذو جدد يخالف لونها لون الجبل، فيؤول المعنى إلى أن من الجبال ما هو مختلف ألوانه فتتلاءم القرائن الثلاث، فإن ما قبلها، فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها، وما بعدها: ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه اهـ زاده.

قوله أيضاً: ﴿ومن الجبال﴾ وقوله: ﴿ومن الناس﴾ الخ إيراد هاتين الجملتين اسميتين مع مشاركتهما للفعلية قبلهما في الاستشهاد بمضمون كل على تباين الناس في الأحوال، لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر، فعبَّر عنه بما يدل على الاستمرار، وأما إخراج الثمرات المختلفة فأمر حادث، فعبَّر عنه بما يدل على الحدوث، ولما كان فيه نوع خفاء علق الرؤية به بطريق الاستفهام التقريري بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما، فإنها مشاهد غنية عن التأمل، فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر اهـ أبو السعود.

جمع جدَة طريق في الجبل وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصفر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا﴾ بالشدَّة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ عطف على جدد، أي صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسود غربيب، وقليلاً: غربيب أسود ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه

قوله: ﴿مختلف ألوانها﴾ مختلف صفة لجدد أيضاً، وألوانها: فاعل به كما تقدم في نظيره، ولا جائز أن يكون مختلف خبراً مقدماً، وألوانها: مبتدأ مؤخراً، والجملة صفة، إذ كان يجب أن يقال: مختلفة لتحملها ضمير المبتدأ اهـ سمين.

قوله: ﴿وغرابيب سود﴾ سود بدل أو عطف بيان من غرابيب اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: الغرابيب تأكيد للأسود، كالقاني تأكيد للأحمر، ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد، وإنما قدم للمبالغة اهـ.

وعبارة السمين: وقوله: ﴿وغرابيب سود﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه معطوف على حمر عطف ذي لون على لون. الثاني: أنه معطوف على بيض. الثالث: أنه معطوف على جدد. قال الزمخشري، معطوف على بيض وعلى جدد كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد ثم قال: ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله: ﴿ومن الجبال جدد﴾. بمعنى: ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلفاً ألوانها كما قال ثمرات مختلف ألوانها، ولم يذكر بعد غرابيب سود مختلف ألوانها كما ذكر ذلك بعد بيض وحمر، لأن الغرابيب هو البالغ في السواد فصار لوناً واحداً غير متفاوت بخلاف ما تقدم، وغرابيب جمع غربيب وهو الأسود المتناهي في السواد فهو تابع للأسود كفاقع وناصع ويقق، فمن ثم زعم بعضهم أنه في نية التأخير، ومذهب هؤلاء أنه يجوز تقديم الصفة على موصوفها اهـ.

قوله: (عطف على جدد) أي: الذي هو مبتدأ، وقوله: ﴿من الجبال﴾ خبر عن المتعاطفين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ومن الناس﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مختلف ألوانه﴾ نعت لمحذوف هو المبتدأ أي صنف مختلف ألوانه من الناس، وقوله: ﴿كذلك﴾ نعت لمصدر محذوف معمول لمختلف أي اختلافاً كذلك، والوقف هنا تام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنما يخشى الله﴾ الخ تكملة لقوله: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ [الأنبياء: ٤٩] بتعيين من يخشاه من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم، أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل، وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحد منها حقها اللائق بها من البيان. أي: إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان

﴿غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ لذنوب عباده المؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة أو غيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ تهلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ لطاعتهم ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ عالم بالبواطن والظواهر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا

أخشى منه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إني أخشاكم لله وأتقاكم له» ولذلك أتبعه ذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول، لأن المقصود حصر الفاعلية، ولو أخر انعكس الأمر، وقرئ برفع الجلالة ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم، فإن المعظم يكون مهيباً اهـ.

وفي القرطبي: فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ إنما يخشى الله بالرفع من عباده العلماء بالنصب وهو عمر بن عبد العزيز، وتحكى عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده. إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية الدالة على عقوبته للعصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم، والمعاقب والمثاب حقه أن يخشى اهـ.

قوله: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ في خبر إن وجهان، أحدهما: الجملة من قوله: ﴿يرجون﴾ أي: أن التالين يرجون، ولن تبور صفة لتجارة، وليوفيهم متعلق بيرجون أو بتبور أو بمحذوف أي فعلوا ذلك ليوفيهم، وعلى الوجهين الأولين يجوز أن تكون اللام لام العاقبة. والثاني: أن الخبر أنه غفور شكور جوزه الزمخشري على حذف العائد أي: غفور لهم، وعلى هذا فيرجون حال من أنفقوا أي أنفقوا ذلك راجين اهـ سمين.

قوله: ﴿سراً وعلانية﴾ لف ونشر مشوش كما يقتضيه صنيع أبي السعود حيث قال: وقيل: السر في المسنونة والعلانية في المفروضة اهـ.

وفي الكرخي: قوله: ﴿سراً وعلانية﴾ حث على الإنفاق كيفما تهيأ، فإن تهيأ سراً فذاك وإلاّ فعلانية، ولا يمنعه ظنه أن يكون رياء، فإن ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء، ويمكن أن يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة، وبالعلانية الزكاة، وإليه أشار في التقرير اهـ.

قوله: ﴿لن تبور﴾ في المختار: وبار الشيء يبور بوراً بالفتح وبوراً أيضاً هلك، وأباره الله أهلكه، وبار المتاع كسد وبار عمله بطل اهـ.

قوله: (المذكورة) أي: بقوله: ﴿يتلون كتاب الله﴾ اهـ.

قوله: ﴿من الكتاب﴾ يجوز أن تكون من للبيان وأن تكون للجنس وأن تكون للتبعيض وهو فصل أو مبتدأ، ومصدقاً حال مؤكدة اهـ سمين.

قوله: (عالم بالبواطن والظواهر) لف ونشر مرتب. قوله: (أعطينا) قال مجاهد: فأورثنا استعارة تبعية شبه إعطاء الكتاب إياهم من غير كد وتعب في وصوله إليهم بتوريث الوارث، فقوله: ﴿الذين

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمّتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ

اصطفينا﴾ مفعوله أول، والكتاب مفعوله الثاني قدم لشرفه إذ لا لبس اهـ زاده.

قوله: ﴿من عبادنا﴾ يجوز أن تكون من للبيان على معنى إن المصطفين هم عبادنا، وأن تكون للتبعيض أي أن المصطفين بعض عبادنا لا كلهم اهـ سمين.

قوله: (وهم أمتك) أي: أمة الإجابة سواء حفظوه أو لا، فهو عطية لجميعهم حتى من لم يحفظه لأنه قدوته وفيه هدايته وبركته اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: وليس من لازم وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته قوله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾ [الأعراف: ١٦٩] اهـ.

وفي الشهاب: وتوريث الكتاب للجهال كتوريث بعض الورثة السفهاء المضيعين لما ورثوه اهـ.

قوله: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ الخ عن ابن عباس قال: السابق المؤمن المخلص، والمقتصد المرائي، والظالم الكافر نعمة الله غير الجاهد لها، لأنه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة. وقيل: الظالم هو الراجح السيئات، والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته، والسابق هو الذي رجحت حسناته. وقيل: الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه، والسابق في باطنه خير من ظاهره، وقيل: الظالم هو الموحد بلسانه الذي يخالفه جوارحه، والمقتصد هو الموحد الذي يمنع جوارحه من المخالفة بالتكليف، والسابق هو الموحد الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد. وقيل: الظالم صاحب الكبيرة، والمقتصد صاحب الصغيرة، والسابق المعصوم. وقيل: الظالم التالي للقرآن غير العالم به وغير العامل به، والمقتصد التالي له العالم به الغير العامل به، والسابق التالي له العالم به العامل به. وقيل: الظالم الجاهل، والمقتصد المتعلم، والسابق العالم. ولما كان هذا ليس في قوة العبد في مجاري العادات ولا يؤخذ بالكسب والاجتهاد أشار إلى عظمته بقوله تعالى بأن الله. أي: تمكين من له القوة التامة والعظمة العامة والفعل بالاختيار، وجمع صفات الكمال وتسهيله وتيسيره لئلا يأمن أحد مكره تعالى. قال الرازي في اللوامع: ثم من السابقين من يبلغ محل القرب فيستغرق في وحدانيته اهـ خطيب.

فإن قلت: لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس، لأن أحوال الناس ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة، فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته دخل في عداد السابقين. وقيل: قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته، ثم المقتصد قليل بالإضافة إلى الظالم، والسابق أقل من القليل فلهذا ذكر آخرهم، ومعنى سابق الخيرات أي بالأعمال الصالحة إلى الجنة أو إلى رحمة الله اهـ خازن.

قوله: ﴿بإذن الله﴾ متعلق بقوله: ﴿سابق بالخيرات﴾ كما يشير له صنيع أبي السعود ونصه. وفي قوله: ﴿بإذن الله﴾ أي تيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها اهـ.

ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل والمفعول خبر جنات المبتدإ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثان ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مرصع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ للطاعات ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ إعياء من التعب لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول

قوله: (المبتدأ) أي: على كل من القراءتين.

قوله: ﴿من أساور﴾ جمع أسورة جمع سوار اهـ أبو السعود.

ومن للتبعيض كما أشار له بقوله: (بعض) ومن في قوله: ﴿من ذهب﴾ بيانية. قوله: (مرصع بالذهب) أي: مركب على الذهب ولا حاجة لهذا، بل المنقول أنهم يحلون فيها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ. وفي تذكرة القرطبي: قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وفي الصحيح: «تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء» اهـ.

قوله: ﴿وقالوا﴾ أي: ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق اهـ أبو السعود.

قوله: (جميعه) كحزن الخوف من سوء العاقبة، وحزن الأمراض والآفات والموت، وحزن وسوسة إبليس، وحزن زوال النعم الظاهرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أحلنا﴾ أي: أنزلنا. قوله: ﴿دار المقامة﴾ مفعول ثان لأحلنا، ولا يكون ظرفاً لأنه مختص فلو كان ظرفاً لتعدى إليه الفعل بفي، والمقامة الاقامة، ومن فضله متعلق بأحلنا، ومن إما للعلة وإما لابتداء الغاية اهـ سمين.

قوله: ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ حال من المفعول الأول لأحلنا أو الثاني، لأن الجملة مشتملة على ضمير كل منهما إلا أن الأول أظهر اهـ زاده.

قوله: (ذكر الثاني الخ) لما ورد أنه ما الفائدة في نفي اللغوب، مع أن انتفاءه يعلم من نفي النصب، لأن انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب. أجاب عنه: بأن انتفاء التابع وإن كان يعلم من نفي المتبوع لكنه نفاه بعد ذلك قصداً للمبالغة في بيان انتفائه، وقيل: النصب تعب البدن، واللغوب: تعب النفس، ونفي أحدهما لا يدل على انتفاء الآخر اهـ زاده.

قوله: (التابع للأول) أي: في الوجود. إذ هو مسبب عنه ولازم له اهـ شيخنا.

وانتفاء السبب أو الملزوم يدل على انتفاء المسبب أو اللازم وفي كتب اللغة ما يقتضي أن النصب واللغوب متساويان معنى، ففي المختار: ونصب تعب وبابه طرب اهـ.

وفيه أيضاً: اللغوب بضمتين التعب والإعياء وبابه دخل، ولغب بالكسر لغوباً لغة ضعيفة اهـ.

وفي القاموس: نصب كفرح أعيا، وفيه أيضاً لغب لغباً ولغوباً كمنع وسمع وكرم أعيا أشد الإعياء اهـ.

للتصريح بنفيه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ كافر بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾ وقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرسول فما أجبتم ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن

قوله: ﴿والذين كفروا﴾ الخ عطف على قوله: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ [فاطر: ٢٩] ما بينهما كلام متعلق بالذين يتلون كتاب الله على ما تقدم اهـ كرخي.

قوله: ﴿لا يقضى عليهم﴾ أي: لا يحكم عليهم بالموت ثانياً فيموتوا ويستريحوا ونصبه بإضمار أن، وقرىء فيموتون عطفاً على يقضي كقوله تعالى: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٦] ولا يخفف عنهم من عذابها، بل كلما خبت زيد إسعارها. وكذلك أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر لا جزاء أخف وأدنى منه اهـ أبو السعود.

قوله: (بالياء) أي: المضمومة أي: والزاي المفتوحة ورفع كل هذا تمام هذه القراءة، وأما قراءة النون فقد تممها وهما سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يصطرخون فيها﴾ من الصراخ أي الصياح بجهد استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته اهـ عمادي.

قوله: (وعويل) العويل: رفع الصوت بالبكاء، وفي القاموس: وأعول رفع بصوته بالبكاء والصياح كعول والاسم العولة والعول والعويل اهـ.

قوله: ﴿ربنا أخرجنا﴾ على إضمار القول، وذلك القول إن شئت قدرته فعلاً مفسراً ليصطرخون، أي: يقولون في صراخهم ﴿ربنا أخرجنا﴾، وإن شئت قدرته حالاً من فاعل يصطرخون أي قائلين: ربنا، ويصطرخون يفتعلون من الصراخ وهو شدة رفع الصوت، فأبدلت التاء طاء لوقوعها بعد الصاد اهـ سمين.

قوله: ﴿صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ يجوز أن يكونا نعتي مصدر محذوف أي عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمل، وأن يكونا نعتي مفعول به محذوف أي نعمل شيئاً صالحاً غير الذي كنا نعمل، وأن يكون صالحاً نعتاً لمصدر وغير الذي كنا نعمل هو المفعول به اهـ سمين.

قوله: (فيقال لهم) أي: جواباً لقولهم ﴿ربنا أخرجنا﴾ الخ، أي: فيقال لهم توبيخاً وتبكيتاً، ﴿أوَلَم نعمركم﴾ الخ. والاستفهام إنكاري، والواو للعطف على مقدر أي: أولم نمهلكم ولم نؤخركم عمراً يتذكر فيه من تذكر، أي: يتمكن فيه مريد التذكير من التذكر والتفكر، وقوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على الجملة الاستفهامية نظراً لمعناها، لأنها في معنى قد عمرناكم. فالعطف في الحقيقة على الخبر لا على الإنشاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ما يتذكر فيه﴾ ما: نكرة موصوفة بمعنى وقتاً كما فسرها به الشارح، وقوله: ﴿يتذكر

﴿نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٣٨﴾

فيه﴾ أي يمكنه فيه التذكر، وذلك الوقت هو عمر كل منهم فهو مختلف باختلافهم هذا هو الأحسن اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: والعمر الذي قد أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة رواه البزار، ورواه البخاري بلفظ: «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه» أي: أسقط عذره حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر. يقال: أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر اهـ.

وفي القرطبي: والمعنى أن من عمره الله ستين سنة لم يبق له عذر، لأن الستين قريب معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع وترقب المنية ولقاء الله، ففيه إعذار بعد إنذار الأول النبي ﷺ والمرتان في الأربعين والستين.

وروى ابن ماجة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجاوز ذلك» اهـ.

قوله: (الرسول) أي: أي رسول كان. لأن هذا الكلام مع الكفار على الإطلاق اهـ شيخنا.

وقيل: النذير هو الشيب أو موت القريب، وفي الأثر ما من شعرة تبيض إلا قالت لأختها استعدي فقد قرب الموت اهـ كرخي.

وفي القرطبي: واختلفوا في النذير فقيل: القرآن، وقيل: الرسول قاله زيد بن علي وابن زيد. وقال ابن عباس، وعكرمة، وسفيان وغيرهم: هو الشيب وقيل: هو الحمى، وقيل: موت الأهل والأقارب، وقيل: كمال العقل. والنذير بمعنى المنذر.

قلت: فالشيب والحمى وموت الأهل كله إنذار بالموت. قال الأزهري: معناه أن الحمى رسول الموت أي كأنها تشعر بقدومه وتنذر بمجيئه، والشيب نذير أيضاً لأنه يأتي في سن الاكتهال وهو علامة لمفارقته سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب، وأما موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان فإنذار بالرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان، وأما كمال العقل فبه تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الحسنات والسيئات، فالعاقل يعمل لآخرته ويرغب فيما عند ربه، وأما محمد ﷺ فبعثه الله مبشراً ونذيراً إلى عباده قاطعاً لحججهم، قال الله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥] وقال: ﴿ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥] اهـ.

قوله: ﴿فذوقوا﴾ الفاء لترتب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير، وفي قوله: ﴿فما للظالمين﴾ للتعليل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من نصير﴾ يجوز أن يكون فاعلاً بالجار لاعتماده، وأن يكون مبتدأ مخبراً عنه بالجار قبله اهـ سمين.

قوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ تعليل لما قبله، وذات تأنيث ذو بمعنى صاحب أي: بالأمور صاحبة لصدور ومصاحبتها لها من حيث اختباؤها فيها، وقوله: (فعلمه بغيره الخ) استنتاج للمدعي من

بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة، أي يخلف بعضكم بعضاً ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غضباً ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ للآخرة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ

الدليل، فالغير هو غيب السموات والأرض، إذ هو المدعي المستدل عليه، وقوله: (أولى) لما ورد عليه أن علم الله تعالى لا تفاوت فيه بأولوية وأدونية، بل جميع الأشياء منكشفة له على حد سواء لا فرق بين ما خفي منها على الخلق وما ظهر لهم. أجاب عنه بقوله: (بالنظر إلى حال الناس) أي الأولوية إنما هي بالنظر إلى حال الناس من حيث جرت عادتهم بأن من يعلم الخفي يعلم الظاهر بالأولى لسهولة الاطلاع عليه أكثر وقلة موانع الاطلاع عليه، والذي في الصدور أشد خفاء من غيره مما غاب في السموات والأرض، لأن ما في الصدور لا يطلع عليه إلا صاحبه، وأما غيره كالدفائن المكنوزة فقد يطلع عليه غير صاحبه اهـ شيخنا.

قوله: (فعلمه بغيره أولى) أشار به إلى أن قوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ جار مجرى التعليل لما قبله، لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيره، فلو قال قائل: الكافر ما كفر بالله إلا أياماً معدودة، فكان ينبغي ألَّا يعذب إلا مثل تلك الأيام، فيقال: إن الله لا يخفى عليه غيب السموات والأرض فلا يخفى عليه ما في الصدور، وكان يعلم من الكافر أن الكفر تمكن في قلبه لو دام إلى الأبد لما أطاع الله اهـ كرخي.

قوله: (جمع خليفة) هكذا في أكثر النسخ، وفي بعضها جمع خليف، والأولى أولى لأن خلائف جمع خليفة، وأما خليف فجمعه خلفاء. وفي أبي السعود: يقال للمستخلف خليفة وخليف ويجمع الأول على خلائف، والثاني على خلفاء اهـ.

وقوله: (أي يخلف بعضكم بعضاً) أي ويرى منه ما يعتبر به والعاقل من يعتبر بغيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا يزيد الكافرين الخ﴾ بيان لوبال كفرهم وغائلته والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والأصالة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قل أرأيتم الخ﴾ أي: قل لهم تبكيتاً، ورأى هنا بصرية تتعدى لمفعول واحد بلا همزة ولاثنين بالهمز كما هنا، والأول منهما شركاءكم، والثاني ماذا خلقوا من الأرض أي: الجملة الاستفهامية فهي في محل نصب وأرأيتم بمعنى أخبروني. فقوله: ﴿أروني﴾ أي أخبروني بدل منه بدل اشتمال والاستفهام في قوله: ﴿ماذا خلقوا﴾ الخ إنكاري كما أشار له بقوله: (لا شيء من ذلك) أي المذكور من الأمور الثلاثة أي: خلقهم لشيء وشركتهم في شيء وإيتائهم الكتاب اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿قل أرأيتم﴾ فيها وجهان، أحدهما: أنها ألف استفهام على بابها ولم تضمن هذه الكلمة معنى أخبروني بل هي استفهام حقيقي، وقوله: ﴿أروني﴾ أمر تعجيز. الثاني: أن الاستفهام غير مراد، وأنها ضمنت معنى أخبروني، فعلى هذا تتعدى لاثنين أحدهما شركاءكم، والثاني الجملة الاستفهامية من قوله: ﴿ماذا خلقوا﴾. وأروني جملة اعتراضية، ويحتمل أن تكون المسألة من باب التنازع، فإن أرأيتم يطلب ماذا خلقوا مفعولاً ثانياً وأروني يطلبه أيضاً معلقاً له، وتكون المسألة من باب

﴿تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾ حجة ﴿مِّنْهُ﴾ بأن لهم معي شركة لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠﴾ باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ يمسكهما

إعمال الثاني على مختار البصريين، وأروني هنا بصرية تعدت للثاني بهمزة النقل والبصرية قبل النقل تعلق بالاستفهام اهـ.

قوله: (الذين زعمتم أنهم شركاء لله) عبارة البيضاوي: والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله تعالى أو لأنفسهم فيما يملكونه، انتهت.

فمعنى شركاءكم الشركاء بجعلكم، وقوله: (أو لأنفسكم فيما يملكونه) أي: فإنهم كانوا يعينون شيئاً من أموالهم لآلهتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها اهـ زاده.

قوله: ﴿أروني ماذا خلقوا﴾ أي: أخبروني عماذا خلقوا أو بماذا خلقوا اهـ شيخنا.

وجملة أروني الخ بدل اشتمال أو كل من أرأيتم كأنه قيل أو خبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الأرض الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أم لهم شرك﴾ وقوله: ﴿أم آتيناهم﴾ معطوفان على ماذا خلقوا اهـ شيخنا.

وأم في الموضعين منقطعة بمعنى بل والهمزة، فيكون قد أضرب عن الاستفهام الأول وشرع في استفهام آخر والاستفهام إنكاري اهـ شهاب وزاده.

قوله: ﴿فهم على بينة﴾ الضمير في آتيناهم وفي فهم الأحسن أن يعود على الشركاء لتناسق الضمائر، وقيل: يعود على المشركين فيكون التفاتاً من خطاب إلى غيبة، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وابن كثير، وحفص بيِّنة بالافراد، والباقون بينات بالجمع وإن في إن يعد نافية اهـ سمين.

قوله: ﴿بل إن يعد الظالمون﴾ لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الرؤساء للأتباع اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف للأخلاف أو الرؤساء للأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليه اهـ.

قوله: ﴿بعضهم﴾ بدل من الظالمون، وقوله: (بقولهم) أي الرؤساء أي يقولونه لأتباعهم اهـ.

قوله: (أي يمنعهما من الزوال) أشار به إلى أن قوله: ﴿أن تزولا﴾ في محل المفعول الثاني على إسقاط الجار قاله الزجاج، وجوزوا فيه أن يكون مفعولاً من أجله أي: كراهة أن تزولا، وقيل: لئلا تزولا وأن يكون بدل اشتمال أي: يمنع زوالهما اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولئن زالتا﴾ قد اجتمع هنا قسم وشرط والمقدم الأول، فيكون الجواب المذكور وهو

﴿مِنۢ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ أي سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾ في تأخير عقاب الكفار ﴿وَأَقۡسَمُواْ﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم، أي أيٍّ واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، إذ

قوله: ﴿إن أمسكهما﴾ الخ جواباً للأول، فلا محل له من الإعراب، وجواب الثاني محذوف دل عليه المذكور على حد قوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت

اهـ شيخنا.

قوله: (أي سواه) الظاهر أنه تفسير لمن بعده، فهي بمعنى غير أي من أحد غيره، ومن الثانية ابتدائية والأولى زائدة اهـ شيخنا.

قوله: (في تأخير عقاب الكفار) هذا راجع لقوله: ﴿حليماً﴾، ولم يفسر غفوراً. وعبارة الخطيب: إنه كان حليماً إذا أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدهدا كما قال تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ [مريم: ٩٠] لأنه لا يستعجل إلا من يخاف الفوت فينتهز الفرصة. غفوراً أي: محاء لذنوب من رجع إليه، وأقبل بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه اهـ.

قوله: ﴿وأقسموا﴾ أي: كفار مكة أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمداً ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله جل اسمه ﴿لئن جاءهم نذير﴾ أي: نبي ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعني ممن كذب الرسل من أهل الكتاب. وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل، فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم نفروا عنه ولم يؤمنوا به استكباراً وعتوا عن الإيمان اهـ قرطبي.

قوله: ﴿جهد أيمانهم﴾ جهد منصوب على المصدرية أو على الحال أي: جاهدين. قال الفراء: الجهد بالفتح من قولك اجهد جهدك أي: ابلغ غايتك، والجهد بالضم الطاقة، وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة اهـ زاده.

وإنما كان القسم بالله غاية أيمانهم لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم، فإذا اشتد عليهم الحال وأرادوا تحقيق الحق حلفوا بالله كما تقدم في سورة الأنعام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليكونن﴾ جواب للقسم المقدر والكلام فيه كما تقدم، وقوله: ﴿لئن جاءهم﴾ حكاية لمعنى كلامهم لا للفظه، إذ لو كان كذلك لكان التركيب لئن جاءنا لنكونن اهـ سمين.

قوله: ﴿من إحدى الأمم﴾ إحدى هنا عامة وإن كانت نكرة في الإثبات، فالمعنى من كل الأمم نبه عليه بعض الشراح، فقول الشارح أي: أي واحدة لو قال بدله أي كل واحدة لكان أوضح اهـ شيخنا.

قوله: (من تكذيب بعضهم بعضاً) فحينئذ قالوا: والله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من هؤلاء الفرق اهـ أبو السعود.

قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ تباعداً عن الهدى ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسيىء أصل، وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي لا يبدل

وفي البيضاوي: وذلك أن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى لو أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم أي: واحدة من أمم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الأمة التي يقال فيها إحدى الأمم تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة اهـ.

قوله: ﴿ما زادهم إلا نفوراً﴾ جواب لما فيه دليل على أنها حرف لا ظرف، إذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها وتقدمت له نظائر، وإسناد الزيادة للنذير مجاز لأنه سبب في ذلك قوله: ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ [التوبة: ١٢٥] اهـ سمين.

قوله: ﴿استكباراً في الأرض﴾ يجوز أن يكون مفعولاً له أي: لأجل الاستكبار، وأن يكون بدلاً من نفور أو أن يكون حالاً أي: حال كونهم مستكبرين قاله الأخفش اهـ سمين.

قوله: (ووصف المكر) أي: في التركيب الثاني وهو قوله: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ وقوله: (أصل) أي: جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة، وقوله: (قبل). هذا التركيب أي: في التركيب الذي قبله وهو قوله: ﴿ومكر السيىء﴾، وقوله: (آخر) أي: جاء على خلاف الأصل حيث أضيفت فيه الصفة للموصوف. وقوله: (قدر فيه مضاف) أي: مضاف إليه، وقوله: (حذراً من الإضافة) أي: إضافة المكر الذي هو الموصوف إلى السيىء الذي هو صفته، فيتخلص من هذا بجعل المكر مضافاً لمحذوف هو مضاف إليه وموصوف بالسيىء اهـ.

وفي السمين قوله: ﴿ومكر السيىء﴾ فيه وجهان، أظهرهما: أنه عطف على استكباراً. والثاني: أنه عطف على نفوراً، وهذا من إضافة الموصوف إلى صفته في الأصل، إذ الأصل والمكر السيىء، والبصريون يؤولونه على حذف موصوف أي العمل السيىء اهـ.

قوله: ﴿فهل ينظرون إلاَّ سنّة الأولين﴾ المعنى: فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار اهـ خطيب.

قوله: ﴿إلا سنة الأولين﴾ مصدر مضاف لمفعوله تارة كما هنا ولفاعله أخرى، كقوله: ﴿فلن تجد لسنّة الله تبديلاً الخ﴾. وفي السمين: إلاَّ سنّة الأولين مصدر مضاف لمفعوله، وسنّة الله مضاف لفاعله، لأنه تعالى سنّها بهم فصحت إضافتها إلى الفاعل والمفعول اهـ.

قوله: ﴿فلن تجد لسنّة الله تبديلاً﴾ الخ الفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب، ونفي

بالعذاب غيره، ولا يحول إلى غير مستحقه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها

وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما اهـ أبو السعود.

قوله: (أي لا يبدل بالعذاب غيره الخ) هذا جواب عن سؤال تقديره التبديل تغيير الشيء عما كان عليه مع بقاء مادته، والتحويل نقله من مكان إلى آخر، فكيف قال ذلك مع أن سنّة الله لا تبدل ولا تحول، وإيضاحه أنه أراد بالأول أن العذاب لا يبدل بغيره، وبالثاني أنه لا يحول عن مستحقه إلى غيره كما تقدم وجمع بينهما هنا تعميماً لتهديد المسيء لقبح مكره في قوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾ الخ استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى تكذيب المكذبين بما يشاهدونه في سيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار ديارهم الماضية والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أي: أقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي: على أي حالة كان أخذهم ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب الرسل فيخافوا أن يفعلوا مثل أفعالهم فيكون حالهم كحالهم، فإنهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون آثارهم وأملهم فوق أملهم وعملهم فوق عملهم، وكانوا أطول منهم أعماراً وأشد اقتداراً ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد ﷺ، وأنتم يا أهل مكة كفرتم بمحمد وبمن قبله اهـ خطيب.

قوله: ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ أي: وأطول أعماراً فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوة ومحل الجملة النصب على الحالية اهـ أبو السعود.

أو معطوفة على الصلة أو مستأنفة اهـ سمين.

قوله: ﴿وما كان الله ليعجزه الخ﴾ تقرير لما يفهم قبله من استئصال الأمم السابقة، وقوله: ﴿إنه كان عليماً قديراً﴾ تعليل لذلك التقدير اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من شيء﴾ (يسبقه ويفوته) هذا يفيد أن يكون المراد بيان أن الأولين مع شدة قوتهم ما أعجزوا الله وما فاتوه، فهؤلاء أولى بأن لا يعجزوه اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما ترك على ظهرها من دابة﴾ أي: لأجل شؤم معاصيهم اهـ بيضاوي.

وأشار بهذا إلى وجه الملاءمة بين الشرط والجزاء وإيضاحه أنه تعالى إذا كان يؤاخذ الناس بما كسبوا كان يقطع عنهم النعم التي من جملتها المطر، فإذا لم يستحقوه بسبب المعاصي وانقطع عنهم انقطع النبات فيموت جميع الحيوانات جوعاً بطريق التبعية لهم، فهذا كناية أريد بها الملزوم، فالمعنى

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا انقطع عنهم ما هو سبب معاشهم فيموتون اهـ زاده.

وفي السمين: قوله: ﴿ما ترك على ظهرها﴾ تقدم نظيرها في النحل إلاَّ أنه هناك لم يجر للأرض ذكر، بل عاد الضمير على ما فهم من السياق، وهنا قد صرح بها في قوله: ﴿في السموات ولا في الأرض﴾، وهنا على ظهرها استعارة من ظهر الدابة دلالة على التمكن والتقلب عليها، والمقام هنا يناسب ذلك لأنه حث على السير للنظر والاعتبار، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب اهـ.

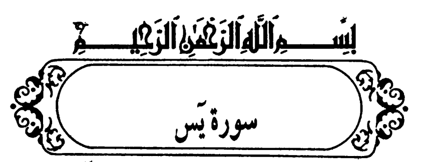
وفي زاده: قوله: ﴿على ظهرها﴾ فيه استعارة مكنية شبه الأرض بالدابة التي يركب الإنسان عليها من جهة تمكنه عليها، ثم أثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الظهر.

فإن قيل: كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهر الأرض مع أن الظهر مقابل الوجه فهو من قبيل إطلاق الضدين على شيء واحد؟ قلت: صح ذلك باعتبارين فإنه يقال لظاهرها ظهر الأرض من حيث إن الأرض كالدابة الحاملة للأثقال، ويقال له وجه الأرض لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان، وإن غيره كالبطن وهو الباطن منها اهـ.

وفي القرطبي: ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ يعني من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة. قال ابن مسعود: يريد جميع الحيوان مما دب ودرج. قال قتادة: وقد فعل ذلك في زمن نوح، وقال الكلبي: من دابة يريد الجن والإنس دون غيرهما لأنهما مكلفان بالعقل، وقال ابن جريج، والأخفش، والحسن بن الفضل: أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم قلت: والأول أظهر لأنه عن صحابي كبير. قال ابن مسعود: كاد الجعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم، وقال يحيى بن أبي كثير: أمر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر، فقاله له رجل: عليك بنفسك، فإن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال أبو هريرة: كذبت والله الذي لا إله إلا هو، ثم قال: والذي نفسي بيده إن الحبار لتموت هزلاً في وكرها بظلم الظالم، وقال اليماني ويحيى بن سلام في هذه الآية: يحبس الله المطر فيهلك كل شيء، وقد مضى في البقرة نحو هذا من عكرمة ومجاهد في تفسير: ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنوهم، وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة: ١٥٩] قال: «دواب الأرض ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى» قال مقاتل: الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ، وقال يحيى: هو يوم القيامة اهـ.

قوله: (نسمة) بفتحتين أي: ذي روح من التنسم وهو التنفس اهـ شهاب.

قوله: (فيجازيهم) هذا في الحقيقة هو جزاء الشرط وهو العامل في إذا على القاعدة فيها من أنها تخفض شرطها بالإضافة وتنصب بجوابها اهـ.



سورة يس

مكية أو إلا قوله ﴿وإذا قيل لهم انفقوا﴾ الآية أو مدنية وهي اثنتان وثمانون اية

. . . .

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا يس على موتاكم». وذكر الآجري من حديث أم الدرداء عن النبي ﷺ قال: «ما من ميت يقرأ عليه يس إلاّ هوّن الله عليه». وفي مسند الدارمي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له في تلك الليلة» خرجه أبو نعيم الحافظ. وروى الترمذي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات». وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة. قيل: يا رسول الله ما المعمة» قال: «تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية». قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: «تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة». وفي حديث الدارمي، عن شهر بن حوشب قال: قال ابن عباس: «من قرأ يسٓ حين أصبح يعطى يسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلة أعطي يسر ليلته حتى يصبح». وروى الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرؤون شيئاً سوى طه ويسٓ». وعن أبي جعفر قال: من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس في جام أي: إناء بزعفران ثم يشربه». وذكر الثعلبي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة يسٓ ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له». وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل المقبرة فقرأ سورة يسٓ خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات». وقال يحيى بن أبي كثير: بلغني أن من قرأ سورة يس ليلاً لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، وقد حدثني بهذا من جربها، ذكره الثعلبي وابن عطية، وقال ابن عطية: ويصدق ذلك التجربة اهـ قرطبي.

وفي البيضاوي: وعن ابن عباس أنه ﷺ قال: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس. من قرأها يريد بها وجه الله غفر له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات وأيما مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يسٓ نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه. وأيما مسلم قرأ

﴿يسٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ۝٢﴾ المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني

سورة يسٓ وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» اهـ.

قوله: (أو مدنية) لم نر من ذكر هذا الخلاف غيره من المفسرين، وقوله: (اثنتان وثمانون آية) الذي ذكره غيره من المفسرين ثلاث وثمانون آية.

قوله: ﴿يسٓ﴾ قرأ العامة بسكون السين وأدغم النون في الواو بعدها ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وقالون، وحفص وورش بخلاف عنه، وكذلك النون من ن والقلم وأظهرهما الباقونَ. فمن أدغم فللخفة ولأنه لما وصل والتقى متقاربان من كلمتين، أولهما ساكن وجب الإدغام ومن أظهرهما فللمبالغة في تفكيك هذه الحروف بعضها من بعض لأنه بنية الوقف. وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق بفتح النون، إما على البناء على الفتح تخفيفاً كأين وكيف، وإما على أنه مفعول باتل مقدراً، وإما على أنه مجرور بحرف القسم وهو على الوجهين غير منصرف للعلمية والتأنيث. وقرأ الكلبي بضم النون فقيل: إنه خبر مبتدأ مضمر أي هذه يسٓ ومنع من الصرف لما تقدم، وقيل: بل هي حركة بناء كحيث، وقرأ ابن أبي إسحاق أيضاً وأبو السماك يسٓ بكسر النون، وذلك على أصل التقاء الساكنين، ولا يجوز أن تكون حركة إعراب اهـ سمين.

قوله: (الله أعلم بمراده به) جرى رضي الله عنه على أن هذا اللفظ من الحروف المقطعة كحم وطس. وفي البيضاوي: يسٓ كآلم في المعنى والإعراب، وقيل: معناه يا إنسان بلغة طيىء على أن أصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به، وقرىء بالكسر كجير، وبالفتح على البناء كأين أو الإعراب على تقدير: اتل، أو اقرأ يسٓ، أو بإضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف للعلمية والتأنيث، فإنه علم على السورة وبالضم بناء كحيث أو إعراباً على تقدير مبتدأ أي: هذه يسٓ اهـ.

وقوله: (فاقتصر على شطره) أي: شطر الاسم وهو سين، وضم لذلك الشطر حروف النداء وهو الياء، مقتضى هذا أن يبنى على الضم لا غير، وعليه فيكون تسكينه في القراءة للتخفيف تأمل. وقيل: معناه يا سيد البشر، وقيل: هو اسم القرآن اهـ خازن.

قوله: ﴿والقرآن الحكيم﴾ قسم وجوابه ﴿إنك لمن المرسلين﴾ فهو مستأنف لا محل له من الإعراب اهـ شيخنا.

قوله: (المحكم) فعيل بمعنى مفعل، كقولهم: عقدت العسل فهو عقيد بمعنى معقد وليس بمعنى مفعول كشيطان رجيم بمعنى مرجوم، وليس هو في الآية بمعنى ذلك لأنه إنما يقال محكوم به ونحو ذلك، ولا بمعنى فاعل أي: حاكم لأن الحاكم الحقيقي هو الله تعالى، فظهر بذلك أن القرآن الحكيم منظوم لا ناظم محكوم فيه لا حاكم، وأن الحاكم المطلق هو الله تعالى أو على معنى النسب أي: ذي الحكم أو لأنه دليل ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة والمتصف بها على الإسناد المجازي اهـ كرخي.

﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾ أي طريق الأنبياء قبلك، التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره، رد لقول الكفار له: لست مرسلاً ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الرَّحِيمِ ۝﴾ بخلقه خبر مبتدأ مقدر، أي القرآن ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بتنزيل ﴿مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي القوم ﴿غَافِلُونَ ۝﴾ عن الإيمان والرشد ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ أي الأكثر ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ

قوله: (متعلق بما قبله) أي: بالمرسلين أي: بالمرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة أو خبر ثان لإن وهو الأحسن في العربية، والمعنى إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم، وقال القاضي: يجوز أن يكون حالاً من المستكن في الجار والمجرور، وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحاً، وإن دل عليه أي: وصف الشرع بالاستقامة لمن المرسلين التزاماً اهـ كرخي.

قوله: (وغيره) أي: إن واللام وإسمية الجملة اهـ كرخي.

قوله: (خبر مبتدأ الخ) أي: هذا تنزيل العزيز الرحيم، وهذا على قراءة الرفع. وقرأ حمزة، والكسائي، وابن عامر، وحفص بالنصب مفعولاً مطلقاً لمقدر أي: نزل القرآن تنزيلاً، وأضيف لفاعله أو بأمدح وباق برفع كما مرت الإشارة إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿لتنذر قوماً﴾ أي: العرب وغيرهم، وقوله: ﴿آباؤهم﴾ أي: الأقربون، وإلاّ فآباؤهم لا يعدون قد أنذروا فآباء العرب الأقدمون أنذروا بإسماعيل وآباء غيرهم الأقدمون أنذروا بعيسى ومن قبله، وقوله: (في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب ما بين إسماعيل ومحمد وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد اهـ شيخنا.

قوله: (أي لم ينذروا) أشار به إلى أن ما نافية، لأن قريش لم يبعث إليهم نبي قبل نبينا ﷺ فالجملة صفة لقوماً أي: قوماً لم ينذروا، ويصح كونها موصولة أو نكرة موصوفة، والعائد على هذين الوجهين مقدر أي: ما أنذره آباؤهم فتكون ما وصلتها أو وصفتها منصوبة المحل على المفعول الثاني لتنذر، والتقدير لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم من العذاب، أو لتنذر قوماً عذاباً أنذره آباؤهم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فهم غافلون﴾ مرتب على نفي الإنذار، وقوله: (أي: القوم). قال أبو السعود: الضمير للفريق أي: لم تنذر آبائهم فهم جميعاً غافلون اهـ.

قوله: ﴿لقد حق القول﴾ يعني قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٩] اهـ بيضاوي.

وقول الشارح: بالعذاب يقتضي أن المراد بالقول الحكم والقضاء الأزلي، وهذا جواب قسم مقدر أي: والله لقد ثبت وتحقق عليهم القول لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه، بل بسبب إصرارهم الاختياري على الكفر والإنكار اهـ أبو السعود.

قيل: نزلت هذه الآية في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلما أومأ إليه رجفت يداه

أَغْلَٰلًا﴾ بأن تضم إليها الأيدي، لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهِىَ﴾ أي الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له

إلى عنقه والتصق الحجر بيده. فقال ابن عباس، وعكرمة وغيرهما: فهو هنا تمثيل أي: هو بمنزلة من غلت يده إلى عنقه، فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثاني: وهو الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه. فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، فقال: والله ما رأيته ولقد سمعت صوته، فقال الثالث: والله لأشدخن أنا رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خرَّ على قفاه مغشياً عليه، فقيل له: ما شأنك؟ قال: شأني عظيم رأيت الرجل، فلما دنوت منه فإذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت قط فحلاً أعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني، **فأنزل الله تعالى:** ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون**﴾ اهـ قرطبي.

قوله: (**بأن تضم إليها الأيدي**) وطأ بهذا لأجل إرجاع الضمير في قوله: ﴿**فهي**﴾ (**إلى الأيدي**). وحاصل ما قصده أن الأيدي وإن لم يجر لها في العبادة ذكر، لكن الغل يدل عليها لأنه يجمعها مع الأعناق. وقوله: ﴿**إلى الأذقان**﴾ جعله متعلقاً بمحذوف قدره مجموعة، ولو قدره مرفوعة لكان أظهر لأن اليد ترفع تحت الذقن ويلبس الغل ضاماً لها وللعنق، فظهر قوله: (**رافعون رؤوسهم**) أي: تكون الأيدي تحت الأذقان ومحبوسة بالغل فلا يستطيعون خفضها اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً**﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم فهي إلى الأذقان فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطأطئون فهم مقمحون رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم إليه اهـ.

وقوله: (**واصلة إلى أذقانهم**) إما لكونه غليظاً عريضاً يملأ ما بين الصدر والذقن، فعلى هذا تنوين أغلالاً للتعظيم، والفاء في قوله: ﴿**فهي إلى الأذقان**﴾، وفي قوله: ﴿**فهم مقمحون**﴾ فاء النتيجة، ولأنه حينئذ يرفع الرأس إلى فوق، وإما لكون طرف الغل الذي يجمع اليدين إلى العنق يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها رأس العمود خارجاً من الحلقة إلى الذقن فلا يخليه يطأطىء رأسه فلا يزال مقمحاً، والمقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره يقال: قمح البعير فهو قامح إذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه أو لبرودة الماء أو لكراهة طعمه اهـ زاده وكشاف.

وفي المختار: الأقماح رفع الرأس وغض البصر يقال: أقمحه الغل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه اهـ.

وفي القاموس: وأقمح الغل الأسير ترك رأسه مرفوعاً لضيقه اهـ.

قوله: (**وهذا**) أي قوله: ﴿**إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً**﴾ الخ تمثيل أي: تشبيه أي: للمعنى المذكور بقوله: (**والمراد أنهم لا يذعنون الخ**) أي: شبهت هيئتهم في عدم تيسر الإيمان لهم للمنع

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ تمثيل أيضاً لسدّ طرق الإيمان عليهم ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال

الإلهي بهيئة من غلت يده وعنقه، فلم يستطع أن يتعاطى مقصوده للمنع الحسي الذي قام به، فالجامع مطلق المانع والاستعارة تمثيلية اهـ شيخنا.

وقيل: الكلام على حقيقته من الإخبار بما يفعل بهم في النار. وفي القرطبي: وقيل: الآية إشارة إلى ما يفعل غداً بأقوام في النار من وضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل كما قال الله تعالى: إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل وأخبر عنه بلفظ الماضي اهـ.

قوله: (بفتح السين وضمها) سبعيتان.

قوله: ﴿فأغشيناهم﴾ العامة على الغين المعجمة أي: غطينا أبصارهم فهو على حذف مضاف. وابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، والحسن، وأبو رجاء في آخرين فأعشيناهم بالعين المهملة وهو ضعف البصر. يقال: عشي بصره وأعشيته أنا وقوله هذا يحتمل الحقيقة والمجاز اهـ سمين.

وفي زاده: وقرىء فأعشيناهم بالعين المهملة من العشي مقصوراً وهو مصدر لأعشى إذا لم يبصر ليلاً، والمعنى أضعفنا أبصارهم عن إدراك الهدى كما أضعفت عين الأعشى والقراءتان متقاربتان اهـ.

قوله: (تمثيل أيضاً) أي: استعارة تمثيلية مشبه فيها المعنى المراد الذي ذكره بقوله: (لسد طرق الإيمان عليهم) أي: سداً إلهياً معنوياً، فشبه هذا المعنى بحال من سدت عليه الطرق سداً حسياً فلم يصل لمطلوبه اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وقال الضحاك: (وجعلنا من بين أيديهم سداً) أي: الدنيا، ومن خلفهم أي الأخرة أي عموا عن البعث وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا. قال الله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ [فصلت: ٢٥] أي: زينوا لهم الدنيا ودعوهم إلى التكذيب بالآخرة، وقيل: على هذا ما بين أيديهم سداً أي: غروراً بالدنيا ومن خلفهم سداً أي: تكذيباً بالآخرة، وقيل: ما بين أيديهم الآخرة وما خلفهم الدنيا اهـ.

وفي البيضاوي: هذا تمثيل آخر بمن أحاط بهم سدان، فغطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل اهـ.

قوله: ﴿وسواء عليهم﴾ الخ بيان لشأنهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطرق التمثيل أي: مستو عندهم إنذارك إياهم وعدمه، وقوله: ﴿لا يؤمنون﴾ استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه، ولما بين كون الإنذار وعدمه سواء بالنسبة إليهم عقبة بيان من ينفعه الإنذار فقال: إنما تنذر الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي: مع إدخال ألف بينهما وتركه ففي التحقيق قراءتان، وإن كان صنيعه يوهم أنه قراءة واحدة، وفي الأبدال واحدة، وفي التسهيل اثنتان فجملة القراءات هنا خمس اهـ شيخنا.

الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ هو الجنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ في حياتهم من خير وشرّ ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما استنَّ به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصبه بفعل يفسره ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾ ضبطناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ كتاب بيِّن هو اللوح المحفوظ ﴿وَٱضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَٰبَ﴾ مفعول ثان ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَآءَهَا﴾ إلى

قوله: (والأخرى) وهو الأولى.

قوله: ﴿إنما تنذر﴾ الخ لما ورد على هذا الحصر أمران، الأول: أنه يخالف قوله: سابقاً ﴿لتنذر قوماً﴾ الخ. الثاني: أنه يخالف عموم بعثته، وقد أجاب عن الأمرين بقوله: (ينفع إنذارك)، فالمحصور إنما هو الإنذار النافع فلا ينافي وجود غيره لمن ينتفع به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بالغيب﴾ حال من الفاعل أو المفعول. قوله: ﴿فبشره﴾ الخ الفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من إتباع الذكر والخشية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ بيان لشأن عظيم ينطوي على الإنذار والتبشير انطواء إجمالياً اهـ أبو السعود.

قوله: (في اللوح المحفوظ) الأولى في صحف الملائكة ليناسب صيغة المضارع اهـ شيخنا.

قوله: (ما استنَّ به بعدهم) أي: من أثر حسن كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو حبس أي وقف حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك. أو سيىء كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين، وسكة أحدثها فيها تخسيرهم، وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه ونحو ذلك للخبر المشهور: «من سنَّ سنَّة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء». فإن قيل الكتابة قبل الإحياء، فكيف أخر في الذكر حيث قال: نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم. فالجواب: أن الكتابة معظمة لأمر الإحياء، لأن الإحياء إن لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها إن لم يكن إحياء وإعادة لا يبقى لها أثر أصلاً والإحياء هو المعتبر، والكتابة مؤكدة معظمة لأمره، فلهذا قدم الإحياء اهـ كرخي.

قوله: (نصبه بفعل يفسره الخ) أشار به إلى أن نصب كل على الاشتغال اهـ كرخي.

قوله: ﴿واضرب﴾ خطاب للنبي ﷺ أمر أن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية اهـ قرطبي.

قوله: (أصحاب مفعول ثان) الصواب أنه مفعول أول اهـ قاري. وأبو السعود:

وضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾ [التحريم: ١٠] وأخرى في ذكر حالة غريبة، وبيانها

. . . .

للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى: ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ [إبراهيم: ٤٥] فالمعنى على الأول اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والإصرار على تكذيب الرسل أي: طبق حالهم بحالهم على أن مثلاً مفعول ثان لاضرب، وأصحاب القرية مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه، وعلى الثاني اذكر وبيِّن لهم قصة هي في الغرابة كالمثل: قوله: (إنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة العواصم، وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلاً، والعواصم بلاد قصبتها إنطاكية اهـ.

وهي بأرض الروم. قال العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رسولين من الحواريين إلى أهل إنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله. قال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين. قالا: فانطلق بنا نتطلع حاله فأتى بهما فمسحا ابنه، فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيخا، وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما إليه فدعا بهما وقال: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام. قال: وفيما جئتما؟ قالا: ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، فقال: وهل لنا إله دون آلهتنا؟ قالا: نعم الذي أوجدك وآلهتك. قال لهما: قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما.

وقال وهب: بعث عيسى عليه الصلاة والسلام هذين الرجلين إلى إنطاكية فأتياها فلم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه الصلاة والسلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما ليبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته. فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأيي أيها الملك أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا. قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال شمعون: فصفاه وأوجزا. قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه. فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك فقال شمعون للملك: إن أنت سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا كان لك الشرف ولإلهك. فقال له الملك: ليس لي عنك سر مكتوم، فإن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع. وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به

آخره، بدل اشتمال من أصحاب القرية ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣﴾ أي رسل عيسى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره بدل من إذ الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝١٤﴾ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝١٥﴾ ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم، وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّآ

وبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً وقد تغير، فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سراً فقام الميت وقال: إني ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركاً، فدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله، ثم قال: فتحت أبواب السماء فنظرت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين، وأشار بيده إلى صاحبيه وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وعيسى روح الله وكلمته. فتعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعا. فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل: بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما﴾ قال وهب: اسمهما يحنا وبولس، وقال كعب: صادق ومصدوق فعززنا بثالث الخ اهـ خازن.

قوله: (إلى آخره) في الموضعين المراد بآخره فيهما آخر القصة وهو قوله: ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ [يسٓ: ٣٠] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿المرسلون﴾ صادق بمجيء الاثنين أولاً ومجيء الثالث لهما فصاروا ثلاثة ثانياً اهـ شيخنا.

قوله: (أي رسل عيسى) وقيل: إنهم كانوا رسلاً من الله تعالى أرسلهم من غير واسطة عيسى إلى أصحاب هذه القرية اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ نسبة إرسالهما إليه تعالى مع أنهم رسل عيسى، لأن إرسالهما كان بأمر الله، والاثنان هما يحنا وبولس وقيل صادق ومصدوق، والثالث هو شمعون اهـ شيخنا.

قوله: (بدل من إذ الأولى) أي: بدل مفصل من مجمل وهو من قبيل بدل الكل من الكل اهـ شيخنا.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) قال السمين: وعلى كلتا القراءتين فالمفعول محذوف، أي: فقويناهما أو فغلبناهما بثالث اهـ شيخنا.

قوله: (فقالوا) أي: الثلاثة ﴿إنا إليكم مرسلون﴾. أكدوا كلامهم لسبق الإنكار في تكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قالوا ما أنتم﴾ خطاب للثلاثة، وقوله: ﴿إلا بشر مثلنا﴾ أي لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون اهـ بيضاوي.

قوله: (جار مجرى القسم) أي: في التأكيد به، وفي أنه يجاب بما يجاب به القسم، وقوله:

إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ التبليغ البيِّن الظاهر بالأدلة الواضحة، وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمريض، وإحياء الميت ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ مؤلم ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على إن الشرطية،

(على ما قبله) وهو قوله: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾، إذ فيه مؤكدان فقط أن واسمية الجملة، وقوله: (لزيادة الإنكار) أي لتعدده ثلاث مرات حيث قالوا: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾، وقوله: ﴿في إنا إليكم الخ﴾ متعلق باللام أي صفة لها. أي وزيد التأكيد باللام الكائنة في قوله: ﴿إنا إليكم﴾ الخ. أو متعلق بزيد من حيث تعلقه باللام، أي: وزيد التأكيد باللام في إنا إليكم الخ اهـ شيخنا.

وعبارة الكشاف: فإن قلت: لم قيل إنا إليكم مرسلون أولاً وإنا إليكم لمرسلون آخراً؟ قلت: لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار اهـ.

وهذا لما مخالف في المفتاح من أنهم أكدوا في المرة الأولى، لأن تكذيب الاثنين تكذيب للثالث لاتحاد المقالة، فلما بالغوا في تكذيبهم زادوا التأكيد، وما ذهب إليه الزمخشري نظراً إلى أن مجموع الثلاثة لم يسبق منهم إخبار ولا تكذيب لهم في المرة الأولى، فالتأكيد فيها للاعتناء والاهتمام بالخبر اهـ شهاب.

قوله: (وهي إبراء الأكمه) أي: الأعمى.

قوله: ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ أصل التطير التفاؤل بالطير، فإنهم كانوا يزعمون أن الطائر السانح سبب للخير، والبارح سبب للشر، ثم استعمل في كل ما يتشاءم به اهـ زاده.

وفي المختار: وطائر الإنسان عمله الذي قلده، والطير أيضاً الاسم من التطير ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله، كما يقال: لا أمر إلا أمر الله. وقال ابن السكيت: يقال: طائر الله لا طائرك ولا تقل طير الله وتطير من الشيء وبالشيء، والاسم الطيرة بوزن عنبة وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء. وفي الحديث: أنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، وقوله تعالى: ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ [النمل: ٤٧] أصله تطيرنا فادغم اهـ.

قوله: (تشاءمنا) أي: حصل لنا الشؤم. قوله: (لانقطاع المطر عنا بسببكم) قال مقاتل: حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم، وقيل إنهم أقاموا ينذرونهم عشر سنين، وقيل: إنما تطيروا لما بلغهم من أن كل نبي إذا دعا قومه فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك اهـ قرطبي.

قوله: (لام قسم) أي: لكنهم حنثوا في هذا القسم لأنهم لم يتمكنوا من بره لإهلاك الله لهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿عذاب أليم﴾ هو التحريق بالنار. قوله: (بكفركم) أي: حاصل بسبب كفركم. وعبارة البيضاوي: سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم، انتهت.

وفي القرطبي: فقالت الرسل: ﴿طائركم معكم﴾، أي: شؤمكم معكم، أي: حظكم من الخير

وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم وخوفتم، وجواب الشرط محذوف، أي تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝١٩﴾ متجاوزون الحد بشرككم ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو

والشر معكم ولازم في أعناقكم وليس هو من شؤمنا. قال معناه الضحاك، وقال قتادة: أعمالكم معكم، وقال ابن عباس: معناه الأرزاق والأقدار تتبعكم، وقال الفراء: طائركم معكم رزقكم وعملكم والمعنى واحد اهـ.

قوله: (وإدخال ألف) أي: وتركه. وقوله: (وبين الأخرى) أي همزة الاستفهام، فجملة القراءات أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (وجواب الشرط محذوف الخ) هذا ما ذهب إليه سيبويه، وهو أنه إذا اجتمع شرط واستفهام يجاب الاستفهام، وذهب يونس إلى إجابة الشرط فالتقدير عند سيبويه: أئن ذكرتم تتطيرون وعند يونس تطيروا مجزوماً اهـ كرخي.

قوله: (وهو محل الاستفهام) أي: هو المستفهم عنه الموبخ عليه أي: لا ينبغي منكم ولا يليق أن ترتبوا التطاير والكفر على الوعظ والتخويف، بل اللائق أن ترتبوا عليه الإيمان والانقياد اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد، أي: ليس الأمر كذلك، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان فلذلك أتاكم الشؤم اهـ أبو السعود.

قوله: (متجاوزون الحد بشرككم) وهذا لا ينافي كون أهل إنطاكية أول المؤمنين برسل عيسى، فإن الملك وقومه آمنوا، وهلاك قاتلي حبيب لا يستلزم هلاك أهل إنطاكية اهـ كرخي.

قوله: (هو حبيب النجار) كان يصنع لهم الأصنام، وقيل: كان إسكافياً، وقيل: كان قصاراً. وقال ابن عباس، ومقاتل، ومجاهد: هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام وهو ممن آمن بالنبي ﷺ وبينهما ستمائة سنة، كما آمن به تبع الأكبر، وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن أحد بنبي غير نبينا إلا بعد ظهوره، وأما نبينا فآمن به قبل ظهوره كثير اهـ قرطبي.

قوله: (كان قد آمن بالرسل) أي: رسل عيسى، وسبب إيمانه بهم أنه كان مجذوماً وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله قال لهم: هل من آية. قالوا له: ندعوا ربنا القادر يفرج عنك ما بك، فقال: إن هذا عجيب قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه، فهل يستطيع ربكم تفريجه في غداة واحدة؟ قالوا: نعم ربنا على ما يشاء قدير فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن اهـ أبو حيان.

قوله: ﴿من أقصى المدينة﴾ وهي القرية السابق ذكرها وعبّر عنها هنا بالمدينة إشارة لكبرها واتساعها، فيكون حبيب قد أسرع كثيراً اهـ شيخنا.

حبيب النجار كان قد آمن بالرسل، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ فقيل له: أنت على دينهم فقال ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني، أي

قوله: (يشتد عدواً) أي حرصاً على نصح قومه وللذب عن رسله كقوله: ﴿وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] اهـ زاده.

قوله: ﴿قال يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكايته مجيئه، كأنه قيل: فماذا قال عند مجيئه؟ فقيل: قال يا قوم الخ اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿المرسلين﴾ أي الذين هم رسل من طرف عيسى اهـ.

قوله: (تأكيد للأول) أي: أن الفعل تأكيد للفعل، وأما قوله: ﴿من لا يسألكم أجراً﴾ فهو بدل من المرسلين كما قاله بعضهم، وهذا هو المتبادر من صنيعه إذ لو كان مراده أن التأكيد اتبعوا من لا يسألكم أجراً بجملته لأخر قوله: (تأكيد للأول) عنه. وعبارة النهر: أمرهم أولاً باتباع المرسلين أي: هم رسل إليكم فاتبعوهم، ثم أمرهم ثانياً بجملة جامعة في الترغيب في كونهم لا ينقص منهم من حطام الدنيا شيئاً وفي كونهم يهتدون بهداهم، فيشتملون على خيري الدنيا والآخرة. وقد أجاز بعض النحويين في من أن تكون بدلاً من المرسلين ظهر فيه العامل كما ظهر إذا كان حرف جر كقوله تعالى: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ [الزخرف: ٣٣] والجمهور لا يعربون ما صرح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلاً، بل يجعلون ذلم مخصوصاً بحرف الجر وإذا ذكر الرافع أو الناصب سموا ذلك بالتابع لا بالبدل، انتهت.

وعبارة السمين: قوله: ﴿من لا يسألكم أجراً﴾ بدل من المرسلين بإعادة العامل، إلا أن الشيخ قال: النحاة لا يقولون ذلك إلا إذا كان العامل حرف جر، وإلا فلا يسمونه بدلاً بل تابعاً وكأنه يريد التأكيد اللفظي بالنسبة إلى العامل اهـ.

قوله: ﴿من لا يسألكم أجراً﴾ أي: فإنهم لو كانوا متهمين بعدم الصدق لسألوكم المال، وقوله: ﴿وهم مهتدون﴾ أي: فاهتدوا أنتم أيضاً تبعاً لهم اهـ قرطبي.

وقوله: ﴿وهم﴾ أي من لا يسألكم فالضمير راجع لمعنى من اهـ.

قوله: (أنت على دينهم) المعنى على الاستفهام أي: أأنت على دينهم فأداته محذوفة.

قوله: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ الخ تلطف بهم في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه حيث أراهم أنه أختار لهم ما يختار لنفسه، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم كما ينبىء عنه قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ الذي أشار به إلى تهديدهم وتخويفهم، ثم عاد للمساق الأول وهو التلطف في النصيحة، فقال: أأتخذ الخ اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿وما لي لا أعبد﴾ أصل الكلام وما لكم لا تعبدون، ولكنه صرف الكلام

لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿أأنذرتهم﴾ وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ صفة آلهة ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ أي إن عبدت غير الله ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بيِّن ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي أسمعوا قولي، فرجموه فمات ﴿قِيلَ﴾ له عند موته ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقيل

عنهم ليكون الكلام أسرع قبولاً، ولذلك جاء قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ دون وإليه أرجع، وقوله: ﴿أأتخذ﴾ مبني على كلامه الأول، وهذه الطريقة أحسن من ادعاء الالتفات اهـ.

قوله: (الموجود مقتضيها) وهو كون الله فطره وخلقه اهـ شيخنا.

قوله: (في الهمزتين منه) أي: من هذا التركيب ما تقدم الخ، والذي تقدم في كلامه قراءات أربعة، وتقدم أن التحقيق أنها خمسة والخمسة تأتي هنا أيضاً وكلها سبعية في الموضعين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من دونه﴾ يجوز أن يتعلق بأتخذ على أنها متعدية لواحد وهو آلهة، ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من آلهة، وأن يكون مفعولاً ثانياً قدم على أنها المتعدية لاثنين اهـ سمين.

قوله: ﴿لا تغن عني شفاعتهم شيئاً﴾ أي: لا تنفعني ولا تدفع عني. قوله: (صفة آلهة) أي: الجملة الشرطية وهي قوله: ﴿إن يردن الرحمن﴾ الخ صفة آلهة فهي في محل نصب. وقال أبو السعود: والظاهر أنها استئنافية سيقت لتعليل النفي المذكور وجعلها صفة لآلهة كما ذهب إليه بعضهم. ربما يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿إني إذاً﴾ التنوين عوض عن جملة محذوفة قدرها الشارح بقوله: (إن عبدت غير الله) اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿لفي ضلال مبين﴾. أي: لأن إيثار ما لا ينفع ولا يدفع ضراً بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر وإشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿فاسمعون﴾ العامة على كسر النون وهي نون الوقاية حذفت بعدها ياء الإضافة مجتزىء عنها بكسرة النون وهي اللغة العالية، وقرأ بعضهم بفتحها وهي غلط اهـ سمين.

قوله: (أي اسمعوا قولي) أي: ما قلته لكم، وهو ما ذكره بقوله: ﴿اتبعوا المرسلين﴾ الخ. فالخطاب للكفرة شافههم بهذا إظهار للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: فاسمعون أي فاشهدوا أي كونوا شهودي بالإيمان اهـ.

قوله: (فرجموه فمات) قال ابن مسعود: ووطئوه بأرجلهم حتى خرجت أمعاؤه من دبره، وألقي في بئر وهي الرس وهم أصحاب الرس، وفي رواية أنهم قتلوا الرسل الثلاثة. وقال السدي: رموه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهد قومي حتى قتلوه، وقال الكلبي: حفروا حفرة وجعلوه فيها ورموا فوقه التراب فمات ردماً، وقال الحسن: حرقوه حرقاً وعلقوه في سور المدينة وقبره في سور إنطاكية حكاه

دخلها حياً ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ﴾ حرف تنبيه ﴿قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ

الثعلبي. وقال القشيري والحسن: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إلى السماء فهو في الجنة لا يموت إلا بفناء السماء وهلاك الجنة، فإذا أعاد الله الجنة أدخلها. وقيل: نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة فدخلها فذلك قوله تعالى: ﴿قيل ادخل الجنة﴾ فلما شاهدها قال: ﴿يا ليت قومي يعلمون﴾ الخ اهـ قرطبي.

وفي الخازن: ولما قتلوه غضب الله له فعجل لهم العقوبة، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ الخ.

قوله: ﴿قيل﴾ (له عند موته) ﴿ادخل الجنة﴾ عبارة أبي السعود: قيل له ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها كسائر الشهداء، وقيل: لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة. قال الحسن: وعن قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق. وقيل: معناه البشرى بدخولها وأنه من أهلها، والجملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقامه، كأنه قيل: كيف كان لقاؤه لربه بعد ذلك التصلب في دينه، فقيل: قيل ادخل الجنة. وهكذا قوله: ﴿قال يا ليت﴾ الخ، فإنه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله. كأنه قيل: فماذا قال عند نيله لتلك الكرامة السنية؟ فقيل: ﴿قال يا ليت قومي﴾ الخ. وإنما تمنى علمهم بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب التوبة عن الكفر جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم، انتهت.

أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على حق اهـ بيضاوي.

ولم يذكر لفظ له في نظم الآية لأن الغرض بيان القول دون المقول له فإنه معلوم اهـ بيضاوي.

قوله: (وقيل دخلها حياً) معطوف على قوله: (فرجموه فمات)، أي: وقيل: لم يتمكنوا منه بل لما هموا بقتله رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حياً إكراماً له كما وقع لعيسى أنه رفعه الله وأسكنه السماء وهذا القول قاله قتادة، وعليه فالأمر في قوله: ﴿ادخل الجنة﴾ أمر تكوين لا أمر امتثال على حد قوله: ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢] اهـ شيخنا.

فالمعنى أدخله الله الجنة سريعاً. قوله: ﴿يا ليت قومي﴾ وهم الذين قتلوه فنصحهم حياً وميتاً. وفي الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال في هذه الآية «نصح لهم في حياته وبعد موته». وقال ابن أبي ليلى: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضلهم، ومؤمن آل فرعون، وصاحب يسّ وهم الصديقون، وذكره الزمخشري مرفوعاً عن رسول الله ﷺ اهـ.

قوله: ﴿بما غفر لي ربي﴾ ما: موصولة أو مصدرية، والباء: صلة يعلمون أو استفهامية جاءت على الأصل والباء صلة غفر أي بأي شيء غفر لي؟ يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أذيتهم اهـ بيضاوي.

وقوله: جاءت على الأصل أي من إثبات ألفها إذا جرت وهو قليل والأكثر حذفها اهـ شهاب.

وعبارة الكرخي: قوله: (بغفرانه) أشار تبعاً للكسائي إلى أن ما مصدرية تلويحاً بالرد على كثيرين أنها استفهامية، إذ لو كانت لحذفت ألفها كقوله: بم يرجع المرسلون، ولم تحذف فلم تكن استفهامية

ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴿ ۞ وَمَآ ﴾ نافية ﴿ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ أي حبيب ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ بعد موته ﴿ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي ملائكة لإهلاكهم ﴿ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ملائكة لإهلاك أحد ﴿ إِن ﴾ ما ﴿ كَانَتْ ﴾ عقوبتهم ﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ صاح بهم جبريل ﴿ فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ساكنون ميتون ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى

بل مصدرية. يعني أنها مع مدخولها في تأويل المصدر كما قرره، قاله شيخ الإسلام رحمه الله. ويجاب بأن حذف ألفها أكثري لا كلي، ويجوز كونها موصولة والعائد محذوف تقديره بالذي غفره لي ربي من الذنوب، واستضعف هذا من حيث إنه يصير معناه أنه تمنى أن يعلم قومه بذنوب المغفورة، وليس المعنى على ذلك إنما المعنى على تمني علمهم بغفران ربه ذنوبه وإليه أشار في التقرير اهـ.

قوله: ﴿وما أنزلنا على قومه من الخ﴾ فيه استحقار لهم ولإهلاكهم، وإيماء إلى التفخيم بشأن الرسل اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿ما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين﴾ أي: ما أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن. وقال الحسن: الجند الملائكة النازلون بالوحي على الأنبياء، وقيل: الجند العساكر أي لم أحتج في إهلاكهم إلى إرسال جنود ولا جيوش ولا عساكر، بل أهلكهم بصيحة واحدة، قال معناه ابن مسعود وغيره. وقوله: ﴿وما كنا منزلين﴾ تصغير لأمرهم أي أهلكناهم بصيحة واحدة من بعد ذلك الرجل ومن بعد رفعه إلى السماء وقيل: المعنى وما كنا منزلين على من كان قبلهم. قال الزمخشري: فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق فقال: ﴿وأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ [الأحزاب: ٩] وقال ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ [الأنفال: ٩] ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ [آل عمران: ١٢٤] ﴿بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ [آل عمران: ١٢٥]؟ قلت: إنما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة، ولكن الله فضل محمداً ﷺ بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والاعزاز ما لم يؤت أحداً، فمن ذلك أنه أنزل جنوداً من السماء وكأنه أشار بقوله: ﴿وما أنزلنا﴾، وبقوله: ﴿وما كنا منزلين﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك اهـ.

قوله: ﴿على قومه﴾ وهم أصحاب القرية الذين رجموه اهـ شيخنا.

قوله: (بعد موته) أي: أو بعد رفعه إلى الجنة حياً على القول الآخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما كنا منزلين﴾ تعليل لما قبله أي: لأن عادتنا المستمرة في الأزمنة الماضية قبل زمن محمد أنا لم ننزل ملائكة لإهلاك الكفار بل نهلكهم بغير الملائكة اهـ شيخنا.

قوله: (لإهلاك أحد) أي: من الأمم السالفة وإنما جعلنا إنزال الجند من خصائصك في الاستنصار من قومك اهـ أبو السعود.

قوله: (صاح بهم) أي عليهم جبريل، وقوله: ﴿خامدون﴾ بابه قعد اهـ شيخنا.

وقوله: (ميتون) أي فشبهوا بالنار الخامدة التي صارت رماداً رمزاً إلى أن الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد في عدمها اهـ أبو السعود.

﴿ٱلۡعِبَادِۚ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ مسوق لبيان سببها، لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أي أهل مكة القائلون للنبي: لست مرسلاً، والاستفهام للتقرير أي علموا ﴿كَمۡ﴾ خبرية بمعنى كثيراً معمولة لما بعدها،

قوله: ﴿يا حسرة على العباد﴾ الخ يحتمل أنه من كلام الملائكة، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين وأل في العباد للجنس، وقوله: (مجاز) أي: والمراد منه تهويل أمرهم وتشنيعه وتقبيحه، وقوله: ﴿أي هذا أوانك﴾ وهو وقت الاستهزاء بالرسل اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود نصها: فالمستهزئون أحقاء بأن يتحسروا على أنفسهم أو يتحسر عليهم المتحسرون، انتهت.

وعبارة الكرخي قوله: (هؤلاء ونحوهم) فيه إشارة إلى أن الألف واللام في العباد لتعريف الجنس، أي: جنس الكفار المكذبين، وهذا التحسر من الملائكة أو المؤمنين أو من الله استعارة لتعظيم جرمهم، وحينئذ تكون كالألفاظ التي وردت في حق الله كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمني اهـ.

وقيل: المراد بالعباد نفس الرسل، وعلى: بمعنى من. وفي القرطبي: وقال الطبري: المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم وتلهفاً وتندماً في استهزائهم برسل الله؛ وقال ابن عباس: يا حسرة على العباد يا ويلاً على العباد، وعنه أيضاً: حل هؤلاء محل من يتحسر عليهم. وروى الربيع، عن أنس، عن أبي العالية أن العباد ههنا الرسل، وذلك أن الكفار لما رأوا العذاب قالوا: يا حسرة على العباد فتحسروا على قتلهم وترك الإيمان بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم الإيمان. وقال مجاهد، والضحاك: إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل: يا حسرة على العباد من قول الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى لما وثب القوم لقتله، وقيل: الرسل الثلاثة هم الذين قالوا حين قتل القوم ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة، وحل بالقوم العذاب يا حسرة على هؤلاء كأنهم تمنوا أن يكونوا قد آمنوا، وقيل: هذا من قول القوم، قالوا لما قتلوا الرجل وفارقتهم الرسل أو قتلوا الرجل مع الرسل الثلاثة على اختلاف الروايات: يا حسرة على هؤلاء الرسل وعلى هذا الرجل ليتنا آمنا بهم في الوقت الذي ينفعنا الإيمان فيه، وتم الكلام على هذا ثم ابتداء فقال: ما يأتيهم من رسول اهـ.

قوله: ﴿إلا كانوا به يستهزئون﴾ جملة حالية من مفعول يأتيهم اهـ سمين.

قوله: (مسوق الخ) أي: فهو مستأنف لا محل له من الإعراب، وقوله: (لبيان سببها) أي بالواسطة، فإنه سبب لإهلاكهم وإهلاكهم سبب لها كما يعلم من تقريره وقوله: (لاشتماله) أي دلالته اهـ شيخنا.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي على قوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ [الشرح: ١] اهـ شيخنا.

معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى أنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ كثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي المهلكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ ۝٣١﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ وأنهم الخ، بدل مما قبله

قوله: (معمولة لما بعدها الخ) إشارة إلى أن يروا ليس عاملاً في كم لأنها إذا كانت خبرية لا يعمل فيها ما قبلها بل ما بعدها، وهو هنا أهلكنا، وهي معلقة لما قبلها وهو يروا عن العمل ذهاباً بالخبرية مذهب الاستفهامية، لكن قال ابن هشام: لا يتعين في الآية خبرية كم، بل يجوز كونها استفهامية إلى آخر ما ذكره اهـ كرخي.

قوله: (والمعنى أنا) ﴿أهلكنا﴾ أي: قد علموا أنا أهلكنا أي: إهلاكنا للأمم السالفة كثيراً، وقوله: (بدل مما قبله) أي بدل اشتمال لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم، أو بدل كل نظراً إلى أن إهلاكهم مآله رجوعهم فكأنه عينه، وقوله: ﴿برعاية﴾ المعنى المذكور وهو قوله: أنا أهلكنا الخ المعنى قد علموا إهلاكنا كثيراً من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم أي المهلكين إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة، فينبغي لهم أن يعتبروا بهم اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿كم أهلكنا﴾. كم: هنا خبرية فهي مفعول بأهلكنا تقديره كثيراً من القرون أهلكنا، وهي معلقة ليروا ذهاباً بالخبرية مذهب الاستفهامية، وقيل: يروا علمية، وكم استفهامية. وأنهم إليهم لا يرجعون فيه أوجه.

أحدها: أنه بدل من كم. قال ابن عطية: وكم هنا خبرية وأنهم بدل منها والرؤية بصرية. قال الشيخ: وهذا لا يصح لأنها إذا كانت خبرية كانت في موضع نصب بأهلكنا ولا يسوغ فيها إلا ذلك، وإذا كانت كذلك امتنع أن يكون أنهم بدلاً منها، لأن البدل على نية تكرار العامل، ولو سلطت أهلكنا على أنهم لم يصح ألا ترى أنك لو قلت أهلكنا انتفاء رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاماً. لكن ابن عطية توهم أن يروا مفعوله كم، فتوهم أن أنهم إليهم لا يرجعون بدل منه، لأنه يسوغ أن يسلط عليه فتقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون، وهذا وأمثاله دليل على ضعفه في علم العربية.

الثاني: قال الزمخشري: ألم يروا. ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم، لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت للاستفهام أو للخبر، لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناها نافذ في الجملة كما نفذ في قولك: ألم يروا أن زيداً لمنطلق وإن لم يعمل في لفظها، وأنهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ. تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم.

الثالث: أن أنهم معمول لفعل محذوف دل عليه السياق، والمعنى تقديره قضينا وحكمنا أنهم إلينا لا يرجعون. ويدل على صحة هذا قراءة ابن عباس والحسن إنهم بكسر الهمزة على الاستئناف، والاستئناف قطع لهذه الجملة عما قبلها، فهو مقوٍ لأن تكون معمولة لفعل محذوف يقتضي انقطاعها عما قبلها، والضمير في أنهم عائد على معنى كم، وفي إليهم عائد على ما دل عليه واو يروا. وقيل: بل الأول عائد على ما عاد عليه واو يروا، والثاني عائد على المهلكين اهـ.

برعاية المعنى المذكور ﴿ وَإِن ﴾ نافية أو مخففة ﴿ كُلٌّ ﴾ أي كل الخلائق مبتدأ ﴿ لَّمَّا ﴾ بالتشديد بمعنى إلاَّ، أو بالتخفيف، فاللام فارقة، وما زائدة ﴿ جَمِيعٌ ﴾ خبر المبتدإ، أي مجموعون ﴿ لَّدَيْنَا ﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿ مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ للحساب خبر ثان ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ على البعث خبر مقدم ﴿ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ أَحْيَيْنَٰهَا ﴾ بالماء مبتدأ ﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ﴾ كالحنطة ﴿ فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ

قوله: ﴿وإن كل﴾ الخ بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: (وإن نافية) وعلى هذا الاحتمال تكون لما بالتشديد، وقوله: (أو مخففة) وعليه تكون لما بالتخفيف وأن مهملة عن العمل، وكل مبتدأ وما بعده خبره ولزمت اللام في الخبر فرقاً بين المخففة والنافية. وفي السمين: فمن شدد لما جعلها بمعنى إلاّ وإن نافية، ومن خفف لما جعل أن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة هذا قول البصريين، والكوفيون يقولون أن إن نافية ولما بالتخفيف بمعنى إلاّ اهـ.

قوله: (أي كل الخلائق) أي: فالتنوين عوض عن المضاف إليه اهـ شيخنا.

قوله: (أي مجموعون) فسره بهذه إشارة إلى أن فعيلاً بمعنى مفعول، وإلى أنه غير مستدرك مع كل لأنه لا يستدرك معها إلا لو كان مستعملاً على وجه التوكيد.

والحاصل أن كل أشير بها لاستغراق الأفراد وشمولهم، وجميع أشير بها لاجتماع الكل في مكان واحد وهو المحشر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لدينا﴾ متعلق بجميع أو بمحضرون اهـ شيخنا.

قوله: (على البعث) أي: وعلى التوحيد، فالأول يناسبه قوله: ﴿الأرض الميتة أحييناها﴾ والثاني يناسبه قوله: ﴿وأخرجنا منها حباً﴾ إلى قوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ أي: فيرجعون عن عبادة غير الله. هكذا يستفاد من الرازي اهـ شيخنا.

قوله: (خبر مقدم) أي: ولهم صفة له.

قوله: ﴿أحييناها﴾ يحتمل الاستئناف وهو ظاهر، ويحتمل أن يكون نعتاً وهو المتبادر من صنيع الشارح حيث أخر قوله: (مبتدأ عنه) اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أحييناها﴾ يجوز أن يكون خبر الأرض، ويجوز أن يكون حالاً من الأرض إذا جعلناها مبتدأ وآية خبراً مقدماً، وجوز الزمخشري في أحييناها وفي نسلخ أن يكونا صفتين للأرض والليل، وإن كانا معرفتين بأل لأنه تعريف بأل الجنسية فهما في قوة النكرة اهـ.

قوله: ﴿وجعلنا﴾ معطوف على أحييناها. قوله: ﴿من نخيل﴾ في المختار: النخيل والنخيل بمعنى والواحد نخلة اهـ.

﴿ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ أي بعضها ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بفتحتين وبضمتين، أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي لم تعمل الثمر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أنعمه تعالى عليهم؟ ﴿سُبْحَٰنَ

وفي المصباح: النخل اسم جمع الواحدة نخلة، وكل جمع يفرق بينه وبين واحده بالتاء فأهل الحجاز يؤنثونه، وأهل نجد وتميم يذكرونه، وأما النخيل بالياء فمؤنثه. قال ابن حاتم: لا اختلاف في ذلك اهـ.

وبهذا تعلم أن قول الشارح وغيره ليس على ما ينبغي لأنه أعاد الضمير على النخل مذكراً فكان الأولى أن يقول وغيرها فتأمل، وقوله: ﴿وأعناب﴾ الأعناب جم عنب والعنبة الواحدة من العنب اهـ مصباح.

قوله: ﴿وفجرنا﴾ العامة على التشديد تكثيراً، لأن فجّر بالتخفيف متعد، وقرأ جناح بن حبيش بالتخفيف والمفعول محذوف على كل من القراءتين أي ينبوعاً في آية سبحان اهـ سمين.

قوله: (أي بعضها) أشار به إلى أن من تبعيضية. وقيل: إنها زائدة اهـ كرخي.

قوله: (بفتحتين الخ) سبعيتان. قوله: (أي ثمر المذكور) جواب عما يقال المقام يقتضي تثنية الضمير، فأجاب عنه بأنه راجع لما يشتمل الأمرين بتأويلهما بالمذكور، فقوله: (وغيره) الغير هو الأغناب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما عملته أيديهم﴾ في ما هذه أربعة أوجه، أحدها: أنها موصولة أي: ومن عدي عملته أيديهم من الغرس والمعالجة وفيه تجوز على هذا. والثاني: أنها نافية أي لم يعملوه هم بل الفاعل له هو الله تعالى. الثالث: أنها نكرة موصوفة والكلام فيها كالذي في الموصولة. الرابع: أنها مصدرية أي: ومن عمل أيديهم والمصدر واقع موقع المفعول به، فيعود المعنى إلى معنى الموصولة أو الموصوفة اهـ سمين.

وعبارة الخطيب: وما عملته أيديهم عطف على الثمر، والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس. فما موصولة أي من الذي عملته أيديهم، ويؤيد هذا قراءة حمزة والكسائي وشعبة بحذف الهاء من عملته، ونافية على قراءة الباقين بإثباتها أي وجدوها معمولة ولم تعملها أيديهم ولا صنع لهم فيها، وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد مخلوق مثل دجلة والفرات والنيل اهـ.

قوله: ﴿أفلا يشكرون﴾ إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: يرون هذه النعم أو أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها اهـ أبو السعود.

قوله: (أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالفتح والمد فكل منهما يجمع على أنعم. وفي المصباح: وجمع النعمة نعم مثل سدرة وسدر، وأنعم أيضاً مثل أفلس، وجمع النعماء أنعم مثل بأساء وأبؤس اهـ.

قوله: ﴿سبحان الذي﴾ الخ استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على النعم المذكورة، فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه اهـ أبو السعود.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ نفصل ﴿مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝﴾ داخلون في الظلام ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ إليه أي لا

وفي القرطبي: ﴿وسبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ نزه نفسه سبحانه عن قول الكفار إذ عبدوا غيره مع ما رأوا من نعمه وآثار قدرته، وفيه تقدير معنى الأمر أي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به، وقيل: فيه معنى التعجب أي عجباً لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات، ومن تعجب من شيء قال: سبحان الله، والأزواج الأنواع والأصناف فكل زوج صنف لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها. وقال قتادة: يعني الذكر والأنثى، وقوله: ﴿مما تنبت الأرض﴾ يعني من النبات لأنه أصناف، ومن أنفسهم يعني وخلق منهم أولاداً أزواجاً ذكوراً وإناثاً. ومما لا يعلمون، أي: من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والأرض، ثم يجوز أن يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر وتعلمه الملائكة، ويجوز أن لا يعلمه مخلوق، ووجه الاستدلال في هذه الآية أنه إذا انفرد بالخلق فلا ينبغي أن يشرك به اهـ.

قوله: ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان للأزواج، وكذا قوله: ﴿ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾. فبين الأزواج بهذه الأمور الثلاثة التي لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات اهـ شيخنا.

قوله: (الغريبة) كالتي في السموات والتي تحت الأرضين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآية لهم الليل﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مرّ، وقوله: ﴿نسلخ﴾ الخ جملة مبينة لكيفية كونه آية اهـ أبو السعود.

ونسلخ من بابي قطع ونصر كما في المختار قوله: (على القدرة العظيمة) أي القدرة على البعث.
قوله: (نفصل) ﴿منه﴾ من بمعنى عن أي: نزيل عنه النهار الذي هو كالساتر له، فإذا زال الساتر وهو النهار ظهر الأصل وهو الليل، فصحّ ترتب قوله: ﴿فإذا هم مظلمون﴾. وفي الكرخي: نفصل منه أي نزيل عنه النهار، وظاهره يشعر بأن النهار طارىء على الليل. قال المرزوقي: الآية دلت على أن الليل قبل النهار، لأن المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ، كما أن المعطي قبل العطاء، لكن كلامه في سورة الرعد مؤذن بأن بين الليل والنهار توالجا وتداخلا قال الله تعالى: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ [الزمر: ٥] اهـ.
وفي القرطبي: والسلخ الكشف والنزع، يقال: سلخه الله من دينه ثم يستعمل بمعنى الاخراج، وقد جعل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وظهور المسلوخ فهو استعارة، ومظلمون معناه داخلون في الظلام. يقال: أظلمنا أي دخلنا في ظلام الليل، وأظهرنا أي دخلنا في وقت الظهيرة، وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا. وقيل: منه بمعنى عنه. والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار فإذا هم مظلمون أيْ: في ظلمة لأن ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فإذا خرج منه أظلم اهـ.

قوله: (من جملة الآية) أي: فهو معطوف على الأرض الواقع مبتدأ، وقوله: (أو آية أخرى) أي

تتجاوزه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي جريها ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ بخلقه ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين

فهو مبتدأ خبره تجري الخ. وقوله: (والقمر كذلك) أي أنه من جملة الآية أو آية أخرى على ما تقدم اهـ شيخنا.

فائدة:

سئل الرملي هل القمر الموجود في كل شهر هو الموجود في الآخر أو غيره؟ فأجاب: بأن في كل شهر قمراً جديداً اهـ.

قوله: ﴿لمستقر لها﴾ أي: تنتهي في سيرها لمستقر لها فتقف فيه ولا تنتقل عنه. ومستقرها هو مكان تحت العرش تسجد فيه كل ليلة عند غروبها، فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند طلوع النهار يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها أو لا، فإذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق، بل يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من المغرب وهذا هو الصحيح، وقيل: إن الشمس في الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لا نعرفه، ويؤيد هذا القول ما قاله الفقهاء في باب المواقيت كالشمس الرملي من أن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي، فقد يكون المغرب عندنا عصراً عند آخرين، ويكون الظهر صبحاً عند آخرين وهكذا. وعبارة الخازن: والشمس تجري لمستقر لها أي إلى مستقر لها. قيل: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل: تسير في منازلها حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها وهو أنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها. وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء، وعن ابن عباس: والشمس تجري لا مستقر لها أي لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً إلى يوم القيامة. صح عن النبي ﷺ فيما رواه أبو ذر قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ قال: «مستقرها تحت العرش». وفي رواية قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أي تذهب الشمس؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها فيقال ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها»، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أخرجاه في الصحيحين. قال الشيخ محيي الدين النووي: اختلاف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث. قال الواحدي: فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع، وقيل تجري إلى مستقر لها وأصل لا تتعداه، وعلى هذا فمستقرها انتهاء سيرها عن انقضاء الدنيا، وأما سجود الشمس فهو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها والله أعلم، انتهت.

قوله: (بالرفع) أي على أنه معطوف على المبتدأ المتقدم أو على أنه مبتدأ خبره قدرناه، وقوله: (والنصب) أي على الاشتغال كما بينه بقوله: (وهو منصوب الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منازل﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه مفعول ثان لقدرنا بمعنى صيرنا. الثاني: أنه حال ولا بد من حذف مضاف قبل منازل تقديره ذا منازل. الثالث: أنه ظرف أي قدرنا سيره في منازل اهـ سمين.

منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ۝٣٩﴾ أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصغر ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن

وإلى هذا الثالث أشار الجلال بقوله: (من حيث سيره) اهـ.

قوله: (أي كعود الشماريخ) جمع شمراخ وهو كالشمروخ بالضم عيدان العنقود الذي عليه الرطب وما يجمعه مما فوقه يسمى العذق بكسر العين كذا في المصباح، ووجه الشبه مركب وهو الاصفرار والدقة والاعوجاج اهـ شهاب.

وعبارة السمين: والعرجون عود العذق ما بين الشماريخ إلى منبته من النخلة وهو تشبيه بديع مشبه به القمر في ثلاثة أشياء دقته واستقواسه واصفراره اهـ.

وفي المصباح: العذق بكسر العين الكباسة ثم قال: والكباسة عنقود النخل اهـ.

قوله: (إذا عتق) في المختار: عتق من باب ظرف إذا قدم ومن باب قعد أيضاً اهـ.

قوله: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ الخ أي: لأن ذلك يخل بتكوين النبات وتعييش الحيوان اهـ أبو السعود.

ولا نافية كما يؤخذ من عبارة غيره، وكذا في قوله: ﴿ولا الليل﴾ الخ كما يؤخذ من عبارة غيره أيضاً، ومن عبارته هو حيث قال: فلا يأتي قبل انقضائه اهـ شيخنا.

أي: لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، بل يتعاقبان لا يجيء أحدهما قبل وقته، وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء اهـ خازن.

قوله: (يسهل ويصح لها الخ) أي: فإنه يخل بتكون النبات وتدبير الحيوان وأفهم بإيلاء لا لها دون الفعل أن حركتها بالتسخير لا بإرادتها، ونفى تعالى الإدراك عن الشمس دون عكسه لأن مسير القمر أسرع لأنه يقطع فلكه في شهر، والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، فكانت جديرة بأن توصف بنفي الإدراك لبطء سيرها، وكان القمر خليقاً بأن يوصف بنفي السبق لسرعة سيره اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ لا نافية كما عرفت أي: وليس الليل بسابق النهار فالكلام على حذف المضاف أي ولا الليل سابق انقضاء النهار كما أشار إليه بقوله: (فلا يأتي قبل انقضائه) أي لا يأتي الليل في أثناء النهار وقبل أن ينقضي كأن يأتي في وقت الظهر، وهذا لا ينافي أن الليل برمته في الوجود في النهار برمته كما ذكر في كتب اللغة اهـ شيخنا.

وهو أحد قولين، والآخر أن النهار سابق في الوجود على الليل، وقد أشار القرطبي بقوله: واستدل بعضهم بقوله: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ على أن النهار مخلوق قبل الليل وأن الليل لم يسبقه بالخلق اهـ.

المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِى فَلَكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ يسيرون نزلوا منزلة العقلاء ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة ذرياتهم أي آباءهم الأصول

ووجه الاستدلال على هذا أن المعنى وليس الليل بسابق النهار يعني بل النهار هو السابق، وهذا ينظر إلى مقابلة جملة الليل بجملة النهار، والآية محتملة لكل من القولين.

قوله: (فلا يأتي) أي الليل قبل انقضائه أي النهار، وإن كان سير القمر أسرع من سير الشمس، بل لا يزالان يتعاقبان لمصالحكم فلا يجتمعان حتى يبطل ما دبر الله وينقضي ما ألفه وتطلع الشمس من مغربها فيجتمعان اهـ كرخي.

قوله: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ قال العماد ابن كثير في البداية والنهاية: حكى ابن حزم، وابن الجوزي وغير واحد الاجماع على أن السموات كرية مستديرة، واستدل عليه بآية ﴿كل في فلك يسبحون﴾. قال الحسن: يدورون، وقال ابن عباس: في فلكة مثل فلكة المغزل. قالوا: ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع آخرها من المشرق. قال ابن حجر: حكى الاجماع على أن السموات مستديرة جمع وأقاموا عليه الأدلة، وخالف في ذلك فرق يسيرة من أهل الجدل. وقال ابن العربي: السموات ساكنة لا حركة فيها جعلها الله تعالى ثابتة مستقرة هي لنا كالسقف للبيت، ولهذا سماها السقف المرفوع اهـ ابن لقيمة على البيضاوي.

قوله: (النجوم) أي: المدلول عليها بذكر الشمس والقمر. قوله: (نزلوا منزلة العقلاء) أي فعبَّر عنهم بضمير جمع الذكور والمسوغ له التعبير بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآية لهم﴾ أي: لأهل مكة أنا حملنا ذريتهم الضمير أيضاً لأهل مكة، وقوله: (أي أباءهم الأصول) أي الأقدمين وهم الذين كانوا في سفينة نوح، فهؤلاء آباء لأهل مكة بالوسائط وإطلاق الذرية على الأصول صحيح، فإن لفظ الذرية مشترك بين الضدين الأصول والفروع، لأن الذرية من الذرء بمعنى الخلق والفروع مخلوقون من الأصول، والأصول خلقت منهم الفروع. وفي البغوي: واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد اهـ.

وفي القرطبي: هذه الآية من أشكل ما في هذه السورة لأنهم هم المحمولون، فقيل: المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون، فالضميران مختلفان ذكره المهدي، وحكاه النحاس عن علي بن سليمان أنه سمعه يقوله، وقيل: الضميران جميعاً لأهل مكة على أن يكون المراد بذرياتهم أولادهم وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول سفينة نوح، وعلى الثاني يكون اسماً للجنس أخبر تعالى بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يضعف عن المشي والركوب من الذرية والضعفاء، فيكون الضميران على هذا متفقين، وقيل: الذرية الآباء والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام، فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية قاله أبو عثمان، وسمى الآباء ذرية لأنه ذرأ منهم الأبناء، وقول رابع أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكره الماوردي اهـ.

قوله: (على قدرتنا) أي: على البعث. قوله: (المملوء) أي: ومع ذلك نجاه الله من الغرق، فهذا

﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ أي سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ المملوء ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيه ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ينجون ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا

الوصف له دخل في الامتنان، وكانت السفينة مملوءة بالحيوان لأنه جعلها ثلاث طبقات السفلى وضع فيها السباع والهوام، والوسطى وضع فيها الدواب والأنعام، والعليا وضع فيها الآدميين والطير اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من مثله﴾ من تبعيضية أو زائدة، وعلى كل منهما فمدخولها في محل نصب على الحال من المفعول المؤخر وهو ﴿ما يركبون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (وهو ما عملوه) الضمير للمثل أي المثل هي السفن التي عملوها على شكل فلك نوح، وهذا التفسير أحد أقوال ثلاثة. وقيل: هو خصوص الإبل، وقيل: مطلق الدواب التي تركب. وفي القرطبي: وفي معنى المثل ثلاثة أقوال. مذهب مجاهد وقتادة وجماعة من أهل التفسير. وروي عن ابن عباس أن معنى من مثله الإبل خلقها الله لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، والعرب تشبه الإبل بالسفن. القول الثاني: أنه الإبل والدواب وكل ما يركب. والقول الثالث: أنه السفن. قال النحاس: وهو أصحها لأنه متصل الإسناد. عن ابن عباس: وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال: خلق لهم سفناً أمثالها يركبون فيها، وقال أبو مالك: إنها السفن الصغار خلقها مثل السفن الكبار. وروي عن ابن عباس أيضاً، والحسن، وقتادة، وقال الضحاك وغيره: هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح عليه السلام. قال الماوردي، ويحيى، وعلي: مقتضى تأويل علي رضي الله عنه في أن الذرية في الفلك المشحون هي النطف في بطون النساء، وقول خامس في قوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ تأويله النساء خلقن لركوب الأزواج لكن لم أره محكياً اهـ.

قوله: (بتعليم الله) متعلق بشكله أي: شكل سفينة نوح الكائن بتعليم الله إياه أي أيا نوح أو أيا التعليم أو أيا الشكل، وعل كل فغرضه بهذا الجواب عما يقال: كيف أسند خلق السفن له مع أنها من مصنوعاتهم، والعادة أن مصنوع العبد ينسب له لا لله وإن كان بخلقه حقيقة لا يقال خلق الله البيت أو الثوب أو غير ذلك.

وحاصل الجواب أن أصل السفن وهو سفينة نوح لما كان بمحض تعليم الله تعالى وليس لنوح فيه معلم من المخلوقات نسب خلق السفن إليه تعالى لكون أصلها بمحض إقداره وإلهامه، وعبارة أبي السعود: وجعلها مخلوقة لله مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم بأقدار الله تعالى بل لمزيد اختصاص أصلها وهو سفينة نوح بقدرته تعالى وعظمته، انتهت.

قوله: (مع إيجاد السفن) أي: ومع ركوبهم لها، إذ ركوبهم لا ينجي إلا بفضل الله تعالى اهـ شيخنا.

قوله: (مغيث لهم) كما يطلق الصريخ على المغيث يطلق على الصاروخ وهو المستغيث فهو من

﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۝٤٤﴾ أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥﴾ أعرضوا ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي قال

الأضداد، كما صرح به أهل اللغة، ويكون مصدراً بمعنى الإغاثة لأنه في الأصل بمعنى الصراخ وهو صوت مخصوص وكل منهما صحيح هنا اهـ شهاب.

قوله: ﴿إلا رحمة منا﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿إلا رحمة منا﴾ منصوب على المفعول له وهو استثناء مفرغ، وقيل: استثناء منقطع، وقيل: على المصدر بفعل مقدر أو على إسقاط الخافض أي إلا برحمة، والفاء في قوله: فلا صريخ رابطة لهذه الجملة بما قبلها، فالضمير في لهم عائد على المغرقين، وجوز ابن عطية هذا ووجهاً آخر وجعله أحسن منه وهو أن يكون استئناف إخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا أو مغرقين هم بهذه الحالة لا نجاة لهم إلا برحمة الله، وليس قوله: فلا صريخ لهم مربوطاً بالمغرقين اهـ.

وليس جعله هذا الأحسن بالحسن لئلا تخرج الفاء عن موضوعها والكلام عن التئامه اهـ.

قوله: (أي لا ينجيهم إلا رحمتنا الخ) في نسخة أي لا تنجيهم إلا رحمتنا بهم اهـ.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا﴾ الخ بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اهـ أبو السعود.

قوله: (كغيركم) أي: كما اتقاه غيركم وهم المؤمنون اهـ شيخنا.

قوله: (من عذاب الآخرة) إطلاق الخلف على هذا مع أنه سيأتي فهو أمام الخلائق، لأن لفظ الخلف يطلق على كل من الضدين اهـ شيخنا.

وفي الخازن: قال ابن عباس: ما بين أيديكم يعني الآخرة فاعملوا لها، وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها، وقيل: ما بين أيديكم يعني وقائع الله تعالى بمن كان قبلكم من الأمم، وما خلفكم يعني الآخرة اهـ.

قوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾ إما حال من الواو في اتقوا، أو علة له أي راجين أن ترحموا، أو كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله، وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله: ﴿وما تأتيهم﴾ الخ انفهاماً بينا اهـ أبي السعود.

وقدره الشارح بقوله: ﴿أعرضوا﴾.

قوله: ﴿من آية﴾ من زائدة وقوله: ﴿من آيات ربهم﴾ تبعيضية، وقوله: ﴿إلا كانوا﴾ الخ جملة حالية.

قوله: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الخ إشارة إلى أنهم اخلوا بجميع التكاليف، لأن جملتها ترجع إلى أمرين التعظيم لجانب الله والشفقة على خلق الله اهـ زاده.

فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك

قوله: ﴿قال الذين كفروا﴾ أي: بالصانع وهم زنادقة بمكة اهـ أبو السعود ومثله البيضاوي.

وفي الشهاب عليه ما نصه: قوله: ﴿كفروا﴾ بالصانع يعني أنكروا وجوده وهم المعطلة المنكرون لوجود الباري، وهذا مروي عن ابن عباس، ولذا أظهر في مقام الإضمار، وقوله: بعده ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ لا ينافيه لأنه تهكم أو مبني على اعتقاد المخاطبين كما أشار إليه المصنف بقوله: (استهزاء بهم) اهـ.

وهذا هو الذي يوافق صنيع الجلال حيث قال أولاً في معتقدكم، وثانياً مع معتقدكم هذا، ثم قال البيضاوي بعد ما تقدم: وقيل: قاله مشركو قريش حيث استطعمهم فقراء المؤمنين قصدوا به أن الله لما كان قادراً أن يطعمهم ولم يفعل فنحن أحق بذلك فلا تخالف اهـ.

وفي الخازن: ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم﴾ أي أنرزق ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ أي: رزقه. وقيل: كان العاصي بن وائل السهمي إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك، ويقول: قد منعه الله أفأطعمه أنا؟ ومعنى الآية: أنهم قالوا لو أراد الله أن يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق مشيئة الله فيهم فلا نطعم من لم يطعمه، وهذا مما يتمسك به البخلاء يقولون: لا نعطي من حرمه الله، وهذا الذي يزعمون باطل، لأن الله تعالى أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء، فمنع الدنيا من الفقير لا بخلاً، وأعطى الدنيا الغني لا استحقاقاً، وأمر الغني بالإنفاق لا حاجة إلى ماله ولكن ليبتلي الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني، ولا اعتراض لأحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه، والمؤمن يوافق أمر الله تعالى اهـ.

وفي القرطبي: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ أي: تصدقوا على الفقراء: قال الحسن: يعني اليهود أمروا بإطعام الفقراء، وقيل: هم المشركون، قال لهم فقراء أصحاب النبي ﷺ: أعطونا من أموالكم ما زعمتم أنه لله وذلك قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ [الأنعام: ١٣٦] فقالوا هذا لله فحرموهم، وقالوا: لو شاء الله أطعمكم استهزاء فلا نطعمكم حتى ترجوا إلى ديننا. قالوا: أنطعم أي: أنرزق. عن ابن عباس: كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالتصدق على المسكين قالوا: لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن، وكانوا يسمعون من المؤمنين يعلقون أفعال الله بمشيئة يقولون: لو شاء لأغنى فلاناً، ولو شاء الله لأعز، ولو شاء لكان كذا، فأخرجوا هذا الجواب استهزاء بالمؤمنين. وما كانوا يقولون بتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى، وقيل: قالوا هذا تعلقاً بقول المؤمنين لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي: إذا كان رزقنا فهو قادر أن يرزقكم فلم تلتمسون الرزق منا، وكان هذا الاحتجاج باطلاً، لأن الله عز وجل إذا ملك عبداً مالاً ثم أوجب عليه حق فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض، وقد صدقوا في قولهم لو شاء الله أطعمه، ولكن كذبوا في الاحتجاج اهـ.

قوله: ﴿أنطعم﴾ لم يقل أننفق مع أنه المناسب لما قبله، إما لأنه المراد من الإنفاق أو نطعمه بمعنى نعطي، أو لأنه يدل على منع غيره بالطريق الأولى اهـ شهاب.

مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ بيِّن، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ فيه، قال تعالى ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ بالتشديد أصله يختصمون نقلت

قوله: ﴿من لو يشاء الله﴾ مفعول أنطعم. وقوله: ﴿أطعمه﴾ جواب لو، على أحد الجائزين وهو تجرده من اللام، والأفصح أن يكون باللام نحو ﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ [الواقعة: ٦٥] اهـ سمين.

قوله: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ هو من كلام المشركين كما يفهم من صنيع الشارح وهذا أحد أقوال ثلاثة. وفي القرطبي: ﴿إن أنتم إلا في ضلال﴾. قيل: هو من قول الكفار للمؤمنين أي: في سؤال المال في اتباعكم محمداً ﷺ قال معناه مقاتل وغيره. وقيل: هو من قول أصحاب النبي ﷺ لهم، وقيل: من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب، وقيل: إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال: يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم. قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر وأمر الأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ [الليل: ٦] الآيتين اهـ.

قوله: ﴿موقع عظيم﴾ وهو الإشارة لاختلاف نوعي الكفار، لأن المراد بهم الزنادقة المنكرون لوجود الصانع المختار، والمراد بهم فيما سبق في قوله: ﴿ألم يروا﴾ الخ كفار قريش المعترفون بوجود الله مع كونهم يعبدون الأصنام ليقربوهم إليه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الخ رجوع للكلام مع الكفار من قريش المعترفين بوجود الله اهـ شيخنا.

قوله: (أي ينتظرون) فإن قيل: هم ما كانوا منتظرين بل كانوا جازمين بعدمها. قلنا: نعم إلا أنهم جعلوا منتظرين نظراً إلى قولهم متى تقع، لأن من قال: متى يقع الشيء الفلاني يفهم من كلامه أنه ينتظر وقوعه اهـ زاده.

قوله: (الأولى) وهي التي تموت بها من كان موجوداً على وجه الأرض اهـ شهاب.

قوله: ﴿وهم يخصمون﴾ بفتح الياء مضارع خصم كعلم، وأصله اختصم فنقلت حركة التاء إلى الخاء، ثم قلبت أي: التاء صاداً وأدغمت في الصاد وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء فوقع الإعلال في الماضي كما وقع في مضارعه الذي أشار له بقوله أصله يختصمون، وقوله: (نقلت حركة التاء) أي: بتمامها أو بعضها فتحت. هذا قراءتان فتح الخاء فتحة تامة واختلاسها أي: النطق ببعض فتحها، وقوله: (وأدغمت) أي بعد قلبها صاداً، وقوله: (وفي قراءة) تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاثة وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة، وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل، وإنما هو لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت أي الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، فتخلص أن القراءات أربعة وكلها

حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة يخصمون كيضربون أي يخصم بعضهم بعضاً ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو قرن النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي المقبورون ﴿مِّنَ

سبعية وكلها مع فتح الياء، وليس لنا قراءة سبعية بضمها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿يخصمون﴾ قرأ حمزة بكسون الخاء وتخفيف الصاد من خصم يخصم، والمعنى يخصم بعضهم بعضاً بالمفعول محذوف. وأبو عمرو، بإخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد. ونافع، وابن كثير، وهشام كذلك إلا أنهم بإخلاص فتحة الخاء، والباقون بكسر الخاء وتشديد الصاد. والأصل في القراءات الثلاث يختصمون فأدغمت التاء في الصاد، فنافع، وابن كثير، وهشام نقلوا فتحها إلى الساكن قبلها نقلاً كاملاً، وأبو عمرو، وقالون اختلسا حركتها تنبيهاً على أن الخاء أصلها السكون، والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسر أولهما، فهذه أربع قراءات قرىء بها في المشهور. وروي عن أبي عمرو، وقالون سكون الخاء وتشديد الصاد والنحاة يستشكلونها للجمع بين ساكنين على غير حدهما، وقرأ جماعة يخصمون بكسر الياء والخاء وتشديد الصاد وكسروا الياء إتباعاً، وقرأ أبي يختصمون على الأصل. قال الشيخ: وروي عنهما أي عن أبي عمرو وقالون سكون الخاء وتخفيف الصاد من خصم. قلت: وهذه هي قراءة حمزة ولم يحكها هو عنه وهذا يشبه قوله في البقرة ﴿يخطف أبصارهم﴾ [البقرة: ٢٠] ﴿ولا يهدي﴾ [البقرة: ٢٦٤] في يونس اهـ.

قوله: (أي وهم في غفلة عنها) أشار إلى أن المراد من الاختصام لازمه وهو الغفلة هي أعم من أن تحصل به أو بغيره فلذلك قال: يتخاصم وتبايع الخ اهـ شيخنا.

وفي الخازن: وقد صح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه. ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه. ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه. ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري وهو طرف من حديث اهـ.

قوله: (أي يخصم بعضهم بعضاً) أي: فالمفعول محذوف على هذه القراءة اهـ.

قوله: (أي أن يوصوا) أي: على أولادهم وأموالهم اهـ.

قوله: ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ معطوف على فلا يستطيعون. وفي أبي السعود: فلا يستطيعون توصية في شيء من أمورهم إن كانوا فيما بين أهليهم، ولا إلى أهلهم يرجعون إذا كانوا خارج أبوابهم، بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا اهـ.

قوله: (أي المقبورون) أي: من شأنه أن يقبر فيشمل من أكلته السباع ونحوه، وقوله: ﴿من الأجداث﴾ جمع جدث كفرس وأفراس اهـ شيخنا.

وقرىء من الأجداف بالفاء وهي لغة في الأجداث. يقال: جدث وجدف اهـ سمين.

ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ يخرجون بسرعة ﴿قَالُوا﴾ أي الكفار منهم ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿مَا﴾ أي الذين ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه

قوله: (يخرجون بسرعة) أي: بطرق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي يقال: نسل الذئب ينسل من باب ضرب يضرب، وقيل: ينسل بالضم أيضاً وهو الإسراع في المشي اهـ.

قوله: ﴿يا ويلنا﴾ العامة على الإضافة إلى ضمير المتكلمين دون تأنيث وهو ويل مضاف لما بعده، ونقل أبو البقاء عن الكوفيين أن وي كلمة برأسها. ولنا جار ومجرور اهـ.

ولا معنى لهذا إلا بتأويل بعيد وهو أن يكون يا عجب لنا، لأن وي تفسير بمعنى أعجب منا، وابن أبي ليلى يا ويلتا بتاء التأنيث، وعنه أيضاً يا ويلتي بإبدال الياء ألفاً وتأويل هذه أن كل واحد منهم يقول يا ويلتي اهـ سمين.

قوله: (ولا فعل له من لفظه) أي: بل من معناه وهو هلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من بعثنا﴾ العامة على فتح ميم من، وبعثنا فعلاً ماضياً خبراً لمن الاستفهامية قبله وابن عباس، والضحاك وغيرهما بكسر الميم على أنها حرف جر، وبعثنا مصدر مجرور بمن، فمن الأولى متعلقة بالويل، والثانية متعلقة بالبعث، والمرقد يجوز أن يكون مصدراً أي من رقادنا وأن يكون مكاناً وهو مفرد أقيم مقام الجمع، والأول أحسن إذ المصدر يفرد مطلقاً اهـ.

قوله: (لأنهم كانوا بين النفختين نائمين) عن مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم اهـ.

فعليه يكون قولهم من مرقدنا حقيقة، لأن المرقد حقيقة هو مكان النوم اهـ شيخنا.

عبارة الخازن: فالله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون، فإذا بعثوا في الثانية عاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل، انتهت.

قوله: ﴿ما وعد الرحمن﴾ أي: وعدنا به. وقوله: ﴿وصدق المرسلون﴾ أي: صدقونا فيه فالمفعول من كل محذوف، ولم يقدره الشارح. وقوله: (أقروا الخ) أشار به إلى أن هذه الجملة من كلامهم، فيكون هذا مبتدأ أو الموصول مع صلته خبره، والجملة في محل نصب لتسلط قوله قالوا عليها أي: قالوا السؤال، وجوابه: فلما سألوا فلن يجابوا أجابوا من تلقاء أنفسهم، فعلى هذا يكون الوقف على مرقدنا تاماً. وقوله: (وقيل يقال لهم ذلك) أي: من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله أقوال ثلاثة. وعلى كل فهذا مبتدأ وما بعد خبره، وبعضهم أعرب هذا نعتاً لمرقدنا أو بدلاً منه اهـ شيخنا.

وعلى هذا فما وعد الرحمن منقطع عما قبله فهو مستأنف، وما اسم موصول مبتدأ، والخبر مقدر

﴿ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل يقال لهم ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾ عندنا ﴿مُحْضَرُونَ ۝٥٣﴾ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ بسكون الغين وضمها عما فيه أهل

أي الذي وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق ووجب عليكم، ويحتمل أن ما خبر مبتدأ مضمر أي: هذا وعد الرحمن أو الذي وعده الرحمن اهـ من السمين.

قوله: (أقروا حين لا ينفعهم الخ) فعلى هذا هذه الجملة من كلامهم أجابوا أنفسهم، وقوله: (وقيل يقال لهم ذلك) أي من قبل الملائكة أو المؤمنين فيجيبوهم عن سؤالهم، وعدلوا عن سننه لأنه سؤال عمن يبعثهم إشارة إلى أن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث، فيكون هذا من أسلوب الحكيم أشار إليه البيضاوي اهـ.

قوله: ﴿إن كانت﴾ أي: النفخة التي حكيت عنهم آنفاً وهي الثانية اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: إن كانت إلا صيحة واحدة يعني أن بعثهم وإحياءهم كان بصيحة واحدة وهو قول إسرافيل: أيتها العظام النخرة، والأوصال المتقطعة، والعظام المتفرقة، والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ [ق: ٤٢] وقوله: ﴿مهطعين إلى الداع﴾ [القمر: ٨] على ما يأتي اهـ.

قوله: ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ فإذا هم جميع مبتدأ وخبر، وجميع نكرة، ومحضرون: صفته، والمعنى: محضرون مجمعون، احضروا موقف الحساب وهو قوله: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ [النحل: ٧٧] قرطبي.

قوله: ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئاً﴾ هذا حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقاً للحق وتقريعاً لهم، وقوله: ﴿إن أصحاب الجنة﴾ الخ من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لندامتهم وحسرتهم، فإن الأخبار بحسن حال أعدائهم إثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة. وفي هذه الحكاية زجر لهؤلاء الكفار عما هم عليه، ودعاء إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين والتعبير عن حالهم بهذه الجملة الاسمية قبل تحققها لتنزيل المترقب الوقوع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة وقوعها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في شغل﴾ الشغل: هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل، إما لإيجابه كمال المسرة والبهجة، أو كمال المساءة والغم، والمراد هنا هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان، والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية، وإما أن المراد به افتضاض الأبكار أو السماع أو ضرب الأوتار أو التزاور أو ضيافة الله تعالى، أو شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق، أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كي لا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم، كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف، فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط، بل بيانه أنه من جملة إشغالهم وتخصيص كل منهم كلاً من تلك الأمور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان إياه اهـ أبو السعود.

النار مما يتلذذون به، فافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نصب فيها ﴿فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ ناعمون خبر ثان لإن، والأول في شغل ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾ جمع ظلة أو ظل خبر، أي لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ خبر ثان متعلق على ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧﴾ يتمنون

قوله: (بسكون العين وضمها) سبعيتان. قوله: (ناعمون) أي: متلذذون في النعمة من الفكاهة اهـ بيضاوي.

وقوله: (من الفكاهة) بالضم وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفكاهة اهـ شهاب.

وضبطها زاده بفتح الفاء وفسرها بطيب العيش والنشاط. قال الجوهري: الفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيب العيش فرحاناً ذا نشاط من التنعم، فلما فسر الفاكه بالمتلذذ المتنعم وجب أن يكون قوله: (من الفكاهة) بفتح الفاء اهـ.

قوله: ﴿وهم وأزواجهم﴾ الخ استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسروراً من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة اهـ أبو السعود.

قوله: (جمع ظلة) كقباب جمع قبة وزناً ومعنى، وقوله: (أو ظل) كشعاب جمع شعب وقوله: (أي لا تصيبهم الشمس) أي: لعدمها بالكلية اهـ شيخنا.

قوله: (في الحجلة) بفتحتين. وقيل: بسكون الجيم مع ضم الحاء وقيل: مع كسرها. والمراد بها نحو قبة تعلق على السرير وتزين به العروس اهـ مناوي على الشمائل.

وقوله: أو الفرش بالرفع عطفاً على السرير. يعني: أن الأريكة فيها قولان، قيل: السرير الكائن في الحجلة وقيل: الفرش الكائن في الحجلة. قوله: (متعلق على) أي: على الأرائك متعلق بمتكئون اهـ.

قوله: ﴿لهم فيها فاكهة﴾ الخ بيان لما يتنعمون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الأنس ومحافل القدس تكميلاً لبيان ما هم فيه من الشغل والبهجة أي: ولهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه، وقوله: ﴿لهم ما يدعون﴾. لهم: خبر مقدم. وما يدعون: مبتدأ مؤخر، والجملة معطوفة على الجملة السابقة اهـ أبو السعود.

وأصل يدعون يدتعيون على وزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فحذفت لالتقاء الساكنين، فصار يدتعون، ثم أبدلت التاء دالاً وأدغمت الدال في الدال فصار يدعون اهـ زاده.

وفي ما هذه ثلاث أوجه: موصولة اسمية نكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف مصدرية، ويدعون مضارع ادعى بوزن افتعل من دعا يدعو واشرب معنى التمني. قال أبو عبيدة: العرب تقول ادع على ما شئت. أي: تمن، وفلان في خير ما يدعى أن يتمنى. وقال الزجاج: هو من الدعاء أي: ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامي، وقيل: افتعل بمعنى تفاعل أي: ما يتداعونه، وفي خبرها

﴿سَلَٰمٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي بالقول خبره ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ بهم أي يقول لهم سلام عليكم ﴿وَ﴾ يقـول ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ

وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه الجار قبلها. والثاني: أنه سلام أي: مسلم خالص أو ذو سلامة اهـ سمين.

قوله: (أي بالقول) جعله منصوباً بنزع الخافض وانفرد به، وغيره جعله منصوباً بفعل هو صفة السلام. وعبارة السمين: قوله: (سلام) العامة على رفعه وفيه أوجه، أحدها: أنه خبر ما يدعون. الثاني: أنه بدل من ما قاله الزمخشري. قال الشيخ: وإذا كان بدلاً كان ما يدعون خصوصاً، والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه، وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه. الثالث: أنه صفة لما، وهذا إذا جعلتها نكرة موصوفة، أما إذا جعلتها بمعنى الذي أو مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفاً وتنكيراً. الرابع: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: هو سلام. الخامس: أنه مبتدأ خبره الناصب لقولاً أي سلام يقال لهم قولاً، وقيل: تقديره سلام عليكم. السادس: أنه مبتدأ وخبره من رب، وقولاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر اهـ.

قوله: (أي يقول لهم سلام الخ) أشار به إلى أن الجملة معمولة لمحذوف، وقوله: ﴿وامتازوا الخ﴾ معمول لقول محذوف أيضاً كما قدره بقوله: ويقول امتازوا الخ. فلما ذكر ما يقال المؤمنين في قوله: (سلام الخ) ذكر ما يقال للكافرين فقال وامتازوا الخ. ولما امتثلوا ما أمروا به قال لهم على جهة التقريع والتوبيخ ألم أعهد إليكم الخ اهـ من النهر.

وفي الخازن: روى البغوي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقي نوره وبركته عليهم في ديارهم» اهـ.

قوله: (عند اختلاطهم بهم) أي: حين يسار بهم إلى الجنة اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ألم أعهد إليكم﴾ الخ من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والتبكيت والإلزام، والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة، والمراد ههنا ما كلفهم الله به على ألسنة الرسل من الأوامر والنواهي، والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يزينه عبَّر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادة الله عز وجل اهـ أبو السعود.

قوله: (آمركم) أي: وأنهاكم ففيه اكتفاء أو أنه استعمل الأمر في التكليف الشامل للأمر والنهي، وذلك لأنه بين العهد بشيئين النهي عن طاعة الشيطان والأمر بعبادة الرحمن. اهـ.

وفي البيضاوي: وعهد إليكم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره اهـ.

مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ بيِّن العداوة ﴿ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ ﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ ﴾ طريق ﴿ مُّسۡتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلًّا ﴾ خلقاً جمع جبيل كقديم، وفي قراءة بضم الباء ﴿ كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ عداوته وإضلاله، أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون، ويقال لهم في الآخرة ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ بها ﴿ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ

وقيل: المراد بالعهد هو السابق في عالم الذر بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولذا قال ﴿يا بني آدم﴾ اهـ شهاب.

قوله: ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾ أن مفسرة لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل مجزوم بها اهـ شيخنا.

وقوله: ﴿وأن اعبدوني﴾ عطف على أن لا تعبدوا بناء على أن أن فيها مفسرة للعهد الذي هو معنى القول بالنهي والأمر. أو مصدرية حذف منها الجار أي: ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي على الأمر، لما أن حق التخلية التقديم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ فإنه إشارة إلى عبادته التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ تعليل لوجوب الانتهاء.

قوله: ﴿ولقد أضل منكم﴾ الخ جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع اهـ أبو السعود.

أو هي في المعنى تعليل للعلة قبلها وهي قوله: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿جبلاً﴾ بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام، وقوله: ﴿خلقاً﴾ أي طائفة من الخلق أقلها عشرة الآف والكثير لا يحصيه إلا الله تعالى، وقوله: (وفي قراءة) بضم الباء أي وضم الجيم وتخفيف اللام، وهاتان القراءتان سبعيتان، وبقي ثالثة كذلك وهي جبلاً بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿جبلاً﴾ قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وأبو عمرو، وابن عامر بضمة وسكون، والباقون بضمتين واللام مخففة كلتيهما، وابن أبي إسحاق والزهري، وابن هرمز بضمتين وتشديد اللام، والأعمش بكسرتين وتخفيف اللام، والأشهب، والعقيلي واليماني، وحماد بن سلمة بكسرة وسكون. وهذه لغات في هذه اللفظة، وقرىء جبلاً بكسر الجيم وفتح الباء، وقرأ أمير المؤمنين علي جيلاً بالياء المثناة من أسفل وهي واضحة اهـ.

قوله: (أو ما حل بهم من العذاب) عبارة الخازن: ﴿أفلم تكونوا تعلقون﴾ أي: ما بلغكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، انتهت.

قوله: ﴿هذه جهنم الخ﴾ استئناف خوطبوا به بعد تمام التوبيخ والتقريع عند إشرافهم على شفير جهنم، وقوله: ﴿اصلوها اليوم﴾ الخ أمر تبكيت وإهانة اهـ أبو السعود.

﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي الكفار لقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناهم

قوله: ﴿اصلوها﴾ أي: ذوقوا حرها، وقوله: بما كنتم تكفرون، أي: بسبب كفركم.

قوله: ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ أي: ختماً يمنعها عن الكلام، والمراد به إسكاتهم عنه، وهذا مرتبط بقوله: اصلوها اليوم الخ. روي أنه حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا فيخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون: لا نجيز علينا شاهداً إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم، ويقال لأركانهم: انطقي فتنطق بما صدر منها اهـ أبو السعود.

فإن قلت: ما الحكمة في جعل نطق اليد كلاماً، ونطق الرجل شهادة؟ قلت: الحكمة هي أن اليد مباشرة والرجل حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى، وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل اهـ من الخازن.

وفي الكرخي: قال الإمام: أسند الله تعالى فعل الختم إلى نفسه وأسند الكلام والشهادة إلى الأيدي والأرجل لئلا يكون فيه احتمال أن ذلك منهم كان جبراً أو قهراً والإقرار مع الإجبار غير مقبول فقال: ﴿تكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ أي: باختيارها بعد إقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم اهـ.

قوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا﴾ الخ مفعول المشيئة محذوف أي: لو نشاء طمسها لفعلنا، وقوله: ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي أرادوا أن يستبقوه، وقوله: (الطريق) أي: المحسوس، وقوله: (ذاهبين) أي: إلى حاجاتهم كالسفر، والمراد أن في قدرتنا إزالة نعمة البصر عنهم، فيصيروا عمياً لا يقدرون على التردد في الطريق لمصالحهم، ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضلاً وكرماً، فحقهم أن يشكروا عليها ولا يكفروا، فهذا توبيخ لهم أي توبيخ اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿لطمسنا على أعينهم﴾ لمسحنا أعينهم حتى تصير ممسوحة اهـ.

وقوله: (لمسحنا) بالحاء المهملة أي: أذهبنا أحداقهم وأبصارهم حتى لو أرادوا سلوك الطريق الواضح المألوف لهم لا يقدرون عليه اهـ شهاب.

وفي المصباح: طمست الشيء طمساً من باب ضرب محوته اهـ.

وفي القرطبي: وقد روي عن عبد الله بن سلام في تأويل هذه الآية غير ما تقدم، وتأولها على أنها في يوم القيامة وقال: إذا كان يوم القيامة ومدّ الصراط ينادي مناد ليقم محمد ﷺ وأمته، فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط، فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجارهم فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه. ثم ينادي مناد ليقم عيسى عليه السلام وأمته فيقوم ويتبعونه برهم وفاجرهم فيكون مثلهم تلك السبيل، وكذا سائر الأنبياء ذكره النحاس، وقد ذكرناه في التذكرة اهـ.

طمساً ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾ ابتدروا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّى﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ حينئذ أي لا يبصرون ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان، أي في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة بالتشديد من التنكيس ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرماً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون، وفي قراءة بالتاء

قوله: ﴿فاستبقوا﴾ عطف على لطمسنا وهذا على سبيل الفرض والتقدير، وقرأ عيسى فاستبقوا أمراً وهو على إضمار القول أي: فيقال لهم استبقوا. والصراط: ظرف مكان مختص عند الجمهور، فلذلك تأولوا وصول الفعل إليه إما بأنه مفعول به مجازاً جعله مسبوقاً لا مسبوقاً إليه، وتضمن استبقوا معنى بادروا، وما على حذف الجار أي إلى الصراط اهـ سمين.

قوله: ﴿لمسخناهم﴾ أي: بتغيير صورهم وإبطال قواهم، وقوله: ﴿على مكانتهم﴾ أي: لمسخناهم مسخاً يحل بهم في منازلهم لا يقدرون أن يفروا منه بإقبال ولا بإدبار، وذلك قوله: ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ أي: ولا رجوعاً فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة، والمعنى لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جرياً على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلنا، ولكنا لم نشأها جرياً على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم اهـ أبو السعود.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعية، وقوله: (أي في منازلهم) أي: فعلى بمعنى في قوله: (ولا مجيء) أشار به إلى أن ولا يرجعون معطوف على مضياً.

قوله: ﴿ننكسه في الخلق﴾ أي: نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره، وقرأ عاصم، وحمزة: ننكسه من التنكيس وهو أبلغ والنكس أشهر اهـ بيضاوي.

وفي السمين: ننكسه قرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة من نكسه مبالغة، والباقون بفتح الأولى وتسكين الثانية وضم الكاف خفيفة من نكسه وهي محتملة للمبالغة وعدمها اهـ.

وفي المصباح: نكسته نكساً من باب قتل قلبته، ومنه قيل: ولد منكوس إذا خرج رجلاه قبل رأسه، لأنه مقلوب مخالف للعادة، ونكس المريض نكساً بالبناء للمفعول عاوده المرض كأنه قلب إلى المرض اهـ.

قوله: (أي خلقه) أي: خلق جسده وقواه الباطنية، فكل منهما ينقلب حاله فيرجع من القوة إلى الضعف الذي هو بدؤه قوله: (ضعيفاً) مقابل لقوله: (قوته). وقوله: (وهرماً) مقابل لقوله: (وشبابه)، وهذا في أغلب الناس وفي غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما هم فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر، ولم يحك عن نبي من الأنبياء من عاش منهم ألفاً ومن عاش منهم من دون ذلك أنه نقص شيء من قواه اهـ خطيب.

قوله: (أن القادر على ذلك) أي: على تنكيس من طال عمر، وقوله: (على البعث) أي وعلى

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ ردّ لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ يسهل

طمس الأعين ومسخ الذوات اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة) أي سبعية. وعبارة السمين: وقد تقدم في الأنعام أن نافعاً وابن ذكون قرأ تعقلون بالخطاب، والباقون بالغيبة، انتهت.

قوله: (رد لقوهم الخ) فالمعنى ليس القرآن بشعر، لأن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن، والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية، فأين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما ينبغي له﴾ أي: لا يصح منه ولا يتأتى له. أي: جعلناه بحيث لو أراد إنشاءه لم يقدر عليه، أو أراد إنشاده لم يقدر عليه أيضاً بالطبع والسجية، فعدم قدرته على الانشاء ظاهر مقرر في النفوس، وعدم قدرته على الانشاد لما روي عن عائشة- أنه قيل لها كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه ولم يتمثل إلا ببيت ابن رواحة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول: ويأتيك من لم تزود بالاخبار، فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسول الله. فقال: إني لست بشاعر ولا ينبغي لي. وقال العلماء: ما كان يتزن له بيت شعر، وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه مكسراً اهـ من البيضاوي والخازن.

وكتب الشهاب: قوله: أي ما يصح منه ولا يتأتى له الخ. المراد كما قال ابن الحاجب: لا يستقيم عقلاً كقوله: ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ [مريم: ٩٢] لأنه لو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة عقلاً في أن ما جاء به من عند نفسه، ولذا قال: ويحق القول الخ. لأنه لم يبق إلا العناد الموجب للهلاك فظهر ارتباطه بما قبله وما بعده اهـ.

وفي القرطبي ما نصه: وإصابة الوزن منه ﷺ في بعض الأحيان لا توجب أنه يعلم الشعر كقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

والمعول عليه في الانفصال على تسليم أن هذا شعر أن التمثيل بالبيت لا يوجب أن يكون قائله عالماً بالشعر ولا أن يسمى شاعراً باتفاق العلماء، كما أن من خاط خيطاً على سبيل الاتفاق لا يكون خياطاً. قال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر﴾ أي: ما علمناه أن يشعر. أي: ما جعلناه شاعراً وهذا لا ينافي أن ينشىء شيئاً من الشعر من غير قصد كونه شعراً. قال النحاس: وهذا أحسن ما قيل هذا، وقد قيل: إنما أخبر الله عز وجل أنه ما علمه الشعر ولم يخبر أنه لا ينشىء الشعر، وقد قالوا: كل من قال قولاً موزوناً لا يقصد به إلى شعر فليس بشاعر، وإنما وافق الشعر فما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعراً، وإنما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد إليه اهـ.

﴿لَهُۥٓ﴾ الشعر ﴿إِنۡ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ۝٦٩﴾ مظهر للأحكام وغيرها ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والتاء به ﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾ يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ أي عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنۡعَٰمٗا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمۡ لَهَا

قوله: ﴿لينذر﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه قوله: ﴿إن هو إلا ذكر﴾. أي: أنزل عليه لينذر اهـ زاده.

قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان اهـ.

قوله: ﴿من كان حياً﴾ تخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به، وقوله: ﴿ويحق القول الخ﴾ إيرادهم في مقابلة من كان حياً فيه إشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة التي هي المعرفة أموات في الحقيقة اهـ أبو السعود.

كما أشار له الشارح بقوله: (وهم كالميتين) اهـ.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: بمدخول النفي، وقوله: (الداخلة عليها) الضمير في عليها يحتمل عوده على مدخول الواو وهو جملة النفي، ويحتمل عوده على الهمزة المفهومة من قوله: (والاستفهام) ودخول الواو عليها بحسب الأصل، فإن أصل التركيب وألم يروا، لكن لما كان الاستفهام له الصدارة قدمت الهمزة على الواو، وقوله: (للعطف) قال بعضهم أي على ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ [يس: ٣١] وهذا هو المناسب لصنيع الشارح حيث جعل الواو مؤخرة من تقديم، وبعضهم جعل المعطوف عليه مقدراً تقديره: ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يروا الخ. فتكون الواو عاطفة على هذا المقدر، فعلى هذا تكون الهمزة في محلها، وقد عرفت أنه لا يناسب صنيع الشارح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أنا خلقنا لهم﴾ أي: لأجلهم وانتفاعهم، وقوله: (في جملة الناس) حال من الهاء من لهم أي: حال كونهم في جملة الناس فليست هذه النعم مقصورة عليهم، وقوله: ﴿مم عملت أيدينا الخ﴾. أتى به بعد قوله: ﴿خلقنا﴾ للإشارة إلى حصر الخلق لهذه النعم فيه تعالى واستقلاله به كما أشار له بقوله: (بلا شريك ولا معين) فهو كناية على الحصر فهو كقول القائل: عملت هذا بيدي إذا انفردت به ولم يشاركك فيه أحد فهو كناية عرفية، وقوله: ﴿أنعاماً﴾ خلقنا وخصها بالذكر لأن منافعها أكثر من غيرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿مما عملت أيدينا﴾ الظاهر أنه استعارة تمثيلية، فالمعنى المراد منه مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا، ويجوز أن يكون من المجاز المتفرع على الكناية بأن يكنى عن الإيجاد بعمل الأيدي فيمن له ذلك، ثم بعد الشيوع يستعمل لغيره، وأما التجوز في الأيدي وحدها فلا وجه اهـ شهاب.

﴿مَٰلِكُونَ ۝٧١﴾ ضابطون ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنون، أي ما فعلوا ذلك ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناماً يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي آلهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي آلهتهم من

قوله: ﴿فهم لها مالكون﴾ أي: ملكاً شرعياً بحيث يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات، أو المراد بملكها ضبطها أي: قهرها والاستيلاء عليها، والأول أظهر ليكون قوله: وذللناها لهم تأسيساً لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اهـ أبو السعود بالمعنى.

فتعلم من هذا أن الشارح جرى على الوجه الثاني الذي يلزم عليه التأكيد هذا، ويفهم من حواشيه أن ضبطها ممكن أن يفسر بالضبط الحسي أي: قهرها اللازم لتذليلها، وأن يفسر بالضبط الشرعي وهو الاستيلاء عليها شرعاً اللازم لملكها، فعلى هذا يمكن أن ينزل صنيعه على ما رضيه أبو السعود.

قوله: ﴿فمنها ركوبهم﴾ الخ الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أي: فبعض منها مركوبهم أي معظم منافعه الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمة الركوب. ومنها يأكلون أي: وبعض منها يأكلون لحمه ولهم فيها أي: في الأنعام بقسميها اهـ أبو السعود.

وإنما غير الأسلوب في قوله: ﴿ومنها يأكلون﴾ لأن الأكل يعم الأنعام كلها بخلاف الركوب فهو خاص بالإبل منها اهـ شهاب.

قوله: (كأصوافها الخ) وكجلودها ونسلها والحرث عليها اهـ شيخنا.

قوله: (جمع مشرب) بالفتح مصدر أو مكان اهـ سمين.

وقوله: (أو موضعه) الظاهر أن المراد به ضروعها اهـ شيخنا.

قوله: (أي ما فعلوا ذلك) أي: الشكر، وأشار بهذا إلى أن الاستفهام انكاري، وإلى أن قوله: ﴿واتخذوا الخ﴾ معطوف على مقدر هو هذا اهـ.

قوله: (يعبدونها) تفسير لاتخذوا، وقوله: ﴿لعلهم ينصرون﴾ حال أي حال كونهم راجين النصرة منهم اهـ شيخنا.

قوله: (بزعمهم) متعلق بشفاعة.

قوله: (لا يستطيعون الخ) استئناف مسوق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم أي: لا تقدر آلهتهم على نصرهم اهـ أبو السعود.

قوله: (نزلوا منزلة العقلاء) أي: فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور اهـ.

قوله: ﴿وهم﴾ مبتدأ، وجند: خبر أول، ولهم متعلق بجند ومحضرون: خبر ثان أو نعت لجند اهـ شيخنا.

الأصنام ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ في النار معهم ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلاً وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾ من ذلك وغيره فنجازيهم عليه ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعلم وهو العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منيٍّ إلى أن صيرناه شديداً قوياً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ بينها في نفي البعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك

وأعاد الشارح الضمير على الأصنام وهو أحد وجهين، والآخر أنه عائد على الكفار العابدين لها. وفي القرطبي: وهم بمعنى الكفار لهم أي للآلهة جند محضرون. قال الحسن: يمنعون عنهم، وقال قتادة: أي يغضبون لهم في الدنيا، وقيل: المعنى أنهم يعبدون الآلهة ويقومون بها فهم لها بمنزلة الجند وهي لا تستطيع أن تنصرهم. وهذه الأقوال الثلاثة متقارية المعنى، وقيل: وهم أي الآلهة جند لهم أي للعابدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض، وقيل: معناه وهذه الأصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لأنهم يلعنوهم في جهنم ويتبرؤون من عبادتهم اهـ.

قوله: ﴿محضرون﴾ (في النار) أي: ليعذبوا بهم على حد قوله: ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤ والتحريم: ٦] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ الخ الفاء لترتيب النهي على ما قبله، فلا بد أن يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير، فإن ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة والنهي، وإن توجه بحسب الظاهر إلى قولهم، لكنه في الحقيقة متوجه إلى رسول الله ونهي له عن التأثر به بطريق الكناية على أبلغ وجه وأوكده اهـ أبو السعود.

وهذا مرتبط بقوله: ﴿وما علمناه الشعر﴾ على ما فسّر به الشارح من قوله: ﴿قولهم﴾ (لك لست مرسلاً) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إنا نعلم﴾ الخ تعليل للنهي قبله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾ أي: نطفة قذرة خسيسة، فإذا هو خصيم مبين أي: جدل بالباطل بين الخصومة، والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة أصله لأنه يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في إنكاره البعث، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه وأنه من نطفة ويترك الخصومة. نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث وأتاه بعظم قد رمّ وبلي ففتته بيده وقال: أترى يحيي الله هذا بعدما رم؟ فقال النبي ﷺ: «نعم ويبعثك ويدخلك النار»، فأنزل الله تعالى هذه الآيات اهـ خازن.

قوله: (وهو العاصي بن وائل) لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ عطف جملة النفي داخل معها في حيز الإنكار والتعجب كأنه قيل: أولم ير الإنسان أنا خلقناه من أخس الأشياء وأمهنها، ففاجأ خلقه خصومته لنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبتدأ فطرته شهادة بينة اهـ أبو السعود.

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ من المنيّ وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ أي بالية، ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صفة، ورُوي أنه أخذ عظماً رميماً ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله

وهذا الأسلوب في العطف هو ما أشار له الشارح بقوله: (إلى أن صيرناه شديداً قوياً) اهـ.

قوله: (في نفي البعث) متعلق بخصيم.

قوله: ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ أي أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل، وهي إنكار إحيائنا العظام، أو قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الإنكار وهي إحياؤنا إياها أو جعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفي الكل على العموم. فالمثل على الأول هو إنكار إحيائه للعظام، فإنه أمر عجيب في نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلاً ضرورة جزم العقول ببطلان الإنكار ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء، بل هو أهون منه في قياس العقل. وعلى الثاني هو إحياؤه تعالى لها، فإنه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الإنكار مع أنه من نفس الأمر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه. وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الإنكار أو المنكر اهـ أبو السعود.

قوله: (في ذلك) أي: في نفي البعث اهـ.

قوله: ﴿ونسي خلقه﴾ أي: ذهل عنه وترك ذكره على طريقة اللدد والمكابرة اهـ كرخي.

وعبارة أبي السعود: ﴿ونسي خلقه﴾. أي: خلقنا إياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه من المثل، وهذا عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجب أو حال من فاعله بتقدير قد أو بدونه اهـ.

قوله: ﴿خلقه﴾ مصدر مضاف لمفعوله أي: خلق الله إياه من المني، وقوله: (وهو أغرب)، أي خلقه من المني أغرب من مثله الذي ذكره بقوله: ﴿من يحيي العظام﴾ الخ اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (وهو أغرب من مثله) أي حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه، وهو النطفة المذكورة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله حيث صار ينكر قدرة الله تعالى ويقول: من يحيي العظام بعد ما رمت، مع علمه أن منشأه من تراب، وسماه مثلاً وإن لم يكن مثلاً لما اشتمل عليه من الأمر العجيب وهو إنكار الإنسان قدرة الله تعالى على إحياء الموتى مع شهادة العقل والنقل على ذلك اهـ.

قوله: ﴿قال من يحيي العظام﴾ الخ بيان لضرب المثل فهو على حد. فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم الخ شيخنا.

قوله: ﴿وهي رميم﴾ في المختار: رمّ بالفتح يرم بالكسر إذا بلي وبابه ضرب اهـ.

قوله: (ولم يقل بالتاء الخ) إشارة لسؤال حاصله أن فعيلاً في الآية بمعنى فاعل وقد تقرر أن فعيلاً بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء، فينبغي أن يقال رميمة، وقوله: (لأنه اسم لا صفة)

هذا بعدما بلي ورمّ؟ فقال ﷺ: «ويدخلك النار» ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب ﴿نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

جواب عنه، وإيضاحه أن فعيلاً بمعنى فاعل لا تلحق التاء في مؤنثه إلا إذا بقيت وصفيته، وما هنا انسلخ عنها وغلبت عليه الاسمية أي صار بالغلبة اسماً لما بلي من العظام أفاده زاده اهـ شيخنا.

قوله: (ففتته) أي: كسره، وقوله: (أترى) أي أتعتقد اهـ.

قوله: (فقال ﷺ نعم ويدخلك النار) قالوا: إن هذا الجواب من الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب أو السائل بغير ما يتطلب. فقوله عليه الصلاة والسلام نعم وهو الجواب الكافي في دفع سؤاله وزاده ﷺ جواباً بقوله: (ويدخلك النار)، مع أنه لم يسأل عن هذا، وإنما ذكره النبي ﷺ له في الجواب، لأن سؤاله إنما كان سؤال متعنت منكر لا سؤال مسترشد طالب للحق اهـ كرخي.

قوله: ﴿يحييها الخ﴾ أي: قل له على سبيل تبكيته وتذكيره بما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ أي: يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها، فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها إلى بعض على النمط السابق، وإعادة الأعراض والقوى التي كانت فيها أو احداث مثلها اهـ بيضاوي.

قوله: (مجملاً) معمول لعليم أي يعلمه مجملاً ومفصلاً أفاده الكرخي.

قوله: ﴿الذي جعل لكم﴾ الخ بدل من الموصول الأول، وعدم الاكتفاء بعطف صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اهـ أبو السعود.

قوله: (المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة شجر سريع الوري أي القدح. والعفار: بفتح العين المهملة وبالفاء والباء بعد الألف، فيجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ. قال الجوهري: لكن عكس الزمخشري ذلك اهـ زكريا على البيضاوي.

وعبارة الخازن: فمن أراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار بإذن الله انتهت.

وهذا قول ابن عباس. وقوله: (أو كل شجر) هذا قول الحكماء يقولون: في كل شجر نار إلا العناب اهـ من الخازن أيضاً.

قوله: (إلا العناب) قالوا: ولذلك تتخذ منه مطارق القصارين اهـ كرخي.

قوله: ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي: فمن قدر على أحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها كان أقدر على إعادة الأجساد بعد فنائها اهـ أبو السعود.

تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي الأناسي في الصغر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي هو القادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الكثير الخلق ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ بكل شيء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾ شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ أي خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ ملك، زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ تردون في الآخرة.

قوله: ﴿والخشب﴾ بفتحتين أو بضمتين أو بضم فسكون اهـ مختار.

قوله: ﴿أوليس الذي خلق السموات﴾ الخ استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي أمر عليه السلام بأن يخاطبهم به، والهمزة للانكار والنفي، والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (أي الأناسي) جمع إنسان اهـ كرخي.

وهو تفسير للمضاف إليه أي: مثل هؤلاء الأناسي الذين ماتوا، والمراد هم وأمثالهم على سبيل التقديم والتأخير، والمراد هم على طريق الكناية في نحو مثلك يفعل كذا أفاده الشهاب.

قوله: ﴿بلى﴾ جواب من جهته وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكاري من تقدير ما بعد النفي وإيذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه، وقوله: ﴿وهو الخلاق العليم﴾ عطف على ما يفيده الإيجاب أي: بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق العليم الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (أجاب نفسه) أي: لأنه لا جواب للعاقل سواه اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنما أمره﴾ مبتدأ وقوله: ﴿أن يقول﴾ له خبره، وقوله: ﴿فيكون﴾: أي فيحدث. قوله: (عطفاً على يقول) ومعنى يقول كن يكونه، فهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى أولية عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة وقياس قدرة الله على قدرة الخلق اهـ قاري.

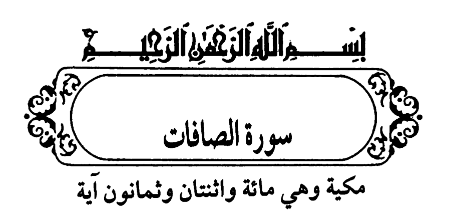
فمعنى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقاً تنجيزياً.

قوله: ﴿فسبحان الذي﴾ الخ تنزيه له تعالى عما وصفوه به، وتعجيب مما قالوا في شأنه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإليه ترجعون﴾ العامة على ترجعون مبنياً للمفعول، وزيد بن علي بالبناء للفاعل اهـ سمين.

. . . .

روى الترمذي عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لكل شيء قلب وقلب القرآن يس». قال الغزالي: لأن الإيمان صحته الاعتراف بالحشر والنشر، وهذا المعنى مقرر فيها بأبلغ وجه. يعني فشابهت القلب الذي به يصح البدن، واستحسنه الإمام فخر الدين الرازي. وقال النسفي: لأن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الأصول الثلاثة الوحدانية والرسالة والحشر وهو القدر الذي يتعلق بالقلب والجنان، وأما الذي باللسان وبالأركان ففي غير هذه السورة، فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلباً ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لأنه في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزاد به قوة على قلبه ويشتد يقينه بالأصول الثلاثة اهـ كرخي.



مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء، تنتظر ما

بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (مكية) أي: في قول الجميع اهـ قرطبي.

قوله: ﴿والصافات﴾ مفعول محذوف قدره بقوله: (نفوسها أو أجنحتها) اهـ شيخنا.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة بإدغام التاء من الصفات والزاجرات والتاليات في صاد صفاً وزاي زجراً وذال ذكراً، وكذلك فعلاً في الذاريات ذروا، وفي الملقيات ذكراً، وفي العاديات ضبحاً بخلاف عن خلاد في الأخيرين، وقرأ الباقون بإظهار جميع ذلك. والصافات هم الملائكة أو المجاهدون أو المصلون، أو الصافات أجنحتها وهي الطير. كقوله: ﴿والطير صافات﴾ [النور: ٤١] والزاجرات السحاب أو العصاة إن أريد بهم العلماء، والزجر: الدفع بقوة وهو قوة التصويت، وزجرت الإبل والغنم إذا فزعت من صوتك، وأما فالتاليات فيجوز أن يكون ذكراً مفعوله، والمراد بالذكر القرآن وغيره في تسبيح وتحميد، ويجوز أن يكون ذكراً مصدراً أيضاً من معنى التاليات وهذا أوفق بما قبله. قال الزمخشري: الفاء في فالزاجرات فالتاليات إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود، وإما على ترتبها في التفاوت في بعض الوجوه كقولك: خذ الأفضل فالأكمل فالأعمل فالأحسن فالأجمل، وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقولك: رحم الله المحلقين فالمقصرين، فأما هنا فإن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصافات في التفاضل، فإذا كان الملائكة فيكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس، وإن ثنيت الموصوف فالترتب في الفضل فتكون الصافات ذوات فضل، والزاجرات أفضل، فالتاليات أبهر فضلاً، أو على العكس يعني بالعكس في الموضعين أنك ترتقي من أفضل إلى فاضل إلى مفضول، أو تبدأ بالأدنى ثم بالفاضل ثم بالأفضل، والواو في هذا للقسم والجواب قوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ اهـ سمين.

والصف أن يجعل الشيء على خط مستقيم، يقال: صففت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم على خط مستقيم لأجل الصلاة أو الحرب اهـ زاده.

قوله: (الملائكة تصف نفسها الخ) قال أبو مسلم الأصفهاني: لا يجوز حمل هذه الألفاظ على

تؤمر به ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢﴾ الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ أي قراء القرآن يتلونه ﴿ذِكْرًا ۝٣﴾ مصدر من معنى التاليات ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث، والملائكة مبرؤون عن هذه الصفة. وأجيب بوجهين، **الأول**: أن الصافات جمع الجمع فإنه يقال جماعة صافة ثم يجمع على صافات. **والثاني**: أنهم مبرؤون عن التأنيث المعنوي، وأما التأنيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة.

تنبيه: اختلف الناس ههنا في المقسم به على قولين، **أحدهما**: أن المقسم به خالق هذه الأشياء لنهيه ﷺ عن الحلف بغير الله تعالى، ولأن الحلف في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلوف به، ومثل هذا التعظيم لا يليق إلا بالله تعالى ففي ذلك إضمار تقديره: ورب الصافات والزاجرات والتاليات ومما يؤكد هذا أنه تعالى صرّح به في قوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها والأرض وما طحاها﴾ [الشمس: ٦]. **والثاني**: وعليه الأكثر أن المقسم به هذه الأشياء لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل، وأما النهي عن الحلف بغير الله تعالى فهو نهي للمخلوق عن ذلك اهـ خطيب.

وأما الخالق جل جلاله فيقسم ببعض مخلوقاته تعظيماً لها كقوله: والشمس، والليل، والضحى، والطور، والنجم إلى غير ذلك.

قوله: (في العبادة) أي: في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] اهـ أبو السعود.

قوله: (أو أجنحتها) ومعنى صفها بسطها كما سيأتي له في سورة تبارك. **وقوله: (ما تؤمر به)** أي من صعود أو هبوط أو غيرها اهـ شيخنا.

قوله: (أي قراءة القرآن الخ) في نسخة أي جماعة قراء القرآن تتلوه اهـ.

قوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ جواب القسم، فإن قلت: ذكر الحلف في هذا الموضع غير لائق وبيانه من وجهين، **الأول**: أن المقصود من هذا القسم إما إثبات هذا المطلوب عند المؤمن والكافر، فالأول باطل لأن المؤمن مقر به من غير حلف، والثاني باطل أيضاً لأن الكافر لا يقر به سواء حصل الحلف أو لم يحصل، فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير. **الثاني**: أنه يقال أقسم في أول هذه السورة على أن الإله واحد، وأقسم في أول سورة والذاريات على أن القيامة حق، فقال: ﴿والذاريات ذروا﴾ [الذاريات: ١] إلى قوله: ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾ الذاريات: ٦] وإثبات هذه المطالب العالية الشريفة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف لا يليق بالعقلاء. أجيب على ذلك بأوجه، **أولها**: أنه تعالى قرر التوحيد وصحة البعث والقيامة في غالب السور بالدلائل الغيبية، فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تأكيداً لما تقدم، لا سيما والقرآن أنزل بلغة العرب، وإثبات المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوفة عند العرب. **ثانيها**: أن المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الأصنام في قولهم بأنها آلهة، فكأنه قيل: إن هذا المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة إلى حيث يكفي في إبطاله مثل هذه الحجة. **ثالثها**: أنه تعالى لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ عقبه بما هو الدليل اليقيني في كون الإله وهو قوله: ﴿رب السموات والأرض﴾ الخ اهـ خطيب.

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ أي والمغارب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا

قوله: ﴿رب السموات والأرض﴾ الخ بدل من واحد، أو خبر ثان، أو خبر مبتدأ محذوف اهـ سمين.

قوله: ﴿ورب المشارق﴾ إعادة الرب فيها لما فيها من غاية ظهور آثار الربوبية وتجددها كل يوم، فإنها ثلاثمائة وستون مشرقاً، فالشمس تشرق كل يوم من مشرق منها، وبحسبها اختلفت المغارب فتغرب كل يوم في مغرب اهـ أبو السعود.

قوله: (أي والمغارب للشمس) أشار بهذا إلى أن في الكلام اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر، واقتصر على المشارق ولم يعكس لأن شروق الشمس سابق على غروبها، وأيضاً فالشروق أبلغ في النعمة وأكثر نفعاً من الغروب، فذكر المشرق تنبيهاً على كثرة إحسان الله تعالى على عباده، ولهذه الدقيقة استدل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمشرق فقال: ﴿إن الله يأتي بالشمس من المشرق﴾ [البقرة: ٢٨٥] وجمع هنا المشرق وحذف مقابله، وثناه في الرحمن، وجمعه في المعارج وأفرده في المزمل مع ذكر مقابله في الثلاثة، لأن القرآن نزل على المعهود من أساليب كلام العرب وفنونه، ومنها الإجمال والتفصيل والذكر والحذف والتثنية والجمع والإفراد باعتبارات مختلفة، فأفرد وأجمل في المزمل أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما، وجمع وفصل في المعارج أراد مشارق السنة ومغاربها وهي تزيد على سبعمائة، وثنى وفصل في الرحمن أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما، وجمع وحذف هنا أراد جميع مشارق السنة، واقتصر عليه لدلالته على المحذوف كما مرت الإشارة إليه، وخص ما هنا بالجمع موافقة للمجموع أول السورة وبالحذف مناسبة للزينة إذ هي إنما تكون غالباً بالضياء والنور وهما ينشآن من المشرق لا من المغرب، وما في الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية في ﴿يسجدان﴾ [الرحمن: ٦] وفي: ﴿فبأي الاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ٢٥] وبذكر المقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وإنعاماته، ثم وما في المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله وبعده وبذكر المقابلين موافقة لكثرة التأكيد في القسم وجوابه، وما في المزمل بالإفراد موافقة لما قبله من إفراد ذكر النبي ﷺ وما بعده من إفراد ذكر الله تعالى وبذكر المقابلين موافقة للحصر في قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ ولبسط أوامر الله تعالى لنبيه ﷺ ثم اهـ كرخي.

قوله: (لها كل يوم مشرق ومغرب) أي: محل تشرق منه ومحل تغرب فيه. قال السدي: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً وكذلك المغارب، فإن قلت: قد قال في موضع آخر ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن: ١٧]: وقال في موضع آخر ﴿رب المشرق والمغرب﴾ [المزمل: ٩] فما وجه الجمع بين هذه المواضع؟ قلت أراد بالمشرق والمغرب الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب، وأراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، ومغرب الصيف ومغرب الشتاء، وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي اهـ خازن.

وعبارة الخطيب: قد خلق الله تعالى للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق وثلاثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها لا ترجع إلى الكوة التي تطلع منها ذلك اليوم إلا من العام المقبل، انتهت.

﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝﴾ أي بضوئها أو بها، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعل مقدر، أي حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدر ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝﴾ عاتٍ خارج عن الطاعة ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي الشياطين مستأنف، وسماعهم هو في المعنى

قوله: (السماء الدنيا) أي: القربى من أهل الأرض. قوله: (أي بضوئها) لأن الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها، ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس، وقوله: (أو بها الخ). فإن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة متلألئة على سطح أزرق وجدها في غاية الزينة اهـ خازن.

قوله: (المبينة بالكواكب) يعني: أنه على قراءة تنوين زينة تكون الكواكب عطف بيان عليها، وبقي قراءة ثالثة وهي تنوين زينة ونصب الكواكب والثلاثة سبعيات اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿بزينة الكواكب﴾ قرأ أبو بكر بتنوين زينة ونصب الكواكب وفيه وجهان، أحدهما: أن تكون الزينة مصدراً وفاعله محذوف تقديره محذوف بأن زين الله الكواكب في كونها مضيئة حسنة في أنفسها. والثاني: أن الزينة اسم لما يزان به كالليقة لما تلاق به الدواة، فتكون الكواكب على هذا منصوبة بإضمار. أعني: أو تكون بدلاً من سماء الدنيا بدل اشتمال أي: كواكبها أو من محل بزينة، وحمزة وحفص كذلك إلا أنهما خفضا الكواكب على أن يراد بزينة ما يزان به والكواكب بدل أو بيان للزينة. والباقون بإضافة زينة إلى الكواكب وهي تحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون إضافة أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو ثوب خز. الثاني: أنها مصدر مضاف لفاعله أي: بأن زينت الكواكب السماء بضوئها. والثالث: أنه مضاف لمفعوله أي: بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها وقرأ ابن عباس، وابن مسعود بتنوينها ورفع الكواكب، فإن جعلتها مصدراً ارتفع الكواكب، وإن جعلتها اسماً لما يتزين به فعلى هذا يرتفع الكواكب بإضمار مبتدأ أي: هي الكواكب وهي قوة البدل اهـ سمين.

قوله: ﴿وحفظاً﴾ منصوب إما على المصدر بإضمار فعل أي حفظناها حفظاً، وإما على المفعول من أجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا، أو على أن يكون العامل مقدراً أي: لحفظها زيناها، أو على الحمل على المعنى المتقدم أي: إنا خلقنا السماء الدنيا زينة وحفظاً ومن كل متعلق بحفظاً إن لم يكن مصدراً مؤكداً. وبالمحذوف إن جعل مصدراً مؤكداً، ويجوز أن يكون صفة لحفظاً اهـ سمين.

قوله: (بفعل مقدر) أي: معطوف على زينا اهـ.

قوله: ﴿من كل شيطان مارد﴾ في المختار: مرد من باب ظرف فهو مارد ومريد وهو العاتي. قال ابن عباس: كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات كلها، فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرق وجهه، ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري اهـ مواهب اهـ ابن لقيمة على البيضاوي.

قوله: (مستأنف) أي: لبيان حالهم بعد حفظ السماء منه مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في أثناء ذلك من العذاب اهـ أبو السعود.

المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الملائكة في السماء، وعدى السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة بتشديد الميم والسين، وأصله يتسمعون، أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾﴾ من آفاق السماء ﴿دُحُورًا﴾ مصدر دحره أي طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾ دائم ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ مصدر أي المرَّة والاستثناء من ضمير يسمعون، أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من

وفي السمين: وهذه الجملة منقطعة عما قبلها في الإعراب، ولا يجوز فيها أن تكون صفة لشيطان على المعنى، إذ يصير التقدير من كل شيطان مارد غير سامع أو مستمع وهو فاسد، ولا يجوز أيضاً أن يكون جواباً لسؤال سائل لم تحفظ من الشياطين إذ يفسد معنى ذلك، وقال بعضهم: أصل الكلام لئلا يسمعوا فحذفت اللام وأن وارتفع الفعل وفيه تعسف، وقد وهم أبو البقاء فجوز أن تكون صفة وأن تكون حالاً وأن تكون مستأنفة، فالأولان ظاهرا الفساد، والثالث إن عنى به الاستئناف البياني فهو فاسد أيضاً. وإن أراد الانقطاع على ما قدمته فهو صحيح اهـ.

قوله: (هو في المعنى الخ) يشير بهذا إلى أن قوله: ﴿من كل شيطان﴾ على حذف مضاف أي: من سماع كل شيطان اهـ شيخنا.

قوله: (وفي قراءة بتشديد الميم والسين) أي: يطلبون السماء. وفي البيضاوي: من التسمع وهو تطلب السماع اهـ.

قوله: (أدغمت التاء) أي: بعد تسكينها وقلبها سيناً اهـ.

قوله: (من آفاق السماء) أي: من نواحيها وجهاتها، أي: من كل جهة سمعوا منها للاستراق.

قوله: (مصدر دحره) من باب خضع كما قال في المختار.

قوله: ﴿ولهم﴾ (في الآخرة) أي: غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿واصب﴾ (دائم) أي: إلى النفخة الأولى كما قاله مقاتل اهـ خطيب.

وفي المختار: وصب الشيء يصب بالكسر وصوباً دام، ومنه قوله تعالى: ﴿وله الدين واصباً﴾ [النحل: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿ولهم عذاب واصب﴾ اهـ.

قوله: (والاستثناء من ضمير يسمعون) أي: ومن في محل رفع بدل من الواو. وفي السمين: قوله: ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه مرفوع المحل بدلاً من ضمير لا يسمعون وهو أحسن لأنه غير موجب. والثاني: أنه منصوب على أصل الاستثناء، والمعنى أن الشياطين لا يسمعون الملائكة إلا من خطف. قلت: ويجوز أن تكون من شرطية وجوابها فأتبعه أو موصولة وخبرها فأتبعه وهو استثناء منقطع، وقد نصوا على أن مثل هذه الجملة تكون استثناء منقطعاً كقوله تعالى: ﴿لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر﴾ [الغاشية: ٢٢] والخطفة مصدر معرف بأل الجنسية أو العهدية اهـ سمين.

الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة

قوله: (فأخذها بسرعة) أخذه من التعبير بالخطف. وفي البيضاوي: الخطف الاختلاس، والرماد اختلاس كلام الملائكة مسارقة، ولذلك عرف الخطفة وأتبع بمعنى تبع اهـ.

وفي المختار: تبعه من باب طرب إذا مشى خلفه أو مرَّ به فمضى معه، وكذا اتبعه وهو افتعل وأتبعه على أفعل، وقال الأخفش: تبعه وأتبعه بمعنى مثل ردفه وأردفه، ومنه قوله تعالى: ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ اهـ.

قوله: ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ فإن قلت جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا يقتضي ثبوتها وبقاءها فيها، وجعلها رجوماً يقتضي زوالها وانفصالها عنها، فكيف الجميع بين هاتين الحالتين؟ قلت: إن ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب، بل يجوز أن ينفصل من الكوكب شعلة يرمى بها الشيطان والكوكب باق بحاله، وهذا كمثل القبس يؤخذ من النار وهي على حالها اهـ خازن من سورة الملك.

فإن قلت: إذا كان الشيطان يعلم أنه يصاب ولا يصل إلى مقصوده، فكيف يعود مرة أخرى؟ قلت: يعود رجاء نيل المقصود وطمعاً في السلامة، كراكب البحر فإنه يشاهد الغرق أحياناً لكن يعود إلى ركوبه رجاء السلامة ونيل المقصود اهـ خازن.

وفي البيضاوي ما نصه: لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة، ولذلك لا يرتدعون عنه رأساً، ولا يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرفة، كما أن الإنسان ليس من التراب الصرف مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة أهلكتها اهـ.

قوله: (يثقبه) أي: بحيث يموت من ثقبه، وعبارة غيره: يقتله أو يحرقه أو يخبله، وأو للتنويع أي تارة يقتله وتارة يحرقه وتارة يخبله أي: يفسده بحيث يصير غولاً في البراري يضل الناس عن الطريق اهـ شيخنا.

لكن يقال: الآية مصرحة بأنه ثاقب، فكيف يتأتى كونه يخبله أو يحرقه. ولهذا قال البيضاوي: ثاقب مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه اهـ.

وهذا يتأتى معه تفسير الثاقب بكونه يخبل الشيطان أو يحرقه أو يثقب جسده، ونقل القرطبي في تفسير الثاقب قولين، قيل: بمعنى المضيء، وقيل: بمعنى المستوقد من قوله: (اثقب زندك) أي: استوقد نارك اهـ.

وكل من هذين التفسيرين يقبل كلاً من الاحتمالات الثلاثة في الشارح تأمل. قوله: (أو يخبله) في المصباح: الخبل بسكون الباء الجنون وشبهه كالهوج والبله، وقد خبله الحزن إذا أذهب فؤاده من باب ضرب فهو مخبول ومخبل، والخبل بفتحها أيضاً الجنون، وخبلته خبلاً من باب ضرب أيضاً فهو مخبول إذا أفسدت عضواً من أعضائه أو أذهبت عقله، والخبال بفتح الخاء يطلق على الفساد والجنون اهـ.

قوله: ﴿فاستفتهم﴾ الخ. الغرض من هذا السياق إثبات المعاد والرد عليهم في دعوى استحالته

والسماوات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾ لازم يلصق باليد، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا، بإنكار النبي والقرآن المؤدِّي إلى هلاكهم اليسير ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الاخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ، أي من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾

وتقريره إن استحالته إما لعدم قابليه المادة بناء على أن المعاد هو الأجزاء الأصلية، ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان للانضمام وقد علموا أن الإنسان الأول وهو آدم إنما تولد منه إما لاعترافهم بحدوث العالم أو بقصة آدم، وأيضاً قد شاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط نزو ذكر على أنثى، فلزمهم أن يجوزوا إعادتهم كذلك أي بطريق التولد من الطين، أو أن الاستحالة لعدم قدرة الفاعل فيقال لهم: من قدر على خلق هذه الأشياء العظام هو أقدر على ما لا يعتد به بالإضافة إليها، خصوصاً وقد قدر على بدئهم أولاً وقدرته ذاتية لا تتغير اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿أهم أشد خلقاً﴾ أي: أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب خلقاً وأشق إيجاداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أمن خلقنا﴾ العامة على تشديد الميم وهي أم المتصلة عطفت من على هم وقرأ الأعمش بتخفيفها وهو استفهام ثان فالهمزة للاستفهام أيضاً، ومن مبتدأ وخبره محذوف أي: الذين خلقناهم أشد فهما جملتان مستقلتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك أتى بمن اهـ سمين.

وتكتب أم مفصولة من في هذا الموضع، وعبارة ابن الجزري مع شرحها لشيخ الإسلام: واقطعوا أم من قوله أم من أسس بنيانه في التوبة، ومن قوله: ﴿أم من يأتي آمناً﴾ [فصلت: ٤٠] في فصلت ومن قوله: ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ [النساء: ١٠٩] في النساء ومن قوله: ﴿أم من خلقنا﴾ في ذبح أي: الصافات سميت به لقوله تعالى فيها: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات: ١٠٧] وما عدا ذلك نحو: أمن لا يهدي وأمن خلق السموات والأرض، وأمن يجيب المضطر إذا دعاه موصول بأن لا يكتب بعد الهمزة ميم منفصلة عن من اهـ.

قوله: ﴿لازب﴾ يقال: لزب يلزب لزوباً من باب دخل، وقوله: (لازم) مفعوله محذوف أي: ما يعلق به كما أشار له بقوله: (يلصق باليد) اهـ شيخنا.

وفي المختار: تقول صار الشيء لازباً أي: ثابتاً وهو أفصح من لازماً اهـ.

قوله: (والمعنى أن خلقهم الخ) يتأمل هذا المعنى فإن تطبيقه على الآية عسر كما لا يخفى اهـ شيخنا. وقد عرفت أن المراد من الآية إثبات المعاد ورد استحالته اهـ.

قوله: ﴿بل عجبت﴾ إضراب إما من مقدر دلّ عليه فاستفتهم أي: هم لا يقرون بل الخ أو عن الأمر بالاستفتاء أي: لا تستفتهم فإنهم معاندون بل انظر إلى تفاوت حالك وحالهم اهـ شهاب.

قوله: (بفتح التاء) أي وبضم التاء أيضاً سبعيتان وفي بعض النسخ بعد قوله: (إياك) وبضمها لله

من تعجبك ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣﴾ لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤﴾ يستهزئون بها ﴿وَقَالُوٓا﴾ فيها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ بيِّن، وقالوا منكرين البعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦﴾ في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝١٧﴾ بسكون الواو عطفاً بأو، وبفتحها

تعالى أو على تقدير قل اهـ.

وفي الخطيب: قرأ حمزة والكسائي بل عجبت بضم التاء، والباقون بفتحها أما بالضم فبإسناد التعجب إلى الله وليس هو كالتعجب من الآدميين، كما قال تعالى: ﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾ [التوبة: ٧٩] وقال تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [التوبة: ٦٧] فالعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا، كما في الحديث: «عجب ربك من شاب ليس له صبوة» وفي حديث آخر: «عجب ربك من ألكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» وقوله: ألكم الأل بالفتح أشد القنوط، وقيل: هو رفع الصوت بالبكاء. وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال: إن الله تعالى لا يعجب من شيء، ولكن وافق رسوله ﷺ، فلما عجب رسوله قال تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم﴾ [الرعد: ٥] أي: هو كما تقوله، وأما بالفتح فعلى أنه خطاب للنبي ﷺ أي عجيب من تكذيبهم إياك اهـ.

وفي القرطبي: قال الهروي، وقال بعض الأئمة: معنى قوله: ﴿بل عجبت﴾ بالضم بل جاريتهم على عجبهم، لأن الله تعالى أخبر عنهم في موضع بالتعجب من الحق فقال: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ [صٓ: ٤] وقال ﴿إن هذا الشيء عجاب أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ [صٓ: ٥] فقال تعالى: ﴿بل عجبت﴾ أي: بل جاريتهم على عجبهم اهـ.

قوله: (وهم) ﴿يسخرون﴾ (من تعجبك) أي: ومن تقريرك للبعث اهـ.

قوله: ﴿أئذا متنا الخ﴾ أصله أنبعث إذا متنا، فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار وإشعاراً بأن البعث مستنكر في نفسه، وفي هذه الحالة أشد استنكاراً اهـ بيضاوي.

قوله: (وادخال ألف بينهما الخ) أي: وترك الإدخال أيضاً، فالقراءات أربعة في كل موضع من الموضعين وإن كان في كلامه اثنتان فقط في كل موضع، وبقي قراءتان الأولى أن يقرأ الأولى بألفين والثاني بواحدة، والثانية عكس هذه وهذا على سبيل الإجمال، وإلاَّ فهناك بسط يعلم من كتب القراءات اهـ شيخنا.

قوله: (عطفاً بأو) أي: على محل إن واسمها وعلى هذا فأو للشك، والمعنى أنحن مبعوثون أم آباؤنا يبعثون، ويصح على هذا أن يكون العطف على الضمير في لمبعوثون لعدم الفاصل. وقوله: (والهمزة الخ) راجع لقراءة الفتح، وقوله: (للاستفهام) أي: الإنكار، وقوله: (بالواو) أي: لا بأو كما في الوجه الأول، وقوله: (والمعطوف عليه) أي على كل من القراءتين، وقوله: (أو الضمير الخ) أي:

والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير في لمبعوثون، والفاصل همزة الاستفهام ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴿١٨﴾﴾ صاغرون ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ ضميره مبهم يفسره ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي صيحة ﴿وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ﴿١٩﴾﴾ ما يفعل بهم ﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول

على القراءة الثانية، فيكون مبعوثون عاملاً فيه أيضاً، لكن يرد عليه أن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبلها، فالأولى أن يجعل مبتدأ محذوف الخبر أي: أو آباؤنا يبعثون، وأجاب الشهاب بأن الهمزة على هذا الوجه في العطف مؤكدة للأولى لا مقصودة بالاستقلال فهي في النية مقدمة فصح عمل ما قبلها فيما بعدها، وقوله: (والفاصل) أي: بين المعطوف عليه وهو ضمير الرافع المستكن وبين المعطوف وهو آباؤنا همزة الاستفهام فهو على حد قوله: (أو فاصل) ما اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿أو آباؤنا﴾ وقرأ ابن عامر، وقالون بسكون الواو على أنها أو العاطفة المقتضية للشك، والباقون بفتحها على أنها همزة استفهام دخلت على واو العطف، وهذا الخلاف جار أيضاً في الواقعة، وقد تقدم مثل هذا في الأعراف في قوله: ﴿أو أمن أهل القرى﴾ [الأعراف: ٩٨] فمن فتح الواو أجاز في آباؤنا وجهين، أحدهما: أن يكون معطوفاً على محل أن واسمها. والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في لمبعوثون واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام، ومن سكنها تعين فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل اهـ.

قوله: ﴿وأنتم داخرون﴾ جملة حالية والعامل فيها نعم بالنظر لمعناها، ولذلك فسرها بقوله: (تبعثون)، فالعامل في الحقيقة هو الفعل المقدرة هي به اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿وأنتم داخرون﴾ الخطاب لهم ولآبائهم بطريق التغليب، والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أي: نعم كلكم تبعثون والحال أنكم صاغرون أذلاء اهـ.

قوله: ﴿فإنما هي زجرة﴾ الخ الجملة جواب شرط مقدر أو تعليل لنهي مقدر، أي: إذا كان الأمر كذلك فإنما هي الخ أولا تستصعبوه فإنما هي الخ اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين قوله: ﴿فإنما هي زجرة﴾ هي ضمير البعثة المدول عليهم بالسياق لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت إياها مجازاً، وقال الزمخشري: هي مبهمة يوضحها خبرها. قال الشيخ: وكثيراً ما يقول هو أو ابن مالك أن الضمير يفسره خبره، ووقف أبو حاتم على ويلنا وجعل ما بعده من قول الباري تعالى، وبعضهم جعل هذا يوم الدين من كلام الكفرة فيقف عليه، وقوله: ﴿هذا يوم الفصل﴾ من قول الباري تعالى، وقيل: الجميع من كلامهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿تكذبون﴾ إما التفاتاً من التكلم إلى الخطاب، وإما مخاطبة من بعضهم لبعض اهـ.

قوله: (أي صيحة) ﴿واحدة﴾ وهي النفخة الثانية. قوله: ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي: ينتظرون.

قوله: ﴿يا ويلنا﴾ الوقف هنا تام لأن ما بعده كلام مستقل كما أشار له بقوله: (وتقول لهم الملائكة الخ) اهـ شيخنا.

لهم الملائكة ﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ أي الحساب والجزاء ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ويقال للملائكة ﴿۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ طريق النار ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ويقال لهم توبيخاً ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في

قوله: ﴿الذي كنتم الخ﴾ نعت لليوم.

قوله: ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف، وقيل: من الموقف إلى الجحيم، وأزواجهن أي: أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدة الكوكب كقوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ [الواقعة: ٧٠] وقيل: قرناءهم من الشياطين، وقيل نساءهم اللآتي على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم. قيل: هو عام مخصوص بقوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ [الأنبياء: ١٠١] الآية الكريمة. وأنت خبير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته، فلا عموم ولا تخصيص ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي: عرفوهم طريقها ووجوههم إليها وفيه تهكم بهم. وقفوهم احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى: ﴿إنهم مسؤولون﴾ إيذاناً من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا، لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل، فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم بل عما ينطق به قوله: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ بطرق التوبيخ والتقريع والتهكم أي: لا ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم تزعمون في الدنيا، وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجيز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية، فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعاً وتأثيراً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وأزواجهم﴾ عطف على الموصول أو مفعول معه. وقوله: ﴿وما كانوا يعبدون﴾ الخ أي: احشروهم أي: أزواجهم وأصنامهم معهم زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم اهـ أبو السعود.

وقوله: (قرناءهم). يعني أن الزوج يطلق على مجموع المتقارنين وعلى أحدهما فيقال لمجموع فردتي الخف زوج ولإحداهما زوج اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إنهم مسؤولون﴾ العامة على الكسر على الاستئناف المفيد للعلة، وقرىء بفتحها على حذف لام العلة أي: قفوهم لأجل سؤال الله إياهم اهـ.

قوله: (عن جميع أقوالهم وأفعالهم) وفي الحديث: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع. عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين كسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» اهـ كرخي.

قوله: (ويقال لهم توبيخاً) أي: تقول لهم خزنة جهنم اهـ خازن.

الدنيا، ويقال عنهم ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ منقادون أذلاء ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتلاومون ويتخاصمون ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها، لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم، المعنى إنكم

قوله: (لا ينصر بعضكم بعضاً) أي: بحيث يدفع عنه ما هو فيه اهـ شيخنا.

قوله: (ويقال لهم) معطوف على ويقال للملائكة احشروا الخ فالضمير في لهم راجع للملائكة، وهذا في المعنى بيان للأوامر المتقدمة أي: احشروهم واهدوهم وقفوهم فإنهم لا يمتنعون ولا يتعاصون لأنهم اليوم مستسلمون اهـ شيخنا.

وفي بعض النسخ ويقال عنهم اهـ.

أي ويقال في شأنهم على سبيل التوبيخ لهم اهـ.

قوله: ﴿عن اليمين﴾ حال من فاعل تأتوننا، واليمين إما الجارية عبّر بها عن القوة، وإما الحلف لأن المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الآخر، فالتقدير على الأول تأتوننا أقوياء، وعلى الثاني قسمين حالفين اهـ سمين.

ففي المراد باليمين تفاسير عديدة، فمن جملتها أن المراد بها اليمين الشرعية التي هي القسم كما ذكره غير واحد، فالمراد بالجهة في كلام الشارح الحلف، وعن بمعنى من، قوله: (نأمنكم) أي: نصدقكم منها أي من أجلها وبسببها، والباء في قوله: (بحلفكم) للتصوير أي: تصوير اليمين في الآية، أي: تفسيرها، فالمراد بها الحلف الشرعي. قال الشهاب ما نصه: قوله: (أو عن الحلف) ومعنى إتيانهم عن الحلف أنهم يأتونهم مقسمين لهم على حقية ما هم عليه، والجار والمجرور حال وعن بمعنى الباء كما في قوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم: ٣] أو ظرف لغو اهـ.

وفي البيضاوي: عن اليمين عن أقوى الوجوه وأمتنها أو عن الدين أو الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الإنسان الذي هو أقوى الجانبين وأشرفهما وأنفعهما، ولذلك يسمى يميناً ويسمى بالسانح أو عن القوة والقهر فتقصروننا على الضلال، أو عن الحلف فإهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق اهـ.

وقوله: (نفع السانح) هو ما أتاك عن يمينك من طائر أو هو ضد البارح، ومن العرب من يتيمن بالسانح ويتشاءم بالبارح ومنهم من يعكس قاله الخليل وفي النهاية السانح من جاء من جهة يشارك إلى يمينك والبارح ضده فقد علمت أن لأهل اللغة في تفسيرهما مذهبين، وأن العرب في التيمن والتشاؤم فرقتان، ومراد المصنف بالسانح ما يتيمن به وأنه ما جاء من جهة اليمين لأنه الموافق لقوله عن اليمين، ووجه التيمن به أنه جاء من جهة اليمين وهي مباركة، ووجه التيمن بضده أنه متوجه لها وصيده أمكن، فقوله: (نفع السانح) لبيان الاستعارة وتحقيقها فتدبر اهـ شهاب.

وفي القرطبي: قال مجاهد: هذا قول الكفار للشياطين وقال قتادة: وهو قول الإنس للجن، وقيل: هو من قول الأتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عن ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ [سبأ: ٣١]. وقيل: تأتوننا من قبل الدين فتهونون علينا أمر الشريعة

أضللتمونا ﴿قَالُوا﴾ أي المتبوعون لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وإنما يصدق الاضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الايمان إلينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قوّة وقدرة نقهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ ضالين مثلنا ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب أي قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المعلل بقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾

وتنفروننا عنه. قلت: وهذا القول حسن جداً لأن من جهة الدين يكون الخير والشر، واليمين بمعنى الدين أي: كنتم تزيفون لنا الضلالة، وقيل: اليمين بمعنى القوة أي: تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر ومنه قوله تعالى: ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي: بالقوة وقوة الرجل في يمينه وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال: تأتوننا عن اليمين أي: من قبل الحق إنه معكم وكله متقارب اهـ.

قوله: ﴿قالوا بل لم تكونوا﴾ الخ أجابوا بأجوبة خمسة، الأول: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ الثاني: ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ الثالث: ﴿بل كنتم﴾. الخ. الرابع: ﴿فحق علينا﴾ الخ. الخامس: ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ اهـ رازي.

وهذا إضراب من المتبوعين إبطالي لما ادعاه التابعون أي: لم تتصفوا بالإيمان في وقت من الأوقات اهـ شيخنا.

قوله: (أن لو كنتم مؤمنين) أي: أن لو اتصفتم بالإيمان اهـ.

قوله: ﴿ما كان لنا عليكم من سلطان﴾ جواب آخر تسليمي على فرض إضلالهم بأنهم لم يجبروهم عليه اهـ شهاب.

قوله: ﴿قول ربنا﴾ أي: وعيده.

قوله: ﴿إنا لذائقون﴾ إخبار منهم بأنهم ذائقوا العذاب جميعهم الرؤساء والأتباع اهـ من النهر لأبي حيان.

قوله: (ونشأ عنه) أي: ﴿عن قول ربنا﴾ أي: وعيده المذكور أي: فلما وجب وثبت علينا قضاء هذا الوعيد أغويناكم لأننا صرنا من الأشقياء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأغويناكم﴾ أي: فدعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد، إنا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا أمثالنا في الغواية اهـ أبو السعود.

فلا ينافي قولهم أولاً ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فإنهم يومئذ﴾ أي: يوم إذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاصمون بما سبق. قوله: (كما نفعل بهؤلاء) أي: عبدة الأوثان إذ الكلام فيهم من قوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ إلى هنا، وقوله: (غير هؤلاء) كالنصارى واليهود اهـ شيخنا.

يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣﴾ أي لاشتراكهم في الغواية ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝٣٤﴾ غير هؤلاء، أي نعذبهم التابع منهم والمتبوع ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ۝٣٦﴾ أي لأجل قول محمد، قال تعالى ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ الجائين به وهو أن لا إله إلاّ الله ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ۝٣٨﴾ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٩﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾ أي المؤمنين استثناء منقطع أي ذكر جزاؤهم في قوله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الخ ﴿لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۝٤١﴾ بكرة وعشياً ﴿فَوَاكِهُ﴾ بدل أو بيان للرزق، وهو ما

قوله: ﴿إنهم﴾ أي هؤلاء أي: عبدة الأوثان كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. أي: إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله فأضمر القول، ويستكبرون في موضع نصب على خبر كان، ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر إن وكان ملغاة، ولما قال النبي ﷺ لأبي طالب عند موته واجتماع قريش قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم أبو وأنفوا من ذلك اهـ قرطبي.

قوله: ﴿يستكبرون﴾ أي: عن النطق بكلمة التوحيد أو على من يدعوهم إليها اهـ شيخنا.

قوله: (في همزيته ما تقدم) أي: من تحقيقهما وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه فالقراءات أربعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لتاركوا آلهتنا﴾ أي: عبادتها.

قوله: ﴿وصدق المرسلين﴾ رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون اهـ بيضاوي.

قوله: (وهو) أي: الحق أن لا إله إلا الله أن مخففة واسمها ضمير الشأن اهـ شيخنا.

قوله: (فيه التفات) أي: من الغيبة إلى الخطاب لإظهار كمال الغضب عليهم اهـ أبو السعود.

قوله: (استثناء منقطع) أي: استثناء من الواو في تجزون والمعنى أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم، وأما عباد الله المخلصون فإنهم يجزون أضعافاً مضاعفة اهـ أبو السعود.

وهذا هو المناسب لقوله: (أي ذكر جزاؤهم الخ) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ ذكر أولاً الرزق وهو ما تتلذذ به الأجسام، وثانياً الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس، ثم ذكر المحل الذي هم فيه وهو جنات النعيم، ثم أشرف المحل وهو السرر، ثم لذة التأنس بأن بعضهم مقابل بعضاً وهو أتم السرور وآنسة، ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم، بل يطاف عليهم بالكؤس، ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد، ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق وهي أبلغ الملاذ وهي التأنس بالنساء اهـ من النهر.

وقوله: (إلى آخره) وهو قوله: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ [الصافات: ٤٩] قوله: ﴿معلوم﴾ أي:

يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ من خمر يجري

معلوم وقته كما أشار له بقوله: (بكرة وعشياً). وفي البيضاوي: معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة اهـ.

وهذا جواب سؤال صرَّح به السمرقندي بأن الرزق لا يكون معلوماً إلا إذا كان مقدراً بمقدار لأن ما لا يتعين مقداره لا يكون معلوماً وقد قيل في آية أخرى يرزقون فيها بغير حساب وما لا يدخل تحت الحساب لا يحد ولا يقدر، فلذا جعل معلوميته باعتبار خصائصه المعلومة لهم من آيات آخر. كقوله: ﴿لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ الواقعة: ٣٣] اهـ شهاب.

وفي الخطيب: أولئك لهم في الجنة رزق معلوم بكرة وعشياً بيان لحالهم، وإن لم يكن ثم بكرة ولا عشية. فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة وعشية، وقيل: معلوم الصفة أي: مخصوص بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر، وقيل: معناه أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا الذي لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع، وقيل: معلوم القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله تعالى اهـ.

قوله: (بدل) أي: بدل كل من كل، لأن جميع ما يتناوله أهل الجنة على سبيل التفكه فالفواكه مساوية للرزق فتشمل الخبز واللحم لأنهما يؤكلان فيها تلذذاً اهـ شيخنا.

قوله: (لا لحفظ صحة) الأولى بنية اهـ قاري.

وقوله: (بخلق أجسامهم للأبد) أي: على وجه يدوم أبداً اهـ شيخنا.

قوله: (بثواب الله) عبارة البيضاوي: وهم مكرمون في نيله يصل إليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا اهـ.

قوله: ﴿في جنات النعيم﴾ يجوز أن يتعلق بمكرمون، وأن يكون خبراً ثانياً وأن يكون حالاً، وكذلك على سرر متقابلين حال، ويجوز أن يتعلق على سرر بمتقابلين ويطاف عليهم صفة لمكرمون أو حال من الضمير في متقابلين أو من الضمير في أحد الجارين إذ جعلناه حالاً اهـ سمين.

قوله: ﴿على سرر متقابلين﴾ قال عكرمة، ومجاهد: لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلاً وتحاباً، وقيل: الأسرة تدور كيف شاؤوا فلا يرى أحد قفا أحد، وقال ابن عباس: على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى أيلة وقيل: تدور بأهل المنزل الواحد والله أعلم اهـ قرطبي.

قوله: ﴿بكأس﴾ الكأس ما كان من الزجاج فيه خمر أو نحوه من الأنبذة لا يسمى كأساً إلا وفيه خمر، وإلاَّ فقدح. وقد يسمى الخمر كأساً تسمية للشيء باسم محله اهـ من النهر.

وقال أبو السعود: الكأس إناء فيه خمر أو الخمر نفسه، فإن الكأس يطلق على كل منهما اهـ.

على وجه الأرض كأنهار الماء ﴿بَيْضَآءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف أي يسكرون، بخلاف خمر الدنيا ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهنّ

قوله: (بشرابه) أي: مع شرابه.

قوله: ﴿من معين﴾ اسم فاعل من معن بضم العين كشريف من شرف اهـ نهر.

من شراب معين أو نهر معين أي: ظاهر للعيون أو خارج من العيون، وهو صفة للماء من عان الماء إذا نبع وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء اهـ بيضاوي.

وقوله: (أي ظاهر للعيون﴾ مبني على أن المعين اسم مفعول من عانه يعينه أي: نظر إليه بعينه فاصله معيون كمبيع ومبيوع، وقوله: (أو خارج من العيون) مبني على أن المعين فاعل مأخوذ من عين الماء وهو منبعه ومخرجه اهـ زاده.

قوله: (يجري على وجه الأرض) أشار بهذا إلى التجوز في إطلاق المعين عليه، وأن علاقته المشابهة والمعين حقيقة هو النهر الجاري على وجه الأرض الخارج من العيون من عان الماء إذا نبع اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بيضاء﴾ صفة الكأس. وقال الشيخ: صفة لكأس أو للخمر ولذة: صفة أيضاً وصفت بالمصدر مبالغة أو على حذف المضاف أي: ذات لذة، أو على جعل لذة بمعنى لذيذ فيكون وصفاً على فعل كصعب. يقال: لذَّ الشيء يلذ لذاً فهو لذيذ ولذ واللذيذ كل شيء مستطاب وللشاربين: صفة للذة وقوله: ﴿لا فيها غول﴾ صفة أيضاً، وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها اهـ سمين.

قوله: ﴿لا فيها غول﴾ أي: غائلة من غاله إذا أفسده وأهلكه اهـ أبو السعود.
وقال ابن عباس وغيره: الغول صداع في الرأس اهـ نهر.
قوله: ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ عن سببية أي: ولا هم ينزفون بسببها فهذا على حد قوله تعالى: ﴿وما فعلته عن أمرى﴾ [الكهف: ٨٢] اهـ شيخنا.
قوله: (بفتح الزاي) أي: مع ضم الياء فهو مبني للمفعول وقوله: (وكسرها) أي: مع ضم الياء أيضاً فهو مبني للفاعل، وقوله: (من نزف الشارب) بالبناء للمفعول راجع للأول، وقوله: (وأنزف) بالبناء للفاعل راجع للثاني اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ قرأ الأخوان ينزفون هنا وفي الواقعة بضم الياء وكسر الزاي ووافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط والباقون بضم الياء وفتح الزاي، وابن أبي إسحاق بالفتح والكسر، وطلحة بالفتح والضم. والغول: كل ما اغتالك أي: أهلكك ومنه الغول بالضم شيء توهمته العرب، ولها فيه أشعار كالعنقاء اهـ.

قوله: ﴿قاصرات الطرف﴾ يجوز أن يكون من باب الصفة المشبهة أي: قاصرات أطرافهن

﴿عِينٌ ۝٤٨﴾ ضخام الأعين حسانها ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ ۝٤٩﴾ مستور بريشه، لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ عما مرّ بهم في الدنيا ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١﴾ صاحب ينكر البعث ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتاً ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢﴾ بالبعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم ﴿لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضاً

كمنطق اللسان، وأن يكون من باب اسم الفاعل على أصله، فعلى الأول المضاف إليه مرفوع المحل، وعلى الثاني منصوبه أي: قصرن أطرافهن على أزواجهن وهو مد عظيم، والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين، والذكر أعين والبيض جمع بيضة هو معروف، والمراد به هنا بيض النعام، والمكنون من كننته أي: جعلته في كن، والعرب تشبه المرأة به في لونه هو بياض مشرب بعض صفرة والعرب تحبه اهـ سمين.

قوله: (ضخام الأعين) أي: عظام المقلة، ويلزمه مع الوصف بالحسن سعتها. وعبارة البيضاوي: نجل العيون جمع عيناء، انتهت.

قال الشهاب: نجل العيون بضم النون جمع نجلاء وهي التي اتسع شقها سعة غير مفرطة اهـ.

قوله: ﴿كأنهن بيض﴾ (للنعام) وشبههن ببيض النعام على عادة العرب في تشبيه النساء به، وخص بيض النعام لصفائه وكونه أحسن منظراً من سائره، ولأن بياضه يشوبه قليل صفرة مع لمعان كما في الدر وهو لون محمود في النساء اهـ شهاب.

وفي الحديث: إن رقة جلدهن أي: الحور العين كرقة قشرة البيض السفلي اهـ كرخي.

قوله: (أحسن ألوان النساء) أي: عند العرب، وإلا فأحسنها عند العجم والروم الأبيض المشرب بحمرة اهـ قاري.

قوله: ﴿فأقبل بعضهم﴾ معطوف على يطاف أي: يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشراب وقوله: ﴿يتساءلون﴾ أي: عن الفضائل والمعارف وما جرى لهم وما عملوه في الدنيا والتعبير بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال قائل منهم﴾ أي: من أهل الجنة، وهذا من جملة ما يتحدثون به ويتساءلون فيه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يقول﴾ (لي تبكيتاً) أي: وتوبيخاً على عدم إنكار البعث، وفي المصباح: بكت زيد عمراً تبكيتاً عيّره وقبح فعله، ويكون التبكيت بلفظ الخبر كما في قول إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٦٣] فإنه قاله تبكيتاً وتوبيخاً على عبادتهم الأصنام اهـ.

قوله: (ما تقدم) أي: من الوجوه الأربعة، وهي تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه اهـ شيخنا.

قوله: (مجزيون) أي: فهو من الدين بمعنى الجزاء، وقوله: (أنكر ذلك) أي الجزاء والحساب

﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي رأى قرينه ﴿فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ أي وسط النار ﴿قَالَ﴾ له تشميتاً ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾﴾ لتهلكني بإغوائك ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ معك في النار. ويقول أهل الجنة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾ هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكر لأهل الجنة

أيضاً كما أنكر البعث اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قال﴾ (ذلك القائل لإخوانه) أي: من أهل الجنة، وقوله: ﴿مطلعون﴾ أي: مقبلون لنطلع. قوله: (من بعض كوى الجنة) الكوة الثقب في الحائط وهي بفتح الكاف وضمها. وفي الجمع وجهان: كسرها وضمها، ولكن مع الكسر يصح المد والقصر ومع الضم يتعين القصر اهـ شيخنا.

قوله: (تشيمتاً) التشميت: الفرح والسرور بما يصيب العدو من المصائب وفي المختار: الشماتة الفرح ببلية العدو وبابه سلم اهـ.

قوله: ﴿تالله﴾ قسم فيه معنى التعجب، وإن مخففة أو نافية، واللام فارقة أو بمعنى إلا، وعلى التقديرين فهي جواب القسم اهـ سمين.

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: واسمها محذوف أي: إنك كدت اهـ.

قوله: ﴿أفما نحن بميتين﴾ الهمزة للاستفهام دخلت على فاء العطف، والمعطوف عليه محذوف معناه: أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا بمعذبين إلا موتتنا الأولى اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إلا موتتنا الأولى﴾ منصوب على المصدر والعامل فيه الوصف. قيل: ويكون الاستثناء مفرغاً، وقيل: استثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى كانت لنا في الدنيا وهذا قريب في المعنى من قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ [الدخان: ٥٦] اهـ سمين.

قوله: (هو استفهام تلذذ الخ) أي: فهو من سؤال بعضهم لبعض، ويحتمل أنه من سؤالهم للملائكة، وفي القرطبي: هذا السؤال من أهل الجنة للملائكة حيث يذبح الموت ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت، وقيل: هو من قول المؤمنين على جهة التحديث بنعمة الله في أنهم لا يموتون ولا يعذبون أي: هذه حالنا وصفتنا، وقيل: هو من قول المؤمنين توبيخاً للكافرين لما كانوا ينكرونه من البعث، وأنه ليس إلا الموت في الدنيا، ثم يقول المؤمن مشيراً إلى ما هو فيه إن هذا لهو الفوز العظيم قرطبي.

وفي أبي السعود وقيل: إن أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون، فإذا جيء بالموت على صفة كبش الفداء فذبح ونودي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت يعلمونه، فيقولون ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى واغتباطاً بها اهـ.

قوله: (من تأبيد الحياة الخ) لف ونشر مرتب. قوله: (الذي ذكر لأهل الجنة) أي: من قوله:

﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠﴾ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ قيل يقال لهم ذلك، وقيل هم يقولونه ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢﴾ المعدة لأهل النار، وهي من أخبث الشجر المرّ بتهامة، ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي ﴿إِنَّا

﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الخ.

قوله: ﴿لمثل هذا﴾ أي: لنيل مثل هذا يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة والانصرام اهـ بيضاوي.

قوله: (قيل يقال لهم ذلك) أي: ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى، وقيل: هم يقولونه أي: يقوله بعضهم لبعض، ويبعد كلا من هذين الاحتمالين قوله: ﴿فليعمل العاملون﴾ فإن العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا. فالأولى أنه من كلام الله تعالى ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات اهـ.

قوله: ﴿أذلك﴾ معمول لمحذوف أي: قل يا محمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت والتهكم أذلك خير نزلاً، وقوله: (المذكور لهم) أي: للمؤمنين من الرزق السالق ذكره في قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿نزلاً﴾ تمييز لخير والخيرية بالسنبة إلى ما اختاره الكفار على غيره، والزقوم شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات والتزقم البلع بشدة وجهد للأشياء الكريهة، وقول أبي جهل وهو من العرب العرباء لا نعرف الزقوم إلا التمر بالزبد من العناد والكذب البحت اهـ سمين.

وفي أبي السعود: ﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم﴾. أصل النزل الفضل والريع، فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز أي أذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلاً أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم. ويقال: النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل، فانتصابه على الحالية، والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم، فأيهما خيرٍ في كونه نزلاً، والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت بها الشجرة الموصوفة اهـ.

قوله: (وهو ما) أي: الطعام الذي يعد ويهيأ للنازل والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير في كونه نزلاً اهـ أبو السعود.

قوله: (من ضيف) وهو الذي يجيء بدعوة وقوله: (وغيره) وهو الذي يأتي بلا دعوة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم شجرة الزقوم﴾ أي: التي هي نزل أهل النار، والزقوم ثمر شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها، فهم يزقمونه على أشد كراهة، وقيل: هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر اهـ خازن.

والإضافة من إضافة المسمى إلى الاسم اهـ.

قوله: (المعدة لأهل النار) أي: كما يعد القرى للضيف وهذا على سبيل التهكم اهـ شيخنا.

﴿جَعَلۡنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣﴾ أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته؟ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤﴾ أي قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها ﴿طَلۡعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥﴾ أي الحيات القبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمۡ﴾ أي

قوله: (من أخبث الشجر المر الخ) عبارة البيضاوي: وهو اسم شجرة صغيرة الورق منتنة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة، انتهت.

قوله: ﴿إنا جعلناها بذلك﴾ أي: بسبب ذلك أي: نباتها في الجحيم أي بسبب الإخبار به فتنة للظالمين أي: ابتلاء واختباراً هل يصدقوا أو لا فكذبوه وخاضوا في القرآن وكذبوه كما أشار له بقوله: (إذ قالوا النار تحرق الشجر) فكيف تنبته اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿فتنة للظالمين﴾ أي: محنة وعذاباً لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا، فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا: كيف ذلك والنار تحرق الشجر، ولم يعلموا أن من يقدر على خلق حيوان هو السمندل يعيش في النار ويتلذذ بها يقدر على خلق الشجر في النار وحفظه منها اهـ.

قوله: (إذ قالوا) ظرفية أو تعليلية.

قوله: ﴿تخرج﴾ أي: تنبت في أصل الجحيم أي: أسفلها، وقوله: (إلى دركاتها). وفي المختار: الدركات المنازل اهـ.

قوله: ﴿طلعها﴾ الطلع حقيقة اسم لثمر النخل أول بروزه فاطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة كما أشار له بقوله: (المشبه بطلع النخل) أي: في الطلوع والبروز كل عام، أو في الشكل اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿طلعها﴾ أي: حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في الشكل، أو الطلوع من شجرة قالوا: أول الثمر طلع، ثم خلال، ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر اهـ.

قوله: ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ أي: في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك، وقيل: الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلها شبهت بها لكونها قبيحة المنظر اهـ بيضاوي.

وقوله: (وهو تشبيه بالمتخيل الخ) رد على بعض الملاحدة إذ طعن فيه بأنه تشبيه بما لا يعرف فإنه لا يشترط أن يكون معروفاً في الخارج، بل يكفي كونه مركوزاً في الذهن والخيال ألا ترى إلى امرىء القيس يقول:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

لأن الغول مرتسم في خيال كل أحد بصورة قبيحة اهـ شهاب.

وقوله: (لها أعراف) جمع عرف بضم فسكون شعر على ما تحت الرأس اهـ شهاب.

وعبارة السمين: قوله: ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه حقيقة وأن رأس

الكفار ﴿ لَآكِلُونَ مِنْهَا ﴾ مع قبحها لشدّة جوعهم ﴿ فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوباً له ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى

الشياطين شجر بعينه بناحية تسمى الإستن وهو شجر مر منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القبح ثم صار أصلاً يشبه به، وقيل: الشياطين صنف من الحيات، وقيل: هو شجر يقال له الصرم، فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه، وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة. والثاني: أنه من باب التمثيل والتخيل، وذلك أن كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره والشياطين وإن كانوا موجودين لكنهم غير مرئيين للعرب إلا أنه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات اهـ.

قوله: (لشدة جوعهم) أي: أو لقهرهم على الأكل منها.

قوله: ﴿ثم إن لهم عليها﴾ أي: على ما يأكلون منها كما أشار له بقوله: (بالمأكول منها)، والشوب: مصدر شابه يشوبه من باب قال إذا خلطه فهو الخلط، والمراد به هنا اسم الفاعل كما أشار له بقوله: (فيصير شوباً له) اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿ثم إن لهم عليها﴾ أي: على الشجرة التي ملؤوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبها العطش وطال استسقاؤهم كما ينبىء عنه كلمة ثم، ويجوز أن يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة اهـ.

قوله: ﴿لشوباً﴾ العامة على فتح الشين وهو مصدر على أصله، وقيل: يراد به اسم المفعول، ويدل له قراءة بعضهم لشوباً بالضم. قال الزجاج: المفتوح مصدر، والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقص بمعنى المنقوص، وعطف بثم لأحد معنيين إما لأنه يؤخر ما يظنونه ويرويهم من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك أتى بثم المقتضية للتراخي، وإما لأن العادة تقضي بتراخي الشرب عن الأكل فعمل على ذلك المنوال، وأما ملء البطن فيعقب الأكل فلذلك عطف على ما قبله بالفاء اهـ سمين.

قوله: (يفيد أنهم يخرجون الخ) وهذا قول الأقل، والجمهور على أنه داخلها وأنهم لا يخرجون أصلاً اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ أي: لإلى دركاتها أو إلى نفسها، فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها، وقيل: الحميم خارج عنها بقوله تعالى: ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بيها وبين حميم آن﴾ [الرحمن: ٤٤] يوردون إليه كما تورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم اهـ.

وقوله: وقيل: الحميم خارج عنها الخ. هذه وجه في الجواب ثالث فيه أن الحميم خارج عن محل من النار يخرج المجرمون للسقي منه كما تخرج الدواب للماء، وليس المراد أنه خارج عن الجحيم بالكلية حتى ينافي أنهم بعد دخولهم النار لا يخرجون منها بالاتفاق، بل إنه في غيرهم مقرهم، فيجوز أن يكون في طبقة زمهريرية منها مثلاً اهـ.

ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ يزعجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ من الرسل مخوفين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ الكافرين، أي عاقبتهم العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ أي المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: ربِّ إني مغلوب فانتصر ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ له نحن،

قوله: ﴿إنهم ألقوا أباءهم﴾ الخ تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد آباءهم في الدين من غير أن يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به أصلاً. أي: وجدوهم ضالين في نفس الأمر، وليس لهم ما يصلح شبهة فضلاً عن صلاحية الدليل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ضالين﴾ حال أو مفعول ثان.

قوله: ﴿يهرعون﴾ أي: من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل، والإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون على الإسراع على آثارهم اهـ أبو السعود.

وذلك الإسراع والاتباع في الدنيا فعلم منه أن عبارة الشارح وهي قوله: (يزعجون الخ) فيها نوع قلب اهـ.

وفي المصباح: هرع وأهرع بالبناء للمفعول فيهما إذا أعجل اهـ.

قوله: ﴿ولقد ضل قبلهم﴾ الخ وقوله: ﴿ولقد أرسلنا﴾ الخ كل من اللامين جواب قسم، وتكريره لإبراز كمال الاعتناء لتحقيق مضمون كل من الجملتين اهـ أبو السعود. وقوله: ﴿قبلهم﴾ أي قبل قريش.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ أي: الأولين، وقوله: (من الرسل) بيانية.

قوله: ﴿فانظر﴾ الخ خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه التمكن من مشاهدة آثارهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أي عاقبتم العذاب) هذا حل معنى، وعبارة الخازن: والمعنى انظر كيف كان اهلاكنا المنذرين، انتهت.

قوله: ﴿إلا عباد الله﴾ استثناء منقطع لأن ما قبله وعيد وهم لم يدخلوا في هذا الوعيد اهـ سمين.

قوله: (لإخلاصهم في العبادة) هذا على قراءة كسر اللام بدليل قوله: ﴿أو لأن الله﴾ الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد نادانا نوح﴾ الخ شروع في تفصيل ما أجمل فيما سبق بقوله: ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ الخ. ففصله ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم وتضمن ذلك البيان سوء عاقبة

أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ أي الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسناً ﴿فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨﴾ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة

بعض المنذرين، كقوم نوح، وفرعون، ولوط، وإلياس. ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص الآتية غني عن البيان، واللام جواب قسم محذوف، وكذا التي في قوله: ﴿فلنعم المجيبون﴾ أي: وتالله لقد نادانا نوح لما يئس من إيمان قومه بعد ما دعاهم إليه ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يزدادوا إلا نفوراً فأجبناه أحسن الإجابة، فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه اهـ أبو السعود.

وحاصل ما يأتي من القصص سبع. قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة إسماعيل، وقصة موسى وهارون، وقصة إلياس، وقصة لوط، وقصة يونس اهـ شيخنا.

قوله: (رب أني مغلوب) بفتح الهمزة على الحكاية إذ التلاوة بفتحها وإن كان تسليط القول هنا عليها يقتضي كسرها، وقوله: (فانتصر) أي: انتصر لي بالانتقام منهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلنعم المجيبون﴾ الواو للتعظيم، وقوله: (نحن) هو المخصوص بالمدح اهـ شيخنا.

قوله: (وأهله) أي: وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاث اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وأهله يعني أهل دينه وهم من آمن معه، وكانوا ثمانين على ما تقدم اهـ.

قوله: ﴿هم الباقين﴾ ضمير فصل. قوله: (فالناس كلهم من نسله) وقال قوم: كان لغير ولد نوح أيضاً نسل بدليل قوله: ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ [الإسراء: ٣] وقوله: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليه وعلى أمم من معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ [هود: ٤٨] فعلى هذا يكون المعنى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾، يعني ذرية المؤمنين دون ذرية من كفر فإنا أغرقناهم اهـ قرطبي.

قوله: (سام وهو الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم قبيلة اهـ شيخنا.

قوله: (والخزرج) هكذا في بعض النسخ وهو تصحيف وخطأ فاحش، والصواب ما في غالبها وهو الخزر بفتح الخاء المعجمة وبفتح الزاي، وهو في الأصل جيل خزر العيون أي: ضيقوها صغيروها، والمراد بهم هنا التتار وهم صنف من الترك اهـ قاري.

وهم المعروفون الآن بالططر اهـ شيخنا.

وفي المصباح: خزرت العين خزراً من باب تعب إذا صغرت وضاقت، فالرجل أخزر والأنثى خزراء وتخازر الرجل قبض جفنه ليحدد النظر اهـ.

قوله: (وما هنالك) أي: وما هناك أي: عند يأجوج ومأجوج وهم القوم المذكورون في قوله

﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا

تعالى: ﴿وجد من دونها قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ [الكهف: ٩٣] اهـ قاري.

قال الخازن هناك: هم قوم إذا طلعت الشمس عليهم دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم، وقيل: إذا طلعت عليهم نزلوا في الماء فإذا ارتفعت خرجوا يرعون كالبهائم، وقيل: هم قوم عراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى وهم مجاورون ليأجوج ومأجوج اهـ.

قوله: (ثناء حسناً) أشار به إلى أن مفعول تركنا محذوف، فعلى هذا يكون قوله: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ كلاماً مستقلاً، وقوله: ﴿سلام على نوح﴾ الخ. كلام مستقل أيضاً دعاء من الله تعالى لنوح، وقد أشار الشارح في التقرير لهذا بقوله هنا، ويحتمل أن يكون مفعول تركنا هو جملة سلام الخ من حيث المعنى، أي: تركنا عليه أن يسلموا عليه إلى يوم القيامة أي: أن يقولوا سلام على نوح أي هذه الجملة اهـ كرخي.

وفي السمين: قوله: ﴿سلام على نوح﴾ مبتدأ وخبر وفيه أوجه، أحدهما: أنه مفسر لتركنا. والثاني: أنه مفسر لمفعوله أي: تركنا عليه شيئاً وهو هذا الكلام. وقيل: ثم قول مقدر أي: فقلنا سلام، وقيل: ضمن تركنا معنى قلنا، وقيل: سلط تركنا على ما بعد، قال الزمخشري: وتركنا عليه في الآخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين يعني يسلمون عليه تسليماً ويدعون له، وهو من الكلام المحكي كقولك: قرأت سورة أنزلناها، وهذا الذي قاله قوله الكوفيين جعلوا الجملة في محل نصب مفعولاً بتركنا لا أنه ضمن معنى القول، بل هو على معناه بخلاف الوجه قبله، وهو أيضاً من أقوالهم. وقرأ عبد الله سلاماً وهو مفعول به لتركنا اهـ.

وفي القرطبي: وقال سعيد بن المسيب وبلغني أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» ذكره أبو عمر في التمهيد. وفي الموطأ عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: «من نزل منزلاً فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل». وفيه عن أبي هريرة أن رجلاً من أسلم قال: ما نمت الليلة. فقال له رسول الله ﷺ: «من أي شيء؟» قال: لدغتني عقرب، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك» اهـ.

قوله: ﴿في العالمين﴾ متعلق بما تعلق به الجار قبله، ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعاً اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لما فعل بنوح من إكرامه بإجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم العالمين عليه، فعلل ذلك بكونه من زمرة المأمورين بالإحسان الراسخين فيه، وإن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان، وقوله: ﴿إنه من عبادنا﴾ الخ تعليل لكونه من المحسنين لخلوص عبوديته وكمال إيمانه اهـ أبو السعود.

قوله: (كما جزيناهم) الضمير لنوح وقومه، فجزاء الكل الخلاص من الغرق ويخص نوح بالسلام عليه في الآخرين اهـ شيخنا.

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ كفار قومه ﴿۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن تبعه في أصل الدين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة، وكان بينهما هود وصالح ﴿إِذْ جَآءَ﴾ أي تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ من الشك وغيره ﴿إِذْ قَالَ﴾ في

قوله: ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ علل إحسانه بإيمانه إجلالاً لشأن الإيمان وشرفه وترغيباً في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه، كما قال تعالى في مدح إبراهيم عليه السلام: ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣] وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى فلا يرد كيف مدح نوحاً وإبراهيم وغيرهما كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بذلك، مع أن مرتبة الرسل فوق مرتبة المؤمنين اهـ كرخي.

قوله: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ معطوف على نجيناه وأهله فالترتيب حقيقي، لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين، والشهاب فهم أنه معطوف على قوله: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾، فجعل الترتيب اخبارياً لأن الآخرين كان قبل جعل ذريته باقين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وإن من شيعته﴾ في المختار: الشيعة أتباع الرجل وأنصاره اهـ.

ففيها معنى المشتق، فلذلك قال أي: ممن تابعه اهـ.

وفي المصباح: الشيعة الأتباع والأنصار وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة اسماً لجماعة مخصوصة، والجمع شيع مثل سدرة وسدر، والأشياع جمع الجمع اهـ.

مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد به الكبار حتى تستوقد اهـ قرطبي.

قوله: (في أصل الدين) أي: وإن اختلفت فروع شرائعهما، ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي أو أكثري، وعن ابن عباس: من أهل دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين اهـ أبو السعود.

قوله: (وإن طال الزمن الخ) جملة حالية، وقوله: (وهو ألفان الخ) كذا وقع في البيضاوي والكشاف والقرطبي، والذي في جامع الأصول أن بينهما ألف سنة ومائة واثنتين وأربعين سنة اهـ كرخي.

قوله: (وكان بينهما هود وصالح) أي: فقط. وعبارة أبي السعود: وما كان بينهما إلاّ نبيان هود وصالح عليهما السلام، انتهت.

والذي قبل نوح ثلاثة: إدريس وشيث وآدم، فجملة من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة.

قوله: ﴿إذ جاء ربه﴾ الخ ومعنى مجيئه ربه بقلبه سليماً إخلاصه له كأنه جاء به تحفة من عنده اهـ بيضاوي.

وقوله: ومعنى (مجيئه الخ) يعني أن حقيقة المجيء بالشيء نقله من مكانه، وهذا المعنى لا يتصور فيما نحن فيه، فكان الظاهر جاء ربه سليم القلب، ففي جاء استعارة تصريحية تبعية شبه إخلاصه قلبه بمجيئه بتحفة في أنه فاز بما يستجلب به رضاه اهـ شهاب وزاده.

هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ موبخاً ﴿مَاذَا﴾ الذي ﴿تَعْبُدُونَ ۝٨٥﴾ ﴿أَئِفْكًا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦﴾ وإفكاً مفعول له، وآلهة مفعول به لتريدون، والإفك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا،

قوله: (أي تابعه وقت مجيئه الخ) أشار بهذا إلى أن الظرف متعلق بشيعته أي: معمول له لما فيه من معنى المتابعة، وأشار بقوله (في هذه الحالة المستمرة) إلى أن الظرف الثاني بدل من الظرف الأول اهـ شيخنا.

عبارة الكرخي: قوله: (أي تابعه وقت مجيئه) أشار بهذا إلى أن الظرف متعلق بشيعته، وبه صرح في الكشاف قال: لما في الشيعة من معنى المشايعة، ثم جوز أن يتعلق بمحذوف وهو اذكر، أي: اذكر إذ جاء ربه أي: وقت مجيئه ربه، وتعقب الأول أبو حيان بلزوم الفصل بينه وبينه معموله بأجنبي، وهو قوله: ﴿لإبراهيم﴾ وبلزوم عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها، وأجيب بأنه يتسع في الظروف ما لا يتسع في غيرها، وبأنه يجوز أن يكون المراد تعلق معنى، وكثيراً ما يجري ذلك في كلامهم، والتعلق اللفظي يكون بشيعته المقدر بعد اسم إن الاستئناف كأنه سئل متى شايعه؟ فقيل: شايعه ﴿إذ جاء ربه الخ﴾، والظرف على الثاني بدل من الأول كما أشار إليه اهـ.

قوله: (من الشك وغيره) أي: من آفات القلوب ومن العلائق لما في الشيعة من المعاني الشاغلة عن التبتل إلى الله تعالى. وقال صاحب الفرائد: لما كان المقام مقام المدح وجب أن يكون سالماً عن كل الآفات لأن السالم عن البعض يدخل فيه كل القلوب لأنه ما من قلب إلا وهو سالم من البعض، ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفاً إياه بطريق التمثيل. قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما معنى المجي به ربه؟ قلت: معناه أنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه، فضرب المجيء مثلاً لذلك أي: لقوله أخلص لله قلبه قاله الطيبي اهـ كرخي.

قوله: (ما الذي) أشار بهذا إلى أن ذا اسم موصول، فما مبتدأ وذا مع صلته خبره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أئفكا﴾ فيه أوجه، أحدهما: أنه مفعول من أجله أي: أتريدون آلهة دون الله إفكاً فآلهة مفعول به، ودون ظرف لتريدون، وقدمت معمولات الفعل اهتماماً بها، وحسنه كون العامل رأس فاصلة، وقدم المفعول من أجله على المفعول به اهتماماً به لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل، وبهذا الوجه بدأ الزمخشري. الثاني: أن يكون مفعولاً به بتريدون، ويكون آلهة بدلاً منه جعلها نفس الإفك مبالغة فأبدلها منه وفسرها بها ولم يذكر ابن عطية غيره. والثالث: أنه حال من فاعل تريدون أي: تريدون آلهة آفكين أو ذوي إفك، وإليه نحا الزمخشري. قال الشيخ: وجعل المصدر حالاً يطرد إلا مع أما نحو أما علماً فعالم اهـ سمين.

قوله: (في همزتيه ما تقدم) وهو الوجوه الأربعة تحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما وتركه، وتسهيل الثانية كذلك اهـ شيخنا.

قوله: (أي أتعبدون غير الله) كان عليه أن يزيد المفعول له ليفي بمعنى ما تقدم أي: أتعبدون غير

وكانوا نجامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴿٨٨﴾﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد

الله إفكا أي: لأجل الإفك والكذب اهـ شيخنا.

قوله: (إذ عبدتم) أي: وقت أن عبدتم غيره، وقوله: (أنه يترككم) معمول للظن. أي: أي سبب حملكم على ظن أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبدتم غيره؟ فالسؤال في الحقيقة عن سبب الكفر ومقتضيه كما ذكره البيضاوي وأشار بقوله: (لا) إلى أن الاستفهام إنكاري أي: ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن المذكور اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: أشار به إلى أنه استفهام توبيخ وتحذير وتوعد. وقال القاضي: والمعنى إنكار ما يوجب ظناً فضلاً من قطع يصد عن عبادته، أو يجوز الإشراك به، أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام وهو كالحجة على ما قبله، انتهت.

وقوله: (المعنى الخ) يعني أن الاستفهام إنكاري، والمراد من إنكار الظن إنكار ما يقتضيه اهـ شهاب.

قوله: (وكانوا نجامين) أي: يتعاطون علم النجوم ويتعاملون به، وقوله: (فخرجوا إلى عيد لهم) وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لهما هرمزاً اهـ قرطبي.

قوله: (زعموا التبرك عليه) أي: زعموا أنها تبرك عليه أي تنزل فيه البركة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ أي: في علمها أو كتبها، وقوله: (ليعتمدوه) الأولى أن يقول ليتركوه ويعذروه في التخلف. وفي الخازن: قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكروا عليه ذلك، وأراد أن يباكتهم في عبادة الأصنام ويلزمهم الحجة على بطلانها اهـ.

وفي القرطبي: فنظر إلى نجم طالع فقال: إن هذا يطلع مع سقمي وكان علم النجوم مستعملاً عندهم منظوراً فيه فأوهمهم هو من تلك الجهة وأرادهم معتقدهم عذراً لنفسه، وذلك أنهم أهل رعاية وفلاحة، وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما إلى نظر في النجوم. وقال ابن عباس: كان علم النجوم من النبوة، فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون أبطل ذلك، فكان نظر إبراهيم فيها علماً نبوياً. وحكى جرير عن الضحاك: كان علم النجوم باقياً إلى زمن عيسى عليه السلام حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه منه، فقالت لهم مريم: من أين علمتم بموضعه؟ قالوا: من النجوم فدعا ربه عند ذلك، فقال: اللهم لا تفهمهم في علمها فلا يعلم علم النجوم أحد فصار حكمها في الشرع محظوراً وعلمها في الناس مجهولاً. وقال الحسن: المعنى أنهم لما كلفوه الخروج معهم تفكر فيما يعمل، فالمعنى على هذا أنه نظر فيما نجم له من الرأي أي: فيما طلع له منه، فعلم أن كل حي سقيم، فقال: إني سقيم. وقال الخليل والمبرد: يقول للرجل إذا فكر في نفسه تدبر ونظر في النجوم، وقيل كانت الساعة التي دعوه فيها إلى الخروج معهم ساعة تعتاده فيها الحمى، وقيل: المعنى فنظر فيما نجم من

عليها ليعتمدوه ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ عليل أي سأسقم ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء ﴿أَلَا

الأشياء، فعلم أن لها خالقاً ومدبراً، وأنه يتغير كتغيرها فقال: ﴿إني سقيم﴾. وقال الضحاك: معنى سقيم سأسقم سقم الموت لأن من كتب الله عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت، وهذا تورية وتعريض، كما قال للملك لما سأله عن سارة: هي أختي، يعني: أخته في الدين. وقال ابن عباس، وابن جبير، والضحاك أيضاً: أشار لهم إلى مرض وسقم يعدي كالطاعون وكانوا يهربون من الطاعون، ولذلك تولوا عنه مدبرين أي: فارين منه خوفاً من العدوى اهـ.

قوله: ﴿في النجوم﴾ أي: في علم النجوم، ولم يقل إلى النجوم مع أن النظر إنما يتعدى بإلى كما في قوله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾ [الأعراف: ١٤٣] لأن في بمعنى إلى كما في قوله: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ [إبراهيم: ٩] أو أن النظر هنا بمعنى الفكر وهو يتعدى بفي كما في قوله: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف: ١٨٥] فصار المعنى تفكر في علم النجوم كما مرت الإشارة إلى ذلك اهـ كرخي.

قوله: (أي سأسقم) من باب طرب. يقال في مصدره سقماً بفتحتين، وسقماً بضم فسكون، وسقاماً بكسر أوله اهـ شيخنا.

قوله: (أي سأسقم) جواب ما يقال كيف جاز له عليه السلام أن يقول إني سقيم، والحال أنه لم يكون سقيماً؟ وإيضاحه: أنه كقوله تعالى: ﴿إنك ميت﴾ [الزمر: ٣٠] أي: ستموت أو سقيم القلب عليكم لعبادتهم الأصنام وهي لا تضر ولا تنفع، أو أن من يموت فهو سقيم اهـ كرخي.

وفي أبي السعود: قال: إني سقيم وكان صادقاً في ذلك، فجعله عذراً في تخلفه عن عيدهم، وقيل: أراد إني سقيم القلب لكفرهم، وقيل: في علمها أو في كتبها أو أحكامها، ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه السلام إلى معبدهم ليتركوه، فإن القوم كانوا نجامين فأوهمهم أنه قد استدل بإمارة في علم النجوم على أنه سقيم، أي: مشارف للسقم وهو الطاعون، وكان الطاعون أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن إبراهيم خوفاً منها فهربوا إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام اهـ.

قوله: ﴿إلى آلهتهم﴾ اهـ. وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من حجر، وبعضها من خشب، وبعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من نحاس، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نوراً اهـ شيخنا.

قوله: (وعندها الطعام) أي: والحال.

قوله: ﴿فقال﴾ (استهزاء) أي بها اهـ حازن.

وقال بعضهم: بعابديها. وعلى كل حال فهذا الاستهزاء غير ظاهر لأنه إذا كان عندها وحده ومنفرداً بها فلا يعقل استهزاؤه بها ولا بعابديها اهـ شيخنا.

تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ فلم ينطقوا فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ فلم تجب ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ بالقوة فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ أي يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ﴿قَالَ﴾ لهم موبخاً ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً ﴿وَاللَّهُ

ولعل كان عنده من يسمع كلامه من معدنتها أو غيرهم اهـ.

قوله: ﴿فراغ عليهم﴾ أي: مال في خفية وأصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته بمكان، وضرباً مصدر واقع موقع الحال أي: فراغ عليهم ضارباً أو مصدر لفعل مقدر حال تقديره: فراغ يضرب ضرباً أو ضمن راغ معنى ضرب وهو بعيد باليمين متعلق بضربا إن لم يجعله مؤكداً وإلاّ فبعامله، واليمين يجوز أن يراد بها إحدى اليدين وهو الظاهر وأن يراد بها القوة، فالباء على هذا للحال أي ملتبساً بالقوة، وأن يراد بها الحلف وفاء بقوله: ﴿وتالله لأكيدن﴾ [الأنبياء: ٥٧] والباء على هذا للسبب وعدى راغ الثاني بعلى لما كان مع الضرب المستولي عليهم من فوقهم إلى أسفلهم بخلاف الأول فإنه توبيخ وأتى بضمير العقلاء في قوله عليهم جرياً على ظن عبدتها أنها كالعقلاء اهـ سمين. وفي المختار: راغ الثعلب من باب قال وروغانا بفتحتين والاسم منه الرواغ بالفتح، وأراغ وارتاغ إذا طلب وأراد وأراغ إلى كذا مال إليه سراً وحاد، وقوله تعالى: ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ أي: أقبل. وقال القراء: عليهم، وفلان يراوغ في الأمر مرواغة اهـ.

قوله: (بالقوة) أي: القدرة فاستعمل اليمين في القدرة على حد: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ [الذاريات: ٤٧] اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فأقبلوا إليه﴾ معطوف على ما قدره الشارح بقوله: (فكسرها الخ)، وقوله: ﴿يزفون﴾ بكسر الزاي مع فتح الياء وضمها قراءتان سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يزفون﴾ حال من فاعل أقبلوا وإليه يجوز تعلقه بما قبله أو بما بعده، وقرأ حمزة يزفون بضم الياء من أزف وله معنيان، أحدهما: أنه من أزف يزف أي دخل في الزفيف وهو الإسراع، أو زفاف العروس وهو المشيء على هينة، لأن القوم كانوا في طمأنينة من أمرهم كذا قيل. وهذا الثاني ليس بشيء، إذ المعنى أنهم لما سمعوا بذلك بادروا مسرعين فالهمزة على هذا ليست للتعدية. والثاني: أنه من أزف غيره أي: حمله على الزفيف وهو الإسراع أو على الزفاف وقد تقدم ما فيه، وباقي السبعة بفتح الياء من زف الظليم يزف أي: عدا بسرعة، وأصل الزفيف للنعام اهـ سمين.

قوله: (وأنت تكسرها) هذا يدل على أن إبراهيم هو الكاسر لآلهتهم وقوله: في الأنبياء: ﴿قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٢] يدل على أنهم ما عرفوا الكاسر لها. وأجيب بأنه يحتمل أن بعضهم عرفه فأقبل إليه، وبعضهم جهله فسأله، أو أن كلهم جهلوه وسألوا إبراهيم عنه، فلما عرفوه أقبلوا إليه اهـ كرخي.

قوله: ﴿قال﴾ (لهم موبخاً) ﴿أتعبدون﴾ ووجه التوبيخ ظاهر، وهو أن الخشب والحجر قبل النحت والإصلاح ما كان معبوداً البتة، فإذا نحته وشكله على الوجه المخصوص لم يحدث فيه إلا آثار تصرفه عن هيئته، فلو صار معبوداً لهم عند ذلك لزم أن الشيء الذي لم يكن معبوداً إذا حصل فيه آثار

خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده، وما مصدرية، وقيل موصولة، وقيل موصوفة ﴿ قَالُوا ﴾ بينهم ﴿ ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا ﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿ فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ النار الشديدة ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿ فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

صار معبوداً وفساده واضح اهـ زاده.

قوله: ﴿ما تنحتون﴾ النحت: البري، ففي المختار: نحته براه وبابه ضرب وقطع أيضاً نقله الأزهري، والنحاتة: البراية اهـ.

وقوله: (أصناماً) تفسير لما. قوله: (وما مصدرية) راجع لقوله: (من نحتكم). وقوله: (وقيل موصولة وقيل موصوفة) راجعان لقوله: (ومنحوتكم) اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وما تعملون﴾ في ما هذه أربعة أوجه، أحدها: أنها بمعنى الذي أي: خلق الذي تصنعونه فالعمل هنا التصوير والنحت. الثاني: أنها مصدرية أي: خلقكم وأعمالكم، وجعلها الأشعرية دليلاً على خلق أفعال عباد الله تعالى وهو الحق. والثالث: أنها استفهامية وهو استفهام توبيخ أي: وأي شيء تعملون. والرابع: أنها نافية أي: أن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم لا تعملون شيئاً، والجملة من قوله: ﴿والله خلقكم﴾ حال، ومعناها حينئذ أتعبدون الأصنام على حالة تنافي ذلك وهي أن الله خالقكم وخالقهم جميعاً، ويجوز أن تكون مستأنفة اهـ.

قوله: (وقيل موصولة) أي: وخلق الذي تصنعونه، والعمل هنا التصوير والنحت نحو عمل الصانع السوار أي: صاغه، ويرجحه ما قبله أي: أتعبدون الذي تنحتون أو بمعنى الحدث، ويدل على خلق الأعمال، فإن فعلهم كان بخلق الله فيهم، مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك، ويرجح على الأولين بعدم الحذف والمجاز. فعلى الأول وهو أن تكون موصولة يلزم الحذف وهو الضمير، وعلى الثاني وهو أن تكون ما مصدرية والعمل بمعنى المعمول يلزم المجاز، وليس المراد بالحدث معنى الإيقاع فإنه لا وجود له بالاتفاق حتى يكون متعلق الخلق اهـ كرخي.

قوله: ﴿بنياناً﴾ قيل بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وملؤوه من الحطب وأوقدوا عليه النار وطرحوه فيها اهـ خازن.

قوله: (وأضرموه بالنار) أي: أوقدوه بها. وفي المختار: الضرام بالكسر اشتعال النار في الحلفاء ونحوها وهو أيضاً دقاق الحطب الذي يسرع به اشتعال النار فيه، والضرمة بفتحتين السعفة أو الشيحة في طرفها نار، وضرمت النار من باب طرب، وتضرمت واضطرمت أي: التهبت وأضرمها غيرها وضرمها شدد للمبالغة اهـ.

قوله: (النار الشديدة) قال الزجاج: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم اهـ خطيب.

ومن الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الإضافة أي: جحيم ذلك البنيان اهـ بيضاوي.

وفي القاموس: الجحيم النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض كالجحمة وتصم، وكل نار عظيمة في مهواة والمكان الشديد الحر كالجاحم وجحمها كمنعها أوقدها فجحمت ككرمت جحوماً

المقهورين فخرج من النار سالماً ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولداً ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ أي ذي حلم كثير ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي أن

وكفرح جحماً وجحماً وجحوماً اضطرب، والجاحم الجمر الشديد الاشتعال اهـ.

قوله: ﴿فأرادوا به كيداً﴾ أي: شراً. قوله: (المقهورين) عبارة البيضاوي: الأسفلين الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً اهـ.

قوله: ﴿وقال إني ذاهب﴾ معطوف على ما قدره بقوله: (فخرج الخ) اهـ شيخنا.

وهذه الآية أصل في الهجرة وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلصه الله من النار قال: إني ذاهب إلى ربي أي مهاجر من بلدة قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه سيهدين فيما نويت إلى الصواب. قال مقاتل: هو أول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة وزوجته إلى الأرض المقدسة وهي أرض الشام، وقيل: ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي، فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن، وقد مضى بيان هذا في الأنبياء مستوفى. وقيل: خرج إلى حران فأقام بها مدة، ثم قيل: قال ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخاً لهم، وقيل: قاله لمن هاجر معه من أهله فيكون ذلك ترغيباً، وقيل: قال ذلك قبل إلقائه في النار. وفيه على هذا القول تأويلان، أحدهما: إني ذاهب إلى ما قضاه عليَّ ربي. الثاني: إني ميت كما يقال لمن مات قد ذهب إلى الله تعالى، لأنه عليه السلام تصور أنه يموت بإلقائه في النار على المعهود من حال النار في تلف ما يلقى فيها إلى أن قيل لها: ﴿كوني برداً وسلاماً﴾ [الأنبياء: ٦٩] فحينئذ سلم إبراهيم منها. وفي قوله: ﴿سيهدين﴾ على هذا القول تأويلان، أحدهما: سيهدين إلى الخلاص منها. الثاني: سيهدين إلى الجنة اهـ قرطبي.

قوله: ﴿سيهدين﴾ أي: إلى ما فيه صلاح ديني وإلى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى معه، ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال: ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ [القصص: ٢٢] ولذلك أتى بصيغة التوقع اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: ﴿سيهدين﴾ أي: سيثبتني على هداي ويزيدني هدى، وهذا يدل على أن الهداية لا تحصل إلا من الله تعالى، ولا يمكن حمله على وضع الأدلة وإزاحة الأعذار، لأن ذلك كان حاصلاً في الزمان الماضي، وإنما بت القول لسبق وعده أو لفرط توكله، وأما قول موسى ﴿عسى ربي أن يهديني﴾ فكان قبل النبوة، وفي كلامه إشارة إلى أن سين الاستقبال للجزم بوقوع الفعل، وفي المفصل أن سيفعل جواب لن يفعل، وكانت العادة جارية على القطع في الإرشاد فحدث بذلك لقوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى: ١١] فدلالة السين على التأكيد من جهة كونها في مقابلة لن. قال سيبويه: لن أفعل نفي سأفعل اهـ.

قوله: (إلى حيث أمرني ربي) أي: إلى مكان أمرني الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب ويهدين كما تشير له عبارة البيضاوي، وقوله: (بالمصير إليه) أي: إلى حيث وكذا ما بعده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من الصالحين أي: بعض الصالحين ليعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة

يسعى معه ويعينه، قيل بلغ سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي،

يعني: الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: ولفظ الهبة غالب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ [مريم: ٥٣] اهـ.

قوله: ﴿فبشرناه﴾ أي: فاستجبنا له فبشرناه بغلام حليم، أي: على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف فبشروه بالغلام، ثم انتقلوا من قريته إلى قرية لوط لإهلاك قومه كما تقدم في هود ويأتي في الذاريات اهـ قرطبي.

قوله: (فلما بلغ معه) معه متعلق بمحذوف على سبيل البيان كأن قائلاً قال: مع من بلغ السعي؟ فقيل: مع أبيه. ولا يجوز تعلقه ببلغ لأنه يقتضي بلوغهما معاً حد السعي. قال الطيبي: يرد أن لفظة مع تقتضي استحداث المصاحبة لأن معه على هذا حال من فاعل بلغ فيكون قيداً للبلوغ فيلزم منه ما ذكر من المحذور، لأن معنى المعية المصاحبة وهي مفاعلة، وقد قيد الفعل بها فيجب الاشتراك فيه، ولا يجوز تعلقه بالسعي، لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه لأنه عند العمل مؤول بأن والفعل وهو موصول ومعمول الصلة لا يتقدم على الموصول، لأنه كتقدم جزء من الشيء المترتب الأجزاء عليه، فتعين أن يكون بياناً. قال معناه الزمخشري: ومن يتسع في الظرف يجيز تعلقه بالسعي اهـ سمين.

وإلى هذا الثاني يشير صنيع الشارح حيث قال: أي: أن يسعى معه. وفي القرطبي: فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى فيه مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله قال: ﴿يا بني﴾ الخ اهـ.

تنبيه:

لما كانت العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وكان إبراهيم قد سأل ربه الولد ووهب له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلاً والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب، فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس، وقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا اهـ مواهب اهـ ابن لقيمة.

قوله: ﴿يا بني﴾ بفتح الياء وكسرها سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إني أذبحك﴾ أي: أفعل الذبح أو أمر به فهما احتمالان اهـ أبو السعود.

ويشير للثاني افعل ما تؤمر ويشير للأول قد صدقت الرؤيا اهـ شيخنا.

وروي أنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح فكر في نفسه أنه من الله أو من الشيطان، فلما أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنه من الله تعالى ثم رأى مثله في الليلة

شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ على ذلك ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ

الثالثة، فهمَّ بنحره فقال له: ﴿يا بني إني أرى في المنام﴾ الخ ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر اهـ بيضاوي.

وهذه الجملة سادة مسد معمولي أرى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ماذا ترى﴾ يجوز أن تكون ماذا مركبة مغلباً فيها الاستفهام، فتكون منصوبة بترى وما بعدها في محل نصب بانظر لأنها معلقة له، وأن تكن ما استفهامية وذا موصولة، فتكون ماذا مبتدأ وخبراً والجملة معلقة أيضاً، وأن تكون ماذا بمعنى الذي فتكون معمولاً لانظر. وقرأ الأخوان ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان أي: تريني إياه من صبرك واحتمالك، وباقي السبعة ترى بفتحتين من الرأي، وقرأ الأعمش والضحاك ترى بالضم والفتح بمعنى ما يخيل إليك ويسنح خاطرك، وقوله: ﴿ما تؤمر﴾ يجوز أن تكون ما بمعنى الذي، والعائد مقدر أي: تؤمره، والأصل تؤمر به ولكن حذف الجار مطرد فلم يحذف العائد إلا وهو منصوب المحل، فليس حذفه هنا كحذفه في قولك جاء الذي مررت وأن تكون مصدرية أي: أمرك على إضافة المصدر للمفعول اهـ سمين.

قوله: ﴿شاوره ليأنس الخ) عبارة الخازن: فإن قلت: لم شاوره في أمر قد علم أنه حتم من الله؟ قلت: لم يشاوره ليرجه إلى رأيه، وإنما شاوره ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله وليثبت قدمه ويصبرها، انتهت.

قوله: ﴿قال يا أبت﴾ بفتح التاء وكسرها سبعيتان، وقوله: (التاء عوض عن ياء الإضافة) أي فهي في محل جر لأن المعوض عنه كذلك اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ قال ابن إسحاق وغيره: لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ هذا الحبل والمدية وانطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلما خلا بابنه في الشعب أخبره بما أمر الله به، فقال: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ اهـ خازن.

قوله: ﴿إن شاء الله﴾ إنما علق ذلك بمشيئة الله على سبيل التبرك، وأنه لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله اهـ خازن.

قوله: ﴿وتله للجبين﴾ أي: صرعه وأسقطه على شقه، وقيل: هو الرمي بقوة وأصله من رماه على التل وهو المكان المرتفع أو من التليل وهو العنق، أي: رماه على عنقه، ثم قيل لكل إسقاط وإن لم يكن على تل ولا على عنق، والجبين ما انكشف من الجبهة اهـ سمين.

وفي المصباح: والجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما. فتكون الجبهة بين جبينين وجمعه جبن بضمتين مثل بريد وبرد وأجبنه مثل أسلحة اهـ.

وفي القاموس: تله تلاً من باب قتل فهو متلول وتليل صرعه أو ألقاه على عنقه وخده اهـ.

﴿لِلْجَبِينِ ۝١٠٣﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بمنى، وأمرَّ السكين

وفيه أيضاً: الصرع ويكسر الطرح على الأرض كالمصرع كمقعد وهو موضعه أيضاً، وقد صرعه كمنعه والصرعة بالكسر للنوع اهـ.

قوله: ﴿صرعه عليه﴾ قال ابن عباس: أضجعه على جنبه فلما فعل ذلك قال الابن: يا أبت أشدد رباطي كي لا أضرب، واكفف ثيابك حتى لا يتنضح عليها من دمي شيء فينقص أجرى وتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بها على حلقي ليكون أهون عليَّ، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني وإن رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله. ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكي والابن يبكي، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئاً فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثاً كل ذلك لا تستطيع أن تقطع شيئاً، فمنعت بقدرة الله تعالى، وقيل: ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه والأول أبلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم، فعند ذلك قال الابن: يا أبت كبني لوجهي على جبيني فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها، ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت، فنودي ﴿يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: (بمنى) بالصرف وعدمه ويذكر ويؤنث باعتبار المكان والبقعة اهـ شوبري على المنهج.
قوله: (وأمر السكين) قد جرى على هذا هنا، ونقله الخازن عن ابن عباس، ونقله غيره من المفسرين، والأمر النقلي لا يعارض إلا بنقل أوضح منه أو بالطعن في سنده. إذا علمت هذا علمت أن ما سلكه الشارح نفسه في شرح جمع الجوامع من أن هذا قول اعتزالي غير سديد لأنه لم يقم عليه دليلاً نقلياً بل تمسك بأمر عقلي لا شاهد فيه اهـ.

وفي القرطبي: وقد اختلف الناس في وقوع هذا الأمر فقال أهل السنَّة: إن نفس الذبح لم يقع، وإنما وقع الأمر بالذبح قبل أن يقع الذبح ولو وقع لم يتصور رفعه، فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل، لأنه لو حصل الفراغ في امتثال الأمر بالذبح ما تحقق الفداء، وقوله تعالى: ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ [الصافات: ١٠٥] أي حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا أصح ما قيل به في هذا الباب. وقالت طائفة: ليس هذا مما نسخ بوجه، لأن معنى ذبحت الشيء قطعته، واستدل على هذا بقول مجاهد: قال إسحاق لإبراهيم: لا تنظر إليَّ فترحمني، ولكن اجعل وجهي إلى الأرض، فأخذ السكين فأمرَّ بها على حلقه فانقلبت، فقال له: ما لك؟ فقال: انقلبت السكين، فقال: اطعني بها طعناً. وقال بعضهم: كان كلما قطع جزأ التأم، وقالت طائفة: وجدت حلقه نحاساً أو مغشى بنحاس، وكان كلما أراد قطعاً وجد منعاً فهذا كله جائز في القدرة الإلهية لكنه يفتقر إلى نقل صحيح، فإنه أمر لا يدرك بالنظر إنما طريقه الخبر، ولو كان قد جرى ذلك لبيّنه الله تعظيماً لرتبة إسماعيل وإبراهيم صلوات الله عليهما، وكان أولى بالبيان من الفداء، وقال بعضهم: إن إبراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الأوداج وإنهار الدم، وإنما رأى أنه أضجعه للذبح فتوهم أنه أمر بالذبح الحقيقي، ولما أتى ما أمر به من الاضجاع قيل له: قد صدقت الرؤيا: وهذا كله خارج عن المفهوم ولا

على حلقه فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهية ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَـٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح، أي يكفيك ذلك، فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَـٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ أي الاختبار الظاهر. ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ﴾ أي المأمور بذبحه

يظن بالخليل والذبيح أن يفهما من هذا الأمر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم، وأيضاً لو صحت هذه الأشياء لما احتيج إلى الفداء اهـ.

قوله: ﴿أن يا إبراهيم﴾ أن مفسرة لأن النداء فيه معنى القول اهـ.

قوله: (مما أمكنك) جواب عن سؤال، وعبارة الخازن: فإن قلت: كيف قال الله قد صدقت الرؤيا، وهو إنما رأى أن يذبح ابنه وما كان تصديقها إلا لو حصل منه الذبح؟ قلت: جعله الله مصدقاً لأنه بذل جهده ووسعه وأتى بما أمكنه وفعل ما يفعله الذابح فأتى بالمطلوب وهو انقيادهما لأمر الله انتهت.

قوله: (فجملة ناديناه جواب لما) لم يقدم ما يتفرع عليه هذا، فلو عبر بالواو لكان أوضح. وعبارة السمين: في جواب لما ثلاثة أوجه، أحدها: وهو الظاهر أنه محذوف أي نادته الملائكة أو ظهر صبرهما أو جزلنا لهما أجرهما. الثاني: أنه وتله للجبين بزيادة الواو وهو قول الكوفيين والأخفش، والثالث: أنه وناديناه والواو زائدة أيضاً اهـ.

قوله: (بإفراج الشدة عنهم) الذي في كتب اللغة أن يقال: فرّج الله الغم بالتشديد كشفه، وفرج فرجاً من باب ضرب لغة والاسم الفرج بفتحتين اهـ.

فكان على الشارح التعبير بالتفريج أو الفرج اهـ.

قوله: ﴿وفديناه﴾ معطوف على ناديناه. قوله: (قولان) عبارة القرطبي: واختلف العلماء في المأمور بذبحه، فقال أكثرهم الذبيح إسحاق، وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله وهو الصحيح عنه، وعبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر وعمر أبوه، فهؤلاء سبعة من الصحابة، وقال به من التابعين علقمة، والشعبي، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وكعب الأحبار، وقتادة، ومسروق، والقاسم بن أبي برة، وعطاء، ومقاتل، وعبد الرحمن بن سابط، والزهري، والسدي، وعبد الله بن أبي الهذيل، ومالك بن أنس كلهم قالوا الذبيح إسحاق، وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى، واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما. قال سعيد ابن جبير: أرى إبراهيم ذبح إسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح الكبش فذبحه، وسار به إلى الشام مسيرة شهر في روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال. وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ، وعن الصحابة، والتابعين. واحتجوا له بأن الله عز وجل قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه وهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط وقال: إني ذاهب إلى ربي سيهدين أنه دعا فقال: رب هب لي من الصالحين. فقال تعالى: ﴿فلما اعتزلهم﴾. وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وبأن الله تعالى قال:

وهو إسماعيل أو إسحاق قولان ﴿بِذِبْحٍ﴾ بكبش ﴿عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ من الجنة هو الذي قربه هابيل، جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبراً ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ ثناء حسناً

﴿وفديناه بذبح عظيم﴾، فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم، وإنما بشر بإسحاق لأنه قال: وبشرناه بإسحاق وقال هنا بغلام حليم، وذلك قبل أن يتزوج بهاجر وقبل أن يولد له إسماعيل وليس في القرآن أنه بشر بولد إلا بإسحاق فتلخص من هذا أن إسحاق أكبر من إسماعيل. وقال آخرون: الذبيح إسماعيل، وقال به من الصحابة أبو هريرة، وأبو الطفيل، وعامر بن واثلة. وروي عن ابن عمر وابن عباس أيضاً. ومن التابعين سعيد بن المسيب، والشعبي، ويوسف بن مهران، ومجاهد، والربيع ابن أنس، ومحمد بن كعب القرطبي، والكلبي، وعلقمة. واحتجوا لهذا بأن الله تعالى وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ [مريم: ٥٤] فوفى به، وبأن الله تعالى قال: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً﴾ فكيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً. وأيضاً فإن الله تعالى قال: ﴿فبشرناه بإسحاق﴾ ومن وراء إسحاق يعقوب، فكيف يأمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب. وأيضاً ورد في الأخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة، فدل على أن الذبيح إسماعيل، ولو كان إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس، وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع. أما قولهم كيف يأمره بذبحه وقد وعده أن يكون نبياً؟ فإنه يحتمل أن يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان قاله ابن عباس، ولعله أمره بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب، أو يقال لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد له من إسحاق، وأما قولهم: ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس. فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم: نعم ورد عن النبي ﷺ: أن الذبيح إسماعيل، وتقدم أن الأول آكد عن النبي ﷺ. وقال الزجاج: الله أعلم أيهما الذبيح. وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى، فإن هذه المسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فلا نسأل عنها في القيامة، فهي مما ينفع علمه ولا يضر جهله، انتهت بتصرف.

قوله: (بكبش) ﴿عظيم﴾ وقيل: كان وعلاً أهبط عليه من ثبير اهـ بيضاوي.

والوعل: التيس الجبلي اهـ.

قوله: (وهو الذي قرّبه هابيل) أي: فحق له أن يكون عظيماً لأنه تقبل مرتين، وقيل: عظمه لكونه من عند الله، وقيل: من حيث ثوابه، وقيل: من حيث سمنه خازن.

قوله: (فذبحه السيد إبراهيم) وقد بقي قرناه معلقين على الكعبة إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير. قال الشعبي: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة، وقال ابن عباس: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام، وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس اهـ خازن.

ومن المعلوم المقرر أن كل ما هو من الجنة لا تؤثر فيه النار فلم يطبخ لحم الكبش بل أكلته السباع والطيور تأمل. قوله: (مكبراً) روي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد فبقي هذا سنّة اهـ أبو السعود.

﴿ سَلَٰمٌ ﴾ منا ﴿ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناه ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ لأنفسهم ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ استدل بذلك على أن الذبيح غيره ﴿ نَبِيًّا ﴾ حال مقدرة، أي يوجد مقدراً نبوَّته ﴿ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾ بتكثير ذريته ﴿ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ﴾ ولده، بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ ﴾ مؤمن ﴿ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ كافر ﴿ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ بيِّن الكفر ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ بالنبوَّة ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ بني إسرائيل ﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾ أي استعباد فرعون إياهم ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ ﴾ على القبط ﴿ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرهما، وهو التوراة

قوله: ﴿كذلك﴾ الإشارة إلى بقاء ذكره الجميل فيما بين الأمم لا إلى ما أشير إليه فيما سبق فلا تكرار، وعدم تصدير الجملة بأنا للاكتفاء بما مرّ آنفاً اهـ أبو السعود.

قوله: (استدل بذلك الخ) وذلك لأن العطف للمغايرة، لأن هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ إلى آخر القصة، فدل العطف على أن القصة الماضية في غير إسحاق اهـ شيخنا.

وأجاب القائلون بأن الذبيح هو إسحاق بأن البشارة الأولى كانت بأصل وجوده، والثانية كانت بنبوته. وفي القرطبي: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً﴾ بشَّر بنبوته، ووقعت البشارة به مرتين، فعلى هذا الذبيح هو إسحاق، قلت: وقد ذكرنا أولاً ما يدل على أن إسحاق أكبر من إسماعيل وأن المبشر به هو إسحاق بنص التنزيل، فإذا كانت البشارة بإسحاق نصاً، فالذبيح لا شك هو إسحاق، فبشر به إبراهيم مرتين الأولى بولادته، والثانية بنبوته. ولا تكون النبوة إلا في حال الكبر اهـ.

قوله: ﴿من الصالحين﴾ يجوز أن يكون صفة لنبياً، وأن يكون حالاً من الضمير في نبياً فتكون حالاً متداخلة، ويجوز أن تكون حالاً ثانياً اهـ سمين.

قوله: ﴿ومن ذريتهما﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿محسن﴾ الخ مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿وظالم لنفسه﴾ فيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له في الهداية والضلال، فإن الظلم في أعقابها لا يعود عليهما بالنقيصة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد مننا﴾ أي: أنعمنا، وقوله: (بالنبوة) أي وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية اهـ خطيب.

قوله: ﴿ونصرناهم﴾ الضمير عائد على موسى وهارون وقومهما، وقيل: عائد على الاثنين بلفظ الجمع تعظيماً اهـ سمين.

قوله: ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ يجوز في هم أن يكون تأكيداً، وأن يكون بدلاً، وأن يكون فصلاً وهو الأظهر اهـ سمين.

قوله: (وغيرها) كالقصص والمواعظ.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمز أوّله وتركه ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ قيل هو ابن

قوله: ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ أي: دللناهما على الطريق الموصل إلى الحق والصواب عقلاً وسمعاً اهـ خطيب.

قوله: (كما جزيناهما) أي: بما تقدم من إنجائهما من الكرب العظيم ونصرهما على قومهما وإيتائهما الكتاب وإبقاء الثناء عليهما اهـ.

قوله: (إنهما من عبادنا المؤمنين) تعليل لإحسانهما بالإيمان وإظهار لجلالة قدره وأصالة أمره اهـ خطيب.

قوله: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ روي عن ابن مسعود أنه قال: إلياس هو إدريس وكذلك هو في مصحفه. وقال أكثر المفسرين: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل. قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع، وقال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران والله أعلم، وقال محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار: لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليهم الصلاة والسلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل، فبعث الله عز وجل إليهم إلياس نبياً.

كانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة، وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل، وإن سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس، وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب، وكان قد أضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة وجوه، وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا به أربعمائة سادن وجعلوهم أبناءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك، فإنه آمن به وصدقه، فكان إلياس يقوم بأمره ويسدده ويرسده، ثم إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس، وقال: يا إلياس ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلاً وهم بتعذيب إلياس وقتله. فلما أحس إلياس بالشر رفضه وخرج عنه هارباً ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق إلياس بشواهق الجبال، فكان يأوي إلى الشهاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مستخفياً يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم. فلما طال الأمر على إلياس وسئم الكمون في الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذراعاً دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقيل: انظر يوم كذا وكذا فأخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من نار، وقيل: لونه كالنار حتى وقف بين يدي إلياس فوثب عليه فانطلق به الفرس، فناداه اليسع. يا إلياس ما تأمرني؟ فقذف إلياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك

علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به. ورفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع اهـ خازن.

وكان إلياس على صفة موسى في الغضب والقوة نشأ نشأة حسنة يعبد الله وجعله الله نبياً رسولاً، وآتاه الله آيات، وسخر له الجبال والأسود وغيرهما، وأعطاه قوة سبعين نبياً ذكره الثعلبي اهـ زرقاني.

وروي أن الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس، ويحضران موسم الحج كل عام. وذكر ابن أبي الدنيا أنهما يقولان عند فراقهما عن الموسم: ما شاء الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا ما شاء الله ما شاء الله، لا يصر السوء إلا الله ما شاء الله ما شاء الله، ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل اهـ قرطبي.

وإلياس موكل بالفيافي والقفار، والخضر موكل بالبحار. وعن علي كرم الله وجهه: أن مسكن الخضر ببيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط، وقد عدّهما بعض المحدثين في جملة الصحابة كعيسى، وهما تابعان لأحكام هذه الأمة. واختلف في كون الخضر نبياً مرسلاً أو نبياً فقط، أو هو من الأولياء، وأما الياس فهو نبي مرسل باتفاق، وورد أن الخضر لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن اهـ ملخصاً من ع ش على المواهب.

وفي الخصائص الكبرى للسيوطي: عن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا عند فج الناقة عند الحجر سمعت صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها، فقال النبي ﷺ: «يا أنس انظر ما هذا الصوت»، فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فلما رآني قال: أنت صاحب رسول الله؟ فقلت: نعم. قال: فارجع إليه فاقرئه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك. فرجعت إلى رسول الله فأخبرته، فجاء يمشي وأنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثا طويلاً، فنزل عليهما من السماء شيء شبه السفرة ودعواني فأكلت معهما فإذا فيهما كمأة ورمان وحوت وكرفس، فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فحملته، وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيما تهوي قبل السماء اهـ.

وقال السيوطي في الاتقان: قال وهب: إن الياس عمر كما عمر الخضر وإنه يبقى إلى آخر الدنيا اهـ ابن لقيمة على البيضاوي.

قوله: (بالهمز أوله) أي: همزة مكسورة هي همزة قطع. وقوله: (وتركه) القراءتان سبعيتان وتوجيههما أنه اسم أعجمي تلاعبت به العرب فقطعوا همزته تارة ووصلوها أخرى، وقالوا فيه أيضاً الياسين كإسرافيل اهـ سمين.

قوله: (قيل هو ابن أخي هارون) هذا أحد قولين للمفسرين، والأكثرون على أنه سبط هارون أخي

أخي هارون أخي موسى، وقيل غيره، أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها ﴿إذ﴾ منصوب باذكر مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٢٤﴾ الله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً، مضافاً إلى بك أي أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٢٥﴾ فلا تعبدونه ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦﴾ برفع الثلاثة على إضمار هو، وبنصبها على البدل من أحسن ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧﴾ في النار ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝١٢٨﴾ أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ

موسى، لأنه ابن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران، وقال ابن عباس: هو ابن عم اليسع اهـ شيخنا.

وفي القرطبي في سورة الأنعام ما نصه: وتوهم قوم أن اليسع هو الياس وليس كذلك، لأن الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر. وقال وهب: اليسع صاحب الياس وكانا قبل زكريا ويحيى وعيسى، وقيل: الياس هو إدريس وهذا غير صحيح، لأن إدريس جد نوح وإلياس من ذريته، وقيل: الياس هو الخضر، وقيل: لا بل الخضر هو اليسع اهـ.

قوله: (منصوب باذكر مقدراً) وقال السمين: هو ظرف لقوله: **﴿لمن المرسلين﴾** اهـ.

قوله: (اسم صنم لهم) طوله عشرون ذراعاً وله أربعة أوجه فاعتنوا به وعظموه حتى أخدموه بأربعمائة خادم وجعلوهم أبناءه، فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بالضلال، والخدمة يحفظونه ويعلمونه الناس، وقوله: **(وبه سمي البلد)** أي ثانياً، وأما أولاً فاسم البلد بك فقط، فاسمها في الأصل بك، ثم لما عبد فيها هذا الصنم المسمى ببعل سميت بعلبك اهـ من أبي السعود.

قوله: (مضافاً إلى بك) أي مضموماً إليه، فإن التركيب مزجي لا إضافي وهذا قيد في كونه اسم البلد، وأما في حال كونه اسماً للصنم فهو بعل فقط من غير ضم شيء إليه اهـ.

قوله: ﴿وتذرون﴾ يجوز أن يكون حالاً وأن يكون عطفاً على تدعون فيكون داخلاً في حيز الانكار اهـ سمين.

وقوله: ﴿أحسن الخالقين﴾ أي المقدرين، فإن الخلق حقيقة في اختراع الأشياء، ويستعمل أيضاً بمعنى التقدير وهو المراد هنا اهـ زاده.

فاندفع ما يتوهم من ثبوت الخلق لغيره تعالى، لأن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه. وأجاب الشهاب بأن خلق الله بمعنى الإيجاد وخلق العباد كسبهم وهو على مذهب المعتزلة ظاهر، لأن المراد أحسن من يطلق عليه ذلك بأي معنى كان كما قاله الآمدي اهـ شهاب.

قوله: (فإنهم نجوا منها) ظاهر هذا أن الاستثناء من محضرون وهو غير سديد، بل الحق أنه من الواو وفي كذبوه، وعبارة السمين: **قوله: ﴿إلا عباد الله﴾** استثناء متصل من فاعل فكذبوه، وفيه دلالة على أن قومه من لم يكذبه فلذلك استثنوا، ولا يجوز أن يكونوا مستثنين من ضمير محضرون لأنه يلزم عليه أن يكونوا مندرجين فيمن كذب، لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين الفساد لا يقال هو مستثنى منه استثناء منقطعاً لأنه يصير المعنى، لكن عباد الله المخلصين من غير هؤلاء لم

﴿فِي ٱلْآخِرِينَ ١٢٩﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ١٣٠﴾ قيل هو إلياس المتقدم ذكره، وقيل هو ومن آمن معه، فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للملهب وقومه المهلبون، وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله، المراد به إلياس أيضاً ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣١﴾ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٣﴾ اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ١٣٤﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ١٣٥﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿ٱلْآخَرِينَ ١٣٦﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على

يحضروا ولا حاجة إلى هذا بوجه إذ به يفسد نظم الكلام، انتهت.

قوله: (قيل هو الياس المتقدم ذكره) فعلى هذا هو مفرد مجرور بالفتحة لأنه غير منصرف للعلمية والعجمة، وقوله: (وقيل هو الخ) فعلى هذا هو مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم، فسمي كل واحد من قومه إلياس تغليباً وجمعوا على الياسين، وقوله: (وقومه) عبارة السمين وبنيه، وقوله: (المراد به) أي بالمضاف وهو آل، وأما ياسين فهو أبوه، فعلى هذه القراءة كأنه قيل: سلام على ابن ياسين، فآل مجرور بالكسرة، وياسين مضاف إليه مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة اهـ شيخنا.

وقوله أيضاً: (أي كما أن المراد بالياسين الياس)، فكل من الياسين وآل المضاف إلى ياسين المراد به إلياس، فقد عبّر عنه في الآية بثلاث عبارات بالياس والياسين وآل المضاف إلى ياسين تأمل. وعبارة البيضاوي: الياسين لغة في الياس كسيناء وسينين الخ اهـ.

وعبارة السمين: قوله: ﴿سلام على إلياسين﴾ قرأ نافع وابن عامر على آل ياسين بإضافة آل بمعنى أهل إلى ياسين، والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين كأنه جمع إلياس جمع سلامة، فأما الأولى فإنه أراد بالآل الياس ولد ياسين كما تقدم وأصحابه، وقيل: المراد بياسين هذا الياس المتقدم فيكون له اسمان وآله رهطه وقومه المؤمنون، وقيل: المراد بياسين محمد ﷺ، وأما القراءة الثانية فقيل هي جمع الياس المتقدم وجمع باعتبار أصحابه كالمهالبة والأشاعرة في المهلب وبنيه والأشعري وقومه، وهو في الأصل جمع المنسوبين إلى الياس، والأصل الياسي كأشعري ثم استثقل تضعيفهما فحذفت إحدى ياءي النسب، فلما جمع جمع سلامة التقى ساكنان إحدى الياءين وياء الجمع فحذفت أولاهما لالتقاء الساكنين، فصار الياسين كما ترى وقد تقدم طرف من هذا آخر الشعراء عند قوله: الأعجمين اهـ.

قوله: (كما جزيناه) أي: ببقاء سيرته الحسنة في الآخرين اهـ.

قوله: (اذكر) ﴿إذ نجيناه﴾ الخ جواب كيف قال، وإن لوطاً لمن المرسلين إذ نجيناه وهو كان رسولاً قبل التنجية، فما وجه تعليق إذ نجيناه؟ وحاصله: أنه ليس متعلقاً به بل بمحذوف، وكذا القول في قوله: ﴿وإن يونس﴾ الخ. وقيل: هو من المرسلين حتى في هذه الحالة كما جرى عليه الشيخ المصنف فيما سيأتي اهـ كرخي.

قوله: ﴿إلا عجوزاً﴾ هي امرأته اهـ كرخي.

قوله: ﴿وإنكم﴾ الخطاب لأهل مكة اهـ شيخنا.

آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ أي وقت الصباح يعني بالنهار ﴿وَبِٱلَّيْلِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب

قوله: ﴿مصبحين﴾ حال. وقوله: (أي وقت الصباح) بيان لمعناه في الأصل وهو من أصبح التامة، وقوله: (يعني بالنهار) بيان للمراد منه، وقوله: ﴿وبالليل﴾ عطف على مصبحين فهو حال أخرى، والباء للملابسة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ الهمزة داخلة على مقدر أي: أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ يونس هو ذو النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونس صبي يرضع، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها، ثم إن الياس سئم ضيق البيوت فلحق الجبال ومات ابن المرأة يونس فخرجت في أثر إلياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها، فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضت من موته، فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام، وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام. وفي الخبر وفي وصف يونس أنه كان ضيق الصدر، فلما حمل أعباء النبوة تفسح تحتها تفسح البعير تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي الآبق الناد، وهذه المغاضبة كانت صغيرة ولم يغضب على الله ولكن غضب لله إذ رفع العذاب عنهم، وقال ابن مسعود: أبق من ربه أي من أمر ربه حين أمره بالعود إليهم بعد رفع العذاب عنهم، وقد كان يتوعد قومه بنزول العذاب في وقت معلوم، وخرج من عندهم في ذلك الوقت فأظلهم العذاب فتضرعوا فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم، فلذلك ذهب مغاضباً. وكان من حقه ألا يذهب إلا بإذن جديد، وقيل: إنه غاضب قومه حين طال عليهم أمرهم وتعنتهم فذهب فاراً بنفسه ولم يصبر على أذاهم، وقد كان الله أمره بملازمتهم والدعاء إلى الإيمان فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير إذن من الله روي معناه عن ابن عباس والضحاك وإن يونس كان شاباً ولم يتحمل أثقال النبوة، ولهذا قيل للنبي ﷺ: ولا تكن كصاحب الحوت. وعن الضحاك أيضاً: خرج مغاضباً لقومه لأن قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول الله عز وجل كفروا بهذا، فوجب أن يغاضبهم وعلى كل أحد أن يغاضب من عصى الله عز وجل، وقالت فرقة منهم الأخفش: إنما خرج مغاضباً للملك الذي كان على قومه. قال ابن عباس: أراد شعيب النبي والملك الذي كان في وقته واسمه حزقيل أن يبعثوا يونس لملك نينوى، وكان غزا بني إسرائيل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني إسرائيل، وكانت الأنبياء في ذلك الزمان يوحى إليهم، والأمر والسياسة إلى ملك قد اختاروه فيعمل على مقتضى وحي ذلك النبي، وكان أوحى إلى شعيب أن قل لحزقيل الملك أن يختار نبياً قوياً أميناً من بني إسرائيل فيبعثه إلى أهل نينوى فيأمرهم بالتخلية عن بني إسرائيل فإني ملق في قلوبهم ملوكهم وجبابرتهم التخلية عنهم، فقال يونس لشعيب: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا. قال: فهل سماني لك؟ قال: لا. قال: فههنا أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي شعيب والملك وقومه فأتى بحر الروم فكان من قصته ما كان. قال القشيري: والأظهر أن هذه المغاضبة كانت

﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠﴾ السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١﴾ المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢﴾ أي آت بما يلام عليه، من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة

بعد إرسال الله تعالى إياه، وبعد رفع العذاب عن القوم بعدما أظلهم فإنه كره رفع العذاب عنهم. وقيل: إنه كان من أخلاق قومه أن من جربوا عليه الكذب قتلوه فخشي أن يقتل فغضب وخرج فاراً على وجهه حتى ركب في سفينه اهـ من القرطبي من هنا ومن سورة الأنبياء.

وتقدم في سورة يونس مزيد بسط عن الخازن.

قوله: ﴿إذ أبق﴾ ظرف للمرسلين. أي: هو من المرسلين حتى في هذه الحالة، وأبق: أي هرب يقال: أبق العبد يأبق إباقاً فهو آبق، والجمع إباق كضراب، وفيه لغة ثانية بالكسر يأبق بالفتح اهـ سمين.

وأصل الإباق الهروب من السيد، وإطلاقه على هروب يونس استعارة تصريحية، فشبه خروجه بغير إذن ربه بإباق العبد من سيده، أو هو مجاز مرسل من استعمال المقيد في المطلق اهـ بيضاوي وشهاب.

وفي المصباح: أبق العبد أبقاً من بابي تعب وقتل في لغة والأكثر من باب ضرب إذا هرب من سيده من غير خوف ولا كد والإباق بالكسر اسم منه فهو آبق والجمع أباق مثل كافر وكفار اهـ.

قوله: (حين غاضب قومه) أي: غضب عليهم فالمفاعلة ليست على بابها فلا مشاركة كعاقبت وسافرت، ويحتمل أن تكون على بابها من المشاركة أي: غاضب قومه وغاضبوه حين لم يؤمنوا في أول الأمر اهـ كرخي من سورة الأنبياء.

قوله: (فوقفت) أي: من غير سبب يقتضي وقوفها في لجة البحر أي: بحر الدجلة اهـ.

قوله: (فقال الملاحون هنا عبد آبق) وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر وكان ذلك بدجلة اهـ شهاب.

قوله: (قارع أهل السفينة) أي: أي: غالبهم بالقرعة بالسهام، وعبارة السمين: أي غالبهم في المساهمة وهي الاقتراع، انتهت.

وحصلت المقارعة مرة واحدة وقيل ثلاث مرات اهـ خازن.

قوله: (فألقوه في البحر) في البيضاوي: أنه ألقى نفسه في الماء اهـ.

قوله: (أي آت بما يلام عليه) يقال: ألام فلان إذا فعل ما يلام عليه اهـ مختار وسمين.

وفي البيضاوي: ﴿وهو مليم﴾ أي: داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه اهـ.

وقوله: (أي: داخل في الملامة) يعني: أن بناء أفعل للدخول في الشيء نحو أحرم إذا دخل

بلا إذن من ربه ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين ﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿ بِٱلْعَرَآءِ ﴾ بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام، أو عشرين أو أربعين يوماً ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ عليل كالفرخ

الحرم، وقوله: (أو آت الخ) أي: فالهمزة للصيرورة نحو أغد البعير أي: صار ذا غدة فهو هنا لما أتى ما يستحق اللوم عليه صار ذا لوم، وقوله: (أو مليم نفسه) أي: فالهمزة للتعدية ومفعوله محذوف اهـ شهاب.

وفي المصباح: لامه لوماً من باب قال عذله فهو ملوم على النقص الفاعل لائم، والجمع لوم مثل راكع وركع، وألامه بالألف لغة فهو ملام، والفاعل مليم، والاسم الملامة، والجمع ملاوم، واللائمة مثل الملامة، وألام الرجل إلامة فعل ما يستحق عليه اللوم وتلوّم تلوماً تمكث اهـ.

قوله: (بقوله كثيراً) متعلق بكان، وقوله لا إله إلا أنت الخ مقول القول اهـ شيخنا.

يعني: أنه سبح إذا قال سبحان الله والكثرة مستفادة من جعله من المسبحين دون أن يقال مسبحاً بجعله عريقاً فيهم منسوباً إليهم ومثله يستلزم الكثرة لا من التفعيل لأن معنى سبح لم يعتبر فيه ذلك اهـ شهاب.

قوله: ﴿في بطنه﴾ الظاهر أنه متعلق بلبث، وقيل: حال أي: مستقراً اهـ سمين.

قوله: (قبراً له) قيل: وهو باق على الحياة، وقيل: بأن يموت فيبقى في بطنه ميتاً اهـ أبو السعود.

والثاني أقرب لقول الشارح لصار بطن الحوت قبراً له، لأن القبر للميت اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فنبذناه﴾ أي: أمرنا الحوت بنبذه اهـ أبو السعود.

وعبارة الخازن: وإنما أضاف تعالى النبذ إلى نفسه وإن كان الحوت هو النابذ لأن أعمال العباد مخلوقة لله، انتهت.

قوله: ﴿بالعراء﴾ أي: في العراء والعراء الأرض الواسعة التي لا نبات بها ولا معلم مشتق من العري وهو عدم السترة شبهت الأرض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء، والعراء بالقصر الناحية ومنه اعتراه أي: قصد عراه، وأما الممدود فهو كما تقدم الأرض الفيحاء اهـ سمين.

قوله: (أي بالساحل) وهو شاطىء البحر. قال ابن دريد: هو مقلوب وإنما الماء سحله أي: قشره وكشطه اهـ مختار.

قوله: (من يومه) أي: التقطه ضحى وألقاه عشية قاله الشعبي والأقوال بعده الأول لمقاتل، والثاني لعطاء، والثالث للضحاك، والرابع للسدي وغيره اهـ كرخي.

الممعط ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦﴾ وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع، معجزة له، وكانت تأتيه وعلة صباحاً ومساء، يشرب من لبنها حتى قوي ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ﴾ بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً﴿فَـَٔامَنُواْ﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ﴾ أبقيناهم ممتعين بمالهم

قوله: (الممعط) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء كذلك أي: المنتوف شعره اهـ قاري.

وأصله منمعط فأدغمت النون في الميم، وفي المختار: رجل أمعط بين المعط وهو الذي لا شعر على جسده، وقد معط من باب طرب، وامتعط شعره وتمعط أي تساقط من داء ونحوه وكذا انمعط وهو انفعل اهـ.

قوله: ﴿من يقطين﴾ هو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام فيه لا يبرح قيل: اليقطين كل ما لم يكن له ساق كالقثاء والقرع والبطيخ، وقيل: هو اسم للقرع خاصة اهـ سمين.

وخص الله القرع لأنه يجمع برد الظل ولين الملمس وكبر الورق، وأن الذباب لا يقربه، فإن جسد يونس حين ألقي لم يكن يتحمل الذباب اهـ من تفسير ابن جزي.

قوله: (وهي القرع) وقيل: كانت شجرة التين، وقيل: الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره اهـ بيضاوي.

قوله: (وعلة) أي: غزالة وهي بفتح الأول والثاني وبكسر الثاني وسكونه.

قوله: (كقبله) فالمعنى كما أرسلناه إلى مائة ألف فلما خرج من بطن الحوت أمر أن يرجع إليهم ثانياً اهـ خازن.

وفي الشهاب: فالإرسال الثاني هو الأول ويرد عليه الفاء في فآمنوا وأجيب بأنه تعقيب عرفي أو بأنها للتفصيل أو للسببية اهـ.

قوله: (بنينوى) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو اهـ شيخنا.

ومثله في الشهاب ثم قال: وهي اسم الموصل أو قرية بقربها اهـ.

قوله: ﴿أو يزيدون﴾ في أو هذه سبعة أوجه قد تقدمت بتحقيقها وأدلتها في أول البقرة عند قوله تعالى: ﴿أو كصيب﴾ [البقرة: ١٩] فعليك بالالتفات إليها ثمة فالشك بالنسبة إلى المخاطبين. أي: أن الرائي يشك عند رؤيتهم والإبهام بالنسبة إلى أن الله تعالى أبهم أمرهم والإباحة بالنسبة إلى الناظر، أي: أن الناظر إليهم يباح له أن يحذرهم بهذا القدر أو بهذا القدر وكذلك التخيير أي: هو مخير بين أن يحذرهم كذا أو كذا والإضراب ومعنى الواو واضحان اهـ سمين.

قوله: (الموعودين به) نعت سببي أي: الذي وعدوا به اهـ.

﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ تنقضي آجالهم فيه ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخاً لهم ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ فيختصون بالأسنى ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ خلقنا، فيقولون ذلك؟ ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾﴾ ﴿وَلَدَ

فإن قلت: كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل توبته؟ قلت: أجاب العلماء عن هذا بأجوبة، أحدها: أن ذلك كان خاصاً بقوم يونس والله يفعل ما يشاء. الجواب الثاني: أن فرعون ما آمن إلا بعد مباشرة العذاب وهو وقت اليأس من الحياة، وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم، فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية. والجواب الثالث: أن الله عز وجل علم صدق نيتهم في التوبة فقبل توبتهم، بخلاف فرعون فإنه ما صدق في إيمانه ولا أخلص فلم يقبل الله منه إيمانه اهـ خازن من سورة يونس.

قوله: (ممتعين) وفي نسخة متمتعين وقوله: (بما لهم) بفتح اللام أي: بالذي لهم من النعم اهـ قاري.

قوله: ﴿فاستفتهم الخ﴾ معطوف على مثله في أول السورة فأمر أولاً باستفتائهم عن وجه إنكار البعث وساق الكلام في تقريره جاراً لما يلائمه من القصص موصولاً بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله اهـ بيضاوي.

وقوله معطوف على مثله، وهو قوله: ﴿فاستفتهم﴾ أهم أشد خلقاً، والفاء في المعطوف عليه واقعة في جواب شرط مقدر، وهذه عاطفة تعقيبية لأنه أمر بهما من غير تراخ، لكنه أورد عليه أن فيه فصلاً طويلاً إن لم يمتنع لا ينبغي ارتكابه، وقد استقبح النحاة الفصل بجملة في نحو أكلت لحماً وأضرب زيداً وخبزاً فما بالك بجمل بل بسورة، وأشار المصنف إلى جوابه بأن ما كره النحاة في عطف المفردات، وأما الجمل فلاستقلالها يغتفر فيها ذلك وهنا الكلام لما تعانقت معانيه وارتبطت مبانيه حتى كأنه جملة واحدة لم يعد بعدها بعداً، فلذلك قال جاراً لما يلائمه اهـ شهاب.

قوله: (استخبر كفار مكة) أي: عن سبب وصحة هذه القسمة التي قسموها، وقوله: ﴿ألربك البنات﴾ أي: ألهذه القسمة وجه اهـ شيخنا.

قوله: (فيختصون بالأسنى) أي: بالقسم الأسنى أي: الأرفع وهو الذكور وفي نسخة بالأبناء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾ يجوز أن تكون أم منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام الإنكاري، وأن تكون متصلة معادلة للهمزة كأن المستفهم يدعي ثبوت أحد الأمرين عندهم ويطلب تعيينه منهم قائلاً أي: هذين الأمرين تدعونه اهـ زاده.

وقوله: ﴿وهم شاهدون﴾ الواو للحال.

قوله: (ألا إنهم من إفكهم﴾ استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال مذهبهم الفاسد ببيان أنه ليس مبناه إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة اهـ أبو السعود.

﴿ٱللَّهُ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ فيه ﴿أَصْطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت، أي اختار ﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ حجة واضحة أن لله ولداً ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ التوراة فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ في قولكم ذلك ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي المشركون ﴿بَيْنَهُۥ﴾ تعالى ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم إنها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي قائلي ذلك

قوله: ﴿ولد الله﴾ فعل ماض وفاعل، وقوله: (بقولهم) إلى أن قولهم ولد الله لازماً لقولهم الملائكة بنات الله فنسب إليهم بحسب اللازم لا لأنهم قالوه صريحاً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لكاذبون﴾ (فيه) أي: في قولهم الملائكة بنات الله.

قوله: ﴿أصطفى البنات﴾ الخ استفهام إنكار واستبعاد وتقريع الإصفاء أخذ صفوة الشيء اهـ بيضاوي.

قوله: (واستغنى بها) أي: في التوصل للنطق بالساكن.

قوله: ﴿ما لكم﴾ التفات لزيادة التوبيخ والأمر في قوله: ﴿فأتوا بكتابكم﴾ للتعجيز والإضافة للتهكم اهـ شهاب.

قوله: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ جملتان استفهاميتان ليس لإحداهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب استفهم أولاً عما استقر لهم وثبت استفهام إنكار وثانياً استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الجائر وهو أنهم نسبوا أخس الجنسين وما يتطيرون به، ويتوارى أحدهم من قومه عند بشارته به إلى ربهم وأحسن الجنسين إليهم اهـ سمين.

قوله: (أنه سبحانه الخ) مفعول تذكرون.

قوله: ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ إضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بتكليفهم بما لا يدخل تحت الوجود أصلاً أي: بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بنات الله تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من مستند حسي أو عقلي، وحيث انتفى كلاهما فلا بد من مستند نقلي اهـ أبو السعود.

قوله: (أن لله ولداً) أي: على أن لله ولداً. قوله: (التوراة) فيه أن الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم اهـ قاري.

وفي بعض النسخ إسقاط التوراة وهي واضحة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وجعلوا بينه﴾ الخ التفات للغيبة للإيذان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جنايتهم لآخرين اهـ كرخي.

قوله: (لاجتنابهم) أي: سميت الملائكة جنة لاجتنانهم أي: استتارهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد علمت الجنة﴾ أي: الملائكة أي: وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا

﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ للنار يعذبون فيها ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ تنزيهاً له ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ بأن لله ولداً ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ أي المؤمنين، استثناء منقطع، أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ من الأصنام ﴿ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي على معبودكم، وعليه متعلق بقوله

بينها وبينه تعالى نسباً وهم الملائكة أن الكفرة محضرون النار لكذبهم في قولهم ذلك، والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين ادعى هؤلاء لهم تلك النسبة، ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكماً مؤبداً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿سبحان الله﴾ الخ هذا من كلام الملائكة فمن هنا إلى قوله: ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ من كلامهم كما ذكره العمادي. وقد أشار له أبو السعود فقال: هذا حكاية لتنزيه الملائكة الحق سبحانه عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت، وقوله: ﴿إلا عباد الله الخ﴾ شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه بذلك متضمنة لتبرئتهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين، فكأنه قيل: ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك، وقالوا: سبحان الله عما يصفون به، لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف، وقوله: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ الخ تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم، والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وقوله: ﴿وما منا﴾ الخ من كلامهم أيضاً لتبيين رتبتهم ورفعتها عن أن يتصفوا بما ذكره فيهم المشركون بعدما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله عن ذلك اهـ أبو السعود.

قوله: (فإنهم ينزهون الله الخ) فيه إشارة إلى أن الاستثناء من الواو في يصفون كما هو ظاهر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ في هذا الاستثناء وجوه، أحدها: أنه منقطع والمستثنى منه إما فاعل جعلوا أي: جعلوا بينه وبين الجنة نسباً إلا عباد الله. الثاني: أنه فاعل يصفون أي: لكن عباد الله يصفونه بما يليق به تعالى. الثالث: أنه ضمير محضرون أي: لكن عباد الله ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسبيح معترضة، وظاهر كلام أبي البقاء أنه يجوز أن يكون استثناء متصلاً لأنه قال مستثنى من واو جعلوا أو محضرون، ويجوز أن يكون متصلاً فظاهر هذه العبارة أن الوجهين الأولين هو فيهما متصل لا منفصل وليس ببعيد كأنه قيل: وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء، وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسباً فهو عند الله مخلص من الشرك اهـ.

قوله: ﴿أي على معبودكم﴾ أعاد الضمير على ما وعلى هذا الاحتمال يتعين أن تكون ما في محل نصب على المفعول معه، وتكون سادة مسد خبر إن، وعبارة البيضاوي: ويجوز أن يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة ساداً مسد خبر إن، أي: إنكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها اهـ.

وعلى هذا فيحسن السكوت على تعبدون كما يحسن في قولك: إن كل رجل وضيعته. وحكى الكسائي: أن كل ثوب وثمنه، والمعنى إنكم مع معبوديكم مقرنون، كما يقدر ذلك في إن كل رجل وضيعته مقترنان اهـ سمين.

﴿بِفَٰتِنِينَ ١٦٢﴾ أي أحداً ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾ في علم الله تعالى، قال جبريل للنبي ﷺ ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ معشر الملائكة أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤﴾ في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ

وقوله: ﴿ما أنتم﴾ الخ كلام آخر، وما نافية. وأنتم: اسمها إن كانت عاملة، أو مبتدأ إن كانت مهملة، والمعنى ما أنتم عليه أي: على ما تعبدونه، فالضمير عائد على ما، وقوله: ﴿بفاتنين﴾ أي: باعثين على طريقة الفتنة، والمفعول محذوف كما قدره الشارح بقوله: (أي: أحداً)، وقوله: ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ مستثنى من المفعول المحذوف، أو هو مفعول بفاتنين إن جعل الاستثناء مفرغاً، والمعنى إلا شخصاً صالياً الجحيم. أي: ومستوجباً لصليها ودخولها في علم الله أي: فإنكم تفتنونه وتحملونه وتبعثونه على عبادة الأصنام. وهذا الاحتمال هو المنطبق على تقدير الشارح كما علمت. وفي المقام احتمال آخر وهو أن ما معطوفة على اسم إن، وجملة ما أنتم خبر إن وما عطف عليه، وأنتم واقع على الخاطبين، وأصنامهم المعبر عنها بما على سبيل تغليب المخاطب على الغائب، والأصل فإنكم ومعبودكم ما أنتم ولا هو فغلب المخاطب، وعليه متعلق بفاتنين، والضمير عائد على الله تعالى، ومفعول فاتنين محذوف، والمعنى أما أنتم ولا معبودكم بفاتنين أي: مفسدين عليه تعالى أحداً من عباده إلا من هو صال الجحيم. يقال: فتن فلان على فلان امرأته أي: أفسدها عليه، وهذا الاحتمال قرره البيضاوي أيضاً وغيره، وقد عرفت أن المنطبق على كلام الشارح هو الأول تأمل.

قوله: ﴿إلا من صال الجحيم﴾ من مفعول بفاتنين والاستثناء مفرغ اهـ سمين.

وهذا من حيث اللفظ، وأما من حيث المعنى فهو استثناء من المفعول الذي قدره الشارح، وصال معتل كقاض فرفعه بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين اهـ شيخنا.

وفي السمين: وقرأ العامة صال الجحيم بكسر اللام لأنه منقوص مضاف حذفت منه لامه لالتقاء الساكنين وحمل لفظ من فأفرده كما أفرد هو اهـ.

قوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ فيه وجهان، أحدهما: أن منا صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ، والخبر الجملة في قوله: ﴿إلا له مقام معلوم﴾ تقديره: ما أحد منا إلا له مقام، وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح. والثاني: أن المبتدأ محذوف أيضاً وإلا له مقام صفة حذف موصوفها، والخبر على هذا هو الجار المتقدم، والتقدير وما منا أحد إلا له مقام معلوم اهـ سمين.

وهذا حكاية لاعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم، والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم، ويحتمل أن يكون هذا وما قبله من قوله: سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة ليتصل بقوله: ولقد علمت الجنة كأنه قال: ولقد علمت الملائكة أن المشركين بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها، وقيل: هو من كلام النبي والمؤمنين، والمعنى ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ في الجنة أو بين يدي الله تعالى في القيامة ﴿وإنا لنحن الصافون﴾ في الصلاة والمنزهون له عن السوء اهـ بيضاوي.

وفي القرطبي: قال مقاتل: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله ﷺ

﴿الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾ أقدامنا في الصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ المنزهون الله عما لا يليق به ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتاباً ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي من كتب الأمم الماضية ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ العبادة له، قال تعالى ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ أي الكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ

عند سدرة المنتهى، فتأخر جبريل فقال النبي ﷺ: أهنا تفارقني فقال جبريل: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني هذا، وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ الآيات. والتقدير عند الكوفيين: وما منا إلا من له مقام معلوم فحذف الموصول وهو من، وتقديره عند البصريين وما منا ملك إلا له مقام معلوم أي: مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير، وقال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي ويسبح. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ: «ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» اهـ.

قوله: (أحد) فيه إشارة إلى أن الآية من باب حذف الموصوف أي: أحد. وإقامة الصفة مقامه أي: إلا له مقام معلوم وهو تابع في هذا للكشاف اهـ كرخي.

قوله: (أقدامنا في الصلاة) يعني في مقام العبودية وفي كلامه إشارة إلى أن مفعول الصافون والمسبحون يكون مراداً ويجوز أن لا يراد البتة أي: نحن من أهل هذا الفعل، فعلى الأول يفيد الحصر ومعناه أنهم هم الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم، وذلك يدل على أن طاعات البشر بالنسبة إلى طاعات الملائكة كالعدم حتى يصح هذا الحصر. قال ابن الخطيب: وكيف يجوز مع هذا الحصر أن يقال البشر أقرب درجة من الملك فضلاً عن أن يقال هو أفضل منه أم لا اهـ كرخي.

قوله: (مخففة من الثقيلة) أي: واسمها ضمير الشأن واللام هي الفارقة أي: أن الشأن كانت قريش تقول: ﴿لو أن عندنا﴾ الخ أي: كانوا يقولون ذلك قبل مبعث النبي اهـ شيخنا.

وعبارة الخازن: ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ يعني: كفار مكة قبل بعثة النبي ﷺ لو أن عندنا ذكراً من الأولين. يعني: كتاباً مثل كتاب الأولين، ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ أي: لأخلصنا العبادة لله فكفروا به أي: فلما أتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون فيه تهديد لهم، انتهت.

ونظير ذلك قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾ [فاطر: ٤٢] والمراد بالنذير الرسول، وقد قيل هنا إن الذكر هو الرسول اهـ.

قوله: ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ أي: وما كنا نخالف، وهذا كقولهم: ﴿لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ [فاطر: ٤٢] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فكفروا به﴾ الفاء فصيحة كما في قوله تعالى: ﴿أن أضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ الخ وجه المناسبة أنه لما هدد الله تعالى الكفار بقوله: ﴿فسوف

﴿كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ١٧١﴾ وهي لأغلبن أنا ورسلي؛ أو هي قوله ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ١٧٢﴾ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤﴾ تؤمر فيه بقتالهم ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥﴾ عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء:

يعلمون﴾ (عاقبة كفرهم) أردافه بما يقوي قلب الرسول فقال: ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اهـ من الرازي.

قال أبو السعود: ولقد سبقت كلمتنا هذا استئناف مقرر للوعيد وتصديره فالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه. أي: وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصر والغلبة اهـ.

قوله: ﴿كلمتنا﴾ (بالنصر) أي: وعدنا به المفهوم من محل آخر، كما قال ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ [المجادلة: ٢١] وقوله: (أو هي) قوله ﴿إنهم لهم المنصورون﴾ أي: فيكون بدلاً من كلمتنا أو تفسيراً لها، وعلى الأول يكون مستأنفاً وإنما سمي الوعد بالنصر كلمة وهو كلمات لانتظامها في معنى واحد، فهو مجاز من إطلاق الجزء على الكل اهـ شهاب.

وقوله: (لانتظامها الخ) قال القسطلاني: والمراد بها القضاء المتقدم منه قبل أن يخلق خلقه في أم الكتاب الذي جرى به القلم بعلو المرسلين على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم الحرب، وعن الحسن: ما غلب نبي في حرب. والحاصل: أن قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة اهـ بحروفه.

وعبارة أبي السعود: ولا يقدح في هذا الوعد انهزامهم في بعض المشاهد، فإن قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة، وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من ابتلاء والمحنة فالحكم للغالب، انتهت

قوله: ﴿وإن جندنا﴾ في المصباح: الجند الأنصار والأعوان، والجمع أجناد وجنود الواحد جندي، فالياء للوحدة مثل روم ورومي، وجند بفتحتين بلد باليمين اهـ.

قوله: ﴿وإن لم ينتصر بعض منهم﴾ الخ أشار بهذا إلى جواب سؤال مقدر وهو أنه قد شوهد غلبة حزب الشيطان في بعض المشاهد كأحد، فقوله: ﴿غالبون﴾ أي: باعتبار الغالب فقد يعطى الأكثر حكم الكل ويلحق القليل بالعدم، أو يقال في الجواب معنى غالبون أي: باعتبار عاقبة الحال وملاحظة المآل وهو ما جرى عليه الشيخ المصنف. واقتصر البيضاوي على الجواب الأول لما في الوعدين من الدلالة على الثبات والاستهزاء اهـ كرخي.

قوله: ﴿حتى حين﴾ أي: إلى زمن يسير نؤمر فيه بقتالهم فقوله: (بقتالهم) أي: بجهادهم، فكان ﷺ أول الأمر مأموراً بالتبليغ والإنذار والصبر على أذى الكفار تأليفاً لهم، ثم أمر بالجهاد في السنة الثانية من الهجرة اهـ زيادي على المنهج.

قال ابن حجر: وغزواته ﷺ سبع وعشرون غزوة قاتل في ثمان منها بنفسه بدر، وأحد، والمصطلق، والخندق، وقريظة، وخيبر، وحنين والطائف اهـ.

قوله: ﴿وأبصرهم﴾ (إذا نزل بهم العذاب) أي: من القتل والأسر، والمراد بالأمر الدلالة على أن

متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس صباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾﴾ ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

ذلك كائن قريب كأنه أمامه لأن أمره بمشاهدة ذلك وهو لم يقع يدل على أنه لشدة قربه كأنه حاضر قدامه مشاهد له خصوصاً إذا قيل إن الأمر للفور اهـ شهاب.

قوله: ﴿فسوف يبصرون﴾ سوف هنا للوعيد لا للتبعيد، إذ ليس المقام مقامه كما تقول سوف أنتقم منك وأنت متهيىء اهـ كرخي.

قوله: ﴿بساحتهم﴾ الساحة: الفناء الخالي من الأبنية وجمعها سوح، فألفها منقلبة عن واو فتصغر على سويحة، وبهذا يتبين ضعف قول الراغب إنها من ذوات الياء حيث عدّها في مادة سيح، ثم قال الساحة المكان الواسع، ومنه ساحة الدار، والسائح الماء الجاري في الساحة، وساح فلان في الأرض مرَّ مرور السائح ورجل سائح وسياح اهـ.

ويحتمل أن يكون لها مادتان لكن كان ينبغي أن يذكر ما هي الأشهر أو يذكرهما معاً اهـ سمين.

قوله: (بفنائهم) في المصباح: الفناء مثل كتاب الوصيد وهو سعة أما البيت، وقيل: ما امتد من جوانبه اهـ.

قوله: (تكتفي بذكر الساحة الخ) أي: تستغني على سبيل الكناية، فالمعنى فإذا نزل بهم أي: فالساحة كناية عن القوم. أي: فإذا نزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم، ففي الضمير المستتر في نزل استعارة بالكناية والنزول تخييل اهـ بيضاوي وشهاب.

قوله: (بئس صباحاً الخ) أشار بهذا إلى أن ضمير بئس يعود على المخصوص، وأن التمييز محذوف، وأن المذكور مخصوص لا فاعل اهـ شيخنا.

وفي السمين: والمخصوص بالذم محذوف أي صباحهم اهـ.

والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب، ولما كثرت فيهم الهجوم والغارات في الصباح سموا الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر اهـ بيضاوي.

وقوله: (فيه إقامة الظاهر الخ). أي: في التعبير بالمنذرين فأل عهدية، فكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: المخصوص بالذم محذوف تقديره فساء صباح المنذرين. صباحهم استعير من صباح الجيش المبيت في وزن اسم الفاعل لوقت نزول العذاب، وسموا الغارة صباحاً لكثرة وقوعها فيه، واللام في: المنذرين للجنس، فإن أفعال الذم والمدح تقتضي الشيوع للابهام والتفصيل، فلا يجوز أن تقول بئس الرجل هذا، ونعم الرجل هذا إذا اردت رجلاً بعينه، فلا يجوز أن تكون اللام للعهد اهـ.

قوله: ﴿وأبصر﴾ حذف مفعوله إما اختصاراً لدلالة الأول عليه وإما اقتصاراً اهـ سمين.

كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له ﷺ ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠﴾ بأن له ولداً ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

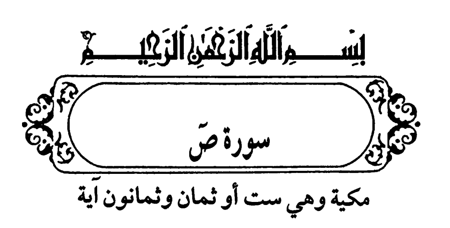
قوله: (وتسلية له) الأولى أن يقول وتسليته ليكون معطوفاً على تهديدهم. أي: تأكيداً لتهديدهم ولتسليته ﷺ، فإنها قد علمت مما تقدم، أفاده القاري اهـ شيخنا.

قوله: ﴿سبحان ربك﴾ الخ الغرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ اهـ خازن.

وفي القرطبي: وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ اهـ.

قوله: ﴿رب العزة﴾ أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل: ذي العزة، كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به، وقيل: المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه، ويترتب على القولين مسألة اليمين، فعلى الأولى ينعقد بها اليمين لأنها صفة من صفاته بخلاف الثاني لا ينعقد بها اليمين اهـ سمين.

قوله: ﴿وسلام على المرسلين﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم اهـ بيضاوي.



مكية وهي ست أو ثمان وثمانون آية

﴿صٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ أي البيان أو الشرف، وجواب هذا

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ

ويقال لها سورة داود اهـ خازن.

ويجوز في ص هذه السكون على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعلمية والتأنيث باعتبار أن هذا الاسم علم على السورة، والجر مع التنوين نظراً إلى كون السورة قرآناً اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ص﴾ فيها قراءات خمسة الجمهور على السكون، وقرىء بالضم من غير تنوين كما قرىء به في ق ون، قرىء بالفتح من غير تنوين كما قرىء به في ق ون، وقرىء بالكسر مع التنوين وبدونه. وقد بسط السمين الكلام على توجيه الكل، وعبارته: قرأ العامة بسكون الدال من صاد كسائر حروف التهجي في أوائل السور وقد مر ما فيه. وقرأ أبي الحسن، وابن أبي إسحاق وابن أبي عبلة، وأبو السماك بكسر الدال من غير تنوين وفيها وجهان، أحدهما: أنه كسر لالتقاء الساكنين وهذا أقرب. والثاني: أنه أمر من المصاداة وهي المعارضة، ومنه صوت الصدى لمعارضته لصوتك، وذلك في الأماكن الخالية، والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه قاله الحسن، وعنه أيضاً: أنه من صاديت أي حادثت، والمعنى حادث الناس بالقرآن. وقرأ ابن أبي إسحاق كذلك إلا أنه نونه وذلك على أنه مجرور بحرف قسم مقدر حذف وبقي عمله كقولهم: الله لأفعلن بالجر إلا أن الجر يقل في غير الجلالة وإنما صرفه ذهاباً إلى معنى الكتاب والتنزيل. وعن الحسن أيضاً، وابن السميقع، وهارون الأعور: صاد بالضم من غير تنوين على أنه اسم للسورة وهو خبر مبتدأ مضمر، أي: هذه صاد ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، وكذا قرأ ابن السميقع وهارون ق ون بالضم على ما تقدم. وقرأ عيسى، وأبو عمرو في رواية محبوب صاد بالفتح من غير تنوين وهي تحتمل ثلاثة أوجه: البناء على الفتح تخفيفاً كأين وكيف، والجر بحرف القسم المقدر، وإنما منع من الصرف للعلمية والتأنيث كما تقدم والنصب بإضمار فعل، أو على حذف حرف القسم نحو قوله:

فذاك أمانة الله الثريد

وامتنعت من الصرف لما تقدم، وكذلك قرأ ق ون بالفتح وهما كما تقدم ولم أحفظ التنوين مع الفتح والضم، انتهت.

القسم محذوف، أي ما الأمر، كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فِى عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ ﴿كَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوا۟﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ

قوله: ﴿والقرآن﴾ تقدم مثله في يس والقرآن، وجواب القسم فيه أقوال كثيرة، أحدهما: أنه قوله إن ذلك لحق قاله الزجاج والكوفيون غير الفراء. قال الفراء: لا نجده مستقيماً لتأخيره، جداً عن قوله: ﴿والقرآن﴾. الثاني: أنه قوله: ﴿كم أهلكنا﴾، والأصل لكم أهلكنا فحذفت اللام كما حذفت في قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] بعد قوله: والشمس لما طال الكلام قاله ثعلب والفراء. الثالث: أنه قوله إن كل إلا كذب الرسل قاله الأخفش. الرابع: أنه قوله ص لأن المعنى والقرآن لقد صدق محمد قاله الفراء وثعلب أيضاً. وهذا بناء منهما على جواز تقدم جواب القسم، وأن هذا الحرف مقتطع من جملة هو دال عليهم وكلاهما ضعيف. الخامس: أنه محذوف. واختلفوا في تقديره، فقال الحوفي: تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه، وقدره ابن عطية ما الأمر كما تزعمون، والزمخشري: إنه لمعجز، والشيخ إنك لمن المرسلين قال: لأنه نظير ﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ [يس: ١] اهـ سمين.

قوله: (أي البيان أو الشرف) عبارة البيضاوي: والمراد العظمة أو الشرف أو الشهوة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من العقائد والشرائع والمواعيد، انتهت.

وفي القرطبي: قال ابن عباس، ومقاتل: معنى ذي الذكر ذي البيان، وقال الضحاك: ذي الشرف أي: أن من آمن به كان شرفاً له في الدارين كما قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ [الأنبياء: ١٠] أي: شرفكم وأيضاً القرآن شريف في نفسه لإعجازه واشتماله على ما لم يشتمل عليه غيره، وقيل: ذي الذكر ما يحتاج إليه من أمر الدين، وقيل: ذي الذكر أي أسماء الله تعالى وتمجيده، وقيل: ذي الذكر أي ذي الموعظة اهـ.

قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾ الخ اضراب وانتقال من قصة إلى أخرى بيّن به سبب قولهم (بتعدد الآلهة) أي: ليس الحامل لهم عليه الدليل، بل مجرد الحمية والخصام والشقاق اهـ شيخنا.

قوله: ﴿كم أهلكنا﴾ الخ هذا وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين، وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز لها اهـ شيخنا.

ومن قبلهم لابتداء الغاية اهـ سمين.

قوله: ﴿فنادوا﴾ أي: القرن. قوله: ﴿ولات حين مناص﴾ هذه التاء كما ترسم مفصولة من حين اتباعاً لبعض المصاحف العثمانية، كذلك يجوز رسمها موصولة بالحاء اتباعاً لبعضها الآخر، فهي مما اختلفت فيه المصاحف، فيجوز فيها الوجهان. ويتبعهما الوقف فبعضهم يقف على التاء، وبعضهم على لا كما هو مقرر في محله. وفي السمين: وفي الوقف عليها مذهبان، المشهور عند العرب وجماهير السبعة بالتاء المجرورة اتباعاً لمرسوم الخط الشريف، والكسائي وحده من السبعة بالهاء، الأول: مذهب الخليل وسيبويه والزجاج والفراء وابن كيسان. والثاني: مذهب المبرد، وأغرب أبو

مَنَاصٍ﴿٣﴾ أي ليس الحين حين قرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل نادوا، أي استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوّفهم النار بعد البعث، وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر

عبيد فقال: الوقف على لا والتاء متصلة بحين، فيقولون: قمت تحين قمت وتحين كان كذا فعلت كذا، وقال: رأيتها في الإمام كذا ولا تحين متصلة والمصاحف إنما هي لات حين، وحمل العامة ما رآه على أنه مما شذ عن قياس الخط كنظائر له مرت اهـ.

قوله: ﴿مناص﴾ أي: فوت ونجاة من ناصة، أي: فاته لا من ناص بمعنى تأخر اهـ أبو السعود.

وفي المختار: النوص التأخر يقال: ناص عن قرنه أي: فر وراغ، وبابه قال ومناصاً أيضاً. ومنه قوله تعالى: ﴿ولات حين مناص﴾ أي: ليس وقت تأخر وفرار، والمناص أيضاً المنجى والمفر اهـ.

وقال النحاس: ويقال ناص ينوص إذا تقدم، فعلى هذا يكون من الأضداد اهـ قرطبي.

قوله: (أي ليس الحين حين فرار الخ) أشار إلى مذهب سيبويه والخليل في لات، وهي أنها تعمل عمل ليس، وأن اسمها محذوف وتقديره: ما ذكره وأن أصلها لا النافية والتاء زائدة كزيادتها في رب، وثم كقولهم رب وثمت، ومذهب الأخفش فيها أنها تعمل عمل إن وأصلها لا النافية زيدت عليها التاء، وحين اسمها وخبرها محذوف أي لا حين مناص لهم ونحوه، وهذه الجملة في محل نصب على الحال من فاعل نادوا كما أشار إليه الشيخ الصنف في التقرير اهـ كرخي.

قوله: (والتاء زائدة) أي لتأكيد النفي.

قوله: (ولا منجى) بالقصر كمرمى من النجاة اهـ شيخنا.

قوله: (وما اعتبر) معطوف على كم أهلكنا الخ.

قوله: ﴿عجبوا﴾ الخ حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم أي: عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرئاسة الدنيوية على معنى أنهم عدوا ذلك أمراً خارجاً عن احتمال الوقوع، وأنكروا أشد الانكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه اهـ أبو السعود.

وفي زاده: ولما حكى الله عن الكفار كونهم في عزة وشقاق أتبعه برمي كلماتهم الفاسدة، فإنهم قالوا إن محمداً مساو لنا في الخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة، فكيف يعقل أنه يختص من بيننا بهذا المنصب العالي، فنسبوه إلى السحر والكذب اهـ.

قوله: (من أنفسهم) أي: من جنسهم في البشرية اهـ بيضاوي.

قوله: (فيه وضع الظاهر) أي: غضباً عليهم وإيذاناً بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولون إلا المتوغلون في الكفر والفسوق اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: (فيه وضع الظاهر موضع المضمر)، أي قالوا: وإنما وضع موضع المضمر

موضع المضمر ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾ ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ أي عجيب ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب، وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله ﴿أَنِ

شهادة عليهم بهذا الوصف القبيح، وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول لما تقرر من أن نسبة أمر إلى المشتق يفيد عليه المأخذ اهـ.

قوله: (ساحر) أي: فيما يظهره من الخوارق كذاب، أي: فيما يسنده إلى الله من الارسال والإنزال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أجعل الآلهة﴾ الخ بأن نفى الألوهية عنها وقصرها على واحد منها اهـ أبو السعود.

والاستفهام تعجبي أي تعجبوا من هذا القصر والحصر، كما أشار له بقوله: (أي كيف يسع الخلق الخ) أي: بعلمه وقدرته. أي: كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد، وسبب تعجبهم هذا قياسهم الغائب على الشاهد اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: قوله: (أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد) منشؤه أن القوم ما كانوا أصحاب نظر واستدلال، بل كانت أوهامهم تابعة للمحسوسات، فلما وجدوا في الشاهد أن الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وأن أسلافهم لكثرتهم وقوة عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا أن كونهم على هذه الحال أن يكونوا مبطلين فيه، ويكون الإنسان الواحد محقاً فلعمري لو كان التقليد حقاً كانت هذه الشبهة لازمة، انتهت.

قوله: (عجيب) أي بليغ في العجب، فإنه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفي علمه وقدرته بالأشياء الكثيرة اهـ بيضاوي.

وفي الكرخي: قوله: (عجيب) أشار إلى أن عجاب مبالغة في عجيب، كقولهم: رجل طوال وأمر سراع عنما أبلغ من طويل وسريع اهـ.

قوله: (عند أبي طالب) روي أنه لما أسلم عمر شق ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأحضره وقال له: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك، فقال النبي ﷺ «ماذا تسألونني؟» فقالوا: ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك وإلهك، فقال: «أرأيتم أن أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم» قالوا: نعم، وعشر أمثالهم. فقال: «قولوا لا إله إلا الله» فقاموا وانطلق الملأ منهم الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (قولوا لا إله إلا الله) أي: سماعهم هذا اللفظ. قوله: (أي يقول بعضهم الخ) أشار بهذا إلى أن تفسيرية أي مفسرة، وذلك لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول، والمعنى وانطلقوا حال كونهم قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا الخ اهـ أبو السعود.

﴿ٱمْشُوا﴾ أي يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ منا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ كذب ﴿أَءُنزِلَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي لم ينزل عليه، قال تعالى ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ وحيي، أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ

وفي الكرخي: قوله: (أي يقول بعضهم الخ) أشار إلى أن القراءة أن امشوا أي: بأن امشوا على أن أن مصدرية وعند اضمار القول تسقط أن، والتقدير: انطلقوا قائلين امشوا، وليس المراد بالمشي المتعارف بل الاستمرار على الشيء اهـ.

وعبارة السمين: قوله: ﴿أن امشوا﴾ يجوز أن تكون مصدرية أي: انطلقوا بقولهم أن امشوا، وأن تكون مفسرة إما لانطلق لأن ضمن معنى القول. قال الزمخشري: لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم اهـ.

وقيل: بل هي مفسرة لجملة محذوفة في محل حال تقديره وانطلقوا يتحاورون أن امشوا، ويجوز أن تكون مصدرية معمولة لهذا المقدر، وقيل: الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام نحو انطلق لسانه فأن مفسرة له من غير تضمين ولا حذف اهـ.

فائدة: جميع القراء يكسرون النون في الوصل من أن امشوا والهمزة في الابتداء من امشوا اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن هذا﴾ تعليل للأمر بالصبر، وقوله: ﴿يراد﴾ (منا) أي يراد منا امضاؤه وتنفيذه لا محالة أي: يريده محمد من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان، وقيل: إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد منا أي: بنا فلا انفكاك لنا عنه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ أي: وإنما سمعنا فيها من أهلها وهم النصارى التثليث اهـ أبو السعود.

قوله: (بتحقيق الهمزتين الخ) أي: فالقراءات أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بل هم في شك﴾ الخ اضراب عن مقدر، فكأنه قال انكارهم للذكر ليس عن علم، بل هم في شك منه اهـ كازروني.

قوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ اضراب انتقالي بيّن به سبب شكهم في القرآن: أي سببه أنهم لم يذوقوا العذاب وأنهم لو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لما لم يذوقوا﴾ أشار إلى أن لما بمعنى لم، وقد مرَّ إيضاحه، فالمعنى لم يذوقوه وذوقهم له متوقع، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم لا ينفعهم حينئذ لأنهم صدقوا مضطرين، وفيه

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ﴾ الغالب ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ من النبوّة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا ﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ إن زعموا ذلك ﴿ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا، وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار ﴿ جُندٌ مَّا ﴾ أي هم جند حقير ﴿ هُنَالِكَ ﴾ أي في تكذيبهم لك ﴿ مَهْزُومٌ ﴾ صفة جند ﴿ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾ صفة جند

إشارة إلى قوله: ﴿بل لما يذوقوا﴾ إضراب عن الاضراب الأول خلاف ما يفهم من الكشاف من تعلقه بالكلامين قبله اهـ كرخي.

قوله: (حينئذ) أي: حين ذاقوه.

قوله: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ أي: بل أعندهم خزائن رحمة ربك، وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من يشاؤون ويصرفوها عمن يشاؤون فيتخيروا للنبوة معض صناديدهم، والمعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فإنه العزيز أي: الغالب الذي لا يغلب، الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء، ثم رشح ذلك فقال: أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما، كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأنه ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فمن أين لهم أن يتصرفوا فيها اهـ بيضاوي.

قوله: (من النبوة) بيان للخزائن أي المخزونات اهـ.

قوله: (إن زعموا ذلك) أي: أن عندهم الخزائن وأن لهم الملك. قوله: ﴿فليرتقوا﴾ الفاء: في جواب شرط مقدر قدره بقوله: (إن زعموا ذلك) أي: المذكور من العندية والملكية اهـ.

وفي أبي السعود: فليرتقوا في الأسباب أي: فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى من يختارون، والسبب في الأصل الوصلة. وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية، وقيل: أبوابها اهـ.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) وقدرها البيضاوي ببل والهمزة اهـ.

قوله: ﴿جند﴾ خبر مبتدأ محذوف كما قدره، وما صفه لجند كما أشار له بقوله: (حقير)، وهنالك ظرف لجند أو صفة لو أو ظرف لمهزوم، والذي بعده، وقوله: (صفة جند) أي صفة ثانية لما علمت أن ما صفة أولى اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: (جند) يجوز فيه وجهان، أحدهما: وهو الظاهر أنه خبر مبتدأ مضمر أي: جند، وما فيها وجهان، أحدهما: أنها مزيدة. والثاني: أنها صفة لجند على سبيل التعظيم للهزء بهم أو للتحقير، فإن ما إذا كانت صفة تستعمل لهذين المعنيين، وقد تقدم هذا في أوائل البقرة. وهنالك يجوز فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون خبراً لجند، وما مزيدة، ومهزوم نعت لجند ذكره مكي. الثاني: أن تكون صفة لجند. الثالث: أن يكون منصوباً بمهزوم. ومهزوم يجوز فيه أيضاً وجهان، أحدهما: أنه خبر ثان لذلك المبتدأ المقدر، والثاني: أنه صفة لجند إلا أن الأحسن على هذا الوجه أن لا يجعل هنالك صفة، بل متعلقاً لئلا يلزم تقدم الوصف غير الصريح على الوصف الصريح، وهنالك مشار به

أيضاً، أي كالأجناد، من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ ﴾ كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ

إلى موضع التقاول والمحاورة بالكلمات السابقة وهو مكة أي: سيهزمون بمكة وهو إخبار بالغيب، وقيل: مشار به إلى نصرة الإسلام، وقيل: إلى حفر الخندق يعني إلى مكان ذلك.

الثاني من الوجهين الأولين: أن يكون جند مبتدأ، وما مزيدة، وهنالك نعت، ومهزوم خبره قاله أبو البقاء. قال الشيخ: وفيه بعد لتفلته عن الكلام الذي قبله. قلت: وهذا الوجه المنقول عن أبي البقاء سبقه إليه مكي اهـ سمين.

وفي الخطيب: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب خبر مبتدأ مضمر أي: هم أي: قريش جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب، فمن أين لهم تدبير الإلهية والتصرف في الأمور الربانية فلا تكترث بما تقول قريش. قال قتادة: أخبر الله نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين، فقال تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥] فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم، وقيل: يوم الخندق. قال الرازي: والأصح عندي حمله على يوم فتح مكة، لأن المعنى أنهم جند سيصيرون مهزومين من الوضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات، وذلك الموضع هو مكة وما ذاك إلا في يوم الفتح اهـ.

قوله: (أي في تكذيبهم لك) أي: في حال أو في موضع تكذيبهم لك اهـ.

قوله: (أولئك) أي: الاحزاب.

قوله: ﴿كذبت قبلهم﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنسهم بما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قوم نوح﴾ أي: كذبوا رسولهم نوحاً وكذا يقدر فيما بعده اهـ شيخنا.

قوله: (باعتبار المعنى) وهو أنهم أمة وطائفة وجماعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذو الأوتاد﴾ أي: ذو الملك الثابت بالأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده، أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء اهـ بيضاوي والسمين.

والأوتاد هنا استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر، وبيت الشعر لا يثبت إلا بالأوتاد والأطناب اهـ.

قوله: (كان يتد) من باب وعد أي: يدق ويغرز ويهيىء، والأوتاد جمع وتد وفيه لغات فتح الواو وكسر التاء وهي الفصحى، وبفتحتين وود بإدغام التاء في الدال بوزن وج اهـ سمين.

وفي المصباح: الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد، وفتح التاء لغة، وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود، ووتدت الوتد أتده وتداً من باب وعد أثبته بحائط أو بالأرض، وأوتدته بالألف لغة اهـ.

لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لَـْٔيْكَةِ﴾ أي الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣﴾ ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ ۝١٤﴾ ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة تحل بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾ بفتح الفاء وضمها: رجوع ﴿وَقَالُواْ﴾ لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الخ ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي كتاب

قوله: (يشد إليها يديه الخ) أي: ويضجعه مستلقياً على ظهره اهـ خازن.

وقوله: (ويعذبه) قيل يتركه حتى يموت، وقيل: يرسل عليه العقارب والحيات اهـ خازن.

قوله: (أي الغيضة) أي: الأشجار الملتفة المجتمعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك الأحزاب﴾ إما بدل من الطوائف المذكورة وقوله: ﴿إن كل﴾ الخ استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم وبياناً لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه. أي: ما كل واحد من آحاد أولئك الأحزاب، أو ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل، وإما جملة مستأنفة. وقوله: ﴿إن كل﴾ الخ كذلك وإما مبتدأ، وقوله: ﴿إن كل﴾ الخ خبره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ إن نافية ولا عمل لها هنا البتة لانتقاض النفي بإلاّ فإن انتقاضه مع الأصل وهو ما مبطل فكيف بفرعها اهـ سمين.

قوله: ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ الخ شرع في بيان عقاب كفار مكة أثر بيان عقاب إخوانهم من الأحزاب الذين أخبر عنهم فيما سبق أنهم جند حقير مهزوم عن قريب اهـ أبو السعود.

قوله: (وهي نفخة القيامة) أي: الثانية.

قوله: ﴿ما لها من فواق﴾ يجوز أن يكون لها رافعاً لمن فواق بالفاعلية لاعتماده على النفي، وأن يكون جملة من مبتدأ وخبره، وعلى التقديرين فالجملة المنفية في محل نصب صفة لصيحة، ومن مزيدة. وقرأ الأخوان فواق بضم الفاء والباقون بفتحها، فقيل: هما لغتان بمعنى واحد، وهما الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، والمعنى ما لها من توقف قدر فواق ناقة. وفي الحديث: «العيادة قدر فواق ناقة»، وهذا في المعنى كقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة﴾ [الأعراف: ٣٤] وقال ابن عباس: ما لها من رجوع من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته، وأفاقت الناقة ساعة ليرجع اللبن إلى ضرعها. يقال: أفاقت الناقة تفيق إفاقة رجعت واجتمعت الفيقة في ضرعها، والفيقة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين ويجمع على أفواق، وأما أفاويق فجمع الجمع، ويقال ناقة مفيق ومفيقة، وقيل: فواق بالفتح الإفاقة والاستراحة كالجواب من أجاب قاله المؤرخين السدوسي والفراء، ومن المفسرين ابن زيد، والسدي، وأما المضموم فاسم لا مصدر، والمشهور أنها بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه اهـ سمين.

وفي المختار: الفواق الزمن الذي بين الحلبتين لأنها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب. يقال: ما أقام عنده إلا فواقاً، وفي الحديث: «العيادة قدر فواق ناقة» وقوله تعالى: ﴿من فواق﴾ يقرأ بالفتح والضم أي: ما لها من نظرة وراحة وإفاقة اهـ.

قوله: (لما نزل فأما من أوتي كتابه) أي: الذي في الحاقة.

أعمالنا ﴿قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ قالوا ذلك استهزاء، قال تعالى ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ أي القوة في العبادة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم

قوله: ﴿قطنا﴾ أي: نصيبنا وحظنا، وأصله من قط الشيء أي قطعه، ومنه قط القلم. والمعنى قطعة مما وعدتنا به، ولهذا يطلق على الصحيفة والصك قط لأنهما قطعتان يقطعان، وقيل: للجائزة أيضاً قط لأنها قطعة من العطية، ويجمع على قطوط مثل حمل وحمول، وعلى قططة مثل قرد وقردة وقرود، وفي القلة على أقططة وأقطاط مثل قدح وأقدحه وأقداح اهـ سمين.

قوله: (أي كتاب أعمالنا) سمي قطاً أي مقطوعاً من القط وهو القطع، لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قبل يوم الحساب﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿واذكر عبدنا داود﴾ أي: تذكر قصته وصن نفسك عن أن تترك ما كلفت به من مصابرتهم وتحمل أذاهم لئلا يلقاك من المعاتبة مثل ما وقع له اهـ أبو السعود.

وهذا شروع في ذكر قصص لجملة من الأنبياء كداود وسليمان وأيوب وغيرهم، والقصد بها تسليته ﷺ أي: اذكر ما حصل لهم من المشاق والمحن فصبروا حتى فرج الله عنهم فصارت عاقبتهم أحسن عاقبة، فكذلك أنت تصبر ويؤول أمرك إلى أحسن مآل اهـ نهر.

وفي زاده ما نصه: المقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كأن الله يقول: يا محمد اصبر على سفاهة قومك، فإنه ما كان في الدنيا أحد أكثر نعمة ولا مالاً ولا جاهاً من داود وسليمان، وما كان أحد أكثر بلاء ومحنة من أيوب، فتأمل في أحوال هؤلاء لتعلم أن أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد، فإن العاقل لا بد له من الصبر على المكاره، واذكر أيضاً إبراهيم حيث ألقي في النار، وصبر إسحاق حيث عرض على الذبح، وصبر يعقوب حيث فقد ولده وذهب بصره اهـ.

قوله: ﴿ذا الأيد﴾ الأيد مفرد بوزن البيع وهو مصدر وليس جمع يد. وفي المصباح: آد الرجل يئيد من باب باع أيداً وإياداً بكسر الهمزة إذا قوي واشتد فهو أيد مثل سيد وهين، ومنه قولهم: أيدك الله تأييداً اهـ.

قوله: (ويقوم نصف الليل الخ) هكذا وقع في كثير من النسخ وهو يوافق تعبير القرطبي والبيضاوي وأبي السعود. ووقع في بعض النسخ: كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهذا هو الموافق لما في الصحيحين: وعبارة الخازن: روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» اهـ.

وفي الكرخي: الذي قاله الجلال السيوطي في الجامع الصغير: «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» رواه الإمام أحمد في مسنده والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن ابن عمر اهـ.

فلعل سيدنا داود عليه السلام كان أحياناً هكذا وأحياناً هكذا اهـ.

سدسه ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ رجاع إلى مرضاة الله ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها ﴿وَ﴾

قوله: ﴿إنه أواب﴾ تعليل لكونه ذا الأيد، ودليل على أن المراد به القوة في الدين اهـ أبو السعود.

قوله: (إلى مرضاة الله) المرضاة بمعنى الرضاء، ففي المختار: والرضوان بكسر الراء وضمها الرضا والمرضاة مثله اهـ.

قوله: ﴿إنا سخرنا الجبال معه﴾ استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وكونه رجاعاً إلى مرضاته تعالى، وإيثار مع على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه، كتسخير الريح وغيرها لسليمان، بل بطريق التبعية له والاقتداء به، أي: بداود في عبادة الله اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يسبحن﴾ أي: يقدسن الله بصوت يتمثل لداود ويخلق الله فيها الكلام، أو بلسان الحال. وقيل: يسرن معه في السياحة اهـ أبو السعود.

وهذه الجملة حالية من الجبال وأتى بها فعلاً مضارعاً دون اسم فاعل، فلم يقل مسبحات دلالة على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء، وقوله: ﴿والطير محشورة﴾ العامة على نصبهما عطف مفعول على مفعول وحال على حال، كقولك ضربت زيداً مكتوفاً وعمراً مطلقاً وأتى بالحال اسماً لأنه لم يقصد أن الفعل وقع شيئاً فشيئاً، لأن حشرها دفعة واحدة أدل على القدرة والحاشر الله تعالى، وقرأ بعضهم برفعهما جعلهما جملة مستقلة من مبتدأ وخبر اهـ سمين.

قوله: (وقت صلاة العشاء الخ) عبارة الخازن: غدوة وعشية اهـ.

ويفهم من كلام القرطبي أن المراد بالعشاء العشاء الأولى وهي المغرب حيث قال: فكان داود يسبح أثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها اهـ.

قوله: (وهو أن تشرق الشمس الخ) وأما شروقها فهو طلوعها. يقال: شرقت الشمس ولم تشرق اهـ أبو السعود أي: طلعت ولم ترتفع.

وفي المختار: وشرقت الشمس طلعت وبابه دخل وأشرقت أضاءت اهـ.

وفي القرطبي: روي عن ابن عباس أنه قال: كنت أمر بهذه الآية بالعشي والإشراق، ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانىء أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى، وقال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق». قال عكرمة: قال ابن عباس: كان في نفسي من صلاة الضحى حتى وجدتها في القرآن يسبحن بالعشي والإشراق قال عكرمة: وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاَّها بعد اهـ.

قوله: (ويتناهى ضوءها) وهو ربع النهار.

سخرنا ﴿ٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ﴾ من الجبال والطير ﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوّيناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ البيان الشافي في كل قصد ﴿۞وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده

قوله: ﴿كلٌّ له﴾ أي: كل من الجبال والطير لداود أي: لأجل تسبيحه. أواب، أي: مسبح، فوضع أواب موضع مسبح، وقيل: الضمير للباري تعالى، والمراد كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى اهـ سمين.

وهذه الجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها مصرح بما فهم منه إجمالاً أي: كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح اهـ أبو السعود.

وهذا يفيد أن اللام للتعليل، وصنيع الشارح يقتضي أنها صلة أواب حيث قال: رجاع إلى طاعته كما تقول رجعت إلى فلان اهـ.

قوله: (بالحرس) بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس وبفتحتين اسم جمع كخدم وزنا ومعنى اهـ شيخنا.

قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل اهـ خازن.

قوله: (النبوة والإصابة في الأمور) عبارة القرطبي: ﴿وآتيناه الحكمة﴾ أي: النبوة قاله السدي. وقال مجاهد: العدل. وقال أبو العالية: العلم بكتاب الله تعالى. وقال قتادة: السنّة. وقال شريح: العلم والفقه وفصل الخطاب. قال أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة: يعني الفصل في القضاء وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل. وقال ابن عباس: بيان الكلام. وقال علي بن أبي طالب: هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وقاله شريح والشعبي وقتادة أيضاً. وقال أبو موسى الأشعري، والشعبي أيضاً: هو قوله أما بعد وهو أول من تكلم بها، وقيل: فصل الخطاب البيان الفاصل بين الحق والباطل، وقيل: هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل، والمعنى هي هذه الأقوال متقارب، وقول علي رضي الله عنه يجمعه لأن موارد الحكم عليه في القضاة ما عدا قول أبي موسى الأشعري اهـ.

قوله: (البيان الشافي) أي: المنبه للمخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه من مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار ونحوها اهـ كرخي.

قوله: (في كل قصد) أي مقصود أي: في كل أمر مقصود. قوله: (التعجب) أي: حمل المخاطب على التعجب أو إيقاعه في التعجب. قوله: (إلى استماع ما بعده) أي: لكونه أمراً غريباً كما تقول لمخاطبك: هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع اهـ شيخنا.

﴿أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ محراب داود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي خبرهم وقصتهم ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل اثنان والضمير بمعناها، والخصم على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة،

قوله: ﴿إذ تسوروا الخ﴾ ظرف لمضاف محذوف أي: نبأ تخاصم وتحاكم الخصم إذ تسوروا، وقوله: ﴿إذ دخلوا﴾ بدل من إذ الأولى أو ظرف لتسوروا اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: بم انتصب إذ؟ قلت: لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ، أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك، لأن إتيان النبأ رسول الله لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود، ولا بالنبأ لأن النبأ واقع في عهد داود، فلا يصح إتيانه رسول الله ﷺ، وأن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصباً، فبقي أن يكون منصوباً بمحذوف وتقديره: وهل أتاك نبأ تخاصم الخصم إذ فاختار أن يكون معمولاً لمحذوف اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ أي: قصدوا سوره ونزلوا من أعلاه والسور الحائط المرتفع اهـ.

قوله: (أي مسجده) أي: البيت الذي كان يدخله ويشتغل فيه بالطاعة والعبادة اهـ خازن.

قوله: (حيث منعوا الدخول عليه الخ) أي: لأنهم أتوه في اليوم الذي كان يتفرغ فيه للعبادة فمنعهم الحرس الدخول من الباب اهـ شيخنا.

قوله: (أي خبرهم الخ) تفسير للنبأ.

قوله: ﴿ففزع منهم﴾ أي: لأنهم نزلوا من فوق على خلاف العادة والحرس حوله، وقوله: ﴿قالوا لا تخف﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية فزعه، كأنه قيل: فماذا قالوا لما شاهدوا فزعه؟ فقال: ﴿قالوا لا تخف﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿خصمان﴾ أي: جئناك لتقضي بيننا اهـ خازن.

قوله: (قيل فريقان) أي: على القول بأن الداخل عليه كان أزيد من اثنين فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكيين، وقوله: (وقيل اثنان) أي: شخصان فقط على القول بأن الداخل المتداعيان فقط، وقوله: (والضمير) أي: ضمير الجمع بمعناها أي: أن المراد به ما فوق الواحد اهـ شيخنا.

قوله: (والخصم يطلق الخ) أي: فالتثنية في خصمان باعتبار إطلاقه على الواحد، والافراد في نبأ الخصم باعتبار إطلاقه على الأكثر وإطلاقه بالاعتبارين بالنظر لأصل معناه إذ هو في الأصل مصدر لخصمه خصماً كضربه ضرباً اهـ شيخنا.

قوله: (وهما ملكان) قيل: هما جبريل وميكائيل اهـ شيخنا.

قوله: (على سبيل الفرض) جواب عما يقال الملائكة معصومون فيف يتصور منهم البغي؟

وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها ﴿ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا

ومحصل الجواب أن هذا الكلام من قبيل المعاريض وليس على سبيل تحقيق البغي من أحدهما على الآخر اهـ خازن.

قوله: (لتنبيه داود على ما وقع له) أي: إيقاظه وإطلاعه على ما وقع له أي: منه وفي المختار: ونبهه غيره تنبيهاً أيقظه، ونبهه أيضاً على الشيء أطلعه عليه فتنبه هو عليه اهـ.

أي اطلع عليه وفطن له اهـ.

والذي وقع له هو طمعه في زوجة وزيره وطلبها منه. قوله: (وكان له تسع الخ) هذا بيان لما وقع منه.

قوله: (وطلب امرأة شخص) أي: لما وقع في قلبه محبتها وتعلقه بها لسر يعلمه الله تعالى، وهو أنه لما تزوجها أتت له بسليمان عليه الصلاة والسلام، فهي أمه. واسم ذلك الشخص أوريا بن حنان اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: وطلب امرأة شخص فاستحيا الشخص وهو أوريا أن يرده وطلقها، وكان ذلك جائزاً في شريعة داود معتاداً فيما بين أمته غير مخل بالمروءة، فكان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل عن زوجته فيتزوجها إذا أعجبته، وقد كان الأنصار في صدر الإسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير. خلا أن داود عليه السلام لعظيم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته، ويسأل رجلاً ليس له إلاَّ امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه، بل كان المناسب له أن يغلب هواه ويصبر على ما امتحن به، وقيل: لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام، فآثره عليه السلام أهلها، فكان ذنبه عليه السلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا. وأما ما يذكر من أنه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد إليها فطارت، فوقفت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء، فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت، وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله تعالى على يده أو يستشهد، ففتح الله تعالى على يده وسلم، فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل، وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته. فهو إفك مبتدع مكروه ومكر مخترع تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع، ويل لمن ابتدعه وأشاعه وتباً لمن اخترعه وأذاعه، ولذلك قال علي رضي الله عنه: من حدث بحديث داود عليه السلام ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وذلك حد الفرية أي: الكذب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هذا، وقد قيل: إن قوماً قصدوا أن يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه، فوجدوا عنده أقواماً فتصنعوا بهذا التحاكم، فعلم عليه السلام غرضهم فهمَّ بأن ينتقم منهم، فظن أن ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به، انتهت.

وفي الخازن: قال الإمام فخر الدين: حاصل هذه القصة يرجع إلى السعي في قتل رجل مسلم

﴿تُشْطِطْ﴾ تجر ﴿وَٱهْدِنَآ﴾ أرشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ وسط الطريق الصواب ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي على

بغير حق وإلى الطمع في زوجته وكلاهما منكر عظيم، فلا يليق بعاقل أن يظن بداود عليه الصلاة والسلام هذا، فإن قلت: في الآية يدل على صدور الذنب منه، وهو قوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وقوله: ﴿فاستغفر ربه﴾ وقول: ﴿وأناب﴾ وقوله: ﴿فغفرنا له﴾ ذلك. قلت: ليس في هذه الألفاظ شيء مما يدل على ذلك وذلك لأن مقام النبوة أشرف المقامات وأعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف وأسناها، فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله تعالى على ذلك وغفره لهم كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت: فعلى هذا القول فما معنى الامتحان في الآية؟ قلت: ذهب المحققون من علماء التفسير وغيرهم في هذه القصة إلى أن داود عليه الصلاة والسلام ما زاد على أن قال للرجل: أنزل عن امرأتك واكفلنيها، فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا، وقيل: إن داود تمنى أن تكون امرأة أوريا له، فاتفق غزو أوريا وهلاكه في الحرب، فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده، ثم تزوج امرأته فعاتبه الله تعالى على ذلك، لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى وقيل: إن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود فزوجت نفسها منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة. ويدل على صحة هذا الوجه قوله: ﴿وعزني في الخطاب﴾، فدل هذا على أن الكلام كان بينهما في الخطبة، ولم يكن قد تقدم تزوج أوريا لها فعوتب داود بشيئين، أحدهما: خطبته على خطبة أخيه. والثاني: إظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه. وقيل: إن ذنب داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب أوريا والمرأة، وإنما هو بسبب الخصمين، وكونه قضى لأحدهما قبل سماع كلام الآخر، وقيل هو قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فحكم على خصمه بكونه ظالماً بمجرد الدعوى، فلما كان هذا الحكم مخالفاً للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة، فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام مما نسب إليه والله أعلم اهـ.

قوله: (وتزوجها) معطوف على مقدر صرح به غيره. أي: فأجابه الرجل ونزل له عنها وطلقها وتزوجها داود بعد انقضاء عدتها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولا تشطط﴾ العامة على ضم التاء وسكون الشين وكسر الطاء الأولى من أشطط يشطط إشطاطاً إذا تجاوز الحد. قال أبو عبيدة: شططت في الحكم وأشططت فيه إذا جرت، فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل، وإنما فكه على أحد الجائزين كقوله: ومن يرتدد، وقد تقدم تحقيقه. وقرأ الحسن، وأبو رجاء، وابن أبي عبلة: تشطط بفتح التاء وضم الطاء الأولى من شط بمعنى أشط كما تقدم، وقرأ قتادة تشط من أشط رباعياً إلا أنه أدغم وهو أحد الجائزين كقراءة من قرأ ﴿ومن يرتد منكم﴾ [المائدة: ٥٤] وعنه أيضاً تشطط بفتح الشين وكسر الطاء الأولى مشددة من شطط يشطط والتثقيل فيه للتكثير، وقرأ زر بن حبيش تشاطط من المفاعله اهـ سمين.

قوله: (وسط الطريق الصواب) أي: العدل.

ديني ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣﴾ أي الجدال وأقره الآخر على ذلك ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ الشركاء ﴿لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ

قوله: ﴿إن هذا أخي﴾ الخ مبني على مقدر أي فقال لهما داود: تكلما، فقال أحدهما: إن هذا أخي الخ اهـ خازن.

قوله: (أي على ديني) أي: فليس المراد أخوه للنسب اهـ شيخنا.

قوله: (يعبر بها) أي: يكني بها عن المرأة. قال النحاس: والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب، وقد يكني عنها بالبقرة والحجر والناقة لأن الكل مركوب اهـ.

قوله: (أي اجعلني كافلها) هذا هو المعنى الأصلي والمراد هنا ملكنيها وانزل عنها اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي، وقيل: اجعلها كفلي ونصيبي اهـ.

وفي المختار: كفل عنه بالمال لغريمه وأكفله بالمال ضمنه إياه وكفله إياه بالتخفيف فكفل هو من باب نصر ودخل وكفله إياه تكفيلاً مثله اهـ.

قوله: ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي، أتى بحجاج لا أقدر على رده اهـ أبو السعود.

أي: لأنه أفصح مني في الكلام وإن حارب كان أبطش مني لقوة ملكه، فالغلبة كانت له علي لضعفي في يده، وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود اهـ خازن.

وفي المختار: وعز عليه غلبه وبابه رد، وفي المثل من عز بز أي: من غلب والاسم العزة وهي القوة والغلبة وعز في الخطاب وعازه أي: غلبه اهـ.

قوله: (وأقره الآخر) أي: المدعى عليه. أي: أقر المدعي على ما ادعى به، وهذا جواب عما يقال كيف حكم داود، وقال: ﴿لقد ظلمك﴾ الخ مع أن المدعى عليه لم يذكر جواباً للمدعي، فأجاب بأنه أقر واعترف بها وإن كان جوابه لم يذكر في الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولقد ظلمك﴾ لام قسم، وقوله: ﴿إلى نعاجه﴾ متعلق بمحذوف قدره الشارح اهـ.

قوله: ﴿بسؤال نعجتك﴾ مصدر مضاف لمفعول والفاعل محذوف. أي: بأن سألك نعجتك وضمن السؤال معنى الإضافة والانضمام أي: بإضافة نعجتك على سبيل السؤال اهـ سمين.

قوله: ﴿من الخلطاء﴾ (الشركاء) أي: الذين خلطوا أموالهم اهـ بيضاوي.

وهذا يدل على أن داود حمل النعجة على حقيقتها فكيف يفسر الخطاب بالمبالغة في الخطبة، مع أن الخطبة لا تكون إلا فيما يصنح للتزويج إلا أن يقال إن قوله: ﴿وإن كثيراً﴾ من الخلطاء مبني على أنه عليه السلام شبه حالهم بحال الخلطاء من حيث اطلاع بعضهم على أسباب بعض وأملاكه اهـ زاده وشهاب.

مَّا هُمْۗ﴾ ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال تعالى ﴿وَظَنَّ﴾ أي أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي ساجداً ﴿وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي

قوله: ﴿ليبغي بعضهم﴾ اللام لام التوكيد وقعت في خبر إن، وقوله: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء متصل. قوله: ﴿وقليل﴾ خبر مقدم، وهم مبتدأ مؤخر، وقوله: (ما لتأكيد القلة) أي: زائدة لتأكيد القلة. قوله: (صاعدين) حال. وقوله: (في صورتيهما) أي: الأصلية.

قوله: ﴿فتنبه داود﴾ أي: علم أنهما يريدانه بهذا التلويح وهذه الكناية وهذا التمثيل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أنما فتناه﴾ ما: هي الكافة التي تهيىء هذا الحرف وأخواته للدخول على الأفعال فهي زائدة، فامعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه لذلك ولاحظه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فاستغفر ربه﴾ أي: سأل ربه الغفران وخر راكعاً وأناب أي: ساجداً عبر بالركوع عن السجود لأن كل واحد منهما فيه انحناء، وقيل: معناه وخر ساجداً بعدما كان راكعاً. قال المفسرون: سجد داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً إلى تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة. وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور. سبحان الحائل بين القلوب. سبحان خالق النور. إلهي خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي سبحان خالق النور إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر. سبحان خالق النور إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال: هذا داود الخاطىء سبحان خالق النور إلهي عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي. سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخطائين. سبحان خالق النور إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده. سبحان خالق النور إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك. سبحان خالق النور إلهي أن لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم. سبحان خالق النور إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب سبحان خالق النور. إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور. إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي سبحان خالق النور. إلهي أغفر ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور. إلهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور. إلهي فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور.

قيل: مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم. أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر؟ فأجيب في غير ما طلب ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فحزن حتى هاج ما حوله من العشب، فاحترق من حرارة جوفه، ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة. قال وهب: إن داود أتاه نداء إني قد غفرت لك. قال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه. قال: فانطلق داود وقد لبس

. . . .

المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى: يا أوريا. فقال: من هذا الذي قطع عليَّ لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود. قال: ما جاء بك يا نبي الله؟ قال: أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك. قال وما كان منك إليَّ؟ قال: عرضتك للقتل. قال: بل عرضتني للجنة فأنت في حل. فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالتعنت فهلا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته. قال: فرجع فناداه فأجابه فقال: من هذا الذي قطع عليَّ لذتي؟ قال: أنا داود. قال: يا نبي الله أليس قد عفوت عنك؟ قال: نعم، ولكن إنما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها. قال: فسكت ولم يجبه ودعاه مرة فلم يجبه وعاوده فلم يجبه، فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى: الويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط سبحان خالق النور. الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار سبحان خالق النور. فأتاه النداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك. قال: يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني. قال: يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم ترعيناه ولم تسمع أذناه، فأقول له رضيت يا عبدي. فيقول: يا رب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي، قال: يا رب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي، فذلك قوله: ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك﴾ أي: الذنب وإن له عندنا أي: يوم القيامة بعد المغفرة لزلفى أي: لقربى ومكانه وحسن مآب أي: حسن مرجع ومنقلب.

قال وهب بن منبه: إن داود عليه الصلاة والسلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام يوم للقضاء بين بني إسرائيل ويوم لنسائه، ويوم يسيح في الجبال والفيافي، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك، فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير، فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال ويرفع صوته يبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته ويبكي فتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطين الماء، فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح داود عل نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب، فيبسط فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها، ويجيء بأربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي، فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلاة والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله، ويأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه ويقول: يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله.

وعن الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «إن مثل عيني داود عليه الصلاة والسلام كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدش الدمع في وجهه كخدش الماء في الأرض». وقال وهب: لما تاب الله تعالى على داود وقال: يا رب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم

زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ ۝٢٥﴾ مرجع في الآخرة ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا

القيامة. قال: فوسم الله تعالى خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته، وكان يبدأ إذا دعا أو استغفر بالخاطئين قبل نفسه. وعن الحسن قال: كان داود عليه الصلاة والسلام بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول: تعالوا إلى داود الخاطىء، ولا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه، وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه، وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول: هذا أكل الخاطئين. قال: وكان داود عليه الصلاة والسلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله، وقام الليل كله. وقال ثابت: كان داود إذا ذكر عقاب الله انخلعت أوصاله فلا يشدها إلا الإسار، وإذا ذكر رحمة الله تراجعت. وقيل: إن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي إلى قراءته، وقيل: إنها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك اهـ خازن.

وفي المصباح: والإسار بوزن كتاب القد.

قوله: ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أي: ذلك الذنب وهو مفعول غفرنا اهـ.

قوله: ﴿يا دواد إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ إما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل، وإما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا، أو حال من فاعله، أي: وقلنا له أو قائلين له داود الخ. أي: استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، وفيه دليل بين على أنه حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبله لم تتغير قط اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي: بالعدل، لأن الأحكام إذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الإلهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات، وإذا كانت الأحكام على وفق الأهوية وتحصيل مقاصد الأنفس أفضى إلى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق، وذلك يفضي إلى هلاك ذلك الحاكم اهـ كرخي.

قوله: ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بالنصب على أنه جواب النهي، وقيل: هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين أي: فيكون الهوى أو اتباعه سبباً لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تشريعاً وتكويناً، وقوله: ﴿إن الذين﴾ الخ تعليل لما قبله ببيان غائلته اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بما نسوا﴾ أي: بسبب نسيانهم يوم الحساب. يوم: إما مفعول لنسوا أو ظرف لقوله: ﴿لهم﴾ أي لهم عذاب شديد في يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم اهـ أبو السعود. والمتبادر من صنيع الشارح هو الأول، والمراد بنسيانه ترك الإيمان به اهـ.

قوله: (المرتب عليه الخ) نعت لنسيانهم أشار به إلى السبب الحقيقي في استحقاقهم العذاب،

في الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ أي عبثاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ﴾ واد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطى في

وهو ترك الإيمان لا نسيان يوم الحساب، لكن لما كان ترك الإيمان مرتباً ومسبباً عن النسيان المذكور اكتفى في الآية بذكر السبب، وقوله: (ولو أيقنوا) الخ دليل للترتيب المذكور، وفيه أنه إن أريد بقوله لآمنوا في الدنيا إيمانهم بيوم الحساب لزم عليه اتحاد الشرط، والجواب وإن أريد به الإيمان النافع وهو الإيمان بكل ما جاء به محمد ﷺ، ورد عليه عدم صحة الملازمة لإمكان أن يؤمنوا بخصوص يوم الحساب ويكذبوا في شيء آخر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض﴾ الخ كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله من أمر البعث والحساب والجزاء اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿باطلاً﴾ يجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أو حالاً من ضميره، أي: خلقاً باطلاً، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل خلقنا أي: مبطلين أو ذوي باطل ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله أي: للباطل وهو العبث اهـ سمين.

قوله: ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي: مظنونهم فإن جحودهم لأمر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر الخلوه عن الحكمة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فويل للذين كفروا﴾ مبتدأ وخبر، والفاء لإفادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل، كما أو وضع الموصول موضع ضميرهم للإشعار بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: وقوله) ﴿للذين كفروا﴾ أي لهم، فوضع الموصول موضع الضمير للإشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له بسبب هذا الظن اهـ.

وقوله: ﴿من النار﴾ أي: فيها اهـ.

قوله: ﴿أم نجعل الذين آمنوا﴾ الخ أم منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مرّ من نفي خلق العالم خالياً عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من إنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه، وآكده أي بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياء الدنيا، بل الكفرة أوفر حظاً فيها من المؤمنين، لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتماً لرفع الأولين إلى أعلى عليين ورد الآخرين إلى أسفل سافلين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم الحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة، وهو التسوية

الآخرة مثل ما تعطون، وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدإ محذوف، أي هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟﴾ أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ ينظروا في معانيها فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ أصحاب العقول ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أي سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفوناً ﴿ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾﴾ جمع جواد وهو السابق، المعنى: أنها

بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام، ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين، ويكون التكوين باعتبار وصفين آخرين هما أدخل في إنكار التسوية من الوصفين، وقيل: قال كفار قريش إنا نعطي في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت اهـ أبو السعود.

قوله: (بمعنى همزة الانكار) أي: مع بل التي للإضراب الانتقالي كما علمت اهـ.

قوله: ﴿كتاب﴾ يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أي: هذا كتاب، وأنزلناه، صفة. ومبارك: خبر مبتدأ مضمر أو خبر ثان، ولا يجوز أن يكون نعتاً ثانياً، لأنه لا يتقدم عند الجمهور غير الصريح على الصريح، ومن يرى ذلك استدل بظاهرها، وقوله: ﴿ليدبروا آياته﴾ متعلق بأنزلناه، وقرىء مباركاً بالنصب على الحال اللازمة لأن البركة لا تفارقه اهـ سمين.

قوله: (أدغمت التاء) أي: بعد قلبها دالاً. قوله: ﴿آياته﴾ أي: التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ووهبنا لداود﴾ أي: من المرأة التي أخذها من أوريا اهـ شيخنا.

وتقدم أن قصتها كانت بعد أن بلغ داود سبعين سنة. فيكون قد رزق سليمان بعد السبعين ولينظر في أي سنة بعد السبعين. قوله: (أي سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح، وقوله: ﴿إنه أواب﴾ تعليل لمدحه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إذا عرض عليه﴾ منصوب بمقدر أي اذكر يا محمد وقت أن عرض على سليمان الخ. أي: اذكر القصة الواقعة في هذا الوقت اهـ شيخنا.

قوله: (ما بعد الزوال) أي: إلى الغروب. قوله: (وهي القائمة) أي؛ الواقفة على ثلاث أي: من قوائمها. وقوله: (وإقامة الأخرى) منصوب على أنه مفعول معه، وقوله: (على طرف الحافر) أي من رجل أو يد. وفي نسخ بالتاء المجرورة فيكون فعلاً ماضياً وتكون الجملة حالاً بتقدير قد اهـ شيخنا.

وفي المختار: الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وقد صفن الفرس من باب جلس، والصافن من الناس الذي يصف قدميه وجمعه صفون اهـ.

قوله: (جمع جواد) يطلق الجواد على كل من الذكر والأنثى اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿الجياد﴾ جمع جواد أو جود، وهو الذي يسرع في جريه. وقيل: الذي يجود في الركض، وقيل: جمع جيد اهـ.

إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر، لإرادته الجهاد عليها لعدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتمّ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ﴾ أي أردت ﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ أي الخيل ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أي صلاة العصر

وفي المسين: والجياد إما من الجودة، يقال: جاد الفرس يجود بالفتح والضم فهو جواد للذكر والأنثى، والجمع جياد وأجواد وأجاويد جمع لجود بالفتح كثوب وثياب، وقيل جمع جيد. وإما من الجيد وهو العنق، والمعنى طويلة الأعناق وهو دال على فراهتها اهـ.

قوله: (المعنى) أي معنى الوصفين. قوله: (وإن ركضت سبقت) في المختار: الركض الضرب بالرجل، ومنه قوله تعالى: ﴿أركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] وبابه نصر وركض الفرس برجله استحثه ليعدو، ثم كثر حتى قيل ركض الفرس إذا عدا وليس بالأصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض اهـ.

قوله: (وكانت ألف فرس) روي أنه غزا أهل دمشق ونصيبين، وأصاب منهم ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه، وقيل: خرجت له من البحر ولها أجنحة أبو السعود.

قوله: (لإرادته الجهاد) أي: ليختبر صلاحيتها له.

قوله: ﴿فقال إني أحببت﴾ الخ أي: قال ما ذكر اعترافاً بما صدر منه وندماً عليه وتمهيداً لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار آخر العرض الممتد دون ابتدائه، والتأكيد بإن للدلالة على أن اعترافه وندمه ناشىء عن صميم القلب اهـ أبو السعود.

قوله: (أي أردت) ضمن معنى آثرت كما عبر به غيره، ولهذا عدي بعن اهـ.

قوله: ﴿حب الخير﴾ فيه أوجه، أحدها: أنه مفعول أحببت لأنه بمعنى آثرت، وعن علي هذا بمعنى على. والثاني: أن حب مصدر على حذف الزوائد والناصب له أحببت. والثالث: أنه مصدر تشبيهي أي: حباً مثل حب الخير. والرابع: أنه قيل ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعن. والخامس: أن أحببت بمعنى لزمت. والسادس: أن أحببت من أحب البعير إذا سقط وبرك من الإعياء، والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون حب الخبر على هذا مفعولاً من أجله اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: قوله: (أي: أردت) أشار به إلى أن أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن أي أردت حب الخير مجزياً أو مغنياً عن ذكر ربي اهـ.

والخير: المال الكثير، والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام، ويحتمل أنه سماها خيراً لتعلق الخير بها. قال عليه الصلاة والسلام: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة» اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: يعني بالخير الخيل، والعرب تسميها كذلك، ويعاقب بين الراء واللام فتقول: انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت. قال الفراء: الخير في كلام العرب، والخيل واحد اهـ.

قوله: ﴿وعن ذكر ربي﴾ يجوز أن يكون مضافاً للمفعول أي: عن أن أذكر ربي، وأن يكون مضافاً للفاعل أي: عن أن يذكرني ربي اهـ سمين.

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي الشمس ﴿بِالْحِجَابِ ۝٣٢﴾ أي استترت بما يحجبها عن الأبصار ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ أي الخيل المعروضة فردّوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ ۝٣٣﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى، حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوَّضه

قوله: ﴿بالحجاب﴾ يقال: إن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه اهـ خازن.

قوله: ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ أي: جعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف. هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين، وكان ذلك مباحاً له، لأن نبي الله لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب آخر وهو عقر الخيل. وقال محمد بن إسحاق: لم يعنفه الله تعالى على عقره الخيل إذا كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربه عز وجل، وقيل: إنه ذبحها وتصدق بلحومها، وقيل: معناه أنه حبسها في سبيل الله تعالى وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة. وحكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: معنى قوله: ﴿ردوها علي﴾ يقول بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر في وقتها. قال الإمام فخر الدين الرازي: التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن تقول إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في ديننا، ثم إن سليمان عليه الصلاة والسلام احتاج إلى غزو، فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها، وذكر أنني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه، وهو المراد بقوله: ﴿عن ذكر ربي﴾، ثم إنه عليه الصلاة والسلام أمر بإعدائها واجرئها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره، ثم أمر برد الخيل إليه وهو قوله: ﴿ردوها عليَّ﴾، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها. والغرض من ذلك المسح أمور، **الأول**: تشريفها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو. **الثاني**: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ إلى أنه يباشر الأمور بنفسه. **الثالث**: أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره، فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم فيها ما يدل على المرض، فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق عليه حفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات. والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة، فإن قيل: فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه؟ فنقول: لنا ههنا مقامان. المقام الأول: أن ندعي أن لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها، وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً لا يرتاب عاقل فيه. المقام الثاني: أن يقال هب أن لفظ الآية يدل على أنه كلام ذكره الناس، وإن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات اهـ خازن.

قوله: ﴿مسحاً﴾ المسح القطع، ففي المختار: ومسحه بالسيف قطعه اهـ.

فلذا قال الشارح: بالسيف اهـ.

قوله: (أي ذبحها) أي: ذبح التي شغلته وهي التي عرضت عليه وهي التسعمائة، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها وما في أيدي الناس من الخيل الجياد، فمن نسل تلك المائة أفاده أبو السعود والخازن.

الله تعالى خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه بسلب

قوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه. وكان سبب ذلك ما روي عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن، ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، وإنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبى ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسناً وجمالاً فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حباً لم يحب مثله أحداً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، فقال سليمان: فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك. قالت: إن ذلك كذلك، ولكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه، فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائدها أي: جواريها فتسجد له ويسجدون له كما كانت تصنع في ملكه، أي: أبيها وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقاً له، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبي الله إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال سليمان: في داري؟ قال: في دارك. قال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ولا ينسخها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها، ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به في ثيابه تذللاً إلى الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى. ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: هات خاتمي يا أمينة فناولته إياه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والأنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمينة خاتمي. قال: من أنت؟ قال: سليمان بن داود، فقالت: كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل، ويقول: أنا سليمان بن داود فيحثون عليه

. . . .

التراب ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوي الأخرى فيأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً مدة ما كان يعبد الوثن في داره، ثم إن آصف وعظماء بني إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ فقالوا: نعم. فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرَّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه، فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان أحداهما بأرغفة وبقر بطن الأخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه وجعله في يده وخرَّ لله ساجداً، وعكف عليه الطير والجن، وأقبل الناس عليه، وعرف أن الذي كان دخل عليه لما كان أحدث في داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد فطلبوه حتى أخذوه فأتى به فأدخله جوف صخرة وسد عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر. قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، وأن الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا، والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال سليمان: «لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهم جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الله الذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

وفي رواية: لأطوفن بمائة امرأة، فقال الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل فنسي. قال العلماء: والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته، لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني، وقيل: نسي أن يستثني، كما صح في الحديث لينفذ أمر الله ومراده فيه. وقيل: إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين، وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السماء خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغل في بعض مهماته إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه، فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه لخطئه فاستغفر ربه، فذلك قوله عز وجل: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ الخ اهـ خازن.

وتقدم في الشارح أن سليمان عاش ثلاثاً وخمسين سنة، وأعطي الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وذكر العمادي أنه فتن بهذه الفتنة بعد أن مضى له في الملك عشرون سنة، وعاش بعد عوده عشرين سنة، فجملة ملكه أربعون سنة اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: فلما توفي سليمان بعث بختنصر، فأخذ الكرسي فحمله إلى انطاكية فأراد أن

ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجني، وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيه وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد

يصعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه، فإذا وضع رجله ضرب الأسد رجله فكسرها، وكان سليمان إذا صعد وضع قدميه جميعاً، ومات بختنصر وحمل الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع قط ملك أن يجلس عليه، ولكن لم يدر أحد عاقبة أمره ولعله رفع اهـ.

قوله: (لتزوجه بامرأة) واسمها جرادة، وقوله: (هواها) القياس هويها، لأنه إذا كان بمعنى أحب كما هنا يكون من باب صدى، وإن كان بمعنى سقط يكون من باب رمى قاله القاري اهـ.

قوله: (وفي نسخة يهواها) وهي ظاهرة. قوله: (وكان ملكه في خاتمه) أي: كان مرتباً على لبسه، فإذا لبسه سخرت له الجن والإنس والرياح وغيرها، وإذا نزعه زال عنه الملك اهـ شيخنا.

وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم كما نزل بعصى موسى والحجر الأسود المسمى باليمين، وبعود البخور، وبأوراق التين ساتراً عورته بها، وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله:

وآدم معـــه أنـــزل العـــود والعصـــا ... لمـــوســـى مـــن الآس النبـــات المكـــرم
وأوراق تبـــن واليميـــن بمكـــة ... وختـــم سليمـــان النبـــي المعظـــم

اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: وقال جابر بن عبد الله قال النبي ﷺ: «كان نقش خاتم سليمان بن داود، لا إله إلا الله محمد رسول الله» اهـ.

قوله: (ووضعه عند امرأته) عبارة غيره: عند أم ولده المسماة بالأمينة، وقوله: (على عادته) أي: في أنه لا يلبسه إلا متطهراً، فكان إذا أراد الخلاء أو الجماع نزعه حتى يتطهر اهـ شيخنا.

قوله: (هو ذلك الجني) سمي جسداً، لأن الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه وهو لما تصور بصورة سليمان كانت تلك الصورة كأنها لا روح فيها، لأنها خالية عن روح سليمان، وإن كان فيها روح الجني أشار إليه بيضاوي.

قوله: (فخرج سليمان في غير هيئته) أي: المعتادة لزوال أبهته ورونقه بنزع الخاتم اهـ شيخنا.

قوله: (رجع سليمان) إلى ملكه عبارة القرطبي: ثم أناب أي: رجع إلى الله وتاب، انتهت.

قوله: (بعد أيام) أي: أربعين كما تقدم، وقوله: (بأن وصل إلى الخاتم) أي: لأن الجني لما تمت الأربعين يوماً طار عن الكرسي وألقى الخاتم في البحر فابتلعته سمكة، ثم صيدت فوقعت في يد

أيام، بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى﴾ لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي سواي، نحو فمن يهديه من بعد الله أي سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ أراد ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة

سيدنا سليمان فشق بطنها، فإذا هو بالخاتم، فلبسه فعاد إليه الملك بلبسه، فأمر سليمان الجن بإحضار ذلك الجني فأحضروه فوضعه في صخرة وسبك عليه الحديد والرصاص وألقاها في البحر اهـ خازن.

قال البغوي: وذلك الجني حي باق في تلك الصخرة حتى تقوم الساعة اهـ.

وفي القرطبي: قال ابن عباس وغيره: ثم إن سليمان لما رد الله عليه ملكه أخذ صخراً الذي أخذ خاتمه ونقر له صخرة وأدخله فيها وسد عليه بأخرى وأوثقها بالحديد والرصاص، وختم عليها بخاتمه، وألقاها في البحر وقال له: هذا مجلسك إلى يوم القيامة اهـ.

قوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ أي: ذنبي وطلب المغفرة دأب الأنبياء والصالحين هضماً للنفس وإظهاراً للذل والخشوع وطلباً للترقي في المقامات اهـ كرخي.

قوله: (لا ينبغي لأحد من بعدي) أي ليكون معجزة لي، أو المراد لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني في حياتي كما فعل الشيطان الذي لبس خاتمي وجلس على كرسي، أو أن الله علم أنه لا يقوم غيره مقامه بمصالح ذلك الملك واقتضت حكمته تعالى تخصيصه به، فألهمه سؤاله فلا يرد كيف قال سليمان ذلك، مع أنه يشبه الحسد والبخل بنعم الله تعالى على عبيده بما لا يضر سليمان، وقدم الاستغفار اهتماماً بالدين وتقديماً للوسيلة اهـ كرخي.

وفي الشهاب: فليس طلبه للمفاخرة بأمور الدنيا الفانية، وإنما كان هو من بيت نبوة وملك، وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره كما غلب في عهد الكليم السحر، فجاءهم بما يتلقف ما أتوا به، وفي عهد نبينا الفصاحة فأتاهم بكلام لم يقدروا على أقصر سورة منه، وليس المقصود بقوله: ﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ استقلاله به بحيث لا يعطى أحد مثله ليكون منافسة في الملك وحرصاً عليه اهـ.

وفي الخازن: وقيل: كان سليمان ملكاً، ولكنه أحب أن يخص بخصوصية كما خص داود بإلانة الحديد وعيسى بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص فسأل شيئاً يختص به اهـ.

قوله: ﴿إنك أنت الوهاب﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة لا بالأخيرة فقط، فإن المغفرة أيضاً من أحكام وصف الوهابية قطعاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فسخرنا له الريح﴾ أي: أعدنا له هذا الملك بعد أن كان سلب عنه اهـ شيخنا.

قوله: (تجري بأمره) بيان لتسخيرها له اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿رخاء﴾ حال من الريح، وقوله: (لينة) أي غير عاصفة، وهذا في أثناء سيرها، وأما في أوله فهي عاصفة كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾ [الأنبياء: ٨١] الخ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بأمره﴾ مضاف لفاعله أي: بأمره إياها، وقوله: ﴿حيث﴾ أي: إلى حيث، وقوله:

﴿وَغَوَّاصٍ ۝٣٧﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم وقلنا له ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾ أي لا حساب عليك في ذلك ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾ تقدم مثله ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ أي بأني ﴿مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾ ضر ﴿وَعَذَابٍ ۝٤١﴾ ألم، ونسب

(أراد) هذه لغة حمير، وقيل: لغة هجر اهـ سمين.

قوله: ﴿كل بناء﴾ من الشياطين، وقوله: ﴿آخرين﴾ عطف على كل من بناء داخل معه في حكم البدل، وكأنه عليه السلام قسم الشياطين إلى عملة استخدمهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك، وإلى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر اهـ أبو السعود.

وفي الخازن: والآخرين وهم مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد اهـ.

قوله: (القيود) من المعلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتئم هذا التفسير مع قوله: (بجمع أيديهم الخ). فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أوضح والأصفاد تطلق عليها كما تطلق على القيود. وفي المختار: صفده شده وأوثقه من باب ضرب وكذا صفده تصفيداً، والصفد بفتحتين والصفاد بالكسر ما يوثق به الأسير من قد وقيد وغل، والأصفاد القيود واحدها صفد اهـ.

قوله: (بجمع أيديهم) الباء بمعنى مع. قوله: (وقلنا له) ﴿هذا﴾ أي: هذا الملك عطاؤنا اهـ.

قوله: ﴿بغير حساب﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه متعلق بعطاؤنا أي: أعطيناك بغير حساب ولا تقدير، وهذا دلالة على كثرة الإعطاء. الثاني: أنه حال من عطاؤنا أي: في حال كونه غير محاسب عليه لأنه كثير يعسر على الحساب ضبطه. الثالث: أنه متعلق بامنن أو أمسك، ويجوز أن يكون حالاً من فاعلهما أي: حال كونك غير محاسب عليه اهـ سمين.

وفي أبي السعود: ﴿فامنن أو أمسك﴾ فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الأمر أي: غير محاسب على منك وامساكك لتفويض التصرف فيه إليك على الإطلاق أو من العطاء. أي: هذا إعطاؤنا ملتبساً بغير حساب لغاية كثرته أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين، وقيل: الإشارة إلى تسخير الشياطين، والمراد بالمن والإمساك الإطلاق والتقييد اهـ.

قال الحسن: ما أنعم الله نعمة على أحد إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فإنه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة اهـ خازن.

قوله: ﴿وإن له عندنا﴾ الخ حال من الضمير في سخرنا أي: أعدنا له الملك والحال أن منزلته عندنا لم تزل بزوال الملك ولم تتغير بتغيره بل ما وقع له امتحان ظاهري فقط ورتبته على ما هي عليه اهـ شيخنا.

قوله: (تقدم مثله) أي: تقدم قريباً في قصة داود.

قوله: ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان

ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالى، وقيل له ﴿ارْكُضْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أي

لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام حتى كأن قصتيهما قصة واحدة وأيوب هو ابن عيصو بن إسحاق اهـ بيضاوي.

فليس من بني إسرائيل لأنهم من نسل يعقوب وهو ابن العيص أخي يعقوب اهـ شيخنا.

والذي في القاموس: أن عيصو بن إسحاق بواو بعد الصاد بوزن بيعوا أمراً بالبيع للجماعة اهـ.

وفي التحبير: أيوب هو ابن موص بن رعبل بن عيص بن إسحاق وعاش ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين اهـ.

وقيل: ثمانية عشرة، وقيل: أربعين اهـ.

قوله: ﴿إذ نادى ربه﴾ بدل اشتمال من عبدنا أو عطف بيان له، وقوله: ﴿أني مسني الخ﴾ حكاية لكلامه الذي نادى ربه به بعبارته وإلاَّ لقيل أنه مسه الخ اهـ أبو السعود.

وفي الشارح في سورة الأنبياء: ﴿إذ نادى ربه﴾ أي: لما ابتلي بفقد جميع ولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعاً أو ثماني عشرة وضيق عيشه اهـ.

قوله: ﴿أني مسني الشيطان بنصب﴾ أي: لأنه نفخ في أنفه فمرض جسده ظاهراً وباطناً إلا قلبه ولسانه واشتد عليه المرض حتى أنتن وأخرجوه من البلد ووضعوه على المزبلة وفرَّ عنه جميع الخلق إلا زوجته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بنصب﴾ بضم فسكون. قيل: هو جمع نصب كأسد وأسد، وقيل: هو لغة في النصب كالحزن والحزن والرشد والرشد، وعلى كل فمعناه التعب والمشقة اهـ شيخنا.

وفي المختار: والنصب بسكون الصاد الشر والبلاء اهـ.

فعلى هذا عطف العذاب عليه من عطف المسبب. قوله: (تأدبا معه تعالى) أي: لأن الشيطان هو السبب في ذلك بنفخه فى أنفه اهـ شيخنا.

قوله: (فاغتسل وشرب) ظاهره أن الاغتسال والشرب كانا من عين واحدة وهو ظاهر النظم الكريم، وعبارة القرطبي: فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره، ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه. وقال قتادة: هما عينان بأرض الشام في أرض يقال لها الجابية فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه ونحوه عن الحسن ومقاتل. قال مقاتل: نبعت عين حارة فاغتسل فيها فخرج صحيحاً، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماء عذباً بارداً، وقيل: أمر بالركض ليتناثر عنه كل داء في جسده اهـ.

وفي البيضاوي: وقيل: نبعت له عينان حارة وباردة، فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى اهـ.

أحيى الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾﴾ لأصحاب العقول ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فَاضْرِب بِّهِ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من

وحكاه بصيغة التمريض، لأن ظاهر النظم عدم التعدد، وبارد حينئذ صفة لشراب مع أنه مقدم عليه صفة لمغتسل، وكون هذا إشارة إلى جنس التابع أو يقدر فيه، وهذا بارد الخ تكلف لا يخرجه عن الضعف اهـ شهاب.

قوله: ﴿ووهبنا له﴾ الخ معطوف على مقدر يترتب على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الأنبياء اهـ أبو السعود.

وإلى هذا أشار الشارح بقوله: (فاغتسل الخ).

قوله: (من مات من أولاده) أي: الذكور والإناث وكل من الصنفين ثلاث أو سبع، وقوله: (ورزقه مثلهم) أي: من زوجته وزيد في شبابها اهـ شارح من سورة الأنبياء.

وزوجته اسمها رحمة بنت افرائيم بن يوسف اهـ أبو السعود.

وقيل: اسمها ليا بنت يعقوب اهـ بيضاوي فهي أخت يوسف.

قوله: ﴿رحمة منا وذكرى﴾ مفعول من أجله أي: وهبناهم له لأجل رحمتنا إياه وليتذكر بحاله أولو الألباب اهـ سمين.

أي ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤوا إلى الله عز وجل كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة اهـ كرخي.

قوله: ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ معطوف على مقدر تقديره: وكان قد حلف ليضربن امرأته مائة ضربة لسبب حصل منها وكانت محسنة له فجعل الله له خلاصاً من يمينه بقوله: ﴿وخذ بيدك الخ﴾ فحلل الله تعالى يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاها عنه اهـ نهر.

وإلى هذا المقدر أشار بقوله: (وكان قد حلف الخ) اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿وخذ بيدك﴾ معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير قلناه أي: وقلنا له خذ بيدك الخ والأول أقرب لفظاً وهذا أنسب معنى فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة اهـ.

قوله: (هو حزمة) أي: ملء الكف اهـ خازن.

وفي السمين: الضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش والقضبان، وقيل: الحزمة الكبيرة من القضبان اهـ.

قوله: (لابطائها عليه يوماً) وسبب بطئها أن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوي المرضى، فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه، فقالت له: عندي مريض فقال لها: قولي له يذبح سخلة عن اسمي، وقيل: قال لها قولي له يشرب الخمر، فذهبت لأيوب وأخبرته الخبر، فعلم أنه من الشيطان فاغتم وحلف ليضربنها مائة ضربة اهـ شيخنا.

الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ رجاع إلى الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾

وفي القرطبي: وفي سبب حلفه أربعة أقوال:

أحدها: ما حكاه ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته إلى مداواة أيوب فقال: أداويه على أنه إذا برىء قال: أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه. قالت: نعم فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان.

الثاني: ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها.

الثالث: ما حكاه يحيى بن سلام وغيره أن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرباً إليه، وأنه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها إن عوفي مائة، وقيل: باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف ليضربنها، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً فيضربها به فأخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة اهـ.

قوله: ﴿ولا تحنث﴾ الحنث الإثم ويطلق على ما فعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله لأنهما سببان فيه اهـ سمين.

قوله: ﴿إنا وجدناه﴾ أي: علمناه صابراً أي: فيما أصابه في النفس والمال والأهل وليس في شكواه إلى الله إخلال بذلك فإنه ليس جزعاً كتمني العافية وطلب الشفاء اهـ أبو السعود.

ولا تخل به شكواه إلى الله من الشيطان في قوله: ﴿أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ اهـ بيضاوي.

والشكاية المذمومة إنما هي إذا كانت للمخلوقين اهـ كرخي.

قوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم﴾ الخ أي: اذكر صبرهم على ما أصابهم تتأس بهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولي الأيدي﴾ العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد أما الجارحة فكنى بذلك عن الأعمال لأن أكثر الأعمال إنما يزاول باليد، وقيل: المراد بالأيدي جمع يد المراد بها النعمة، وقرأ عبد الله، والحسن، وعيسى، والأعمش الأيد بغير ياء فقيل هي الأولى، وإنما حذفت الياء اجتزاء عنها بالكسرة، ولأن أل تعاقب التنوين والياء تحذف مع التنوين فأجريت مع أل اجراءها معه وهذا ضعيف جداً وقيل: الأيدي القوة إلا أن الزمخشري قال: وتفسيره بالأيدي من التأييد قلق غير متمكن اهـ.

وكأنه إنما قلق عنده لعطف الأبصار عليه فهو غير مناسب للأيد من التأييد، وقد يقال: إنه لا يراد حقيقة الجوارح إذ كل أحد كذلك، إنما المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكر ببصيرته فلم يقلق حينئذ إذ لم يرد حقيقة الأبصار، وكأنه قيل أولي القوة والتفكر بالبصيرة، وقد نحا الزمخشري إلى شيء من هذا قبل ذلك اهـ سمين.

البصائر في الدين، وفي قراءة عبدنا، وإبراهيم بيان له، وما بعده عطف على عبدنا ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾ الآخرة أي ذكرها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين ﴿ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ جمع خيِّر بالتشديد ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو نبي واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فروا إليه من القتل

قوله: (أصحاب القوى) جمع قوة وهي القدرة ففي المصباح: وتطلق اليد على القوة اهـ.

وظاهره أن هذا إطلاق حقيقي ويشير له صنيع البيضاوي ونصه: أولي الأيدي والأبصار أولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها بمباشرتها والأبصار عن المعارف لأنها أقوى مبادئها اهـ.

قوله: ﴿إنا أخلصناهم﴾ الخ تعليل بما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾ أي: جعلناهم خالصين لنا بخصلة لا شوب فيها هي ذكر الدار أي تذكرهم للآخرة دائماً، فإن خلوصهم في الطاعة بسببها، وذلك لأن مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون هو جوار الله والفوز بلقائه، وذلك في الآخرة اهـ.

وعبارة ابن جزي: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾ معناه جعلناهم خالصين لنا أو خصصناهم دون غيرهم، وخالصة صفة موصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة، وأما الباء في قوله: ﴿بخالصة﴾ فإن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين فهي للتعليل، وإن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم فهي لتعدية الفعل، انتهت.

قوله: ﴿بخالصة ذكرى الدار﴾ قرأ نافع وهشام خالصة ذكرى الدار بالإضافة وفيها أوجه، أحدها: أن يكون أضاف خالصة إلى ذكرى للبيان لأن الخالصة قد تكون ذكرى وغير ذكرى كما في قوله: شهاب قبس لأن الشهاب يكون قبساً وغيره. الثاني: أن خالصة مصدر بمعنى إخلاص فيكون مضافاً لمفعوله والفاعل محذوف أي: بأن أخلصوا ذكر الدار وتناسوا عند ذكرها ذكر الدنيا، وقد جاء المصدر على فاعلة كالعاقبة، أو يكون المعنى بأن أخلصنا نحن لهم ذكرى الدار. وقرأ الباقون بالتنوين وعدم الإضافة وفيها أوجه، أحدها أنها مصدر بمعنى الإخلاص فيكون ذكرى منصوباً به، وأن يكون بمعنى الخالوص فيكون ذكرى مرفوعاً به كما تقدم ذلك، والمصدر يعمل منوناً كما يعمل مضافاً أو يكون خالصة اسم فاعل على بابه وذكرى بدل أو بيان لها أو منصوب بإضمار. أعني: أو هو مرفوع على إضمار مبتدأ، والدار يجوز أن يكون مفعولاً به بذكرى وأن يكون ظرفاً إما على الاتساع وإما على إسقاط الخافض، وخالصة إن كانت صفة فهي صفة لمحذوف أي: بسبب خصلة خالصة اهـ سمين.

قوله: ﴿واذكر إسماعيل﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير، واليسع هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني إسرائيل ثم استنبىء اهـ أبو السعود.

قوله: (اختلف في نبوته) روى الحاكم عن وهب أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً وسماه ذا الكفل

﴿وَكُلٌّ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ جمع خير بالتثقيل ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾ مرجع في الآخرة ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾ منها ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ أسنانهنَّ واحدة

وكان مقيماً بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة اهـ تحبير السيوطي.

وعبارة أبي السعود: هو ابن عم اليسع أو هو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه اهـ.

قوله: (قيل كفل مائة نبي) أي: قيل في بيان سبب هذا اللقب وتقدم له في سورة الأنبياء أن سببه أنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفى بما التزام اهـ.

قوله: ﴿وكل من الأخيار﴾ أي: كل المتقدمين من داود إلى هنا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هذا ذكر﴾ جملة من مبتدأ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فيؤتى بها للانتقال من عرض إلى آخر اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: هذا ذكر جملة جيء بها إيذاناً بأن القصة قد تمت وأخذ في أخرى، وهذا كما يفعل الجاحظ في كتبه يقول هذا باب ثم يشرع في آخر، ويدل على ذلك أنه لما أراد أن يعقب بذكر أهل النار ذكر أهل الجنة قال هذا وإن للطاغين الخ اهـ.

والإشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم اهـ أبو السعود.

قوله: (بالثناء الجميل هنا) أي: في الدنيا.

قوله: ﴿وإن للمتقين﴾ الخ شروع في بيان أجرهم الجزيل الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مفتحة﴾ حال من جنات عدن، والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، والأبواب مرتفعة باسم المفعول، والرابط بين الحال وصاحبها إما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين أي: الأبواب منها، أو الألف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اهـ أبو السعود وقد مشى الشارح على الأول.

قوله: ﴿متكئين﴾ حال من الهاء في لهم العامل فيها مفتحة وقوله: ﴿يدعون﴾ الخ استئناف لبيان حالهم فيها. وقيل: هو أيضاً حال مما ذكر والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي اهـ أبو السعود.

وفي الشهاب: والحال حينئذ مقدرة لأن الاتكاء وما بعده ليس في حال تفتح الأبواب بل بعده، ولذا قال: والأظهر الخ فيكون يدعون مستأنفاً في جواب ما حالهم بعد دخولها، ومتكئين قدم لرعاية الفاصلة اهـ.

قوله: (حابسات العين) أي: لا ينظرن إلى غيرهم اهـ.

وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب ﴿ هَٰذَا ﴾ المذكور ﴿ مَا تُوعَدُونَ ﴾ بالغيبة وبالخطاب التفاتاً ﴿ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ ﴾ أي لأجله ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ۝ ﴾ أي انقطاع، والجملة حال من رزقنا، أو خبر ثان لإن، أي دائماً أو دائم ﴿ هَٰذَا ۚ ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ ﴾ مستأنف ﴿ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝ ﴾ ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾ يدخلونها ﴿ فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ ﴾ الفراش ﴿ هَٰذَا ﴾ أي العذاب المفهوم مما

قوله: ﴿أتراب﴾ أي: مستويات الأسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين سنة. وقيل: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن اهـ خازن.

وفي البيضاوي: أتراب لدات لهم أي: مساويات لأزواجهم في السن، فإن التحاب بين الأقران أثبت أو بعضهن كبعض أو نصف لا عجوز فيهن ولا صبية اهـ.

وقوله: (لدات لهم) أي: متقاربات في الولادة كما يشير له قوله لأن التحاب الخ اهـ زكريا.

وعبارة الشهاب: لدات جمع لدة كعدة أصله ولدة وهو كالترب من يولد معك في وقت واحد كأنهما وقعا على التراب في زمن واحد اهـ.

قوله: (لأجله) أي: لأجل وقوعه فيه فوقوعه وانجازه فيه علة للوعد به في الدنيا اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: (لأجله) فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء الذي توعدونه، وفيه إشارة إلى أن العلة الحقيقية هي الحساب ونسبتها إلى يومه مجازية اهـ.

وفي الشهاب: قوله: (لأجله) أي: فاللام تعليلية. قوله: (فإن الحساب الخ) بيان للتعليل فإن ما وعدوه لأجل طاعتهم وأعمالهم الصالحة وهي تظهر بالحساب وتقع بعده، فجعل كأنه علة لتوقف انجاز الوعد عليه فالنسبة لليوم والحساب مجازية، ولو جعلت اللام بمعنى بعد سلم مما ذكر اهـ.

قوله: ﴿إن هذا لرزقنا﴾ من كلام الله تعالى كما يشير له صنيع أبي السعود، والمعنى إن هذا أي: ما ذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا أي: لهو الرزق الذي نتفضل به على عبادنا. ونص أبي السعود: إن هذا أي: ما ذكر من أنواع النعم والكرامات لرزقنا أعطيناكموه ما له من نفاد أي: انقطاع أبداً اهـ.

أي: ولا نقص فكلما أخذ منه شيء عاد مثله في مكانه اهـ خازن.

قوله: (أي دائماً الخ) لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿هذا﴾ (المذكور للمؤمنين) فيه إشارة إلى أن هذا مبتدأ محذوف الخبر، ويصح عكسه أي: الأمر هذا، وكلاهما من فصل الخطاب. وقال الطيبي: الأول منه دون الثاني، وقال ابن الأثير: هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام إلى كلام آخر أي: أخذ هذا كيت وكيت وفيه بحث إذ يلزم حينئذ عطف الأخبار على الإنشاء، ولذلك لم يذكر الزمخشري هذا التقدير اهـ كرخي.

قوله: ﴿جهنم﴾ بدل أو عطف بيان.

قوله: ﴿هذا﴾ مبتدأ وقوله: ﴿حميم وغساق﴾وآخره الثلاثة خبر عن المبتدأ، وجملة فليذوقوه

بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالجمع والإفراد ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾ أصناف، أي عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي لا

اعتراض. وقوله: ﴿من شكله أزواج﴾ صفتان لآخر على كل من القراءتين اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿وآخر﴾ قرأ أبو عمرو بضم الهمزة على أنه جمع وارتفاعه من أوجه، أحدها: أنه مبتدأ ومن شكله خبره، وأزواج فاعل به. الثاني: أن يكون مبتدأ أيضاً ومن شكله خبر مقدم، وأزواج مبتدأ، والجملة خبره. وعلى هذين فيقال: كيف يصح من غير ضمير يعود على آخر، فإن الضمير في شكله يعود على ما تقدم أي: من شكل المذوق؟ والجواب: أن الضمير عائد على مبتدأ وإنما أفرد وذكر لأن المعنى من شكل ما ذكرنا، وذكر هذا التأويل أبو البقاء، وقد منع مكي ذلك لأجل الخلو من الضمير وجوابه ما ذكرت لك. الثالث: أن يكون من شكله نعتاً لآخر، وأزواج خبر المبتدأ أي: وآخر من شكل المذوق وأزواج. الرابع: أن يكون من شكله نعتاً أيضاً، وأزواج: فاعل به، والضمير عائد على آخر بالتأويل المتقدم، وعلى هذا فيرتفع آخر على الابتداء والخبر مقدر أي: ولهم أنواع آخر استقر من شكلها أزواج. الخامس: أن يكون الخبر مقدراً كما تقدم أي: ولهم آخر ومن شكله وأزواج صفتان لآخر، وقرأ العامة من شكله بفتح الشين وقرأ مجاهد بكسرها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب تقول هذا في شكله أي: مثله وضربه اهـ.

وفي القرطبي: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾. هذا في موضع رفع بالابتداء وخبره حميم على التقديم والتأخير أي: هذا حميم وغساق فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه، ويجوز أن يكون هذا في موضع رفع بالابتداء، وفليذوقوه في موضع الخبر ودخلت الفاء للتنبيه الذي في هذا فيوقف على فليذوقوه ويرتفع حميم على تقدير هذا حميم. قال النحاس: ويجوز أن يكون المعنى الأمر هذا وحميم وغساق حينئذ لم تجعلهما خبراً ورفعتهما على معنى هو حميم وغساق، والفراء يرفعهما بمعنى منه حميم وغساق، ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب بإضمار فعل يفسره فليذوقوه كما تقول: زيداً أضربه والنصب في هذا أولى فيوقف على فليذوقوه ويبتدأ حميم وغساق اهـ.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) سبعيتان. قوله: (ما يسيل) ما بالقصر أي: شيء يسيل وقوله: (من صديد أهل النار) بيان لما، فكأنه قال: وهو صديد أهل النار الذي يسيل من جلودهم وفروجهم، وفي القاموس: وغسق الجرح سال منه ماء أسفر اهـ.

وفي الخازن: وهو ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة اهـ.

قوله: (بالجمع والإفراد) سبعيتان أي: ومذوق آخر مثل الحميم والغساق في الشدة والغضاضة اهـ أبو السعود.

قوله: (ويقال لهم) أي: من الخزنة، وقوله: (بأتباعهم) أي: مع أتباعهم.

قوله: (بشدة) أخذه من مقتحم، فإن الاقتحام الإلقاء في الشيء بشدة، فإنهم يضربون بمقامع من

سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي الكفر ﴿لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠﴾ لنا ولكم النار ﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿فِى ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي كفار مكة وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في

حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع اهـ خازن.

وفي البيضاوي: والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها اهـ.

وفي المختار قحم في الأمر رمى بنفسه فيه من غير روية وبابه خضع، وأقحم فرسه النهر فانقحم أي: أدخله فدخل، واقتحم الفرس النهر دخله اهـ.

قوله: ﴿لا مرحباً بهم﴾ في مرحباً وجهان، أظهرهما: أنه مفعول بفعل مقدر أي: لا أتيتم مرحباً أو لا سمعتم مرحباً. والثاني: أنه منصوب على المصدر. قال أبو البقاء: أي لا رحبتكم داركم مرحباً بل ضيقاً. ثم في الجملة المنفية وجهان، أحدهما: أنها مستأنفة سيقت للدعاء عليهم بضيق المكان، وقوله: ﴿بهم﴾ بيان للمدعو عليهم. والثاني: أنها حالية وقد يعترض عليه بأنه دعاء والدعاء لا يقع حالاً. والجواب: أنه على إضمار القول أي: مقولاً لهم لا مرحباً بهم اهـ سمين.

وفي القرطبي: فقالت السادة لا مرحباً بهم أي: لا اتسعت منازلهم في النار، والرحب السعة، ومنه رحبة المسجد وغيره وهو بمعنى الدعاء، فلذلك نصب. وقال أبو عبيدة: العرب تقول لا مرحباً بك أي: لا رحبت عليك الأرض ولا اتسعت اهـ.

قوله: (لا سعة عليهم) أي: لا سعة لهم فعلى بمعنى اللام، وسعة بالتنوين لمشاكلة مرحباً.

قوله: ﴿إنهم صالوا النار﴾ قيل: هو من قول القادة أي: أنهم صالوا النار كما صليناها، وقيل: هو من قول الملائكة متصل بقولهم هذا فوج مقتحم معكم اهـ قرطبي.

وفي المصباح: صلي بالنار وصليها. صلى من باب تعب وجد حرها، والصلاء وزان كتاب حر النار، وصليت اللحم أصليه من باب رمى شويته اهـ.

وفي المختار: ويقال أيضاً صليت الرجل ناراً من باب رمى أي: أدخلته النار وجعلته يصلاها أي: يدخلها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد إحراقه. قلت: أصليته بالألف وصليته تصلية اهـ.

قوله: ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ أي: بل أنتم أحق بما قلتم لنا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أنتم قدمتموه﴾ هذا تعليل لأحقيتهم بذلك أي: أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد الزائغة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليها، لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿في النار﴾ يجوز أن يكون ظرفاً لزده أو نعتاً لعذاباً أو حالاً منه لتخصيصه أو حال من مفعول زده اهـ سمين.

قوله: (أي كفار مكة) كأبي جهل، وأمية بن خلف، وأصحاب القليب اهـ سمين.

الدنيا ﴿مِنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢﴾ ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها، أي كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي أمفقودون هم؟ ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٦٣﴾ فلم نرهم، وهم فقراء

وفي القرطبي: ﴿وقالوا﴾ أي: أكابر المشركين ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار. قال ابن عباس: يريدون أصحاب محمد ﷺ يقول أبو جهل: أين بلال أين صهيب، أين عمار أولئك في الفردوس واعجبا لأبي جهل مسكين أسلم ابنه عكرمة وأمية ابن جويرية، وأسلمت أمه، وأسلم أخوه وكفر هو أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار. قال مجاهد: أتخذناهم سخرياً في الدنيا فأخطأنا أم زاغت عنهم الأبصار في الدنيا فلم نعلم مكانهم. قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرياً وزاغت عنهم أبصارهم في الدنيا حقداً لهم، وقيل: معنى أم زاغت عنهم الأبصار أي: أهم معنا في النار فلا نراهم. وكان ابن كثير، والأعمش، وأبو عمرو، وحمزة والكسائي يقرأون من الأشرار اتخذناهم بحذف الألف في الوصل، وكان أبو جعفر، وشيبة، ونافع، وعاصم، وابن عامر يقرأون أتخذناهم بقطع الألف على الاستفهام وسقطت ألف الوصل لأنه قد استغنى عنها، فمن قرأ بحذف الألف لم يقف على الأشرار لأن اتخذناهم حال. وقال النحاس، والسجستاني: هو نعت لرجالاً، قال ابن الأنباري: وهذا خطأ لأن النعت لا يكون ماضياً ولا مستقبلاً، ومن قرأ أتخذناهم بقطع الألف وقف على الأشرار وقال الفراء: والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب أم زاغت عنهم الأبصار إذا قرأت بالاستفهام كانت أم للتسوية، وإذا قرأت بغير الاستفهام فهي بمعنى بل اهـ.

قوله: ﴿من الأشرار﴾ إنما سموهم أشراراً لأنهم كانوا على خلاف دينهم اهـ خازن.

قوله: ﴿سخرياً﴾ مفعول ثان لاتخذناهم، وقوله: (بضم السين)، وكسرها سبعيتان. قوله: (أي كنا نسخر بهم) راجع لقوله: ﴿اتخذناهم﴾ على قراءة كسر الهمزة الموصولة وعلى هذه القراءة تمال الراء في نرى والألف في الأشرار، وأما على قطع الهمزة للاستفهام فلا إمالة، وقوله: (أي: أمفقودون هم) تفسير لقوله: ﴿ما لنا لا نرى﴾ على قراءة الهمزة ليصح التقابل في قوله: ﴿أم زاغت﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (والياء للنسب) أي: على كلا القراءتين مع التوزيع وإنما زيدت للدلالة على قوة الفعل فالسخري أقوى من السخر كما قيل في الخصوص خصوصية للدلالة على قوة ذلك اهـ سمين من سورة المؤمنون.

قوله: ﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾ متصل بقوله: ﴿ما لنا﴾، لأنه استفهام مخالف لما اشتهر عن النحاة من أنه لا بد من تقدم الهمزة عليها لفظاً أو تقديراً، وما الاستفهامية لا تكون معادلتها لكنه نظر للمعنى لكونه في معنى ما فيه الهمزة كما أشار إليه بقوله: (أي أمفقودون هم)، وعلى هذا يقرأ اتخذناهم همزة الوصل صفة ثانية لرجالاً بإضمار القول أي: رجالاً مقولاً فيهم أتخذناهم بهمزة الاستفهام وسقطت لأجلها بهمزة الوصل قراءتان سبعيتان وصل الهمزة مع الامالة وقطعها مع الامالة والنقل ومع تركها اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: بهمزة الاستفهام سقطت لأجلها همزة الوصل والجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب اهـ.

المسلمين: كعمار وبلال وصهيب وسلمان ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾ واجب وقوعه وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ كما تقدم ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ مخوِّف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ لخلقه ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ لأوليائه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا

قوله: (وهم فقراء المسلمين) الضمير راجع لرجالاً، والمراد بفقراء المسلمين المستضعفون بمكة الذين كانت قريش تسخر منهم ففي ذكر سلمان نظر لأنه إنما أسلم بالمدينة.

قوله: ﴿إن ذلك﴾ أي: الذي حكى عنهم من أحوالهم في قوله: ﴿هذا فوج مقتحم معكم الخ﴾. وقوله: ﴿لحق﴾ أي صدق اهـ شيخنا.

قوله: (وهو) ﴿تخاصم﴾ الخ أشار به إلى أن تخاصم خبر مبتدأ محذوف، والجملة بيان لاسم الإشارة، وفي الابهام أولاً والتبيين ثانياً مزيد تقرير له، وقرىء بالنصب على أنه بدل من ذلك اهـ من أبي السعود.

وإنما سماه تخاصماً لأن قول القادة للأتباع لا مرحباً بهم، وقول الأتباع للقادة بل أنتم لا مرحباً بكم من باب الخصومة اهـ خازن.

قوله: ﴿قل إنما أنا منذر﴾ أي: لا ساحر ولا شاعر كما ادعيتم، وقوله: ﴿وما من إله﴾ الخ أي لا تعدد فيه كما ادعيتم، وهذا من جملة المأمور بقوله، ثم وصف الله بخمس صفات اهـ شيخنا.

قوله: ﴿منذر﴾ أي: ومبشر، وإنما اقتصر على الإنذار لأن كلامه معهم، وهم إنما يناسبهم الإنذار اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رب السموات والأرض﴾ الخ أي: مالك لهذه المذكورات اهـ.

قوله: ﴿قل هو نبأ﴾ الخ تكرير الأمر للإيذان بأن القول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمراً وائتماراً اهـ أبو السعود.

﴿وعظيم﴾: صفة أولى لنبأ، وأنتم عنه معرضون صفة ثانية له أو جملة مستأنفة اهـ شيخنا.

قوله: (أي القرآن) تفسير لهو، وقوله: (بما لا يعلم) أي: من القصص والأخبار وغيرهما من بقية أقسام القرآن، وقوله: (وهو أي ما لا يعلم إلا بوحي) مبتدأ خبره قوله الخ. وفي الكلام نوع تسمح إذ الذي لا يعلم إلا بوحي إنما هو قوله: ﴿إذ قال ربك﴾ الخ. أي: الإخبار عن أمر الله للملائكة بالسجود وتوقفهم فيه، فقوله: (وهو قوله) ﴿ما كان لي﴾ الخ يحتاج لتأويل، والتقدير وهو الموطأ له والممهد له بقوله: ﴿ما كان لي﴾ الخ. والموطأ له هو قوله: ﴿إذ قال ربك﴾ الخ فتلخص أن الذي لا يعلم إلا بوحي هو قوله: ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ الخ. أي: إن هذا بعض منه جزئي من جزئياته، وأما قوله: ﴿ما كان لي من علم الخ﴾ فليس من جملة ما لا يعلم إلا بالوحي لأن كلاً من آحاد الأمة ليس له علم بتخاصم الملائكة وإنما هو توطئة وتمهيد كما تقدم تأمل اهـ.

يعلم إلا بوحي وهو قوله ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ أي الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ في شأن آدم حين قال الله تعالى ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ الخ ﴿إن﴾ ما ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا﴾ أي أني ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ بيِّن الإنذار اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ هو آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾

قوله: (وهو قوله) ﴿ما كان لي من علم﴾ الخ أشار به إلى أن ما كان لي من علم استئناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة، فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى، وأن سائر أنبائه أيضاً كذلك، والملأ الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة اهـ أبو السعود.

وقوله: (بذكر نبأ من أنبائه الخ). وذلك النبأ هو قوله: ﴿إذ قال ربك﴾ الخ وما قبله توطئة له كما تقدم.

قوله: ﴿بالملأ الأعلى﴾ على تقدير مضاف أي: باختصام الملأ وقوله: ﴿إذ يختصمون﴾ راجع لقوله: ﴿من علم﴾، والمضارع بمعنى الماضي اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿بالملأ الأعلى﴾ متعلق بقوله: ﴿من علم﴾ وضمن معنى الإحالة، فلذلك تعدى بالباء. وقوله: ﴿إذ يختصمون﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب بالمصدر أيضاً. والثاني: بمضاف مقدر أي: بكلام الملأ الأعلى إذ يختصمون، والضمير في يختصمون للملأ الأعلى هذا هو الظاهر، وقيل: لقريش أي: يختصمون في الملأ الأعلى بعضهم يقول: بنات الله، وبعضهم يقول: غير ذلك. فالتقدير إذ يختصمون فيهم، انتهت.

قوله: ﴿إذ يختصمون﴾ (في شأن آدم الخ) عبارة القرطبي: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾، الملأ الأعلى هم الملائكة في قول ابن عباس والسدي اختصموا في أمر آدم حين أراد الله خلقه، فقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها، وقال إبليس: أنا خير منه، وفي هذا بيان أن محمداً ﷺ أخبر عن قصة آدم وغيره، وذلك لا يتصور إلا بتأييد إلهي، فقد قامت الحجة على صدقه فما بالهم أعرضوا عن تدبر القرآن ليعرفوا صدقه، ولهذا وصل قوله: ﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ الخ بقوله: ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ اهـ.

قوله: (أي إني) ﴿نذير﴾ أشار به إلى أن إنما أنا نذير مبين نائب فاعل يوحى، فهو في محل رفع قائم مقام الفاعل أي: ما يوحى إلي إلا الإنذار أو إلا كوني نذيراً مبيناً، فالمعنى لا يوحى إليَّ إلا الإنذار والقصر فيه، وفي قوله: ﴿إنما أنا منذر﴾ [ص: ٦٥] إضافي أي: لا ساحر ولا كذاب كما زعمتهم، وخصه بالذكر لأن الكلام مع المشركين وحاله معهم مقصور على الانذار اهـ بيضاوي وشهاب.

قوله: ﴿إذا قال ربك للملائكة﴾ الخ شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول، وإذ بدل من إذ الأولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام، بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه، فإن القصة ناطقة بذلك تفصيلاً اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: قوله: ﴿إذا قال ربك للملائكة﴾ يجوز أن يكون بدلاً من إذ الأولى، وأن يكون

أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ

منصوباً باذكر مقدراً. قال الأول الزمخشري وأطلق، وقال أبو البقاء الثاني وأطلق، وأما الشيخ ففصل وقال: بدل من إذ يختصمون هذا إن كانت الخصوَمة في شأن من يستخلف الأرض وعلى غيره من الأقوال يكون منصوباً باذكر مقدراً اهـ.

قلت: وتلك الأقوال أن التخاصم إما بين الملأ الأعلى أو بين قريش، وفيما إذا كانت المخاصمة خلاف يطول الكتاب بذكره اهـ.

قوله: ﴿إني خالق بشراً﴾ أي: إنساناً بادي البشرة أي ظاهر الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر، فإن قيل: كيف صح أن يقول لهم إني خالق بشراً وما عرفوا البشر ولا عهدوا به قبل؟ أجيب: بأنه يمكن أنه يكون قال لهم إني خالق حقاً من صفته كيت وكيت، ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم اهـ خطيب.

قوله: (أجريت فيه) ﴿من روحي﴾ أشار بذلك إلى أنه ليس هناك نفخ ولا منفوخ، وعبارة أبي السعود: والنفخ إجراء الروح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها، انتهت.

قوله: (والروح جسم لطيف الخ) عبارة الخازن: والروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الإنسان سريان الضوء في الفضاء، أو كسريان النار في الفحم. وفي الكرخي: قوله: (والروح جسم لطيف الخ). هذا ما نقله في شرحه لجمع الجنامع عن جمهور المتكلمين، وقال النووي في شرح مسلم: إنه الأصح عند أصحابنا وهو مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وقال كثير منهم: إنها عرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حياً. وقال الفلاسفة، وكثير من الصوفية: إنها ليست بجسم ولا عرض، بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه، ووافقهم على ذلك الغزالي والراغب، واحتج للأول بوصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ اهـ.

قوله: (بنفوذه) أي: سريانه فيه. قوله: ﴿فقعوا﴾ الفاء في جواب إذا وهو أمر من وقع يقع وقوعاً، والأمر قع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء، كما قيل: أي اسقطوا له ساجدين اهـ أبو السعود مع زيادة.

قوله: (سجود تحية بالانحناء) جواب ما يقال كيف ساغ السجود لغير الله تعالى، وإيضاحه: الذي لا يسوغ هو السجود لغير الله تعالى على وجه العبادة، فأما إذا كان على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه اهـ كرخي.

قوله: ﴿فسجد الملائكة﴾ أي: فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم أي: بحيث لم يبق منهم أحد، وقوله: ﴿أجمعون﴾ أي: بطريق المعية بحيث لم يتأخر عن ذلك اليوم أحد عن

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ فيه تأكيدان ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ في علم الله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أي توليت خلقه، وهذا

أحد، ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضاً. وقيل: أكده بتأكيدين مبالغة في التعميم اهـ أبو السعود.

وكان هذا السجود قبل دخول آدم الجنة أو بعده قولان تقدم التنبيه عليهما. وفي المواهب، وعن جعفر الصادق أنه قال: كان أول من سجد لأدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر اهـ.

وقيل: بقيت الملائكة المقربون في سجودهم مائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة اهـ شبراملسي عليه.

قوله: ﴿كلهم أجمعون﴾ (فيه تأكيدان) قال الزمخشري: كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع، فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: (فيه تأكيدان) أي: تأكيد على تأكيد كما قال تعالى: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويداً﴾ [الطارق: ١٧] قال في الكشاف: كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معاً أنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات اهـ.

وتوقف في الثاني بأنه باطل بدليل قوله تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [الحجر: ٤٣] وبقوله حكاية عن إبليس: ﴿لأغوينهم أجمعين﴾ لأن دخولهم جهنم واغواءهم ليس في وقت واحد، فدل ذلك على أن أجمعين لا تعرض فيه لاتحاد الوقت، فمن ثم اقتصر الشيخ المصنف على ما ذكره، ويمكن أن يقال إذا كان أجمعون بدون كل أفاد التأكيد المجرد، وهو أن لا يخرج أحد من الفعل فلم يكن الاجتماع في وقت واحد، بل الاجتماع في الفعل، وإذا كان مع كل فكل للإحاطة، وأجمعون للاجتماع في وقت واحد ذكره بعض الحواشي عن الشيخ عبد القاهر اهـ.

قوله: ﴿إلا إبليس﴾ استثناء متصل لأن من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم أو منقطع، وقوله: ﴿استكبر﴾ على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء، فإن تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروي، وبه يتحقق أنه للاباء والاستكبار. وعلى الثاني: يجوز اتصاله بما قبله أي لكن إبليس استكبر اهـ أبو السعود.

والثاني هو الصحيح ولذلك سلكه الشارح حيث قال: كان بين الملائكة اهـ.

قوله: (في علم الله) أي: علم في الأزل أنه سيكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً من أهل الجنة، وطاف بالبيت أربعة عشر ألف عام، وعبد الله ثمانين ألف عام اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ أي: خلقته بذاتي من غير توسط أب وأم والتثنية لإبراز كمال الاعتناء

تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن عن السجود، استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ

بخلقه عليه السلام المستدعي لإجلاله وتعظيمه قصداً إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿استكبرت﴾ (الآن) المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر، لكن جواب إبليس بقوله: ﴿أنا خير منه﴾ الخ لا يطابقه، لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود لكونه خيراً منه وعالياً بالنسبة إليه، وبين ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين، والنار أشرف من الطين لأن الأجرام الفلكية أشرف من الأجرام العنصرية، والنار أقرب العناصر من الفلك والأرض أبعدها منه، وأيضاً النار لطيفة نورانية، والأرض كثيفة ظلمانية، واللطافة والنورانية خير من الكثافة والظلمانية اهـ زاده.

قوله أيضاً: ﴿استكبرت﴾ قرأ العامة بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وإنكار وأم متصلة هنا، هذا قول جمهور النحويين. ونقل ابن عطية عن بعض النحويين أنها لا تكون معادلة للألف مع اختلاف الفعلين، وإنما تكون معادلة إذا دخلت على فعل واحد كقولك: أقام زيد أم عمرو، وأزيد قام أم عمرو، وإذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معادلة، وهذا الذي حكاه عن بعض النحويين مذهب فاسد، بل جمهور النحاة على خلافه، قال سيبويه: وتقول أضربت زيداً أم قتلته فالابتداء هنا بالفعل أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت أي ذلك كان اهـ.

فعادل بها الألف مع اختلاف الفعلين. وقرأ جماعة منهم ابن كثير وليست مشهورة عنه استكبرت بألف الوصل، فاحتملت وجهين، أحدهما أن يكون الاستفهام مراداً يدل عليه أم، واحتمل أن يكون خبراً محضاً، وعلى هذا فأم منقطعة لعدم شرطها اهـ سمين.

قوله: (استفهام توبيخ) جواب ما يقال لأي شيء جاء الاستفهام هنا مع علم الله تعالى بالمانع من السجود، وإيضاحه: أن الاستفهام هنا ليس لتحصيل العلم بل للتوبيخ وإظهار معاندته وكفره وكيده اهـ كرخي.

قوله: (المتكبرين) أي: قديماً. وقوله: (لكونك منهم) أي: المتكبرين قديماً.

قوله: ﴿قال أنا خير منه﴾ أي: ولو كنت مساوياً له في الشرف لكان يقبح أن أسجد له، فكيف وأنا خير منه، ثم بين كونه خيراً منه بقوله: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ أي: والنار أشرف من الطين وأفضل منه، وأخطأ إبليس في القياس لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به، والطين أصل كل ما هو نام نابت كالإنسان والشجرة، ومعلوم أن الإنسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل، وإذا قيل إن النار خير من الطين بخاصية فالطين خير منها وأفضل بخواص، وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة، فإن نسبه يوجب رجحانه بوجه واحد، ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون أفضل من ذلك النسيب بدرجات كثيرة اهـ خازن.

مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي الناس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ

وعبارة أبو السعود: ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة المادة والعنصر، وغاب عنه ما هو من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ وما هو من جهة الصورة كما أنبأ عنه قوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩] وما هو من جهة الغاية وهو ملاك الأمر، ولذلك أمر الملائكة بالسجود له عليه السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض وإنها ليست لغيره، انتهت.

قوله: (أي من الجنة الخ) هذا الخلاف مبني على خلاف آخر، وهو أن الأمر بالسجود لآدم كان بعد دخوله الجنة أو قبله، فقوله: (هنا) أي: من الجنة مبني على القول الأول، وقوله: (وقيل من السموات) مبني على الثاني. وفي الكرخي: وقيل اخرج من الخلقة التي كنت عليها أولاً وانسلخ منها، لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسناً، وأظلم بعدما كان نورانياً. وهذا يدل على أنه لم يكن كافراً حين كان بين الملائكة، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يحك عنه إلا الاستكبار عن السجود، فهذا دليل على أنه صار كافراً حين لم يسجد؛ ذكره الطيبي اهـ.

وفي تحفة العارفين ما نصه: وكان إبليس رئيساً على اثني عشر ألف ملك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طرد غيرت صورته وجعله الله منكوساً على مثال الخنازير ووجهه كالقردة، وهو شيخ أعور كوسج، وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس، وعيناه مشقوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كسنام الجمل الكبير، وشفتاه كشفتي الثور، ومنخراه مفتوحتان مثل كور الحجام اهـ.

قوله: ﴿فإنك رجيم﴾ الخ فإن قلت: إذا كان الرجم بمعنى الطرد وكذلك اللعنة لزم التكرار، فما الفرق؟ قلت: الفرق يحصل بحمل الرجم على الطرد من الجنة أو السماء وبحمل اللعنة على معنى الطرد من الرحمة فيكون أبلغ، ويحصل الفرق ويزول التكرار اهـ خازن.

قوله: ﴿وإن عليك لعنتي﴾ قال ذلك في سورة الحجر بتعريف الجنس ليناسب ما قبله من التعبير بالجنس في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان والجان خلقناه من قبل﴾ [الحجر: ٢٧] وقال هنا: ﴿وإن عليك لعنتي﴾ بالإضافة ليناسب ما قبله من قوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ اهـ زكريا في متشابه القرآن.

وعبارة أبي السعود: ﴿وإن عليك لعنتي﴾ أي: إبعادي عن الرحمة وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله: (وإن عليك اللعنة) لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى، وإنهم يدعون عليه بلعنة الله وإبعاده عن الرحمة اهـ.

وعبارة السمين: وقال هنا لعنتي وفي غيرها اللعنة، وهما وإن كانا في اللفظ عاماً وخاصاً إلا أنهما من حيث المعنى عاماً بطريق اللازم، لأن من كانت عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل أحد لا محالة. وقال تعالى: ﴿أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ [البقرة: ١٦١] اهـ.

قوله: ﴿إلى يوم الدين﴾ فإن قلت: كلمة إلى لانتهاء الغاية فتقتضي انقضاء اللعنة عنه عند مجيء

﴿ٱلْمُنظَرِينَ ۝٨٠﴾ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٨١﴾ وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ أي المؤمنين ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤﴾ بنصبهما ورفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول، قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي فالحق

يوم الدين مع أنها لا تنقطع. قلت: معناه أن اللعنة باقية عليه في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة زيد له على اللعنة من العذاب بحيث تنسى اللعنة بذلك، فكأنها انقطعت عنده اهـ خازن.

قوله: ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي: أمهلني وأخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي: إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تمتني إلى يوم يبعثون أي: آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم، وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث، وقوله: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أي: الذي أراده الله وقدره وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الأولى، لا إلى وقت البعث الذي هو المسؤول اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قال فبعزتك﴾ الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الإنظار ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿فبما أغويتني﴾ [الأعراف: ١٦] فإن اغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته، وحكم من أحكام قهره وسلطنته، فإن الإقسام بهما واحد، ولعل اللعين أقسم بهما جميعاً، فحكى تارة قسمه بإحدهما وأخرى بالأخرى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لأغوينهم﴾ أي: بتزيين المعاصي لهم اهـ أبو السعود.

قوله: (بنصبهما الخ) قراءتان سبعيتان، وقوله: (فنصبه بالفعل الخ) أي: على كل من القراءتين. قوله: (قيل بالفعل المذكور) هو أقول، ويكون التكرار للتوكيد، وقوله: (على نزع حرف القسم) أي: أقسم بالحق فحذف الفعل وحرف القسم ونصب الحق، فالحاصل أن نصب الثاني ليس له إلا وجه واحد، وأما نصب الأول ففيه احتمالات ثلاثة، ورفعه فيه احتمالان، وقد ذكر ذلك الشارح كله، وقوله: و(جواب القسم الخ) أي على بعض الأعاريب، وذلك البعض وجهان: نصبه بنزع حرف القسم، ورفعه بتقدير الخبر قسمي، وأما على وجهي النصب الآخرين ووجه الرفع الآخر، فيكون لأملأن جواب قسم مقدر تقديره: أقسم بعزتي لأملأن الخ أو نحو ذلك اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿فالحق والحق﴾ قرأهما العامة منصوبين، وفي نصب الأول أوجه، أحدها: أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانتصب، وقوله: ﴿لأملأن﴾ جواب القسم. قال أبو البقاء: إن سيبويه يدفعه لأنه لا يجوز حذف حرف القسم إلا مع اسم الله، ويكون قوله: ﴿والحق أقول﴾ معترضاً بين القسم وجوابه. قال الزمخشري: كأن قيل ولا أقول إلا الحق يعني أن تقديم المفعول أفاد الحصر، والمراد بالحق نقيض الباطل. الثاني: أنه منصوب على الإغراء أي: الزموا الحق. الثالث: أنه مصدر مؤكد لمضمون قوله: ﴿لأملأن﴾. قال الفراء: هو على معنى قولك حقاً لا شكاً ووجود الألف واللام وطرحهما سواء أي لأملأن جهنم حقاً اهـ.

مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي الناس ﴿أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ﴿قُلْ مَآ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ جعل ﴿مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ المتقوِّلين القرآن من تلقاء نفسي ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ أي

وجوز الزمخشري أن يكون منصوباً على التكرير بمعنى أن الأول والثاني كليهما منصوبان بأقول، وسيأتي إيضاح ذلك في عبارته. وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول، ونصب الثاني: فرفع الأول من أوجه، أحدها: أنه مبتدأ وخبره مضمر تقديره، فالحق مني أو فالحق أنا. الثاني: أنه مبتدأ خبره لأملأن قاله ابن عطية قال: لأن المعنى أني أملأ. الثالث: أنه مبتدأ خبره مضمر تقديره فالحق قسمي ولأملأن جواب القسم كقوله: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] ولكن حذف الخبر هنا ليس بواجب لأنه نص في اليمين بخلاف لعمرك، وأما نصب الثاني فبالفعل بعده اهـ.

وفي أبي السعود: قال: أي الله تعالى ﴿فالحق والحق أقول﴾ برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أو خبر محذوف المبتدأ، ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر أي لا أقول إلا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي: فالحق قسمي ﴿لأملأن جهنم الخ﴾ على أن الحق إما اسمه تعالى، أن نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به، أو فأنا الحق أو فقولي الحق. وقوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم﴾ حينئذ جواب لقسم محذوف أي: والله لأملأن الخ. وقوله تعالى: ﴿والحق أقول﴾ على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الأولين لمضمون الجملة القسمية، وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعني: فقولي الحق، وقرئا منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه: لأملأن وما بينهما اعتراض، وقرئا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه، كقولك الله لأفعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد، وقرىء بجر الأول على إضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية انتهى.

قوله: (بذريتك) أي: مع ذريتك، وعبارة غيره: من جنسك من الشياطين اهـ.

قوله: ﴿أجمعين﴾ فيه وجهان، أظهرهما أنه توكيد للضمير في منك وما عطف عليه في قوله: ﴿وممن تبعك﴾ وجيء بأجمعين دون كل، وقد تقدم أن الأكثر خلافه، وجوز الزمخشري أن يكون تأكيداً للضمير في منهم خاصة، فقدر لأملأن جهنم من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس اهـ سمين.

قوله: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي: المتصفين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن اهـ أبو السعود.

قوله: (دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين، وإن كان لفظ العالمين يشملهم في الأصل، وذلك لأجل قوله: ﴿إن هو إلا ذكر﴾ لأن المراد بالذكر الموعظة والتخويف وتذكير العواقب، وهذا إنما يناسب المكلفين وهم الثقلان فقط، تأمل.

يوم القيامة، وعلم بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر أي والله.

قوله: ﴿ولتعلمن نبأه﴾ من جملة المأمور بقوله اهـ شيخنا.

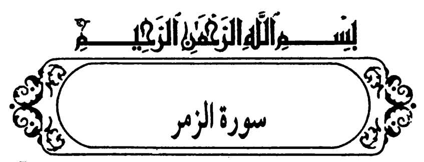
قوله: (خبر صدقه) لعل في العبارة قلباً أي صدق خبره، وبعضهم فسر النبأ بالصدق فقط اهـ شيخنا.

قوله: (أي يوم القيامة) تفسير لبعد حين فهو منصوب اهـ شيخنا.

والحين: هو مدة الدنيا. وفي الخازن: قال ابن عباس بعد الموت، وقيل: يوم القيامة، وقيل: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت، وكان الحسن يقول: يا بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق بعد حين أي بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه، وقيل: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى اهـ.

قوله: (وعلم بمعنى عرف) أي: فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه، وقيل: إن علم على بابه فيكون متعدياً لاثنين، والثاني هو قوله: ﴿بعد حين﴾ اهـ كرخي.



سورة الزمر

مكية إلا ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية مدنية وهي خمس وسبعون آية

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ ①﴾ في صنعه ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ②﴾ من

بسم الله الرحمن الرحيم

سيأتي أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة اهـ.

ويقال لها سورة الغرف، قال وهب بن منبه: من أراد أن يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه فليقرأ سورة الغرف، وهي مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر بن زيد. قال ابن عباس: إلا آيتين نزلتا بالمدينة، إحداهما: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ [الزمر: ٢٣] والأخرى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. وقال آخرون: إلا سبع آيات من قوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣] إلى آخر سبع آيات. نزلت في وحشي وأصحابه على ما يأتي، وروى الترمذي عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل اهـ قرطبي.

قوله: (وهي خمس وسبعون آية) وقيل: اثنتان وسبعون.

قوله: ﴿إنا أنزلنا﴾ الخ شروع في بيان المنزل عليه وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله، والمراد بالكتاب الثاني هو المراد بالكتاب الأول وإظهاره لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه اهـ أبو السعود.

قوله: (متعلق بأنزل) والباء سببية أي بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿الحق﴾ يجوز أن يتعلق بالإنزال أي: بسبب الحق وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفاعل أو المفعول وهو الكتاب أي: ملتبسين بالحق أو ملتبساً بالحق، وفي قوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ تكرير تعظيم بسبب إبرازه في جملة أخرى مضافاً إنزاله إلى المعظم نفسه اهـ.

قوله: ﴿مخلصاً﴾ حال من فاعل اعبدوا، والدين منصوب باسم الفاعل والفاء في فاعبد للربط،

الشرك أي موحداً له ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ لا يستحقه غيره ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ﴾ الأصنام ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ وهم كفار مكة قالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ قربى مصدر بمعنى تقريباً ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ وبين المسلمين ﴿ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿ كَفَّارٌ ۝ ﴾

كقولك: أحسن إليك فلان فاشكره والعامة على نصب الدين كما تقدم ورفعه ابن أبي عبلة على أنه مبتدأ والخبر الجار والمجرور قبله اهـ سمين.

قوله: (أي موحداً له) أي: مفرداً له بالعبادة وهي الدين والإخلاص قصد العبد بعمله ونيته رضا الله لا يشوبه بشيء من غرض الدنيا وإخلاص المسلمين، كما أشار إليه في التقرير أنهم قد تبرؤوا مما يدعيه اليهود من التشبيه والنصارى من التثليث اهـ كرخي.

قوله: ﴿ألا لله الدين﴾ أي: العبادة وهذا استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿والذين اتخذوا﴾ الخ تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك إخلاصه ومحل الموصول رفع بالابتداء وخبره جملة قوله: ﴿إن الله يحكم بينهم﴾ الخ. وقوله: ﴿ما نعبدهم﴾ الخ حال من واو اتخذوا بتقدير القول مبينة لكيفية إشراكهم اهـ أبو السعود.

وقال غيره: إن الخبر محذوف تقديره يقولون ما نعبدهم الخ وهذا هو المتبادر من صنيع الجلال، واتخذوا ينصب مفعولين الأول منهما محذوف كما قدره الشارح.

قوله: (وهم كفار مكة) تفسير للموصول. قوله: (قالوا) ﴿ما نعبدهم﴾ الخ أي: فإنهم كانوا إذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم؟ فيقولون: الله. فيقال لهم: وما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون: لتقربنا إلى الله وتشفع لنا عنده اهـ خازن.

قوله: (قربى مصدر الخ) عبارة السمين زلفى مصدر مؤكد على غير المصدر ولكنه ملاق لعامله في المعنى، والتقدير: ليزلفونا زلفى أو ليقربونا قربى، وجوز أبو البقاء أن يكون حالاً مؤكدة، انتهت.

قوله: (وبين المسلمين) أي: فالمقابل محذوف لدلالة الحال والسياق عليه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿من أمر الدين﴾ أي: الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل فريق صحة ما ذهب إليه اهـ أبو السعود.

قوله: (فيدخل المؤمنين الجنة الخ) أي: فالحكم ليس بمعنى فصل الخصومة، بل هو مجاز أو كناية عن تمييزهم تمييزاً يعلم منه حقية ما تنازعوا فيه اهـ شهاب.

قوله: ﴿إن الله لا يهدي﴾ أي: لا يوفق للاهتداء للحق من هو كاذب كفار، لأنه فاقد للبصيرة غير قابل للاهتداء لتغييره الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلال والتمادي في الغي، والجملة تعليل لما ذكر من حكمه اهـ أبو السعود.

بعبادته غير الله ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾ ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ واتخذه ولداً، غير من قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ لخلقه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله

قوله: ﴿لو أراد الله﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه على الإطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجاً أولياً اهـ أبو السعود.

والآية إشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه ونتيجته تقريرهما، لكنه لم يصطف أي: لم يتخذ ولداً غير من قالوا في شأنه إنه ابن الله، وهذا النفي باعترافهم كسائر الخلائق فلم يرد اتخاذ الولد تأمل.
قوله: (غير من قالوا) أي: غير مخلوق وبينه ثلاثة بالملائكة وعزير والمسيح، وقوله: (قالوا) أي: قالوا في شأنه فمن في قوله: (من الملائكة) بيانية لمن، وقوله: (بنات الله) خبر مبتدأ محذوف، والجملة مقول، وقوله: (وعزير) بالجر عطفاً على الملائكة، وقوله: (ابن الله) مقول القول، وكذا يقال فيما بعده اهـ شيخنا.

وعبارة الكرخي: لاصطفى مما يخلق ما يشاء إذ كل موجود سواه مخلوقه، لكن اللازم باطل لاستحالة كون المخلوق من جنس الخالق، فكذلك الملزوم. وإيضاح ذلك أن اللازم وهو الجزاء وهو لاصطفى مما يخلق ما يشاء هنا باطل، لأنه يلزم منه أن يكون المخلوق وهو الولد جنساً من الخالق وكونه جنساً منه يلزم حدوث الخالق وهو ممتنع عقلاً ونقلاً، وأن الملزوم وهو الشرط وهو لو أراد الله أن يتخذ ولداً باطل أيضاً، لأن بطلان اصطفاء الولد مما يخلق ما يشاء يستلزم بطلان إرادته تعالى اتخاذ الولد ولا يرد على هذا خلق عيسى عليه السلام الطير، لأنه ليس بعام أو لأنه بمعنى التقدير من الطين ثم الله تعالى يخلقه حيواناً بنفخ عيسى فيه إظهاراً لمعجزته اهـ.

قوله: ﴿سبحانه﴾ الخ تقرير لما ذكر من اتخاذ الولد في حقه وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه أي: تنزهه بالذات عن اتخاذ الولد اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿هو الله الواحد﴾ الخ استئناف مبين لتنزهه بحسب الصفات اثر ببيان تنزهه بحسب الذات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الواحد القهار﴾ (لخلقه) أي: والوحدانية تنافي المماثلة فضلاً عن التوالد، والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، وإلا لجاز أن يكون مقهوراً تعالى الله عن ذلك اهـ كرخي.

قوله: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ تفصيل لبعض أفعاله الدالة على تفرده سبحانه بما ذكر من الصفات الجليلة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿يكور الليل﴾ الخ بيان لكيفية تصرفه فيهما بعد بيان خلقه لهما، وقوله: (يدخل الخ) أي: فكأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس، ويغيب فيه كما يعيب الملفوف في اللفافة، أو يجعله

﴿عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره، المنتقم من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾ لأوليائه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم والضأن

عليه أكواراً متتابعة تتابع أكوار العمامة اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿يكور الليل﴾ الخ جملة مستأنفة، والتكوير اللف واللي، يقال: كار العمامة على رأسه وكورها، ومعنى تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على هذا المعنى أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا، وإذا غشي مكانه فكأنما لف عليه ولبسه كما يلف اللباس على اللابس، أو أن كل واحد منهما يغيب الآخر إذا طرأ عليه فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غشيه عن مطامح الأبصار، أو أن هذا يكر على هذا كروراً متتابعاً فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض قاله الزمخشري، وهو أوفق للاشتقاق من أشياء قد ذكرت. وقال الراغب: كور الشيء إدارته وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة، وقوله: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وانقاص الليل والنهار وازديادهما اهـ.

قوله: (فيزيد) ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة ومنتهى النقصان تسع ساعات اهـ خازن.

وقوله: ومنتهى الزيادة الخ غير مستقيم وحقه أن يقول ومنتهى الزيادة أربع عشرة ساعة، ومنتهى النقصان عشر ساعات كما لا يخفى تأمل. قوله: ﴿كل يجري﴾ الخ بيان ليكفيه تسخيرهما اهـ أبو السعود.

قوله: (ليوم القيامة) أي: ثم ينقطع جريانه بفنائه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ تصدير الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ألا تنبيه أي: تنبهوا فإني أنا العزيز الغالب أي: الساتر لذنوب خلقي برحمتي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ إن قلت: كيف عطف بثم مع أن خلق حواء من آدم سابق على خلقنا منه؟ أجيب: بأن ثم هنا للترتيب في الإخبار لا في الإيجاد أو المعطوف متعلق بمعنى واحد، فثم عاطفة عليه لا على خلقكم، فمعناه خلقكم من نفس واحدة أفردت بالإيجاد ثم شفعت بزوج، أو هو معطوف على خلقكم، لكن المراد بخلقهم خلقهم يوم أخذ الميثاق دفعة لا على هذا الخلق الذي هم فيه الآن بالتوالد والتناسل، وذلك لأن الله خلق آدم عليه السلام ثم أخرج أولاده من ظهره كالذر، وأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى ظهره ثم خلق منه حواء اهـ كرخي.

قوله: ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أخبر عن الأزواج بالنزول لأنها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل، وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾

والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ من كلٍّ زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ أي نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ۝٦﴾ عن عبادته إلى

[الأعراف: ٢٦] الآية قيل: أنزل أي: أنشأ وقال سعيد بن جبير: خلق، وقيل: إن الله تعالى خلق هذه الأنعام في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ [الحديد: ٢٥] فإن آدم لما أهبط إلى الأرض أنزل معه الحديد، وقيل: ﴿أنزل لكم من الأنعام﴾ أي: أعطاكم، وقيل: جعل الخلق إنزالاً لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء، فالمعنى خلق لكم كذا بأمره النازل. قال قتادة: من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج اهـ.

قوله: ﴿ثمانية أزواج﴾ الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل، فيطلق لفظ الزوج على المفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه، ويحصل منهما النسل، وكذا يطلق على الاثنين فهو مشترك، والمراد هنا الإطلاق الأول اهـ خازن وأبو السعود من سورة الأنعام.

قوله: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾ الخ بيان لكيفية خلق ما ذكر من الإناسي والأنعام إظهاراً لما فيها من عجائب القدرة غير أنه غلب أولي العقل أو خصهم بالخطاب لأنهم المقصودون اهـ بيضاوي.

وقوله: (غير أنه غلب الخ) أي: في ضمير العقلاء والخطاب اهـ.

قوله أيضاً: ﴿يخلقكم﴾ الخ استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة، وقوله: ﴿خلقاً﴾ الخ مصدر وقوله: ﴿في ظلمات﴾ متعلق بيخلقكم اهـ أبو السعود.

وفي الشهاب قوله: ﴿في ظلمات﴾ بدل من قوله: ﴿في بطون أمهاتكم﴾ أو متعلق بيخلق أو بخلقاً، إذ لا يلزم كونه مصدراً مؤكداً، والرحم موضع النطفة والمشيمة كبهيمة مقر الولد اهـ.

قوله: ﴿خلقاً﴾ مصدر ليخلقكم، وقوله: ﴿من بعد خلق﴾ صفة له فهو لبيان النوع من حيث إنه لما وصف زاد معناه على معنى عامله، ويجوز أن يتعلق من بعد خلق بالفعل قبله فيكون خلقاً لمجرد التوكيد اهـ سمين.

قوله: (أي نطفاً الخ) فيه قصور وعدم موافقة ترتيب الآية. وفي البيضاوي: أي: حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف اهـ.

قوله: ﴿في ظلمات﴾ متعلق بخلق المجرور الذي قبله، ولا يجوز تعلقه بخلقاً المنصوب لأنه مصدر مؤكد فلا يعمل، ولا يجوز تعلقه بالفعل قبله لأنه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى إلا بالبدلية أو العطف، فإن جعلت في ظلمات بدلاً من بطون أمهاتكم بدل اشتمال، لأن البطون مشتملة عليها، ويكون بدلاً بإعادة العامل جاز ذلك. أعني تعلق الجارين بيخلقكم ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لأنه من تتمة العامل فليس بأجنبي اهـ سمين.

قوله: (وظلمة الرحم) الرحم داخل البطن، والمشيمة داخل الرحم. وفي المصباح: المشيمة وزان كريمة وأصلها مفعلة بسكون الفاء وكسر العين، لكن ثقلت الكسرة على العين فنقلت إلى الشين

عباده غيره ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ وإن أراده من بعضهم ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا ﴾ الله فتؤمنوا ﴿ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر ﴿ وَلَا تَزِرُ ﴾ نفس ﴿ وَازِرَةٌ وِزْرَ ﴾ نفس ﴿ أُخْرَىٰ ﴾ أي لا تحمله ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ ﴾ بما في القلوب ﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ﴾ أي الكافر ﴿ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ ﴾ تضرع ﴿ مُنِيبًا ﴾ راجعاً ﴿ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً ﴾ أعطاه إنعاماً ﴿ مِّنْهُ نَسِيَ ﴾ ترك ﴿ مَا كَانَ يَدْعُو ﴾ يتضرع ﴿ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾

وهي غشاء ولد الإنسان. وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف، والجمع مشيم بحذف الهاء، ومشايم مثل معيشة ومعايش، ويقال لها من غيره السلا اهـ.

قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ والله خبره، وربكم خبر آخر وجملة له الملك خبر ثالث اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون خبراً بعد خبر اهـ سمين.

قوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ معنى عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضي بأن يأذن فيه ويقر عليه ويثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه، وإن كان بإرادته إذ لا يخرج شيء عنها وهذا قول قتادة والسلف أجروه على عمومه، وقال ابن عباس: ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى كقوله تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ [الإنسان: ٦] يريد بعض العباد اهـ خطيب.

وفي أبي السعود: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به، ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ أي: يرضى الشكر لأجلكم ومنفعتكم، لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به، وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعميمه بكونهم عباده تعالى اهـ.

قوله: (بسكون الهاء وضمها الخ) فالقراءات ثلاثة وكلها سبعية.

قوله: ﴿ولا تزر وازرة﴾ الخ بيان لعدم سراية كفر الكافر لغيره أصلاً اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ أي: بمضمرات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهذا تعليل للتنبئة بالأعمال اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وإذا مس الإنسان﴾ (أي الكافر) ﴿ضر﴾ الخ أفاد أن المراد بالإنسان الكافر، والمراد بالضر جميع المكاره سواء كان في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده، لأن اللفظ مطلق فلا معنى لتقييده اهـ كرخي.

قوله: (راجعاً إليه) أي: عن دعاء الأصنام الذي كان يفعله في حال الرخاء لعلمه بأنه بمعزل عن القدرة على كشف ضره اهـ أبو السعود.

قوله: (أعطاه إنعاماً) أي: أعطاه النعم على سبيل الإنعام والتفضل فإنعاماً في كلامه ليس مفعولاً

وهو الله، فما في موضع من ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ⑧﴾ ﴿أَمَّنْ﴾ بتخفيف الميم

به، بل مفعول من أجله، فإن التحويل يختص بالمعطي تفضلاً وإحساناً ولا يطلق على ما أعطي جزاء اهـ أبو السعود.

وفي السمين: يقال خوله نعمة أي: أعطاها إياه ابتداء من غير مقتضى، ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية، وقوله: ﴿منه﴾ يجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف على أنه صفة لنعمة اهـ.

قوله: (وهو الله) تفسير لما، وعبارة السمين: قوله: ﴿ما كان يدعو إليه﴾ يجوز في ما هذه أوجه، أحدها: أن تكون موصولة بمعنى الذي مراداً بها الضر أي: نسي الضر الذي كان يدعو إلى كشفه. الثاني: أنها بمعنى الذي مراداً بها الباري تعالى أي: أنسي الله الذي يتضرع إليه وهذا عند من يجيز إطلاق ما على أولي العلم. الثالث: أن تكون ما مصدرية أي: أنسي كونه داعياً. وقوله: ﴿من قبل﴾ أي: من قبل تخويل النعمة اهـ.

قوله: ﴿ليضل﴾ اللام للعاقبة، وقوله: (بفتح الياء وضمها) سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾ أي: قل لهذا الضال والمضل بياناً لحاله، وقوله: ﴿إنك من أصحاب النار﴾ أي: ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع اهـ أبو السعود.

وعبارة البيضاوي: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾ أمر تهديد فيه إشعار بأن الكفر نوع تشبه لا سند له، وإقناط للكافرين من التمتع في الآخرة، ولذلك علله بقوله: ﴿إنك من أصحاب النار﴾ على سبيل الاستئناف للمبالغة اهـ.

وقوله: (نوع تشبه) أي: فإنه لما عبر عن الاشتغال بالكفر بالتمتع وهو الانتفاع بما تشتهيه النفس أشعر بذلك اهـ زاده.

قوله: ﴿قليلاً﴾ أي: زماناً قليلاً كما أشار له بقوله: (بقية أجلك) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أمن هو قانت﴾ من تمام الكلام المأمور بقوله أي: وقل للكافرين أمن هو قانت الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (بتخفيف الميم) أي: فالهمزة للاستفهام الإنكاري كما سيشير له بقوله: (أي: لا يستويان)، ومن اسم موصول بمعنى الذي مبتدأ في محل رفع خبره محذوف قدره بقوله: (كمن هو عاص)، وقوله: ﴿قانت﴾ جملة اسمية صلة الموصول، وقوله: ﴿ساجداً وقائماً﴾ حالان من قانت وقوله: ﴿يحذر الآخرة﴾ حال أخرى متداخلة أو مترادفة أو جملة استئنافية معترضة، وقوله: (بمعنى بل) أي: التي للإضراب الانتقالي والهمزة أي: التي للاستفهام الإنكاري، وعلى هذه القراءة ترسم الميم في النون كرسمها على قراءة التخفيف وهذا اتباعاً لخط مصحف الإمام كما يؤخذ من الجزرية، وشرحها لشيخ الإسلام وهذا بالنظر لرسم المصحف، وأما في غيره فترسم ميم أم مفصولة من ميم من كما في عبارة الشارح، ومن على هذه القراءة مبتدأ أيضاً والخبر مقدر كما تقدم في الإعراب بعينه على

﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي يخاف عذابها ﴿وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ﴾ جنة ﴿رَبِّهِۦۗ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة أم من، فأم بمعنى بل والهمزة ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ أي لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾ أصحاب العقول ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ

القراءتين لم يختلف، وقوله: (أي لا يستويان) أي: القانت والعاصي، فهذا تفسير للنفي المستفاد من همزة الإنكار في قوله: ﴿أمن هو قانت﴾ سواء المصرح بها على القراءة الأولى والتي في ضمن أم على الثانية، وقوله: (كما لا يستوي العالم والجاهل) تفسير لقوله: ﴿هل يستوي الذين يعلمون الخ﴾ فالاستفهام فيه أيضاً إنكاري اهـ شيخنا.

وعبارة السمين: قوله: ﴿أمن هو قانت﴾ قرأ الحرميان نافع وابن كثير بتخفيف الميم والباقون بتشديدها. فأما الأولى ففيها وجهان، أحدهما: أنها همزة الاستفهام دخلت على من بمعنى الذي والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف تقديره: أمن هو قانت كمن جعل لله أنداداً أو أمن هو قانت كغيره أو التقدير أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً﴾ ويدل عليه ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فحذف خبر المبتدأ وما يعادل المستفهم عنه، والتقدير أن الأولان أولى لقلة الحذف، والثاني أي تكون الهمزة للنداء ومن منادى، ويكون المنادى هو النبي ﷺ وهو المأمور بقوله: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون﴾ كأنه قيل يا من هو قانت قل كيت وكيت. وأما القراءة الثانية فهي أم داخلة على من الموصولة أيضاً، فأدغمت الميم في الميم وفي أم حينئذ قولان، أحدهما: أنها متصلة ومعادلها محذوف تقديره الكافر خير أم الذي هو قانت. والثاني: أنها منقطعة فتقدر ببل والهمزة أي: بل أمن هو قانت كغيره أو كالكافر المقول له تمتع بكفرك اهـ.

قوله: ﴿آناء الليل﴾ جمع إني بكسر الهمزة والقصر كمعي بكسر الميم والقصر وأمعاء اهـ شيخنا.

وفي المصباح الآناء على أفعال هي الأوقات، وفي واحدها لغتان إني بكسر الهمزة والقصر وإني وزان حم اهـ.

وفي المختار: ﴿وآناء الليل﴾ (ساعاته). قال الأخفش: واحدها إني مثل معي، وقيل واحدها إني وانو يقال: مضى من الليل أنيان والوان اهـ.

قوله أيضاً: ﴿آناء الليل﴾ أي: ساعات الليل أوله وأوسطه وآخره ﴿ساجداً وقائماً﴾ أي: في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل منه، وذلك لأن الليل أستر فيكون أبعد عن الرياء، ولأن ظلمة الليل تجمع الهمة والعزم وتمنع البصر عن النظر إلى الأشياء، وإذا صار القلب فارغاً عن الاشتغال بالأحوال الخارجية رجع إلى المطلوب الأصلي، وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له، وقيل: لأن الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر اهـ خازن.

وفي القرطبي: قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل اهـ.

قوله: ﴿إنما يتذكر﴾ الخ كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد

﴿ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ عن الطاعة وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ⑩﴾ بغير مكيال ولا ميزان ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ

الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: ﴿إنما يتذكر﴾ أي: (يتعظ) ﴿أولو الألباب﴾ أي: أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم الموصوفون في آخر سورة آل عمران بقوله تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية اهـ.

قوله: ﴿قل يا عبادي﴾ الخ أمر رسول الله ﷺ بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى. أي: قل لهم ربكم يقول يا عبادي الخ. وقوله: للذين أحسنوا الخ تعليل للأمر أي: لوجوب الامتثال به وإيراد الإحسان في حيز الصلة دون التقوى للإيذان بأنها من باب الإحسان وأنهما متلازمان اهـ أبو السعود.

وللذين خبر مقدم وفي متعلق بأحسنوا، وحسنة مبتدأ مؤخر.

قوله: ﴿وأرض الله واسعة﴾ أي: فمن تعسرت عليه التقوى والإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الأنبياء والصالحين، فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً اهـ أبو السعود.

وقيل: المراد أرض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها، كما قال: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] والجنة قد تسمى أرضاً قال الله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ [الزمر: ٧٤] اهـ قرطبي.

قوله: ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ ترغيب في التقوى المأمور بها وإيثار الصابرين على المتقين للإيذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الإحسان، لما أشير إليه من استلزام التقوى مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة اهـ أبو السعود.

قوله: (وما يبتلون به) ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها في وأرض الله واسعة اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أجرهم﴾ أي: في مقابلة ما كابدوه من العسر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿بغير حساب﴾ أي: عند الخلق وإن كان معلوماً محصياً عند الله اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: أجراً لا يهتدي إليه حساب الحساب. وفي الحديث: «أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم، ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل» اهـ.

قوله: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله﴾ الخ أمر رسول الله ﷺ أولاً: بأن يخبرهم بأنه مأمور بالعبادة

﴿الدِّينَ ۝١١﴾ من الشرك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣﴾ ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ۝١٤﴾ من الشرك ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره؛ فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدَّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝١٥﴾ البيِّن ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ

والإخلاص فيها، وثانياً: بأن يخبرهم بأنه مأمور بأن يكون أول من أطاع وانقاد وأسلم، وثالثاً: بأن يخبرهم بخوفه من العذاب على تقدير العصيان، ورابعاً بأن يخبرهم بأنه امتثل الأمر وانقاد وعبد الله تعالى وأخلص له الدين على أبلغ وجه وآكده إظهاراً لتصلبه في الدين وحسماً لأطماعهم الفارغة وتمهيداً لتهديدهم بقوله: ﴿فاعبدوا ما شئتم﴾ الخ اهـ أبو السعود.

قوله: (من هذه الأمة) يشير إلى معنى الأولية السبق بحسب الزمان، فالمراد بالسبق السبق بحسب الدعوة، فإن الأفضل أن من يدعو الغير إلى خلق كريم أن يدعو نفسه إليه أولاً ويتخلق به حتى يؤثر في الغير كسنة الأنبياء والصالحين لا الملوك والمتجبرين اهـ كرخي.

قوله: ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ الخ وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ ما حملك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي لأنه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته إذا كان خائفاً حذراً من المعاصي، فغيره أولى بذلك اهـ خازن.

قوله: ﴿الذين خسروا﴾ خبر إن. قوله: ﴿وأهليهم﴾ جمع أهل وأصله أهلون أو أهلين لهم، فحذفت النون للإضافة واللام للتخفيف، والمراد بأهليهم أهل الآخرة، فقوله: ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لخسروا أو لأهليهم. وفي الخازن: وأهليهم يعني أزواجهم وخدمهم يوم القيامة. قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً وأهلاً في الجنة، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله تعالى فخسر نفسه وأهله ومنزله اهـ.

وقيل: المراد أهلهم في الدنيا لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿يوم القيامة﴾ أي: حين يدخلون النار اهـ أبو السعود.

قوله: (بتخليد الأنفس الخ) لف ونشر مرتب. قوله: ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ استئناف وتصديره بحرف التنبيه للدلالة على كمال هوله وفظاعته وأنه لا خسران وراءه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لهم من فوقهم﴾ الخ بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الإبهام اهـ أبو السعود.

ولهم خبر مقدم ومن فوقهم حال، وظلل مبتدأ وقوله: (طباق) أي: قطع كبار وإطلاق الظلل

﴿ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أي المؤمنين ليتقوه، يدل عليه ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الأوثان ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ﴾ أقبلوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ

عليها تهكم، وإلاَّ فهي محرقة والظلة تقي من الحر اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿ومن تحتهم ظلل﴾ أي: فراش ومهاد، وقيل: أحاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب، فإن قلت: الظلة ما فوق الإنسان فكيف سمي ما تحته بالظلة؟ قلت: فيه وجوه، الأول: أنه من باب إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر. الثاني: أن الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر تحته في النار لأنها دركات. الثالث: أن الظلة التحتانية إذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الإيذاء والحرارة سميت باسمها لأجل المماثلة والمشابهة اهـ.

قوله: (يدل عليه) أي: على هذا المقدر وإنما كان هذا تخويفاً للمؤمنين لأنه إذا سمعوا حال الكفار في الآخرة خافوا فأخلصوا التوحيد والطاعة لله عز وجل اهـ خازن.

قوله: ﴿والذين﴾ مبتدأ. وقوله: ﴿أن يعبدوها﴾ بدل اشتمال من الطاغوت، وقوله: ﴿وأنابوا﴾ معطوف على اجتنبوا وجملة لهم البشرى خبر المبتدأ اهـ شيخنا.

﴿والطاغوت﴾: يطلق على الواحد والجمع كما في المختار ويذكر ويؤنث كما في المصباح اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾. قال الأخفش: الطاغوت جمع، ويجوز أن يكون واحدة مؤنثة أي: تباعدوا من الطاغوت، وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها. قال مجاهد، وابن زيد: هو الشيطان، وقال الضحاك والسدي: هي الأوثان، وقيل: إنه الكاهن، وقيل: انه اسم أعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت. وقيل: انه اسم عربي مشتق من الطغيان، وأن يعبدوها في موضع نصب بدلاً من الطاغوت تقديره: والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت، وأنابوا إلى الله أي رجعوا إلى عبادته وطاعته لهم البشرى في الحياة الدنيا بالجنة في العقبى. روي أنها نزلت في عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وسعيد، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم سألوا أبا بكر رضي الله عنه فأخبرهم بإيمانهم فآمنوا، وقيل: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر وغيرهما ممن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي ﷺ، وقوله: ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عن القبيح فلا يتحدث به، وقيل: يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل: يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون أحسنه أي: محكمه فيعملون به، وقيل: يسمعون عزماً وترخيصاً فيأخذون بالعزم دون الرخص، وقيل: يسمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فيأخذون بالعفو، وقيل: إن أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحد الله قبل الإسلام لا إله إلا الله، وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي ﴿اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ في جاهليتهم واتبعوا أحسن ما صار إليهم من القول. اهـ بحروفه.

قوله: ﴿لهم البشرى﴾ (بالجنة) أي: على ألسنة الرسل أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت اهـ بيضاوي.

﴿أَحْسَنَهُۥٓ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ١٨﴾ أصحاب العقول ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ تخرج ﴿مَن فِى

وفي الخطيب: ﴿لهم البشرى﴾ أي: في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر، وأما في الآخرة فعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة، ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخيز والراحة والروح والريحان.

تنبيه:
يحتمل أن يكون المبشر لهم هم الملائكة لأنهم يبشرونهم عند الموت لقوله تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ [النحل: ٣٢] ويحتمل أن يكون هو الله تعالى لقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] ولا مانع أن يكون من الله تعالى ومن الملائكة عليهم السلام، فإن فضل الله سبحانه واسع اهـ.

قوله: ﴿فبشر عباد﴾ وهم الموصوفون باجتناب الأوثان والانابة إلى الله فالمقام للضمير، وإنما أتى به ظاهراً توصلاً لوصفهم بما ذكر اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك الذين﴾ الخ إشارة إلى الموصوفين بما ذكر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الاجمال، وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها، كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب، فإن المراد بها قوله تعالى لإبليس: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ [ص: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ [الأعراف: ١٨] اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قومه، وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان اهـ.

وفي من هذه وجهان، **أظهرهما**: أنها موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف فقدره أبو البقاء كمن نجا، وقدره الزمخشري فأنت مخلصه حذف لدلالة أفأنت تنقذ عليه، وقدره وغيره تتأسف عليه، وقدره الزمخشري على عادته جملة بين الهمزة والفاء تقديره أأنت مالك أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب، وأما غيره فيدعي أن الأصل تقديم الفاء، وإنما أخرت لما تستحقه الهمزة من الصدارة. وقد تقدم تحقيق هذين القولين غير مرة. **الثاني**: أن تكون من شرطية وجوابها أفأنت، فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الانكار وأوقع الظاهر وهو من في النار موقع المضمر كان الأرض أفأنت تنقذه، ولذلك وقع موقعه شهادة عليه بذلك وإلى هذا نحا الحوفي والزمخشري. قال الحوفي: وجيء بألف الاستفهام لما طال الكلام توكيداً ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لأنه لا يصلح في العربية أن يأتي بألف الاستفهام في الاسم وألف أخرى في الجزاء، ومعنى الكلام

ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ ﴾ بأن أطاعوه ﴿ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿ لَا

أفأنت تنقذه، وعلى القول بكونها شرطية يترتب على قول الزمخشري وقول الجمهور مسألة، وهي بأنه على رأي الجمهور يكون قد اجتمع شرط واستفهام، وفيه حينئذ خلاف بين سيبويه ويونس، هل الجملة الأخيرة جواب الاستفهام وهو قول يونس، أو جواب الشرط وهو قول سيبويه، وأما على قول الزمخشري فلم يجتمع شرط واستفهام إذ أداة الاستفهام عنده داخلة على جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط ولم تدخل على جملة الشرط اهـ سمين.

قوله: (جواب الشرط) أي: فمن شرطية، ويجوز أن يكون الجزاء محذوفاً. وقوله: أفأنت تنقذ من في النار جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها، وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار، وتصوير الاجتهاد في دعائه إلى الإيمان بصورة الانقاذ من النار، كأنه قيل أولاً أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد النكير. فقال: أفأنت تنقذ من في النار، وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره اهـ أبو السعود.

قوله: (والهمزة) أي: الأولى والثانية، لكن الأولى لأصل إفادته والثانية لتأكيده. وقوله: (للإنكار) أي: للاستفهام الإنكاري اهـ شيخنا.

قوله: (والمعنى لا تقدر على هدايته الخ) أشار به إلى أن قوله: ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ مجاز بإطلاق المسبب وإرادة السبب، والمعنى أفأنت تهديه بدعائك له إلى الإيمان فتنقذه من النار. ففي الكلام تنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار، وإن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في انقاذهم من النار اهـ أبو السعود.

وفي زاده: قوله: (سعي في انقاذهم من النار) أي: فينزل اجتهاده في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار، فإن أصل الكلام أفأنت تهدي من هو منغمس في الضلالة فوضع النار موضع الضلال وضعاً للمسبب موضع السبب لقوة أمره ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله: ﴿تنقذ﴾ بدل تهدي فهو ترشيح اهـ.

قوله: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ الخ وهم الذين خوطبوا بقوله: ﴿يا عبادي فاتقون﴾، ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضاً فيما سبق بقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ [الزمر: ١٠] الآية. فبين أن لهم جنات ودرجات عالية في جنات النعيم في مقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: لكن الذين اتقوا ربهم لما بين أن للكفار ظللاً من فوقهم ومن تحتهم بيّن أن للمتقين غرفاً فوق غرف، لأن الجنة درجات يعلو بعضها بعضاً، ولكن ليست للاستدراك لأنه لم يأت قبله نفي كقولك: ما رأيت زيداً لكن عمراً، بل هو إضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى، كقولك: جاءني زيد لكن عمرو لم يأت اهـ.

قوله: (بفعله المقدر) أي: وعدهم بذلك وعداً لا يخلفه اهـ شيخنا.

﴿يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾ وعده ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ تذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾ يتذكرون به، لدلالته على

قوله: ﴿ألم تر﴾ الخ استئناف وارد إما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع تحذيراً عن زخارفها والاغترار بها، وإما للاستشهاد على تحقيق الموعود به من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من إنزال الماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى، والمراد بالماء المطر. وقيل: كل ما في الأرض فهو من السماء ينزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله بين البقاع اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فسلكه﴾ أي: أدخله ينابيع في الأرض هي عيون ومجار كائنة فيها، أو مياه نابعات فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف أو الحال اهـ بيضاوي.

قوله: (أدخله أمكنة نبع) أي: أمكنة ينبع منها حيث إنها قريبة من وجه الأرض، فلم يجعله من أسفلها جداً بحيث لا يستخرج منها، ففي كلامه تفسير الينابيع بالأمكنة، ويصح تفسيرها بالماء الكائن فيها. وفي زاده: الينابيع جمع ينبوع وهو إما الموضع الذي يجري فيه الماء من خلال الأرض أو نفس الماء الجاري، والينبوع يفعول من نبع الماء إذا خرج وسال، ومضارعه ينبع بالحركات الثلاث في عين الفعل، فإن كان الينبوع بمعنى المنبع كان نصب ينابيع على المصدر، أي: سلكه سلوكاً في ينابيع، وأدخله إدخالاً فيها على أن يكون ينابيع ظرفاً للمصدر المحذوف، فلما أقيم مقام المصدر جعل انتصابه على المصدر، وإن كان بمعنى النابع كان انتصابه على الحال أي نابعات اهـ.

وقال الشهاب: الحالية لا تخلو من الكدر لأن حقه حينئذ أن يقال من الأرض، وفي الأرض على الوجهين صفة ينابيع اهـ.

وفي المختار: نبع الماء خرج وبابه قطع ودخل ونبع ينبع بالكسر نبعاناً بفتح الباء لغة أيضاً، والينبوع عين الماء ومنه قوله تعالى: ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ [الإسراء: ٩٠] والجمع الينابيع اهـ.

قوله: ﴿ثم يخرج به زرعاً﴾ صيغة المضارع لاستحضار الصورة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي: من أحمر وأصفر وأخضر وأبيض، وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى المقات فتراه مصفراً أي: زالت خضرته ونضارته اهـ من النهر.

قوله: (ييبس) في المختار: وهاج النبت يهيج هياجاً بالكسر يبس اهـ.

وفي المصباح: وهاج البقل يهيج أصفر اهـ.

وفي البيضاوي: ثم يهيج بتم جفافه لأنه إذا تم جفافه حان له أن ينتشر عن منبته اهـ.

قوله: ﴿ثم يجعله حطاماً﴾ في المصباح: حطم الشيء حطماً من باب تعب فهو حطم إذا تكسر، ويقال للدابة إذا أسنت: حطمة ويتعدى بالحركة، فيقال: حطمته حطماً من باب ضرب فانحطم وحطمته بالتشديد مبالغة اهـ.

وحدانية الله تعالى وقدرته ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كمن طبع على قلبه دلّ على هذا ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي عن قبول القرآن ﴿أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ بيِّن ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ بدل من أحسن أي قرآناً ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في النظم وغيره ﴿مَّثَانِىَ﴾ ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من الأفعال الخمسة أولها انزل اهـ شيخنا.

قوله: (يتذكرون به دلالته الخ) عبارة البيضاوي: للتذكير بأنه لا بدّ من صانع حكيم دبره وسواه أو بابه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها اهـ.

قوله: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكر بأولي الألباب، وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له، فإنه محل القلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام، فانشراحه مستدع لانشراح القلب اهـ أبو السعود.

والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على جملة مقدرة أي: أكل الناس سواء ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: (كمن طبع على قلبه) هذا ما جرى عليه الشارح وبعضهم جعلها شرطية فخبرها جملة الشرط أو الجواب أو هما اهـ.

قوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق. وعنه ﷺ: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، فقيل ما علامة ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله» اهـ بيضاوي.

قوله: (دل على هذا) أي: المقدر. قوله: (كلمة عذاب) أي: كلمة معناها العذاب والخسران اهـ شيخنا.

قوله: (أي عن قبول القرآن) أشار بهذا الحل إلى أن من بمعنى عن، وأن الذكر هو القرآن، وأن في الكلام مضافاً مقدراً، وبعضهم جعل من تعليلية أي: قست قلوبهم بسبب، ومن أجل ذكر الله فإذا سمعوه نفروا وازدادوا قسوة لفساد قلوبهم وتمرضها، ومن المعلوم أن الدواء النافع قد يكون داء بالنسبة لبعض المرضى اهـ شيخنا.

قوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ الخ روي أن الصحابة ملوا ملة فقالوا لرسول الله ﷺ: حدثنا حديثاً حسناً فنزلت، والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث اهـ أبو السعود.

قوله: (في النظم وغيره) كصحة المعنى والبلاغة والدلالة على المنافع العامة اهـ كرخي.

قوله: ﴿مثاني﴾ جمع مثنى أو مثنى اهـ بيضاوي.

وقوله: (جمع مثنى) بضم الميم وفتح الثاء والنون المشددة على خلاف القياس إذ قياسه مثنيات، وقوله: (أو مثنى) بالفتح مخففاً، وقد مر أنه من التثنية بمعنى التكرير اهـ شهاب.

قوله: (وغيرهما) كالقصص والأحكام، فإن قلت: كيف وصف الواحد بالجمع، أي: كيف وصف الكتاب وهو مفرد بمثاني وهو جمع؟ قلت: الجواب إنما صح ذلك، لأن الكتاب جملة ذات

ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾ يلقى ﴿بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ أي أشده بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كفار مكة ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ

تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير. ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات، فكذلك تقوله أقاصيص وأحكام ومواعظ ونظيره قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب إلا أنك تركب الموصوف إلى الصفة وأصله كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني قاله في الكشاف اهـ كرخي.

قوله: ﴿تقشعر منه﴾ الخ اقشعر جلده إذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره والمصدر الاقشعرار والقشعريرة أيضاً ووزن اقشعر افعلل ووزن القشعريرة فعلليلة اهـ سمين.

فإن قلت: لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت القلوب بها ثانياً؟ قلت: ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب، فكأنه قيل: تقشعر جلودهم وتخشى قلوبهم في أول الأمر فإذا ذكروا الله وذكروا رحمته وسعتها استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم اهـ كرخي.

قوله: (عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن من بمعنى عند اهـ كرخي.

قوله: (أي عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فهو تضمين في الحرف، وجعل الزمخشري التضمين في الفعل وضمن تلين معنى تسكن أو تطمئن اهـ كرخي.

والشارح جمع بين الأمرين اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفمن يتقي بوجهه﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله، والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة على جملة مقدرة أي: أكل الناس سواء فمن يتقي الخ. ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: (كمن أمن منه) اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: يجعله درقة يقي به نفسه انتهت.

وقوله: (يجعله درقة) الدرقة بفتحتين ترس من جلود يتقى به وهو هنا تشبيه بليغ أي: يجعل وجهه قائماً مقام الدرقة في أنه أول ما يمسه المؤلم له لأن ما يتقى به هو اليدان وهما مغلولتان، ولو لم يغلا كان يدفع بهما عن الوجه لأنه أعز أعضائه. وقيل: الوجه لا يتقى به فالاتقاء به كناية عن عدم ما يتقى به إذ الاتقاء بالوجه لا وجه له على حد قوله: (ولا عيب فيهم البيت) اهـ شهاب.

قوله: (مغلولة يداه) أي: وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتشتعل النار فيها وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يده وعنقه اهـ خازن.

قوله: ﴿وقيل للظالمين﴾ الخ عطف على يتقي أي: ويقال لهم من جهة خزنة النار ذوقوا الخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر، وقيل: هو حال من ضمير يتقي بإضمار قد وضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلة الأمر في قوله: ﴿ذوقوا﴾ الخ اهـ أبو السعود.

تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ أي جزاءه ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ من جهة لا تخطر ببالهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا﴾ أي المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ عذابها ما كذبوا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتعظون ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي لبس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الكفر ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك

قوله: ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي إثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الأخروي اهـ أبو السعود.

قوله: (في إتيان العذاب) أي: الذي أصيبوا به في الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: (لا تخطر ببالهم) أي: لا يخطر ببالهم إتيانه من أجلها، فالمراد بالجهة السبب كاللواط في قوم لوط اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي: لو كانوا يصدقون ويوقنون بعذاب الآخرة ما كذبوا رسلهم في الدنيا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ولقد ضربنا﴾ اللام موطئة للقسم. قوله: (جعلنا) أي أوجدنا وبينا اهـ.

قوله: ﴿من كل مثل﴾ أي: يحتاج إليه الناظر في أمر دينه اهـ.

قوله: (حال مؤكدة) أي: للفظ القرآن المعرف المتقدم، وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها، لأن الحال في الحقيقة عربياً وقرآناً توطئة له. وفي السمين: قوله: ﴿قرآناً عربياً﴾ فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون منصوباً على المدح لأنه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن. الثاني: أن ينتصب بيتذكرون أي: يتذكرون قرآناً. الثالث: أن ينتصب على الحال من القرآن على أنها حال مؤكدة وتسمى حالاً موطئة، لأن الحال في الحقيقة عربياً وقرآناً توطئة له نحو: جاء زيد رجلاً صالحاً، وقوله: ﴿غير ذي عوج﴾ نعت لقرآناً أو حال أخرى. قال الزمخشري: فإن قلت: فهلا قيل مستقيماً أو غير معوج؟ قلت فيه فائدتان، أحداهما: نفي أن يكون فيه عوج قط، كما قال ولم يجعل له عوجاً. الثانية: أن العوج يختص بالمعاني دون الأعيان. وقيل: المراد بالعوج الشك واللبس اهـ.

قوله: (أي لبس) أي: في معناه. أي: معناه صحيح يفهم ولا يلتبس بخلافه من الباطل، وقوله: (واختلاف) أي تناف وتناقض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ علة لقوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾، فالأول سبب في الثاني اهـ شيخنا.

وعبارة البيضاوي: ﴿لعلهم يتقون﴾ علة أخرى مرتبة على الأولى اهـ.

أي: لأن لعل يفهم منها التعليل فعلل ضرب الأمثال أولاً بالتذكر والاتعاظ، ثم علل التذكر بالاتقاء لأنه المقصود منه فليس من تعليل معلول واحد بعلتين اهـ شهاب.

قوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾ الخ المعنى اضرب يا محمد لقومك مثلاً وقل لهم: ما تقولون في رجل

والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من مثلاً ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز، أي لا يستوي العبد لجماعة، والعبد لواحد، فإن

مملوك قد اشترك فيه شركاء أخلاقهم سيئة، فكل واحد منهم يدعيه وهم يتجاذبونه في مهماتهم المختلفة، فإذا عرضت له هو حاجة لا يعاونونه عليها فهو متحير في أمره لا يدري على أيهم يعتمد في حاجته، وأيهم يرضى بخدمته، وفي رجل آخر قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل الإخلاص، وذلك السيد يعاونه في حاجته، فأي هذين العبدين أحسن؟ وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي يعبد الله وحده اهـ خازن.

وفي القرطبي: وهذا مثال لمن عبد آلهة كثيرة، وقوله: ﴿ورجلاً سالماً لرجل﴾ أي: خالصاً لسيد واحد، وهو مثل من يعبد الله وحده هل يستويان مثلاً هذا الذي يخدم جماعة شركاء أخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة لا يلقاه رجل إلا جره واستخدمه، فهو يلقى منهم العناء والنصب والتعب العظيم، وهو مع ذلك لا يرضي واحداً منهم بخدمته لكثرة الحقوق في رقبته، والذي يخدم واحداً لا ينازعه أحد، فإن أطاعه وحده عرف ذلك له، وإن أخطأ صفح عن خطئه فأيهما أقل تعباً أو على هدى مستقيم اهـ.

قوله: ﴿متشاكسون﴾ في المختار: رجل شكس بوزن فلس أي: صعب الخلق، وقوم شكس بوزن قفل وبابه سلم. وحكى الفراء شكس بكسر الكاف وهو القياس. قلت: وقوله تعالى: ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ أي: مختلفون عسرو الأخلاق اهـ.

وفي السمين: والتشاكس التخالف وأصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر، ويقال: التشاكس والتشاخس بالخاء المعجمة موضع الكاف اهـ.

وفي القرطبي: متشاكسون من شكس يشكس بوزن قفل فهو شكس مثل عسر يعسر عسراً فهو عسر. يقال: رجل شكس وشرس وضرس والتشاكس والتشاخس الاختلاف. يقال: تشاكست أحواله وتشاخست أسبابه، ويقال: شاكسني فلان أي: ماكسني وشاخسني في حقي. وقال الجوهري: رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق، وقوم شكس مثل رجل صدق وقوم صدق، وقد شكس بالكسر من باب سلم شكاسة. وحكى الفراء: رجل شكس بكسر الكاف وهو القياس اهـ.

قوله: ﴿ورجلاً سالماً﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو سالماً بالألف وكسر اللام، والباقون سلماً بفتح السين واللام، وابن جبير بكسر السين وسكون اللام، فالقراءة الأولى اسم فاعل من سلم له كذا فهو سالم، والقراءتان الأخيرتان سلما وسلما فهما مصدران وصف بهما على سبيل المبالغة، أو على حذف مضاف، أو على وقوعهما موقع اسم الفاعل فيعود كالقراءة الأولى اهـ سمين.

قوله: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي: حالاً وصفة، وقوله: (تمييز) أي محول عن الفاعل أي: لا يستوي مثلهما وصفتهما، وأفرد التمييز لأنه مقتصر عليه أولاً في قوله: ﴿ضرب الله مثلاً﴾، وقرىء مثلين فطابق حالي الرجلين اهـ سمين.

قوله: (أي لا يستوي العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس الذي شبه به المشرك الذي يعبد

الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد، تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للواحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من

آلهة شتى، فقوله: (لجماعة) أي المملوك لجماعة أخلاقهم سيئة، وقوله: (والعبد لواحد) أي: المملوك لمالك واحد راض عنه، وهذا مثل شبه به المؤمن القاصر عبادته على ربه، وقوله: (فإن الأول الخ) تقرير للمثل الأول ولم يتعرض لتقرير الثاني وتوضيحه لوضوحه اهـ شيخنا.

قوله: (إذا طلب منه كل من مالكيه الخ) وما ذاك إلا لسوء أخلاقهم وعدم لطفهم به اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الحمد لله﴾ أي: على عدم استواء هذين الرجلين والجملة اعتراضية، فإن قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ اضراب انتقالي مرتبط بقوله: ﴿هل يستويان﴾ اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: ﴿الحمد لله﴾ الخ تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على أن ما لهم من المزية إنما هو بتوفيق الله، وعلى أنها نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته، وقوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيقعون في ورطة الشرك والضلال اهـ.

قال البغوي: والمراد بالأكثر الكل اهـ كرخي.

قوله: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ تمهيد لما يعقبه من الخصام يوم القيامة اهـ أبو السعود.

فائدة:

قال الفراء: الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت، والميت بالتخفيف من فارقته الروح، ولذلك لم يخفف هنا اهـ خطيب.

وفي السمين: ولا خلاف بين القراء في تثقيل مثل هذا اهـ.

قوله: (فلا شماتة بالموت) في المختار: الشماتة الفرح ببلية العدو وبابه سلم اهـ.

قوله: (نزلت لما استبطؤوا موته الخ) وذلك أنهم كانوا يتربصون موته، فأخبر الله تعالى أن الموت معهم جميعاً، فلا معنى للتربص وشماتة الفاني بالفاني اهـ خازن.

قوله: (أيها الناس) أي: جميعاً مؤمنكم وكافركم اهـ شيخنا.

وفي الخازن: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾. قال ابن عباس: يعني المحق

المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ ﴿۞ فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ بلى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فالذي بمعنى الذين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الشرك ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

والمبطل والظالم والمظلوم. عن عبد الله بن الزبير قال: لما نزلت: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير: يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذي بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذاً لشديد أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية نزلت في أهل الكتابين: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قلنا: كيف نختصم وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم هذا هو. وعن إبراهيم قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قالوا: كيف نختصم نحن إخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا: هذه خصومتنا. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه». وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له. فقال رسول الله ﷺ: «إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» اهـ.

قوله: ﴿إذ جاءه﴾ ظرف لكذب بالصدق أي: كذب بالقرآن في وقت مجيئه، أي: فاجأه بالتكذيب لما سمعه من غير وقفة ولا إعمال روية بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون اهـ خطيب.

قوله: (بلى) أشار به إلى الاستفهام تقريري اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿مثوى للكافرين﴾ أي مقاماً للجاحدين وهو مشتق من ثوى بالمكان إذا أقام به يثوى ثوياً مثل مضى مضاء ومضياً، ولو كان من أثوى لكان مثوى بضم الميم، وهذا يدل على أن ثوى هي اللغة الفصحى، وحكى أبو عبيدة أثوى اهـ.

قوله: (بمعنى الذين) أي فهي جنس، والمراد به بالنسبة للصلة الأولى محمد، وبالنسبة للصلة الثانية المؤمنون، ولذلك روعي معناه فجمع في قوله: ﴿أولئك هم المتقون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾ روعي معنى الذي في هذه الضمائر الثلاثة، كما روعي لفظها في اللذين قبلها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لهم ما يشاؤون﴾ أي: لهم كل ما يشاوونه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة، لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة اهـ كرخي.

لأنفسهم بإيمانهم ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أسوأ وأحسن، بمعنى السيِّىء والحسن ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي النبي بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ من أعدائه؟ بلى ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا

قوله: ﴿ليكفر الله عنهم﴾ متعلق بمحذوف أي: يسر لهم ذلك ليكفر أو بالمحسنين، كأنه قيل الذين أحسنوا لأجل التكفير اهـ سمين. واللام للعاقبة.

قوله: (بمعنى السيىء والحسن) أي: فأفعل التفضيل ليس على بابه، فبهذا الاعتبار عم الأسوأ جميع معاصيهم والأحسن جميع حسناتهم، ولولا هذا التأويل لاقتضى النظم أنه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط، ويجزيهم على أفضل الحسنات فقط هذا مراده اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ استفهام إنكار للنفي مبالغة في الإثبات، والعبد هو رسول الله ﷺ ويحتمل الجنس، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالأنبياء عليهم السلام اهـ بيضاوي.

قوله: (بلى) أي: فالاستفهام للتقرير وأشار به إلى أن دخول همزة الإنكار على كلمة النفي تفيد معنى إثبات الكفاية وتقريرها أي: هو كاف عبده اهـ كرخي.

وكونه للتقرير معناه طلب الإقرار بما بعد النفي، وكونه للنفي معناه: نفي النفي الذي دخل عليه، ونفي النفي إثبات فمآل المعنيين واحد.

قوله: ﴿ويخوفونك﴾ يجوز أن يكون حالاً إذ المعنى أليس الله كافيك حال تخويفهم إياك بكذا، كأن المعنى أنه كافيه في كل حال حتى في هذه الحال، ويجوز أن تكون مستأنفة اهـ سمين.

قوله: (أو تخبله) في المصباح: الخبل بسكون الباء الجنون ونحوه كالهوج والبله، وقد خبله الحزن إذا أذهب فؤاده من باب ضرب فهو مخبول ومخبل، والخبل بفتحها أيضاً الجنون، وخبلته خبلاً من باب ضرب أيضاً فهو مخبول إذا أفسدت عضواً من أعضائه أو أذهبت عقله، والخبال بفتح الخاء يطلق على الفساد والجنون اهـ.

قوله: (ومن يضلل الله) أي: حتى غفل كفاية الله لعبده محمد وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿ذي انتقام﴾ (من أعدائه) أي: لأوليائه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ليقولن الله﴾ أي: لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية اهـ بيضاوي.

يعني: أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم، وذلك متفق عليه عند جمهور الخلائق، فإن فطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم، فإن من تأمل عجائب السموات والأرض وما فيهما من أنواع الموجودات علم بذلك أنها من ابتداع قادر حكيم، ثم أمره الله تعالى أن يحتج عليهم

﴿تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾؟ لا، وفي قراءة بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يثق الواثقون ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿مَن﴾ موصولة مفعولة العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾

بأن ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير ولا دفع ضر وهو قوله: ﴿قل أفرأيتم﴾ الخ اهـ خازن.

قوله: ﴿قل أفرأيتم﴾ أي: اخبروني وهي متعدية لاثنين، أولهما: ما تدعون. والثاني: الجملة الاستفهامية، والعائد منها على المفعول الأول قوله: ﴿هن﴾، وإنما أنث تحقيراً لها ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث اللات والعزى ومناة اهـ سمين.

وعلى هذا فجملة الشرط اعتراضية وجوابها محذوف اهـ شيخنا.

قوله أيضاً: ﴿قل أفرأيتم﴾ الظاهر أن الفاء جواب شرط مقدر أي: إذا لم يكن خالق سواه فهل يمكن غيره كشف ما أراد من الضر أو منع ما أراد من النفع أو هي عاطفة على مقدر أي: أتفكرتم بعد ما أقررتم به فرأيتم الخ. وقدم الضر لأن دفعه أهم وخص نفسه بقوله: ﴿أرادني﴾ لأنه جواب لتخويفه فهو المناسب اهـ شهاب.

وفي القرطبي: ﴿قل أفرأيتم﴾ أي: قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر أي: بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره يعني: هذه الأصنام أو أرادني برحمة أي: نعمة ورخاء هل هن ممسكات رحمته. قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا. وقال غيره: قالوا: لا تدفع شيئاً قدره ولكنها تشفع، فنزلت: ﴿قل حسبي الله﴾ الآية. وترك الجواب من الآية لدلالة الكلام عليه. يعني فسيقولون لا أي: لا تكشف ولا تمسك، فقل أنت حسبي الله الخ اهـ.

قوله: (وفي قراءة بالإضافة فيهما) أي: سبعية. قوله: (حالتكم) وهي الكفر والعناد والأمر للتهديد، وقوله: (على حالتي) وهي الإيمان والانقياد. وفي البيضاوي: على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان، وقرىء مكاناتكم اهـ.

أي: فشبهت الحال بالمكان القار فيه ووجه الشبه ثباتهم في تلك الحال بثبات المتمكن في مكانه، وأما تشبيه المكان بالزمان ففي الشمول والإحاطة، وقراءة الجمع مروية عن عاصم وأبي بكر فهي سبعية وليست بشاذة كما يتوهم من ظاهر كلامه اهـ شهاب.

قوله: (مفعولة العلم) أي: لأنها بمعنى العرفان فتنصب مفعولاً واحداً اهـ شيخنا.

قوله: (يخزيه) أي: يهينه ويذله أي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف اهـ قرطبي.

قوله: (دائم) أي: فهو مجاز في الظرف أو في الإسناد وأصله مقيم فيه صاحبه اهـ شهاب.

قوله: ﴿للناس﴾ أي: لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم فهو للناس كافة، لأن رسالتك كذلك اهـ خطيب.

متعلق بأنزل ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ فتجبرهم على الهدى ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتوفى ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى

قوله: (متعلق بأنزل) أي: أو بمحذوف فيكون حالاً من فاعل أنزلنا أو مفعوله أي: ملتبساً كما جرى عليه القاضي اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: لست مأموراً بأن تحملهم على الإيمان على سبيل القهر بل القبول وعدمه مفوض إليهم وذلك تسلية لرسول الله ﷺ أو لأن الهداية والضلال من العبد لا يحصلان إلا من الله تعالى، لأن الهداية تشبه الحياة واليقظة، والضلال يشبه الموت والنوم، فكما أن الحياة واليقظة لا يحصلان إلا بخلق الله تعالى، كذلك الضلال لا يحصل إلا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى في القدر، ومن عرف سر الله تعالى في القدر هانت عليه المصائب اهـ خطيب.

قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ أي: الأرواح التي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً وباطناً وذلك عند الموت، أو ظاهراً لا باطناً وذلك في النوم، فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها إلى البدن، ويرسل الأخرى أي: النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الإرسال. وما روي عن ابن عباس أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما تعلق مثل شعاع الشمس، فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والحياة فيتوقفان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه اهـ بيضاوي.

أي: فهو رضي الله عنه أثبت في ابن آدم شيئين، وسمى إحداهما نفساً والأخرى روحاً. وجعل نسبة الروح إلى النفس كنسبة الشعاع إلى الشمس في كونه متعلقاً بها أثراً لها، وعلى ما ذكره المصنف ليس في ابن آدم إلا شيء واحد هو الجوهر المشرق النوراني يكون لابن آدم بحسبه ثلاثة أحوال: حال يقظة، وحال نوم، وحال موت. فإنه باعتبار تعلقة بظاهر الإنسان وباطنه تعلقاً كاملاً تثبت له حال اليقظة وباعتبار تعلقه بظاهر الإنسان فقد تثبت له حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن تثبت له حالة الموت، وقوله: (قريب) مما ذكرناه وجه قربه أن النفس والروح وإن كانا أمرين متغايرين بالذات على ما روي، إلا أن المقبوض عند الموت ما يكون متعلقاً بباطن الإنسان ومبدأ للنفس والحياة والأمر، كذلك على ما ذكره المصنف، وكذا المقبوض عند النوم وهو ما يكون متعلقاً بظاهر الإنسان ومبدأ للعقل والتمييز كما هو كذلك على ما ذكره المصنف اهـ زاده.

وعبارة القرطبي: قال ابن عباس وغيره من المفسرين: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها. وقال سعيد بن جبير: إن الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى أي: يعيدها. قال علي رضي الله عنه: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقيل استقرارها في جسدها فهي الرؤيا الكاذبة لأنها من القاء

مَنَامِهَا﴾ أي يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾

الشيطان. وروي مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله قيل: يا رسول الله أينام أهل الجنة؟ قال: «لا النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها» خرجه الدارقطني: وقال ابن عباس: في قفص ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك، فإذا نام العبد فقبضت نفسه ولم تقبض روحه، وهذا قول ابن الأنباري والزجاج. قال القشيري أبو نصر: وفي هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحالين شيء واحد، ولهذا قال: فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، فإذاً يقبض الله الروح في حالين في حالة النوم وفي حالة الموت فما قبضه في حالة النوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض، وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة، وقوله: ﴿ويرسل الأخرى﴾ أي: يزيل الحابس عنها فتعود كما كانت فتوفى الأنفس في حال النوم بإزالة الإدراك وخلق الغفلة والآفة في محل الإدراك، وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية، فيمسك التي قضى عليها الموت بأن لا يخلق فيها الإدراك، ويرسل الأخرى بأن يعيد إليها الإحساس. وقد اختلف الناس في النفس والروح هل هما شيء واحد أو شيئان؟ على ما ذكرناه الأظهر أنهما شيء واحد وهو الذي تدل عليه الآثار الصحاح، والصحيح أن النفس جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة يجذب ويخرج، وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج لا يموت ولا يفني، وهو مما له أول وليس له آخر وهو بعينين ويدين وأنه ذو ريح طيب وخبيث كما في حديث أبي هريرة: وهذه صفات الأجسام لا صفات الأعراض اهـ باختصار.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين». فإن قلت: كيف الجمع بين قول: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ وبين قوله: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ [السجدة: ١١] وبين قوله: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١]؟ قلت: المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى، وملك الموت هو القابض الروح بإذن الله تعالى والملك الموت اهـ خازن.

وفي القاموس: وداخلة الازار طرفه الذي يلي الجسد ويلي الجانب الأيمن اهـ.

قوله: (ويتوفى) ﴿التي لم تمت﴾ أشار به إلى أن هذا معطوف على الأنفس أي: يتوفى الأنفس حين تموت، ويتوفى أيضاً الأنفس التي لم تمت في منامها ففي منامها ظرف ليتوفى اهـ سمين.

قوله: ﴿فيمسك التي ﴾ الخ أي: لا يردها إلى جسدها، ﴿ويرسل الأخرى﴾ أي: يردها إلى جسدها اهـ شيخنا.

قوله: (أي وقت موتها) هذا يقتضي أن الظرف متعلق بقوله: ﴿ويرسل﴾، والأحسن تعلقه به

المذكور ﴿لَآيَـٰتٍ﴾ دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك ﴿أَمِ﴾ بل ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿شُفَعَآءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَ﴾يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي دون آلهتهم ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

ويمسك أيضاً، والأجل المسمى في الممسوكة: هو النفخة الثانية اهـ شيخنا.

قوله: (بخلاف العكس) أي: لا تبقى نفس التمييز بدون نفس الحياة اهـ شيخنا.

قوله: (المذكور) أي: من التوفي والإمساك والإرسال ﴿لقوم يتفكرون﴾ أي: في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة، وفي الحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها اهـ بيضاوي.

قوله: (وقريش لم يتفكروا الخ) قدره ليكون قوله: ﴿أم اتخذوا﴾ إضراباً انتقالياً عنه فهو إضراب عن مقدر اهـ شيخنا.

قوله: (أي الأصنام) بيان للمفعول الأول.

قوله: ﴿أ﴾ (يشفعون) يشير به إلى أن مدخول الهمزة محذوف، وقوله: ﴿ولو كانوا﴾ حال من فاعله أي: أيشفعون في حالة تقدير عدم ملكهم وعدم عقلهم اهـ زاده.

قوله: (أي هو مختص بها الخ) جواب كيف قال ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ مع ما جاء في الأخبار أن للأنبياء والعلماء والشهداء والأطفال شفاعات؟ وإيضاحه: أنه مختص بها لا يملكها أحد إلا بتمليكه، كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] لكن الذي هو مشروط في الآية شيئان الملك المطلق والعقل والشرط مفقودان اهـ كرخي.

قوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي: فهو مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم دون إذنه ورضاه اهـ خطيب.

قوله: ﴿وإذا ذكر الله وحده﴾ الخ اختار الشيخ أن يكون العامل في إذا الشرطية الفعل بعدها لا جوابها، وأنها ليست مضافة لما بعدها، وإن كان قول الأكثرين، وجعل إذا الفجائية معمولة لما بعدها سواء كانت زماناً أو مكاناً، أما إذا قيل إنها حرف فلا تحتاج إلى عامل وهي رابطة لجملة الجزاء بالشرط كالفاء والاشمئزاز النفور والانقباض اهـ سمين.

قوله: ﴿إذا هم يستبشرون﴾ وذلك لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله، ولقد بلغ في الأمرين حتى بلغ الغاية فيهما، فإن الاستبشار أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه، والاشمئزاز أن

مبدعهما ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ يظنون ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي العذاب ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعاماً ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾

يمتلىء غضباً وغماً حتى ينقبض أديم وجهه اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿قل اللهم﴾ الخ المعنى التجىء إلى الله بالدعاء لما تحيرت في أمرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم، فإنه القادر على الأشياء والعامل بالأحوال كلها اهـ بيضاوي.

قوله: (بمعنى يا الله) يعني: أن أصل اللهم يا الله حذفت يا وعوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه، ولذا لم يجمع بينهما، فلا يقال: يا أللهم في فصيح الكلام وما سمع من قوله:

إنـــي إذا مـــا حـــدث ألمـــا أقـــول يـــا اللهـــم يـــا اللهمـــا

فضرورة اهـ كرخي.

قوله: (اهدني) هذا هو المقصود والمطلوب بالدعاء اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي وغاية شدته وفظاعته، أي: لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر ومثله معه الخ اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿لافتدوا به﴾ أي: بالمذكور من الأمرين أي: لجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب الشديد، وهذا وعيد لهم شديد وإقناط لهم من الخلاص اهـ أبو السعود.

وقوله: ﴿يوم القيامة﴾ ظرف لافتدوا. قوله: ﴿وبدا لهم﴾ الخ مستأنف أو معطوف على جملة ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي: ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم، وهذا غاية في الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿سيئات ما كسبوا﴾ أي: الأعمال السيئة التي هي من جملة أعمالهم التي كسبوها على الإطلاق وهذا البدو والظهور حين تعرض عليهم صحائفهم اهـ أبو السعود.

وفي السمين: قوله: ﴿سيئات ما كسبوا﴾ يجوز أن تكون ما مصدرية أي: سيئات كسبهم، أو بمعنى الذي أي: سيئات أعمالهم التي اكتسبوها.

قوله: (الجنس) أي: فهذا إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده والفاء لترتيب ما بعدها من

من الله بأني له أهل ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾ بلية يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ أن التخويل استدراج وامتحان ﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، كقارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ

المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين، وما بينهما مؤكد للإنكار عليهم أي: أنهم يشمئزون بذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم، ثم يناقضون أنفسهم إذا مسهم ضر فيدعون من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره اهـ أبو السعود.

قوله: (إنعاماً) أي: تفضلاً وإحساناً، فإن التخويل مختص به لا يطلق على ما أعطي جزاء اهـ أبو السعود.

وتقدم أن المفعول في هذا التركيب محذوف على تفسير الشارح النعمة بالأنعام، وعند قوله: ﴿ثم إذا خولناه نعمة منا﴾.

قوله: ﴿قال إنما أوتيته﴾ ما موصولة أو كافة، فعلى الأول الهاء عائدة عليها، وعلى الثاني عائدة على النعمة، والتذكير باعتبار كونها بمعنى الإنعام كما قال الشارح اهـ شيخنا.

وعلى الثاني هي زائدة كما في السمين لأنها هي التي تزاد بعد الحروف النواسخ لتهيئها للدخول على الأفعال.

قوله: (من الله بأني له أهل) أو مني بوجوه كسبه أو بأني سأعطاه بمالي من الاستحقاق اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: ﴿على علم﴾ أي: على علم من الله تعالى بأني له أهل، وقيل: إن كان ذلك سعادة في المال أو عافية في النفس يقول: إنما حصل ذلك بجدي واجتهادي، وإن كان صحة قال: إنما حصل ذلك بسبب العلاج الفلاني، وإن حصل مالاً يقول حصل بكسبي، وهذا تناقض أيضاً لأنه لما كان عاجزاً محتاجاً أضاف الكل إلى الله تعالى، وفي حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى وأسنده إلى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح اهـ.

قوله: ﴿بل هي﴾ (أي القولة) أي: المقالة المذكورة، والأولى كما صنع غيره تفسير الضمير بالنعمة أي: بل النعمة فتنة أي: محنة وابتلاء له يشكر أم يكفر وهذا رد لمقالته اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فيه دلالة على أن المراد بالإنسان الجنس اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قد قالها﴾ أي: المقالة المذكورة اهـ أبو السعود.

قوله: (الراضين بها) أشار بهذا إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل، وإنما نسب إليهم قولها باعتبار رضاهم بها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فما أغنى﴾ أي: دفع عنهم.

قوله: ﴿سيئات ما كسبوا﴾ أي: جزاء سيئات أعمالهم أو جزاء أعمالهم، وسماه سيئة لأنه في

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾ بفائتين عذابنا، فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ به ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا

مقابلة أعمالهم السيئة رمزاً إلى أن جميع أعمالهم كذلك اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿من هؤلاء﴾ بيانية أو تبعيضية، وقوله: ﴿سيصيبهم﴾ السين للتأكيد اهـ أبو السعود.

قوله: (فقحطوا سبع سنين) أي: وقتل صناديدهم يوم بدر اهـ خطيب.

قوله: ﴿أولم يعلموا﴾ الضمير للقائلين إنما أوتيته على علم، فالمعنى أقالوها ولم يعلموا الخ، أو أغفلوا ولم يعلموا الخ اهـ أبو السعود بتصرف.

قوله: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسعه لمن يشاء وإن كان لا حيلة له ولا قوة امتحاناً. ويقدر أي: يضيق لمن يشاء وإن كان قوياً شديد الحيلة ابتلاء فلا قابض ولا باسط إلا الله تعالى، ويدل على ذلك أنا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب، وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله، فإنا نرى العاقل القادر في أشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في أعظم السعة اهـ خطيب.

قوله: ﴿إن في ذلك﴾ المذكور من التوسع والتضييق اهـ.

قوله: ﴿يؤمنون﴾ (به) أي: بالله اهـ.

قوله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الخ المعنى قل يا محمد ربكم المحسن إليكم يقول يا عبادي الخ اهـ خطيب.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب، وأوهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ذكر ما في إحسانه من غفران الذنوب إذا آمن العبد ورجع إلى الله تعالى، وكثيراً ما تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف، وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب فتمحو توبته ذنبه، وقال عبد الله وغيره: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى اهـ نهر.

فقوله: ﴿أسرفوا على أنفسهم﴾ أي: بالكفر أو بالمعاصي، وسبب نزولها ما روي عن ابن عباس أنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب، وأنا فعلت ذلك كله، فأنزل الله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ [مريم: ٦٠]. فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك، فأنزل الله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] قال وحشي: أراني بعد في شبهة أن يغفر لي أم لا. فأنزل الله: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ فقال وحشي: نعم الآن لا أرى شرطاً فأسلم اهـ خازن.

﴿تَقْنَطُوا۟﴾ بكسر النون وفتحها، وقرىء بضمها تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ بمنعه إن لم تتوبوا ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ

ثم قال: فإن قلت: حمل هذه الآية على ظاهرها إغراء بالمعاصي وإطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يليق. قلت: المراد منها التنبيه على أنه لا ينبغي للعاصي أن يظن أنه لا مخلص له من العذاب، فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله تعالى إذ لا أحد من العصاة إلا وأنه متى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة، فمعنى قوله: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ أي: بالتوبة إذا تاب وصحت توبته فمحت ذنوبه ومن مات قبل أن يتوب فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى فيه فإن شاء غفر له وعفا عنه وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة بفضله ورحمته، فالتوبة واجبة على كل واحد وخوف العقاب قائم، فلعل الله يغفر مطلقاً ولعله يعذب ثم يغفر بعد ذلك اهـ.

وعبارة النهر: ولما كانت هذه الآية فيها فسحة عظيمة للمسرف أتبعها بأن الإنابة وهي الرجوع مطلوبة مأمور بها، ثم توعد من لم يتب بالعذاب حتى لا يبقى المرء كالمهمل من الطاعة والمتكل على الغفران دون إنابة، انتهت.

وفي هذه الآية من أنواع المعاني والبيان أشياء حسنة، منها: إقباله عليهم ونداؤهم، ومنها: إضافتهم إليه إضافة تشريف، ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿من رحمة الله﴾، ومنها: إضافة الرحمة لأجل أسمائه الحسنى، ومنها: إعادة الظاهر بلفظه في قوله: ﴿إن الله﴾، ومنها: إبراز الجملة من قوله: ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ مؤكدة بإن والفصل باعادة الصفتين اللتين تضمنتها الآية السابقة اهـ سمين.

قوله: ﴿يا عبادي﴾ بحذف الياء وثبوتها مفتوحة سبعيتان. قوله: ﴿الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أي: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي اهـ بيضاوي.

يعني: أن الإسراف مجاز لاستعمال المقيد وهو الإفراط في صرف المال في المطلق، ثم تضمينه معنى الجناية ليصح تعديته بعلى والمضمن لا يلزم فيه أن يكون معناه حقيقياً اهـ شهاب.

قوله: ﴿بكسر النون﴾ أي: من باب جلس. وقوله: (وفتحها) أي: من باب طرب وسلم، وقوله: (وقرىء بضمها) أي: شاذاً من باب دخل، ففي المختار: القنوط اليأس وبابه جلس ودخل وطرب وسلم فهو قنط وقنوط وقانط اهـ.

قوله: (إن لم تتوبوا) راجع لقوله: ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾.

قوله: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ الخ قال الحسن: أي: ألزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فإنه أنزل في القرآن ذكر القبيح لتجتنبوه، وذكر الأحسن لتؤثروه وتأخذوا به خازن.

وفي البيضاوي: ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ أي: القرآن أو المأمور به دون المنهي

إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ قبل إتيانه بوقته، فبادروا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ﴾ أصله يا حسرتي أي ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة أي وإني ﴿كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ بدينه وكتابه ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ عذابه ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى

عنه أو العزائم دون الرخص، أو الناسخ دون المنسوخ، ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة اهـ.

قوله: (هو القرآن) تفسير للأحسن، فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة أحسنها القرآن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أن تقول نفس﴾ الخ جعله معمولاً لمقدر كما ترى وجعل غيره المقدر كراهة أن تقول اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (فبادروا قبل) ﴿أن تقول﴾ الخ أشار به إلى أنَّ أنْ مفعول من أجله كما قدره، وقدره الزمخشري كراهة أن تقول، وابن عطية أنيبوا من أجل أن تقول، وأبو البقاء والحوفي أنذرناكم مخافة أن تقول قال الحلبي عقب نقله هذه التقادير: ولا حالجة إلى إضمار هذا العامل مع وجود أنيبوا ونكر نفس، لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر المتميزة باللجاج الشديد في الكفر أو بالعذاب العظيم، ويجوز أن يراد التكثير أي: نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة المؤمنون اهـ شيخنا.

قوله: (أصله يا حسرتي) أي: فالألف منقلبة عن ياء المتكلم اهـ نهر.

والحسرة الاغتمام والحزن على ما فات اهـ خازن.

قوله: ﴿على ما فرطت﴾ أي: على تفريطي وتقصيري فما مصدرية اهـ شيخنا.

قوله: (أي طاعته) الجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشيء المحسوسة، وإطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه، فالطاعة لها تعلق بالله كما أن الجهة لها تعلق بصاحبها اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿على ما فرطت﴾ ما: مصدرية أي: على تفريطي، وثم مضاف أي: في جنب طاعة الله، وقيل: في جنب الله المراد به الأمر والجهة. يقال: هو في جنب فلان وفي جانبه. أي: في جهته وناحيته، ثم اتسع فيه فقيل فرط في جنبه أي في حقه اهـ.

قوله: ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي: من المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال. أي: فرطت وأنا ساخر اهـ أبو السعود.

قوله: (بالطاعة) في نسخة بألطافه.

قوله: ﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ الخ التعبير بأو للدلالة على أن النفس لا تخلو عن هذه

ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ المؤمنين، فيقال له من قبل الله ﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى﴾ مأوى ﴿لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ عن الإيمان؟ بلى ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ أي بمكان فوزهم من الجنة بأن

الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته اهـ أبو السعود.

أي: فاو للتنويع لما تقوله النفس في ذلك اليوم، ويصح أن تكون مانعة فتجوز الجمع اهـ.

قوله: ﴿فأكون من المحسنين﴾ إما معطوف على كرة، وإما منصوب في جواب التمني، والفرق بين القولين أنه على الأول يكون من جملة المتمنى ويكون إضمار أن جائز إلا واجباً، وعلى الثاني يكون مترتباً على التمني ويكون إضمار أن واجباً اهـ شيخنا.

وفي السمين: قوله: ﴿فأكون من المحسنين﴾ في نصبه وجهان، أحدهما: عطفه على كرة فإنها مصدر فعطف مصدر مؤول على مصدر مصرح به. والثاني: أنه منصوب على جواب التمني المفهوم من قوله: ﴿لو أن لي كرة﴾. والفرق بين الوجهين أن الأول يكون فيه الكون متمنى، ويجوز أن تضمر أن وأن تظهر، والثاني يكون فيه الكون مترتباً على حصول المتمنى، ويجب أن تضمر أن اهـ.

قوله: (فيقال له من قبل الله) أشار به إلى جواب سؤال تقديره أن كلمة بلى مختصة بإيجاب النفي في واحد من تلك المقالات، فكيف صح أن تقع بلى جواباً بالغير منفي؟ فأجاب بأنه لما كان قوله: ﴿لو أن الله هداني﴾ وجوابه متضمناً نفي الهداية، لأنها للامتناع كأنه قال ما هداني الله. فيقال: بلى قد جاءتك آياتي مرشدة لك الخ اهـ كرخي.

والضمير في قول المفسر له راجع للنفس والتذكير باعتبار كونها شخصاً كافراً اهـ شيخنا.

قوله: (وهو سبب الهداية) يشير إلى أن قوله: (بلى الخ) رد للمقالة الثانية، وهي ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾. قال أبو السعود: وقوله تعالى: ﴿بلى قد جاءتك﴾ الخ رد منه تعالى للنفي الذي تضمنه قول القائل: لو أن الله هداني، وإنما لم قدم بجنبه لئلا يفصل بين مقالات الكافر الثلاثة، وإنما لم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة حتى يتصل ردها بها لئلا يكون ترتيب النظم مخالفاً للترتيب الوجودي، فإن الكافر يتحسر أولاً ثم يتعلل ثانياً بعد إرشاد الله في الدنيا ثم يتمنى ثالثاً الرجوع إليها اهـ.

قوله: ﴿وجوههم مسودة﴾ جملة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال من الموصول إن جعلت الرؤية بصرية، وفي محل المفعول الثاني إن جعلت علمية، والأولى أولى لأن كون الوجوه وألوانها من متعلقات البصر أظهر من كونهما من متعلقات القلب، وقوله: ﴿أليس﴾ الخ تعليل لاسوداد وجوههم كأنه قال: لأن لهم في جهنم مقراً ومقاماً اهـ شيخنا.

وفي أبي السعود: هذا تقرير لاسوداد وجوههم.

قوله: ﴿بمفازتهم﴾ الباء سببية متعلقة بينجي، وفسر المفازة بمكان الفوز، وفسرها غيره بالفوز

يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ متصرف فيه كيف يشاء ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ متصل بقوله ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾ الخ، وما بينهما اعتراض ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ غير منصوب

نفسه، وقوله: (من الجنة) حال من المكان أي: حال كونه بعضها، وقوله: (بأن يجعلوا فيه) أي: في ذلك المكان الذي هو من الجنة أي: بأن يدخلوها، وقوله: ﴿لا يمسهم﴾ الخ حال من الموصول فيفيد أنهم قبل دخول الجنة في غاية الأمن والسرور اهـ شيخنا.

وقرأ الأخوان، وأبو بكر: بمفازاتهم جمعاً لما اختلفت أنواع المصدر جمع، والباقون بالإفراد على الأصل، وقيل: ثم مضاف محذوف أي: بدواعي مفازاتهم أو بأسبابها، والمفازة المنجاة. وقيل: لا حاجة لذلك إذ المراد بالمفازة الفلاح اهـ سمين.

قوله: ﴿لا يمسهم السوء﴾ يجوز أن تكون هذه الجملة مفسرة لمفازتهم كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقيل: ﴿لا يمسهم السوء﴾ فلا محل لها، ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من الذين اتقوا اهـ سمين.

قوله: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ جملة مستأنفة. والمقاليد: جمع مقلاد مثل مفتاح ومفاتيح أو مقليد مثل منديل ومناديل، والكلام من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومديرها هو الذي يملك مفاتيحها، فهو كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء مخزون في السموات والأرض اهـ خطيب.

وفي السمين: ﴿له مقاليد السموات﴾ جملة مستأنفة. والمقاليد: جمع مقلاد أو مقليد أو لا واحد له من لفظه كأساطير وأخواته، ويقال أيضاً: إقليد وأقاليد وهي المفاتيح والكلمة فارسية معربة. وفي هذا الكلام استعارة بديعة نحو قولك: بيد فلان مفتاح هذا الأمر وليس ثم مفتاح، وإنما هو عبارة عن شدة تمكنه من ذلك الشيء اهـ.

وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: «تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير». والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه اهـ بيضاوي.

قوله: (من المطر والنبات) من بيانية وهي بيان للخزائن. قوله: (متصل بقوله وينجي الخ) أي: معطوف عليه أحد المتقابلين على الآخر، وإن كان المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية، فهذا لا يمنع صحة العطف غايته أنه حال عن حسنه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿أفغير الله﴾ الخ أي: أبعد مشاهدة الآية الدالة على انفراد أعبد غيره، وأمر بأن يقول لهم ذلك حين دعوه لعبادة آلهتهم وتعظيمها وتقبيلها اهـ شيخنا.

بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿بَلِ اللَّهَ﴾

قوله: (المعمول لتأمروني) أي: على إضمار أن المصدرية، فلما حذفت بطل عملها على أحد الوجهين فيها، والأصل أتأمرونني بأن أعبد غير الله ثم قدم مفعول أعبد على تأمروني العامل في عامله، وقد ضعف بعضهم هذا بأنه يلزم منه تقديم معمول الصلة على الموصول، وذلك لأن غير منصوب بأعبد وأعبد صلة لأن وهو لا يجوز، ورد بأن الموصول لما حذف لم يراع حكمه فيما ذكر بل يراعى معناه ليصح الكلام اهـ كرخي.

قوله: (بنون واحدة) أي: مخففة مع فتح الياء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للمناسبة وحذفت نون الوقاية لاجتماع المثلين وهذه قراءة نافع، وقوله: (بإدغام) وعليه يجوز في الياء السكون والفتح، وقوله: (وفك) عليه فالياء ساكنة لا غير، فالقراءات أربعة وكلها سبعية اهـ شيخنا.

قوله: (بإدغام وفك) لف ونشر مرتب للقراءات الثلاث، وإيضاحه، أن من قرأ بالنون الشديدة أدغم نون علامة الرفع في نون الوقاية، ومن قرأ بالتخفيف حذف نون الوقاية على الصحيح وكسر النون التي هي علامة رفع الفعل فتوصل بكسرتها إلى الياء، ومن قرأ بنونين بالفك فعلى الأصل. قال الأزهري: وهو جيد لولا أن الثابت في المصحف نون واحدة اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولقد أوحي إليك﴾ هذه اللام دالة على قسم مقدر أي: والله لقد أوحي الخ وإليك قيل هو نائب الفاعل، وقيل: نائبه جملة القسم وجوابه أي: أوحى إليك هذا الكلام وهو ﴿لئن أشركت﴾ الخ، وقيل: نائب الفاعل محذوف يدل عليه السياق أي: أوحى إليك التوحيد، وقوله: ﴿لئن أشركت﴾ الخ هذه اللام أيضاً دالة على قسم مقدر كما قدره الشارح فكل منهما موطئة للقسم، وقوله: ﴿ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ كل من هذين اللامين واقعة في جواب القسم الثاني، والثاني وجوابه جواب الأول، وأما جواب الشرط في قوله: ﴿لئن أشركت﴾ فمحذوف لدخول جواب القسم عليه فهو من قبيل قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم

الخ اهـ شيخنا.

قوله: (فرضاً) أي: على سبيل فرض المحال، إذ وقوع الشرك منه محال لعصمته كسائر الأنبياء اهـ شيخنا.

فإن قلت: الموحي إليه جماعة هو ومن قبله من الرسل فكيف ساغ التوحيد، بل كان الظاهر أن يقال: لئن أشركتم الخ؟. وأجيب: بأن تقدير الآية ﴿أوحي إليك لئن أشركت﴾ الخ وأوحى إلى الذين من قبلك مثله أي: أوحى إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال: كسانا حلة أي: كسى كل واحد منا حلة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ليحبطن عملك﴾ في المصباح: حبط العمل يحبط من باب تعب حبطاً بالسكون وحبوطاً فسد وهدر وحبط يحبط من باب ضرب لغة، وقرىء بها في الشواذ، وحبط دم فلان حبطاً من باب تعب

وحده ﴿فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ إنعامه ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا﴾ حال أي السبع ﴿قَبۡضَتُهُۥ﴾ أي مقبوضة له، أي في ملكه وتصرفه ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦۚ﴾

هدر، وأحبطت العمل والدم بالألف أهدرته اهـ.

قوله: ﴿ولتكونن من الخاسرين﴾ عطف مسبب على سبب.

قوله: ﴿بل الله فاعبد﴾ معطوف على مقدر دل عليه سياق الكلام، أي: فلا تشرك بل الله الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿وما قدروا الله﴾ الخ من باب ضرب ونصر وفرح اهـ قاموس.

وفي الجامع الصغير: عن أبي يعلى، وابن السني عن الحسين السبط رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقولوا: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] الآية، ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية»، انتهى.

وآخر الآية الأولى ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾ [هود: ٤٢] وآخر الثانية. ﴿يشركون﴾ وعن ابن عباس قال: من قرأ هاتين الآيتين فعطب أو غرق فعلي ذلك اهـ من المناوي.

قوله: ﴿والأرض﴾ مبتدأ وقبضته خبره، والجملة في محل نصب على الحال من اسم الجلالة، أي: ما عظموه حق عظمته، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة، وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها، ولما كان في دار الدنيا من يدعي الملك والقهر والعظمة والقدرة دون دار الآخرة فالأمر فيها لله وحده ظاهراً وباطناً. قال: ويوم القيامة اهـ خطيب.

وفي القرطبي: وإنما خص يوم القيامة بالذكر وإن كانت قدرته عامة وشاملة لدار الدنيا أيضاً، لأن الدعاوى تنقطع ذلك اليوم كما قال والأمر يومئذ لله، وقال مالك: يوم الدنيا حسبما تقدم في الفاتحة، ولذلك قال في الحديث: ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض. وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بياناً اهـ.

وروى الشيخان، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون وأين المتكبرون وأين ملوك الأرض» اهـ خازن.

قوله: (حال) أي: لفظ جميعاً حال من الأرض الواقع مبتدأ، أو هذه الحال دالة على أن المراد بالأرض الأرضون، لأن هذا التأكيد لا يحسن إدخاله إلا على الجمع اهـ خطيب.

فلهذا قال الشارح: أي السبع اهـ.

قوله: (أي مقبوضة الخ) عبارة القرطبي: والأرض جميعاً قبضته أي: أن قبض الله الأرض عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، يقال: ما فلان إلا في قبضتي يعني ما فلان إلا في قدرتي، والناس يقولون الأشياء في قبضته يريدون في ملكه وقدرته، وقد يكون معنى القبض والطي إفناء الشيء

بقدرته ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ معه ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات

وإذهابه، فقوله عز وجل: ﴿والأرض جميعاً قبضته﴾ يحتمل أن يكون المراد به والأرض جميعاً ذاهبة فانية يوم القيامة، والمراد بالأرض الأرضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله: ﴿جميعاً﴾ وقوله: ﴿والسموات﴾، ولأن الموضع موضع تفخيم فهو مقتض للمبالغة اهـ.

قوله: ﴿يوم القيامة﴾ إن كان هذا الخطاب مع المؤمنين فهم معترفون بقدرة الله تعالى ووحدانيته في الدنيا والآخرة فلا فائدة للاحتجاج عليهم، وإن كان المشركين فهم ينكرون الآخرة من أصلها فلا يسوغ الاحتجاج عليهم بهذه الحجة. ويجاب بأن المقصود الإشارة إلى أن المتولي لإبقاء السموات والأرض في هذه الدار هو المتولي لتخريبهما يوم القيامة، وذلك يدل على قدرته التامة على الإيجاد والاعدام وأن غني على الإطلاق، فإنه إذا حاول تخريب الأرض يقبضها ويزيلها اهـ من الرازي والخطيب.

قوله: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ ليس يريد به طياً بعلاج وانتصاب، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب، يقال: قد انطوى عنا ما كان فيه وجاءنا غيره، وانطوى عنا وهو بمعنى المضي والذهاب، واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك، ومنه قوله تعالى: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ [النساء: ٣] يريد به الملك، وقال تعالى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ [الحاقة: ٤٥] أي: بالقوة والقدرة اهـ قرطبي.

وفي الخازن: وليس عندنا معنى اليمين الجارحة إنما هي صفة بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار المأثورة الصحيحة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة. وقال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه اهـ.

قوله: (مجموعات) أي: كالسجل المطوي. قال صاحب الكشاف: والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعة تصوير عظمته، والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز اهـ.

وإليه أشار المصنف في التقرير اهـ كرخي.

قوله: ﴿ونفخ في الصور﴾ الذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، وقد قيل: إنه يكون معه جبريل لحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبي الصور بأيديهما أو في أيديهما قرنان يلاحظان النظر حتى يؤمران» خرَّجه ابن ماجة في السنن. وفي كتاب أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور وقال: «عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل» اهـ قرطبي.

قوله: ﴿في الصور﴾ العامة على سكون الواو، ويزيد بن علي وقتادة بفتحها جمع صورة، وهذه ترد قول ابن عطية إن الصور هنا يتعين أن يكون القرن، ولا يجوز أن يكون جمع صورة، وقرىء فصعق مبنياً للمفعول وهو مأخوذ من قولهم صعقتهم الصاعقة. يقال: صعقه الله فصعق إلا من شاء الله متصل،

. . . .

والمستثنى إما جبريل وميكائيل وإسرافيل، وإما رضوان والحور والزبانية، وإما الباري تعالى قاله الحسن وفيه نظر من حيث قوله: ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾، فإنه لا يتحيز فعلى هذا يتعين أن يكون منقطعاً اهـ سمين.

قوله: (مات) أي: من كان حياً في ذلك الوقت من الملائكة وأهل الأرض يعني وغشي على من كان ميتاً من قبل، لكنه حي في قبره كالأنبياء والشهداء فيغشى عليهم بالنفخة الأولى حتى على نبينا ﷺ، وقوله: (من الحور والولدان) هذا استثناء من الصعق بمعنى الموت، ويستثنى منه بمعنى الغشي والإغماء موسى عليه الصلاة والسلام، فإنه لا يصعق من تلك النفخة أي: لا يغشى عليه بل يبقى متيقظاً ثابتاً لأنه صعق في الدنيا مرة في قصة الجبل فلا يصعق أخرى. وعبارة البيضاوي: فصعق أي خر ميتاً أو مغشياً عليه، انتهت.

وكتب عليه الشهاب ما نصه: قوله: (أو مغشياً عليه) ههنا إشكال أورده بعض السلف، وهو أن نص القرآن يدل على أن هذا الاستثناء بعد نفخة الصعق وهي النفخة الأولى التي مات فيها من بقي على وجه الأرض، والحديث الصحيح المروي في الصحيحين والسنن وهو أن النبي ﷺ تلا هذه الآية وقال: «فأكون أول من يرفع رأسه فإذا موسى عليه الصلاة والسلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله» فإنه يدل على أنها نفخة البعث. وما قيل إنه يحتمل أن موسى عليه الصلاة والسلام ممن لم يمت من الأنبياء باطل لصحة موته. وقال القاضي: يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد النشر حين تنشق الأرض والسموات فتتوافق الآيات والأحاديث. قال القرطبي: ويرده ما مرَّ في الحديث من أخذ موسى عليه الصلاة والسلام بقائمة العرش، فإنه إنما هو عند نفخة البعث، وأيضاً تكون النفخات أربعاً ولم ينقله الثقات، فمن حمل قول المصنف أو مغشياً عليه على غشى يكون من نفخة بعد نفخة البعث للإرهاب والإرعاب فكلامه مردود بما عرفت، ومن الغريب أن بعضهم جعلها بحديث أبي هريرة رضي الله عنه خمساً، وقد سمعنا بمن زاد في الطنبور نغمة، ولم نسمع بمن زاد في الصور نفخة. قال القرطبي: والذي يزيح الإشكال ما قاله بعض مشايخنا أن الموت ليس بعدم محض بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء، فإنهم موجودون أحياء وإن لم نرهم، فإذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من في السموات والأرض وصعق غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام موت وصعقهم غشي، فإذا كانت نفخة البعث حيي من مات وأفاق من غشي عليه، ولذا وقع في الصحيحين فأكون أول من يفيق إذا عرفت هذا، فأوفى كلام المصنف للتقسيم، والمراد أن أهل السماء والأرض عند نفخة الصعق منهم من يخر ميتاً كمن على ظهر الأرض من الناس، ومنهم من يغشى عليه كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الملائكة فتأمل اهـ.

فائدة: قال ابن الوردي في خريدة العجائب: ذكر نفخات الصور وهي ثلاث مرات اثنتان منها في آخر الدنيا وواحدة في أول الآخرة.

ذكر النفخة الأولى صاحب الصور هو السيد إسرافيل عليه السلام وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وأن قدميه قد مرقتا من الأرض

السفلى حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام على ما رواه وهب. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كيف أنتم وأن صاحب الصور قد التقمه ينتظر متى يؤمر فينفخ».

ذكر ما جاء في صورة الصور وهيئته. روي أنه كهيئة قرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح، وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها، وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى، وشعبة في فم الملك فيها ينفخ نفخة الفزع ويديمها ويطولها فلا يبرح هكذا عاماً، وهي المذكور في قوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾ [ص: ١٥] وفي قوله تعالى: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾ [يس: ٤٩] وفي قوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ [النمل: ٨٧] قالوا وإذا بدت الصيحة فزعت الخلائق وتحيرت وتاهت، والصيحة تزداد كل يوم مضاعفة وشدة وشناعة، فتنحاز أهل البوادي والقبائل إلى القرى والمدن، ثم تزاد الصيحة وتشتد حتى ينحازوا إلى أمهات الأمصار، وتعطل الرعاة السوائم وتفارقها، وتأتي الوحوش والسباع وهي مذعورة من هول الصيحة فتختلط بالناس وتستأنس بهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت﴾ [التكوير: ٤] ثم تزداد الصيحة هولاً وشدة حتى تسير الجبال على وجه الأرض وتصير سراباً جارياً وذلك قوله تعالى: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ [التكوير: ٤] وقوله: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ [القارعة: ٥] وزلزلت الأرض وارتجت وانتقضت، وذلك قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة: ١] وقوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض الجبال﴾ [المزمل: ١٤] ثم تكور الشمس وتنكدر النجوم وتسجر البحار والناس أحياء كالواهين ينظرون إليها، وعند ذلك تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وتشيب الولدان، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى من الفزع ولكن عذاب الله شديد.

روى أبو جعفر الرازي عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس وبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، وبينما هم كذلك إذ تحركت الأرض فاضطربت، لأن الله تعالى جعل الجبال أوتاداً، ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واضطربت الدواب والطيور والوحوش فماج بعضهم في بعض فقالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر اليقين، فانطلقوا فإذا هي نار تتأجج، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم رحى فأهلكتهم، وهذه من نص القرآن ظاهرة لا يسع المؤمن ردها ولا التكذيب بها. وفي هذه الصيحة تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميماً، وفيها تنشق السماء فتصير أبواباً، وفيها يحيط سرادق من نار بحافات الأرض فتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي أقطار السماء والأرض، فتتلقاهم الملائكة يضربون وجوههم حتى يرجعوا، وذلك قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا﴾ [الرحمن: ٣٣] الآية. والموتى في القبور لا يشعرون بهذه.

ذكر النفخة الثانية في الصور. وذلك قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم﴾

في الأرض إلا من شاء الله﴾ فيموتون في هذه النفخة إلا من تناوله الاستثناء في قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾.

ذكر ما بين النفختين من المدة. يقال: إن ما بين النفختين أربعون سنة تبقى الأرض على حالها مستريحة بعد ما مرَّ بها من الأهوال العظام والزلازل وتمطر سماؤها وتجري مياهها وتطعم أشجارها ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات.

ذكر المطر الذي تنبت منه الأجساد. قالوا: فإذا مضى من النفختين أربعون عاماً أمطر الله سبحانه وتعالى من تحت العرش ماء خاثراً كالطلاء وكالمني من الرجال. يقال له ماء الحيوان فتنبت أجسامهم كما ينبت البقل. قال كعب: ويأمر الله الأرض والبحار والطير والسباع برد ما أكلت من أجساد بني آدم حتى الشعرة الواحدة فتتكلم أجسامهم. قالوا: وتأكل الأرض ابن آدم إلا عجب الذنب فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف فينشىء الله الخلق من ذلك العجب، وتركب عليه أجزاؤه كالهباء في شعاع الشمس، فإذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ثم قام خلقاً سوياً.

ذكر النفخة الثالثة وهي نفخة القيام. وذلك قوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ وقوله تعالى: ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ [يس: ٥٣] ويجمع الله أرواح الخلائق في الصور، ثم يأمر الله الملك أن ينفخ فيه قائلاً: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن، ثم ينادي قوموا للعرض على الجبار فيقومون، وذلك قوله تعالى: ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعاً﴾ [المعارج: ٤٣] وقال تعالى: ﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع﴾ [القمر: ٧] وقال عزّ من قائل: ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير﴾ [ق: ٤٤] فإذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله كما وعد سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ [مريم: ٨٥]، والفاسقون يمشون على أقدامهم ويساقون سوقاً وهو قوله تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ [مريم: ٨٦] اهـ.

قوله: (وغيرهما) كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى وإنما يموتون بين النفختين اهـ خطيب.

وفي القرطبي: واختلف في المستثنى من هم؟ فقيل: هم الشهداء متقلدين أسيافهم حول العرش روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة فيما ذكر القشيري، ومن حديث عبد الله بن عمر فيما ذكر الثعلبي، وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وروي من حديث أنس أن النبي ﷺ تلا: ﴿ونفخ في الصور﴾ الآية فقالوا: يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول: يا رب بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت، فيقول الله تعالى: خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين، فيقول: مت يا ملك الموت فيموت،

أي جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت

فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني، فيقول الله تعالى يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام». وذكر الرقاشي عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله عز وجل: ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ قال: «جبريل وميكائيل وحملة العرش وملك الموت وإسرافيل». وفي هذا الحديث أن آخرهم موتاً جبريل عليه وعليهم السلام، وحديث أبي هريرة من أن آخرهم موتاً ملك الموت أصح. وقال الضحاك: هو رضوان والحور ومالك والزبانية، وقيل: عقارب أهل النار وحياتها. قال القشيري: وحمل الاستثناء على موسى والشهداء فهؤلاء قد ماتوا غير أنهم أحياء عند الله، فيجوز أن تكون الصعقة بزوال العقل دون زاول الحياة، ويجوز أن تكون بالموت اهـ.

قوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ أي: بعد أربعين سنة. وأخرى: مرفوع على النيابة أو منصوب على المصدرية، والنائب الجار والمجرور اهـ شيخنا.

وفي السمين: يجوز أن يكون أخرى هي القائمة مقام الفاعل وهي في الأصل صفة لمصدر محذوف أي: نفخ فيه نفخة أخرى، ويؤيده التصريح بذلك في قوله: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ [الحاقة: ١٣] فصرح بإقامة المصدر ويجوز أن يكون القائم مقامه الجار والمجرور، وأخرى منصوب على ما تقدم اهـ.

قوله: ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ الاستثناء ملاحظ في هذا أيضاً كما أشار له بقوله: (الموتى)، وأما من لم يمت كالحور فلا يقال فيه: ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ اهـ شيخنا.

والعامة على رفع قيام خبراً، وزيد بن علي على نصبه حالاً وفيه حينئذ وجهان، أحدهما: أن الخبر ينظرون وهو العامل في هذه الحال أي: فإذا هم ينظرون قياماً. والثاني: أن الخبر محذوف هو العامل في الحال أي: فإذا هم مبعوثون أو مجموعون قياماً، وإذا جعلنا إذا الفجائية حرفاً كما قال بعضهم، فالعامل في الحال إما ينظرون وإما الخبر المقدر اهـ.

قوله: (أضاءت) إضاءة عظيمة حتى تميل إلى الحمرة، والمراد بالأرض الجديدة التي يوجدها الله في ذلك الوقت لتحشر الناس عليها، وليس المراد بها أرض الدنيا لقوله: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقوله: (حين يتجلى) الخ أي: فيراه الخلق رؤية حقيقية كما قال ﷺ: «سترون ربكم لا تضارون فيه كما لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو» اهـ خطيب.

وفي البيضاوي: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ بما أقام فيها من العدل سماه نوراً لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة. وفي الحديث: «للظلم ظلمات يوم القيامة» ولذلك أضاف اسمه إلى الأرض اهـ.

﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ شيئاً ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ فلا يحتاج إلى شاهد ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات

وفي القرطبي: وقيل إن الله يخلق نوراً يوم القيامة يلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به، وقال ابن عباس: النور المذكور ههنا ليس من نور الشمس والقمر، بل هو نور يخلقه الله تعالى فتضيء به الأرض اهـ.

قوله: ﴿ووضع الكتاب﴾ أي: جنسه، أي: أعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿ووضع الكتاب﴾ قال ابن عباس: يريد اللوح المحفوظ، وقال قتادة: يريد الكتب والصحف التي فيها أعمال بني آدم فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اهـ.

قوله: ﴿وجيء بالنبيين﴾ أي: ليدعوا على أممهم أنهم بلغوهم الرسالة، وذلك أن الله يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير، فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير. فيسأل الله الأنبياء عن ذلك، فيقولون: كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة، فيقولون: أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية: من أين علموا، وإنما كانوا بعدنا، فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً وأنزلت علينا كتاباً أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأله الله عن أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿والشهداء﴾ الذين يشهدون على الأمم من أمة محمد ﷺ، وقيل: المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله قاله السدي، وقال ابن زيد هم: الحفظة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم قال الله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ [ق: ٢١] فالسائق يسوقها إلى الحساب، والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالإنسان على ما يأتي بيانه في ق اهـ.

قوله: ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ الخ لما بيَّن تعالى أنه يوصل لكل ذي حق حقه عبَّر عن هذا المعنى بأربع عبارات، أولاها قوله: ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ الثانية: ﴿وهم لا يظلمون﴾ الثالثة: ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ الرابعة: ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ اهـ شيخنا.

قوله: (فلا يحتاج إلى شاهد) ولا إلى كاتب، لأنه عالم بمقادير أفعالهم وبكيفياتها فامتنع دخول الخطأ عليه اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ولا حاجة به تعالى إلى كتاب ولا إلى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود إلزاماً للحجة اهـ.

قوله: ﴿وسيق الذين كفروا﴾ الخ تفصيل لتوفيه الحقوق، وبدأ بأهل النصب والتعب بقوله:

متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب إذا ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ﴾ مقدرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ جهنم ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ﴾

﴿وسيق الذين كفروا﴾ الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿زمراً﴾ جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت، لأن الجماعة لا تخلو عنه غالباً اهـ أبو السعود.

قوله: (جماعات متفرقة) عبارة الخطيب: جماعات في تفرقة بعضهم على أثر بعض كل أمة على حدة اهـ.

قوله: ﴿حتى إذا جاؤوها﴾ حتى هذه هي الابتدائية التي تبتدأ الجمل بعدها اهـ أبوالسعود.

قوله: ﴿رسل منكم﴾ أي: جنسكم. قوله: (القرآن) أي: بالنسبة لأمة محمد، وقوله: (وغيره) أي: بالنسبة لبقية الأمم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فإن قيل: لم أضيف اليوم إليهم؟ أجيب: بأن المراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعه. قال الزمخشري: وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة اهـ خطيب.

قوله: ﴿قالوا بلى﴾ أي: قد أتونا وأنذرونا اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿على الكافرين﴾ المقام للإضمار أي: علينا وجيء بالظاهر لبيان سبب استحقاقهم العذاب وهو كفرهم وقوله: ﴿المتكبرين﴾ المقام للإضمار أيضاً أي: مثواكم وجيء بالظاهر لبيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب اهـ شيخنا.

قوله: ﴿قيل ادخلوا﴾ أي: قيل لهم من قبل الملائكة الموكلين بعذابهم اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾ الخ أي: سوق إعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة، وقيل: الكلام على حذف مضاف أي: سيقت مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين اهـ أبو السعود.

قوله: (بلطف) وقوله فيما سبق بعنف السوق الحث على السير على وجه الإكرام أو الإهانة. وعبارة الخطيب: فإن قيل: السوق في أهل النار معقول لأنهم لما أمروا بالذهاب إلى موضع العذاب لا بد وأن يساقوا إليه، وأما أهل الثواب فإذا أمروا بالذهاب إلى موضع السعادة والراحة فأي حاجة إلى سوقهم؟ أجيب: بأن المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين وحثها إسراعاً إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين هذا سوق تشريف وإكرام وذاك سوق إهانة وانتقام،

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حال ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب إذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح

وهذا من بدائع أنواع البديع، وهو أن يأتي سبحانه وتعالى بكلمة في حق الكفار فتدل على هوانهم وعقابهم، ويأتي بتلك الكلمة بعينها وهيئتها في حق المؤمنين فتدل على إكرامهم بحسن ثوابهم، فسبحان من أنزله معجز المباني متمكن المعاني عذب الموارد والمثاني.

قوله: ﴿زمراً﴾ أي: جماعات أهل الصلاة على حدة، وأهل الصوم كذلك إلى غير ذلك اهـ خطيب.

قوله: ﴿وقال لهم خزنتها﴾ معطوف على الشرط اهـ.

قوله: ﴿سلام عليكم﴾ أي: لا يعتريكم بعده مكروه وقوله: ﴿طبتم﴾ أي: طهرتم من دنس المعاصي اهـ بيضاوي.

وقوله: (حالاً) منصوب على التمييز المحول عن الفاعل، وأشار به إلى أن طبتم تمييزه محذوف أي: طابت حالكم وحسنت اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: ﴿سلام عليكم طبتم﴾ أي: في الدنيا. قال مجاهد: بطاعة الله، وقيل: بالعمل الصالح حكاه النقاش، والمعنى واحد. وقال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقضي لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين. قلت: خرَّج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى أي: أعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» وحكى النقاش: أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجوافهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ [الانسان: ٢١] ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾، وهذا يروى معناه عن علي رضي الله عنه اهـ.

قوله: (وجواب إذا مقدر) عبارة السمين: في جواب إذا ثلاثة أوجه، أحدها: قوله: ﴿وفتحت﴾ والواو زائدة وهو رأي الكوفيين والأخفش، وإنما جيء هنا بالواو دون التي قبلها لأن أبواب السجون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها. والثاني: أن الجواب قوله: و﴿قال لهم خزنتها﴾ على زيادة الواو أيضاً أي: حتى إذا جاؤوها قال لهم خزنتها. الثالث: أن الجواب محذوف، قال الزمخشري: وحقه أن يقدر بعد خالدين اهـ.

يعني لأنه يجيء بعد متعلقات الشرط ما عطف عليه، والتقدير اطمأنوا، وقدره المبرد سعدوا

الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم، وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على دخلوها المقدر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ الجنة ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾

وعلى هذين الوجهين، فتكون الجملة من قوله: ﴿وفتحت أبوابها﴾ في محل نصب على الحال، وسمى بعضهم هذه الواو واو الثمانية قال: لأن أبواب الجنة ثمانية، وكذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ [الكهف: ٢٢] وقيل: تقديره حتى إذا جاؤوها جاؤوها وفتحت أبوابها يعني أن الجواب بلفظ الشرط ولكنه يزيد بتقييده بالحال فلذلك صح اهـ.

قوله: (وسوقهم) مبتدأ، وقوله: (تكرمة) خبره وكذا يقال فيما بعده.

قوله: ﴿الذي صدقنا وعده﴾ (بالجنة) أي: في قوله: (تلك الجنة) التي نورث من عبادنا من كان تقياً اهـ خطيب.

قوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي: مكننا من التصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه، ففي الكلام تجوز، والمراد أورثنا الأرض من آدم لأنها كانت في أول الأمر له لقوله تعالى: ﴿وكلا منها رغداً حيث شئتما﴾ [البقرة: ٣٥] فلما عادت إلى أولاده كان ذلك إرثاً لها منه اهـ شيخنا.

وقيل: المراد أورثنا أرض الجنة التي كانت للكفار لو آمنوا قرطبي.

قوله: ﴿حيث نشاء﴾ ظرفية على بابها وهي مفعول به، والمراد حيث يشاء كل واحد من الذي أعد له فهو يتخير في منازل قسمه فلا يختار أحد مكان غيره، وقيل: إن أمة محمد يدخلون الجنة قبل الأمم فينزلون فيها حيث شاؤوا أي: يتخير كل واحد منهم أين ينزل تكرمة له وإن كان لا يختار إلا ما قسم له، وأما بقية الأمم فيدخلون بعد أمة محمد فينزلون فيما فضل عنهم اهـ خازن وخطيب.

وفي الكرخي: الجنة نوعان الجنات الجسمانية والجنات الروحانية، فالجنات الجسمانية لا تحتمل المشاركة وأما الجنات الروحانية فحصولها لواحد لا يمنع من حصولها لآخرين اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿حيث نشاء﴾ وهل يتبوأ أحد مكان غيره؟ قلت: يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسناً وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج إلى غيرها اهـ.

قوله: ﴿فنعم أجر العاملين﴾ من كلام الله تعالى.

قوله: ﴿وترى الملائكة﴾ الخ لما ذكر سبحانه وتعالى ما أعطيه المؤمنون من الدرجات أتبعه بذكر أهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات وبيان مستقرهم في الجنة وهم الملائكة فقال صارفا الخطاب لأشرف الخلق لأنه لا يقوم بحق هذه الرؤية غيره: وترى يا محمد في ذلك اليوم الملائكة أي: القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق، وقوله: ﴿من حول العرش﴾ أي: جوانبه التي يمكن الحفوف

من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير حافّين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل، فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

بها فيسمع لحفوفهم صوت التسبيح والتمجيد والتقديس وإدخال من يفهم أنهم مع كثرتهم إلى حد لا يحصيه إلا الله لا يملؤون حوله، وهذا أولى من قول البيضاوي أن من زائدة اهـ خطيب.

أي: فهي ابتدائية كما حكاه البيضاوي أيضاً.

قوله: ﴿حافين﴾ أي: محدقين محيطين بالعرش مصطفين بحافته وجوانبه اهـ خازن.

وعبارة السمين: **قوله:** ﴿حافين﴾ جمع حاف وهو المحدق بالشيء من خففت بالشيء إذا أحطت به وهو مأخوذ من الحفاف وهو الجانب. وقال الفراء، وتبعه الزمخشري: لا واحد لحافين من لفظه وكأنهما رأيا أن الواحد لا يكون حافاً أن الحفوف هو الإحداق بالشيء والإحاقة به، وهذا لا يتحقق إلا في جمع اهـ.

قوله: (**أي يقولون سبحان الله وبحمده**) أي: تلذذاً لا تعبداً وتكليفاً لأن التكليف يزول في ذلك اليوم، وذلك يشعر بأن ثوابهم هو عين ذلك التسبيح، وأنهم أن منتهى درجات العليين ولذاتهم الاستغراق في صفاته تعالى اهـ كرخي.

قوله: (**ختم استقرار الفريقين الخ**) أي: كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد لله في قوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ [الأنعام: ١] فنبه بذلك على تحميد في بداية كل أمر وخاتمته اهـ خطيب.

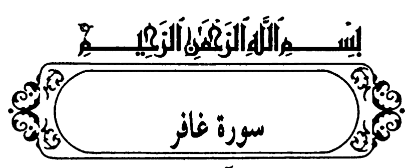
قوله: (**بالحمد من الملائكة**) أي: أو من المؤمنين على عدله فالحمد الأول على صدق الوعد وإيراث الجنة وهذا على القضاء بالحق. قال الطيبي: الحمد الأول للتفرقة بين الفريقين بحسب الوعد والوعيد من السخط والرضوان، والثاني للتفرقة بينهما بحسب الأبدان فريق في الجنة وفريق في السعير، فتكون الآية الثانية كالتتميم بالنسبة إلى الأولى في إتمام القضاء وعلى الثاني كالتكميل لأن ذلك القضاء في حق بني آدم وهذا في حق الملائكة، ويؤيد التأويل الثاني تكرير الحمد في الآيتين اهـ.

والأول هو الظاهر والله أعلم بمراده فلا يرد ما وجه تكرار حمد المؤمنين اهـ كرخي.

وفي القرطبي: ﴿**وقيل الحمد لله رب العالمين**﴾ أي: يقول المؤمنون الحمد لله على إثابتنا من نعمه وإحسانه ونصرنا على من ظلمنا. وقال قتادة: في هذه الآية افتتح الله أول الخلق بالحمد لله فقال: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١] وختم بالحمد فقال: ﴿**وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين**﴾ فلزم الاقتداء به والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وفي خاتمته بحمده، وقيل: إن قول الحمد لله رب العالمين من قول الملائكة، فعلى هذا يكون حمدهم

لله تعالى على عدله وقضائه. وروي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر آخر الزمر، فتحرك المنبر مرتين اهـ.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وكان الفراغ من تحرير هذا الجزء يوم السبت المبارك لست وعشرين خلت من شهر الحجة الحرام ختام سنة سبع وتسعين بعد المائة والألف. يتلوه الجزء الرابع بحول الله تعالى وتيسيره من سورة غافر. نسأل الله الإعانة على التمام والإكمال كما أعان على الابتداء والافتتاح، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين آمين.



سورة غافر

مكية إلا ﴿الذين يجادلون﴾ الآيتين. وهي خمس وثمانون آية

. . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

وتسمى سورة المؤمن وسورة الطول، وفي مسند الدارمي عن سعد بن إبراهيم قال: كانت الحواميم تسمى العرائس، وروي من حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال: «الحواميم ديباج القرآن». وعن ابن مسعود: آل حم ديباج القرآن، وقال الجوهري، وأبوعبيدة: آل حم سور في القرآن، فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب. وقال أبو عبيدة: الحواميم سورة في القرآن على غير قياس، وقال: والأولى أن تجمع بذوات حم. وروي أن النبي ﷺ قال: «لكل شيء ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم» وقال النبي ﷺ: «مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب» ذكرهما الثعلبي اهـ قرطبي.

وعن ابن عباس: قال ﷺ: «لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم». اهـ خازن.

وقال ﷺ: «الحواميم سبع وأبواب النار سبعة جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم تجيء كل حم منهم يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني» اهـ خطيب.

فتلخص من مجموع هذه الأخبار أن هذه السورة السبع تسمى الحواميم، وتسمى آل حم، وتسمى ذوات حم فلها جموع ثلاثة خلافاً لمن أنكر الأول منها تأمل. قوله: (مكية) وكذا بقية الحواميم مكيات. قوله: (الآيتين) أولاهما: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم أن في صدورهم﴾ [غافر: ٥٦] الخ. والثانية: ﴿لخلق السموات والأرض﴾ [غافر: ٥٧] الخ. هذا هو المراد بالآيتين كما نص على السيوطي في الإتقان. وفي لب الأصول في أسباب النزول، ومنه تعلم أن عبارة الشارح سقط منها لفظة إن، ولعل السقط من قلم الناسخ، فصواب العبارة: إن الذين يجادلون الخ كما عبّر به غيره اهـ شيخنا.

قوله: (خمس وثمانون آية) وقيل: اثنتان وثمانون آية اهـ قرطبي.

﴿حمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾ بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ لهم مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ للكافرين أي مشدِّده ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ أي الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات،

قوله: ﴿حم﴾ العامة على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة، وقرأ الزهري برفع الميم على أنها خبر مبتدأ مضمر، أو مبتدأ مضمر، أو مبتدأ والخبر ما بعدها وابن أبي إسحاق وعيسى بفتحها وهي تحتمل وجهين، أحدهما: أنها منصوبة بفعل مقدر أي: اقرأ حم، وإنما منعت من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية وشبه العجمة، وذلك أنه ليس في الأوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الأعجمية نحو قابيل وهابيل. والثاني: أنها حركة بناء تخفيفاً كأين وكيف، وقرأ أبو السماك بكسرها اهـ سمين.

قوله: (الله أعلم بمراده به) وقيل: هو اسم من أسماء الله كما روي عن النبي ﷺ، وقيل: مفاتيح خزائنه، وقال ابن عباس: حم اسم الله الأعظم، وعنه أيضاً: حم اسم من أسماء الله تعالى، وقال قتادة: حم اسم من أسماء القرآن، وقال مجاهد: مفاتح السور، وقال عطاء الخراساني: الحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وحنان، والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومؤمن ومهيمن يدل عليه ما روى أنس أن أعرابياً سأل النبي ﷺ: ما حم فإنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «بدء أسماء وفواتح سور» اهـ قرطبي.

قوله: ﴿وقابل التوب﴾ إدخال الواو في هذا الوصف لإفادة الجمع للمذنب التائب بين قبول توبته ومحو ذنبه اهـ عمادي.

وعبارة البيضاوي: وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو لتغاير الوصفين، إذ ربما ينوهم الاتحاد، انتهت.

قوله: (مصدر) في المختار: التوب الرجوع عن الذنب وبابه قال وتوبة أيضاً، وقال الأخفش: والتوب جمع توبة كدوم ودومة اهـ.

قوله: (أي الإنعام الواسع) عبارة القرطبي: وأصل الطول الإنعام والفضل يقال منه: اللهم طل علينا أي: أنعم وتفضل. قال ابن عباس: ذي الطول ذي النعم، وقال مجاهد: ذي الغنى والسعة، ومنه قوله تعالى: ﴿من لم يستطع منكم طولاً﴾ [النساء: ٢٥] أي: سعة وغنى، وقال عكرمة: ذي الطول ذي المن. قال الجوهري: والطول بالفتح المن يقال منه طال يطول من باب قال إذا امتن عليه، وقال محمد بن كعب: ذي الطول ذي التفضل. قال الماوردي: والفرق بين المن والفضل أن المن عفو عن ذنب والتفضل إحسان غير مستحق، والطول مأخوذ من الطول كأنه طال بإنعامه على غيره، وقيل: لأنه طالت مدة إنعامه اهـ.

قوله: (بكل من هذه الصفات) أي: الأربع غافر وما بعدها، وقوله: (فإضافة المشتق منها) تفريع على قوله: (على الداوم) والمشتق منها هو الثلاثة الأول، وقوله: (كالأخيرة) وهي ذي الطول. وغرضه بقوله: (وهو موصوف الخ) الإشارة إلى جواب إيراد صرح به غيره، وحاصله إن هذه الصفات الثلاث مشتقات وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً فكيف وقعت صفات للمعرفة؟ وحاصل الجواب: أنها إذا قصد

فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝﴾ المرجع ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝﴾ للمعاش سالمين فإن

بها الدوام تعرفت بالإضافة. وعبارة السمين: قوله: ﴿غافر الذنب﴾ وقابل التوب شديد العقاب في هذه الأوصاف ثلاثة أوجه، أحدها: أنها كلها صفات للجلالة كالعزيز العليم، وإنما جاز وصف المعرفة بهذه وإن كانت إضافتها لفظية لأنه يجوز أن تجعل إضافتها معنوية فتتعرف بالإضافة، فقد نص سيبويه على أن كل ما إضافته غير محضة يجوز أن تجعل محضة وتوصف به المعارف إلا الصفة المشبهة ولم يستثن غيره وهم الكوفيون شيئاً، فيقولون في نحو حسن الوجه: إنه يجوز أن تصير إضافته محضة، وعلى هذا فقوله شديد العقاب من باب الصفة المشبهة، فكيف جاز جعله صفة للمعرفة مع أنه لا يتعرف بالإضافة؟ والجواب: بالتزام مذهب الكوفيين، وهو أن الصفة المشبهة يجوز أن تتمحض إضافتها فتكون معرفة. الثاني: أن الكل أبدال لأن إضافتها غير محضة. الثالث: أن غافر وقابل نعتان، وشديد العقاب بدل، انتهت.

قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون حالاً وهي حال لازمة، وقال أبو البقاء: يجوز أن يكون صفة. قال ابن عادل: وهذا على ظاهره فاسد لأن الجملة لا تكون صفة للمعارف، ويمكن أن يريد أنه صفة لشديد العقاب لأنه لم يتعرف عنده بالإضافة والقول في إليه المصير كالقول في الجملة قبله، ويجوز أن يكون حالاً من الجملة قبله اهـ كرخي.

قوله: ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ أي: بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله تعالى: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ هذا هو المراد، وأما الجدال فيها بحل مشكلاتها وكشف معضلاتها فمن أعظم الطاعات اهـ أبو السعود وبيضاوي.

وفي الخطيب تنبيه: الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل. أما الأول: فهو حرفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥] وحكي عن قوم نوح قولهم: ﴿يا نوح قد جادلتنا﴾ [هود: ٣٢]. وأما الثاني: فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية. فجدالهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر، ومرة هو شعر، ومرة هو قول الكهنة، ومرة أساطير الأولين، ومرة إنما يعلمه بشر وأشباه هذا اهـ.

قوله: ﴿فلا يغررك تقلبهم﴾ الخ هذا تسلية له ﷺ ووعيد لهم، والفاء لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة اهـ أبو السعود.

وهذا جواب لشرط مقدر أي: إذا تقرر عندك أن المجادلين في آيات الله كفار فلا يغررك الخ اهـ زاده.

أي: فلا يغررك إمهالهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة، فإنهم مأخوذون عن قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال: ﴿كذبت قبلهم﴾ الخ اهـ بيضاوي.

عاقبتهم النار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝﴾ لهم؟ أي هو واقع موقعه ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝﴾ بدل من كلمة ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ عطف

قوله: ﴿كذبت قبلهم﴾ أي: قبل أهل مكة، وقوله: ﴿من بعدهم﴾ أي: بعد قوم نوح اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ليأخذوه﴾ أي: ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيبه وقتله من الأخذ بمعنى الأسر اهـ بيضاوي.

يعني: أنه ليس المراد بالأخذ ظاهره، بل هو كناية عن التمكن من إيقاع ما يريدونه به لأن من أخذ شيئاً تمكن من الفعل فيه، والتمكن من القتل لا يستلزمه إذ المتمكن من الشيء قد لا يفعله اهـ شهاب.

قوله: ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ أي: وعيده. أي: كما وجب وثبت حكمه وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم بالباطل لإدحاض الحق وجب أيضاً على الذين كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا، كما ينبىء عنه بإضافة اسم الرب إلى ضميره ﷺ، فإن ذلك للإشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التي من جملتها نصرته على أعدائه وتعذيبهم اهـ أبو السعود.

وفي السمين: الكاف يحتمل أن تكون مرفوعة المحل على خبر مبتدأ مضمر أي: والأمر كذلك، ثم أخبر بأنه حقت كلمة الله عليهم بالعذاب، ويحتمل أن تكون نعتاً لمصدر محذوف أي: مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة الخ اهـ.

قوله: (بدل من كلمة) أي: بدل الكل أو الاشتمال على إرادة اللفظ أو المعنى اهـ بيضاوي.

وقوله: (على إرادة اللفظ أو المعنى) لف ونشر مرتب، فإن قوله: ﴿أنهم أصحاب النار﴾ في محل رفع على أنه بدل من كلمة ربك بدل كل من كل نظراً إلى لفظ كلمة ربك، واتحاد مدلوله مع مدلول البدل صدقاً، أو بدل اشتمال نظراً إلى أن معناه وعيده إياهم بقوله: ﴿لأملأن جهنم﴾ أو حكمه الأزلي بشقاوتهم اهـ زاده.

قوله: ﴿الذين يحملون العرش﴾ وهم أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً اهـ أبو السعود.

وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية وهم على صورة الأوعال، وجاء في الحديث: «أن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر، وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فينصعق وجناحان يصفق بهما في الهواء. يروى أن أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرضون والسموات إلى حجزهم أي: محل عقد الإزار، وقيل: إن أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهلها أشد خوفاً من أهل السادسة

عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقولون ﴿رَبَّنَا

وهكذا. وفي الخبر: «إن فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء وسماء، وفوق ظهورهم العرش» ذكره القشيري وخرجه الترمذي من حديث ابن عباس بن عبد المطلب، واستفيد منه أن حمل الملائكة للعرش على ظهورها، فهذا لا ينافي ما في بعض الأحاديث من أن رؤوسهم تخرق العرش فتكون فوقه لإمكان طول أعناقهم بحيث تجاوز ظهورهم مسافة طويلة، فإن قيل: إذا لم يكن فيهم صورة وعل فكيف سموا أوعالاً؟ وأجيب: بأن وجه الثور إذا كانت له قرون أشبه الوعل، والوعل كما في القاموس بفتح أوله وثانيه وبكسر ثانيه وبسكونه التيس من الوعول أي: الذكر منها، والوعول هي الشياه الجبلية ونصه الوعل تيس الجبل، وقال أيضاً: والتيس الذكر من الظباء أو المعز أو الوعول اهـ.

وأما صفة العرش فقيل: إنه جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقاً ويكسى كل يوم ألف لون من النور، وقال مجاهد: بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وهكذا، وقيل: إن العرش قبلة لأهل السماء كما أن الكعبة قبلة لأهل الأرض، وقوله: ﴿ومن حوله﴾ وهم الكروبيون بالتخفيف وهم سادات الملائكة. قال وهب بن منبه: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فإذا استقبل بعضهم بعضهم هلل هؤلاء وكبر هؤلاء، ومن وراء هؤلاء سبعين ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك والخلق كلها إليك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نور وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من نَوْر أبيض وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر وسبعين حجاباً من ثلج، وسبعين حجاباً من ماء، وسبعين حجاباً من برد وما لا يعلمه إلا الله عز وجل اهـ خازن، مع بعض زيادة من القرطبي والخطيب في سورة الحاقة.

قوله: (أي يقولون سبحان الله وبحمده) قال شهر بن حوشب: حملة العرش يوم القيامة ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك اهـ خازن.

قوله: (ببصائرهم) إشارة إلى جواب سؤال صرح به الخازن بقوله: فإن قلت: ﴿الذين يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به﴾، فما فائدة قوله: ﴿ويؤمنون به﴾؟ اهـ.

وأجاب عنه بجواب غير ما قصده الشارح، وحاصل مراده أن التسبيح من وظائف اللسان والإيمان من وظائف القلب، والأول لا يغني عن الثاني اهـ.

وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي وسع رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧﴾ النار ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على هم في وأدخلهم، أو في وعدتهم ﴿مِنْ

وفي البيضاوي: أخبر عنهم بالإيمان إظهاراً لفضله وتعظيماً لأهله ومساق الآية لذلك اهـ.

يعني: أن الملائكة خصوصاً الخواص منهم لا يتصور منهم عدم الإيمان حتى يخبر به عنهم هنا، فليس فيه فائدة الخبر ولا لازمها لأنه يفهم من تسبيحهم حامدين فدفعه بأن المقصود من ذكره مدح الإيمان وتعظيم أهله اهـ شهاب.

قوله: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ قال شهر بن حوشب: وكأنهم يرون ذنوب بني آدم ويستغفرون لهم، وقيل: هذا الاستغفار في مقابلة قولهم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ البقرة: ٣٠] فلما صدر هذا منهم أولاً تداركوه بالاستغفار لهم وهو كالتنبيه لغيرهم، فيجب على من تكلم في أحد بشيء يكرهه أن يستغفر له اهـ خازن.

قوله: (يقولون) ﴿ربنا﴾ أي: يقولون في كيفية الاستغفار، وهذا القول المقدر في محل نصب على الحال من فاعل يستغفرون اهـ شيخنا.

قوله: ﴿رحمة وعلماً﴾ منصوبان على التمييز المحول عن الفاعل، كما أشار له الشارح ببيان أصل التركيب فأزيل التركيب عن أصله للمبالغة في وصفه تعالى بالرحمة والعلم وتقديم الرحمة على العلم لأنها المقصود بالذات في ذلك الوقت اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: قوله: (أي وسع رحمتك الخ) أشار به إلى أن رحمة وعلماً انتصبا على التمييز المنقول من الفاعل كما تقدم في تقديره في نظائره وتقديم الرحمة، لأنها المقصودة بالذات ههنا قاله البيضاوي. يعني: لأن المقام مقام الاستغفار وإلاّ فالعلم متقدم ذاتاً اهـ.

قوله: (من الشرك) أي: وإن كان عليهم ذنوب. قوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ أي: اجعل بينهم وبينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة وتتم نعمتك عليهم، فإنك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك، وإن كان يجوز أن تفعل ما تشاء وإن الخلق عبيدك اهـ خطيب.

قوله: ﴿ومن صلح﴾ في محل نصب إما عطفاً على مفعول أدخلهم، وإما على مفعول وعدتهم، وقال الفراء والزجاج: نصبه من مكانين إن شئت على الضمير في أدخلهم، وإن شئت على الضمير في وعدتهم، والعامة على فتح لام صلح يقال: صلح من باب دخل فهو صالح، وابن أبي عبلة يضمها يقال: صلح فهو صليح، والعامة على وذرياتهم جمعاً وعيسى وذريتهم إفراداً اهـ سمين.

وفي الكرخي: قوله: (عطف على هم في وأدخلهم أو في وعدتهم) أي: والأول هو الظاهر أي: وأدخل من صلح الخ. أي: ساو بينهم ليتم سرورهم، وعلى الثاني يكون لبيان عموم الوعد، فإن قيل: فعلى هذا التقدير لا فرق بين قوله: ﴿وقهم السيئات﴾ وبين قوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ وحينئذ يلزم التكرار الخالي عن الفائدة وهو لا يجوز. فالجواب: أن التفاوت حاصل من وجهين، الأول: أن يكون

ءَابَآبِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ في صنعه ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي عذابها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ﴾ من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم

قوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ دعاء مذكوراً للأصول، وقوله: ﴿وقهم السيئات﴾ دعاء مذكوراً للفروع وهو الآباء والأزواج والذريات. الثاني: أن يكون قوله: ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ مقصوراً على إزالة عذاب الجحيم، وقوله: ﴿وقهم السيئات﴾ يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال اهـ.

فيكون تعميماً بعد تخصيص وفي الخازن: قيل: إذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم فإذا اجتمع بأهله في الجنة كان أكمل لسروره ولذاته اهـ.

قوله: (في وأدخلهم) أي: ربنا وأدخلهم جنات عدن وأدخل معهم هؤلاء الفرق الثلاثة ليتم سرورهم بهم، وقوله: (أو في وعدتهم)، والأول أولى لأن الدعاء لهم بالإدخال عليه صريح، وعلى الثاني ضمني أفاده أبو السعود.

قوله: ﴿وقهم السيئات﴾ الضمير راجع للمعطوف وهو الآباء والأزواج والذرية أفاده أبو السعود.

قوله: ﴿يومئذ﴾ التنوين عوض عن جملة غير موجودة في الكلام، بل متصيدة من السياق وتقديرها: يوم إذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار المسببة عن السيئات وهو يوم القيامة اهـ شيخنا.

وفي السمين: التنوين عوض من جملة محذوفة، ولكن ليس في الكلام جملة مصرح بها عوض منها هذا التنوين بخلاف في قوله تعالى: ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ [الواقعة: ٨٤] أي: حين إذ بلغت الروح الحلقوم لتقدمها في اللفظ، فلا بد من تقدير جملة يكون هذا عوضاً عنها تقديره: يوم إذ تؤاخذ بها اهـ.

قوله: (وذلك) الإشارة إلى ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات أفاده أبو السعود، وفي الكرخي: ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ حيث وجدوا بأعمال منقطعة نعيماً لا ينقطع، وبأفعال حقيرة ملكاً لا تصل العقول إلى كنه جلالته اهـ.

قوله: ﴿إن الذين كفروا﴾ شروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار ﴿ينادون﴾ أي: من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم الأمارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضاً كقوله تعالى: ﴿يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ [العنكبوت: ٢٥] أي: ابغضوها أشد البغض وانكروها أشد الإنكار واظهروا ذلك على رؤوس الاشهاد، فيقال لهم عند ذلك ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله أنفسكم الأمارة بالسوء أو مقته إياكم في الدنيا إذ توعدون من جهة الأنبياء إلى الإيمان فتأبون قبوله فتكفرون اتباعاً لأنفسكم الأمارة ومسارعة إلى هوها، واقتداء بأخلائكم المضلين أو استحباباً لآرائهم أكبر من

﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين لأنهم نطفاً أموات، فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا ﴿مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ طريق؟ وجوابهم: لا ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾ أي بسبب أنه في

مقتكم أنفسكم أو مقت بعضكم بعضاً اليوم، فإذا ظرف للمقت الأول وإن توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع، وقيل: لمصدر آخر مقدر أي: مقته إياكم إذ تدعون، وقيل مفعول لا ذكروا أو الأول هو الوجه، وقيل كلا المقتين في الآخرة، وإذ يدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم، والمعنى لمقت الله إياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ قال الأخفش: هذه لام الابتداء وقعت بعد ينادون لأن معناه يقال لهم والنداء قول، وقال غيره: المعنى يقال لهم لمقت الله إياكم في الدنيا أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أي: أكبر من مقت بعضكم بعضاً يوم القيامة، فأذعنوا عند ذلك وخضعوا وطلبوا الخروج من النار، وقال الكلبي: يقول كل إنسان من أهل النار لنفسه مقتك يا نفسي، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقت الله إياكم إذ أنتم في الدنيا وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا أشد من مقتكم اليوم أنفسكم، وقال الحسن: يعطون كتبهم فإذا نظروا في سيئاتهم مقتوا أنفسهم فينادون: لمقت الله إياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم إذ عاينتم النار اهـ.

قوله: (من قبل الملائكة) أي: خزنة جهنم. قوله: (عند دخولهم النار) ظرف لينادون. قوله: ﴿لمقت الله﴾ (إياكم) المقت أشد البغض والمراد به هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: المقت أشد البغض وذلك في حق الله تعالى محال، فالمراد منه أشد الإنكار والزجر اهـ.

قوله: (إحياءتين) فس نسخة إحياءين، وعبارة غيره: أمتنا موتتين وأحييتنا حياتين وهي أوضح.

قوله: (لأنهم نطفاً الخ) كذا في بعض النسخ بنصب نطفاً على الحال، والصواب لأنهم كانوا أو خلقوا نطفاً، فإن الأمانة جعل الشيء عادم الحياة ابتداء أو بتصيير، والمعنى خلقتنا أمواتاً ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا اهـ قاري.

وفي بعض النسخ لأنهم كانوا نطفاً أمواتاً اهـ.

قوله: ﴿ذلكم﴾ مبتدأ، وقوله: (بأنه خبره)، وقوله: (أي بسبب) أنه أي: الشأن. قوله: ﴿إذا دعي الله وحده﴾ الخ في إيراد إذا وصيغتي الماضي في الشرطية الأولى، وإن وصيغتي المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم اهـ أبو السعود.

الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِ﴾ يجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدّقوا بالإشراك ﴿فَالْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ (١٢)﴾ العظيم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣)﴾ يرجع عن الشرك ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)﴾ إخلاصكم منه ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أي الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ﴾ يخوّف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)﴾ بحذف الياء وإثباتها يوم القيامة، لتلاقي أهل

قوله: ﴿فالحكم لله﴾ أي: لا يحكم إلا بالعدل ولا يعوقه عما يريده عائق فتعذيبه لكم عدل نافذ، وهذا الكلام من جملة ما يقال لهم في الآخرة بدليل قوله: (في تعذيبكم)، وأما قوله: ﴿هو الذي يريكم الخ﴾ فظاهر سياقه أنه من قبيل ما قبله، فيكون من جملة ما يقال لهم في الآخرة أيضاً وهو بعيد، فالظاهر أنه منقطع عما قبله وأنه خطاب للكفار في الدنيا اهـ شيخنا.

قوله: ﴿هو الذي يريكم آياته وينزل لكم﴾ الخ صيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل واستمرارهما اهـ أبو السعود.

قوله: (بالمطر) أي: بسبب.

قوله: ﴿فادعوا الله﴾ الخ أي: إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب، فاعبدوه أيها المؤمنون مخصلين له دينكم بموجب إنابتكم إليه وإيمانكم به اهـ أبو السعود.

قوله: (أي الله العظيم الصفات) أشار به إلى أن رفيع خبر مبتدأ محذوف ومثله ذو العرش ويلقي الروح، فالثلاثة أخبار لهذا المبتدأ المقدر، وأشار بقوله: (عظيم الصفات) إلى أن رفيع صفة مشبعة، وبقوله: (أو رافع الخ) إلى أنه اسم فاعل أي: صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل فيصح فيه الوجهان اهـ سمين.

قوله: ﴿يلقي الروح﴾ أي: ينزله، وقوله: (الوحي) سمي الوحي روحاً لأنه يجري من القلوب مجرى الأرواح من الأجساد، وقوله: ﴿من أمره﴾ بيان للروح المراد به الوحي، أو حال منه أي: حال كونه ناشئاً، أو مبتدأ من أمره أو صفة له، أو متعلق بيلقي، ومن للسببية أي: يلي الروح بسبب أمره اهـ أبو السعود.

والأمر قيل: المراد به القول كما فسر به الشارح، وقيل: المراد به القضاء كما عليه ابن عباس اهـ خازن.

قوله: (الملقى عليه) فاعل ينذر وهو عبارة عن من في قوله: ﴿على من يشاء﴾ وهذا الفعل ينصب مفعولين، أولهما: محذوف قدره بقوله: (الناس). والثاني: مذكور وهو يوم التلاق اهـ شيخنا.

وفي السمين: ﴿لينذر﴾ أي: الله أو الروح أو من يشاء أو الرسول اهـ.

قوله: (بحذف الياء وإثباتها) أي: قرأ ابن كثير بإثبات الياء وقفاً ووصلاً، وقالون بإثباتها وصلاً

السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ يقوله تعالى ويجيب نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

بخلاف عنه، وورش بإثباتها وصلاً، والباقون بحذفها وقفاً ووصلاً، وتوجيه ذلك ذكره الفاسي في شرح الشاطبية فليراجع اهـ كرخي.

قوله: (لتلاقي أهل السماء الخ) تعليل لتسمية يوم التلاق.

قوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ بدل من يوم التلاق بدل كل من كل يوم ظرف مستقبل كإذا مضاف إلى الجملة الاسمية على طريقة الأخفش وحركة يوم حركة إعراب على المشهور، وقيل: حركة بناء كما ذهب إليه الكوفيون ويكتب يوم هنا وفي الذاريات منفصلاً وهو الأصل اهـ سمين.

وفي شرح شيخ الإسلام على الجزرية وثبت قطعهم يوم من قوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ بغافر: ﴿ويوم هم على النار يفتنون﴾ [الذاريات: ١٣] بالذاريات لأن هم مرفوع بالابتداء فيهما، فالمناسب القطع وما عداهما نحو يومهم الذي يوعدون وحتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون موصول، لأن هم مجرور فالمناسب الوصل اهـ.

قوله: (خارجون من قبورهم) أي: ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعاً صفصفاً، ولا ثياب عليهم وإنما هم عراة مكشفون كما جاء في الحديث: «يحشرون عراة حفاة غرلاً» أبو السعود.

قوله: ﴿لا يخفى على الله﴾ الخ جملة مستقلة أو حال من ضمير بارزون أو خبر ثان لهم اهـ سمين.

وقوله: ﴿شيء﴾ أي: من ذواتهم وأعمالهم وأحوالهم، فإن قلت: الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام فما وجه تخصيص ذلك اليوم؟ قلت: كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان والحجب لا يراهم الله وتخفى عليه أعمالهم، وهم في ذلك اليوم لا يتوهمون هذا التوهم اهـ خازن.

قوله: ﴿لمن﴾ خبر مقدم، والملك: مبتدأ مؤخر، واليوم ظرف للملك، وقوله: ﴿لله﴾ خبر مبتدأ محذوف اهـ شيخنا.

وهذا حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول كما أشار له بقوله: (يقوله تعالى) الخ. وذلك القول معطوف على ما قبله من الجملة المستأنفة أو هو مستأنف في جواب سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم، كأنه قيل: فماذا يكون حينئذ، فقيل: ويقال لمن الملك الخ اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: وهذا حكاية لما يسأل عنه يوم القيامة ولما يجاب به، أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع الوسائل، وأما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائماً اهـ.

قوله: (يقوله تعالى الخ) قيل: بين النفختين، وقيل: في القيامة ويجيب نفسه بعد أربعين سنة اهـ كرخي.

أي لخلقه ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾ يوم القيامة من أزف

وفي القرطبي: ﴿لمن الملك اليوم﴾ وذلك عند فناء الخلق. قال الحسن: هو السائل والمجيب تعالى لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾. قال النحاس: وأصح ما قيل فيه ما رواه أبو وائل عن ابن مسعود قال: يحشر النار على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها، فيؤمر مناد ينادي ﴿لمن الملك اليوم﴾؟ فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم: ﴿لله الواحد القهار﴾، فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً وتلذذاً، ويقوله الكافرون غماً وانقياداً وخضوعاً، فأما أن يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد لأنه لا فائدة فيه، والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل. قلت: والقول الأول ظاهر جداً لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوى المدعين وانتساب المنتسبين، إذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر وملكه وانقطعت نسبهم ودعاويهم، ودل على هذا قوله عند قبض الأرض والأرواح وطي السماء أنا الملك أين ملوك الأرض كما تقدم في حديث أبي هريرة. وفي حديث ابن عمر: ثم يطوي الأرض بشماله والسموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وعنه قوله: سبحانه: ﴿لمن الملك اليوم﴾ هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشر. قال محمد بن كعب: قوله سبحانه: ﴿لمن الملك اليوم﴾ يكون بين النفختين حين فني الخلائق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكاً ولا مملوكاً فيقول: لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لأن الخلق أموات، فيجيب نفسه لله الواحد القهار لأنه بقي وحده قهر خلقه، وقيل: إنه ينادي مناد ويقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾؟ فيجيبه أهل الجنة: ﴿لله الواحد القهار﴾ ذكره الزمخشري اهـ.

قوله: ﴿اليوم تجزى﴾ الخ إما من تتمة الجواب أو حكاية لما يقوله تعالى عقيب السؤال والجواب اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ أي: يقال لهم إذا أقروا بالملك يومئذ لله وحده اليوم تجزى الخ اهـ.

واليوم ظرف لتجزى وقوله: ﴿لا ظلم اليوم﴾ خبر لا اهـ شيخنا.

قوله: (في قدر نصف نهار) عبارة الخازن: ﴿إن الله سريع الحساب﴾ أي: أنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد، انتهت.

وقوله: (لحديث بذلك) أي: ورد بذلك اهـ.

قوله: ﴿يوم الآزفة﴾ يوم مفعول لأنذر، والآزفة نعت لمحذوف أشار له بقوله: (يوم القيامة) اهـ شيخنا.

قوله: (من أزف الرحيل الخ) في المصباح: أزف الرحيل أزفاً من باب تعب، وأزوفاً دنا وقرب، وأزفت الآزفة دنت القيامة اهـ.

الرحيل قرب ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفاً ﴿لَدَى﴾ عند ﴿ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ ممتلئين غماً حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً، فما لنا من شافعين أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أي لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا ﴿يَعْلَمُ﴾ أي الله ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها

قوله: ﴿إذ القلوب﴾ بدل من يوم الآزفة، والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر متعلق بمحذوف قدره خاصاً بقوله: (ترتفع) والحناجر جمع حنجور كحلقوم وزناً ومعنى أو جمع حنجرة وهي الحلقوم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: إذ القلوب لدى الحناجر فإنها ترتفع عن أماكنها فتلصق بحلوقهم، فلا تعود فيستريحوا بالنفس ولا تخرج فيستريحوا بالموت اهـ.

وفي المختار: والحنجرة بالفتح والحنجور بالضم الحلقوم اهـ.

قوله: ﴿من حميم﴾ من زادة في المبتدأ وفي المختار: حميمك قريبك الذي تهتم لأمره اهـ.

قوله: ﴿ولا شفيع يطاع﴾ حقيقة الإطاعة لا تتأتى هنا لأن المطاع يكون فوق المطيع رتبة، فمقتضاه أن الشافع يكون فوق المشفوع عنده، وهذا محال هنا لأن الله تعالى لا شيء فوقه فحينئذ هو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع أي: يؤذن له في الشفاعة أو تقبل شفاعته اهـ كرخي.

قوله: (إذ لا شفيع لهم أصلاً) أي: لا مطاع ولا غيره، وقوله: (أي: لو شفعوا) تفسير للمفهوم على الوجه الثاني اهـ شيخنا.

قوله: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر برفيع وما بعده عنه اهـ أبو السعود.

وقد أشار الشارح لهذا بقوله (أي: الله). وفي السمين: يعلم خائنة الأعين فيه أربعة أوجه، أحدها: وهو الظاهر أنه خبر آخر عن هو في قوله: ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ [غافر: ١٣]. قال الزمخشري: فإن قلت: بمن اتصل قوله: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾؟ قلت: هو خبر من أخبار هو في قوله: هو الذي يريكم مثل يلقي الروح، ولكن يلقي الروح قد علل بقوله: ﴿لينذر﴾ ثم استطرد لذكر أحوال يوم التلاق إلى قوله: ﴿ولا شفيع يطاع﴾ فلذلك بعد عن أخواته. الثاني: أنه متصل بقوله: ﴿وأنذرهم﴾ لما أمر بإنذارهم يوم الآزفة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب، وأن الظالم لا يجد من يحميه ولا شفيع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سراً وجهراً، وعلى هذا فهذه الجملة لا محل لها لأنها من قوة التعليل للأمر بالإنذار. الثالث: أنها متصلة بقوله: ﴿سريع الحساب﴾. الرابع: أنها متصلة بقوله: ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾، وعلى هذين الوجهين فيحتمل أن تكون جارية مجرى العلة وأن تكون في محل نصب على الحال اهـ.

قوله: ﴿خائنة الأعين﴾ الإضافة على معنى من أي: الخائنة من الأعين أشار لهذا بقوله: (بمسارقتها النظر الخ). فعلى هذا خائنة نعت لمحذوف أي: العين خائنة، ويصح أن تكون الخائنة مصدراً كالعافية والكاذبة أي: يعلم خيانة الأعين اهـ من حواشي البيضاوي.

النظر إلى محرَّم ﴿وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ القلوب ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ فكيف يكونون شركاء لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ ۝٢٠﴾ بأفعالهم ﴿۞أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة منكم ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع

وفي القرطبي: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ قال المؤرج: فيه تقديم وتأخير أي: يعلم الأعين الخائنة، وقال ابن عباس: هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها، وعنه: هو الرجل ينظر إلى المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره وقد علم الله عز وجل أنه يود لو نظر إلى عورتها، وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه، وقال الضحاك: هي قول الإنسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى، وقال السدي: أنه الرمز بالعين، وقال سفيان: هو النظرة بعد النظرة وقال الفراء: خائنة الأعين النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الأولى، وقال ابن عباس: وما تخفي الصدور أي: هل يزني بها لو خلا بها أو لا؟ وقيل: ما تخفي الصدور تكنه وتضمره اهـ.

قوله: (يعبدون) أي: يعبدونهم فالعائد محذوف، وقوله: (أي كفار مكة) تفسير للواو، وقوله: (وهم الأصنام) تفسير لاسم الموصول، وقوله: (بالياء والتاء) سبعيتان اهـ شيخنا.

قوله: ﴿لا يقضون بشيء﴾ هذا على سبيل التهكم بها إذا الجماد لا يقال في حقه يقضي أو لا يقضي اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إن الله هو السميع البصير﴾ تقرير لعلمه بخائنة الأعين وقضائه بالحق، ووعيد لهم على ما يقولون وما يفعلون، وتعريض بحال ما يعبدون من دونه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾ لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا، فقال: ﴿أولم يسيروا﴾ الخ، لأن العاقل من اعتبر بحال غيره اهـ زاده.

أي: أغفلوا ولم يسيروا في الأرض فيعتبروا بمن قبلهم، وكيف: خبر كان مقدم وعاقبة اسمها، والجملة في محل نصب على المفعولية، وقوله: ﴿كانوا﴾ الخ جواب كيف، الواو اسمها، والضمير للفصل، وأشد خبرها، وضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين وهنا وقع بين معرفة ونكرة، والذي سوغ ذلك كون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث امتناع دخول أل عليها، لأن أفعل التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فينظروا﴾ يجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام، وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله اهـ سمين.

قوله: ﴿عاقبة الذين كانوا من قبلهم﴾ أي: حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم اهـ سمين.

أي: أو مآل من قبلهم، فإن العاقبة بمعنى الصفة أو بمعنى المآل اهـ بيضاوي.

وقصور ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أهلكهم ﴿ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ عذابه ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ برهان بيِّن ظاهر ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ ﴾ هو ﴿ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ بالصدق ﴿ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ

قوله: (وفي قراءة منكم) أي: التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب. قوله: ﴿وآثاراً في الأرض﴾ عطف على قوة وهو في قوة قوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ وجعله الزمخشري منصوباً بمقدر قال أراد وأكثر آثاراً اهـ سمين.

قوله: (من مصانع) أي: أماكن في الأرض تخزن فيها المياه، وفي المصباح: والمصنع ما يصنع لجمع الماء نحو البركة والصهريج والمصنعة بالهاء لغة والجمع مصانع اهـ.

وفي أبي السعود: وآثاراً في الأرض مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة اهـ.

وفي المختار: والمصنعة بفتح الميم وضم النون وفتحها كالحوض يجمع فيه ماء والمصانع الحصون اهـ.

قوله: ﴿وما كان لهم﴾ الخ لهم خبر مقدم، وواق: اسمها مؤخر على زيادة من، ومن الله متعلق بواق ومن فيه ابتدائية ومفعول واق محذوف قدره بقوله: (عذابه) والواقي المانع وكان للاستمرار أي: ليس لهم واق أبداً، وقد سبق في الرعد: ﴿ما لهم من الله من واق﴾ [الرعد: ٣٤] اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: وقرأ ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف، والباقون بغير ياء واتفقوا على التنوين في الوصل اهـ.

قوله: ﴿ذلك﴾ أي: أخذهم بأنهم أي: بسبب أنهم كانت الخ. قوله: (بالمعجزات) أي: الأحكام الظاهرات.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ الخ لام قسم، وهذا شروع في قصة موسى مع فرعون تسلية لمحمد ﷺ وتخويفاً لقومه اهـ شيخنا.

قوله: ﴿بآياتنا﴾ أي: ملتبساً بآياتنا، وسلطان مبين والمراد به إما الآيات نفسها والعطف لتغاير العنوانين، وإما بعضها أي: المشهور منها كاليد والعصا، وأفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات اعتناء بها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿إلى فرعون وهامان﴾ الخ خصهم بالذكر لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم، وفرعون الملك، وهامان الوزير، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فجمعه الله معهما لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما اهـ قرطبي.

قوله: ﴿فقالوا ساحر كذاب﴾ القائل ما ذكر فرعون وقومه، وأما قارون فلم يقل ذلك، ففي الكلام تغليب وكذا يقال في قوله: (اقتلوا الخ) اهـ شيخنا.

﴿ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (٢٥)﴾ هلاك ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفون عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن

وفي الخطيب: فقالوا أي: هؤلاء ومن معهم هو ساحر لعجزهم عن مقاهرته، أما من عدا قارون فأولاً وآخراً بالقوة والفعل، وأما قارون ففعله آخراً بين أنه مطبوع على الكفر وإن آمن أولاً وأن هذا كان قوله وإن لم يقله بالفعل في ذلك الزمان، فدل ذلك على أنه لم يزل قائلاً به لأنه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم كذاب لخوفهم من تصديق الناس له اهـ.

قوله: (هو) ﴿ساحر﴾ أي: فيما أظهره من المعجزات كذاب أي: فيما ادعاه من رسالة رب السموات اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ الخ أي: أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولاً، وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان، فلما بعث عليه السلام وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظاً وحنقاً وزعماً منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظناً منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده اهـ أبو السعود.

وفي القرطبي: قال قتادة: هذا قتل غير القتل الأول، لأن فرعون كان أمسك عن قتل الولدان بعد ولادة موسى، فلما بعث الله موسى أعاد القتل على بني إسرائيل عقوبة لهم فيمتنع الناس من الإيمان ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من أولادهم، فشغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ أي: في خسران وهلاك، فإن الناس لا يمتنعون من الإيمان وإن فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلاً اهـ.

قوله: (استبقوا) ﴿نساءهم﴾ أي: بناتهم للخدمة. قوله: ﴿إلا في ضلال﴾ أي: ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتم، واللام إما للعهد والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر والإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً، والجملة اعتراض جيء بها في تضاعيف ما حكي عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان بطلان ما أظهروه واضمحلاله بالمرة اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقال فرعون﴾ معطوف على جواب لما وهو قوله: ﴿قالوا اقتلوا﴾ وجملة وما كيد الكافرين الخ اعتراضية جيء بها مسارعة لبيان خسرانهم وفساد تدبيرهم اهـ شيخنا.

قوله: (يكفونه عن قتله) أي: ويقولون له ليس هذا الذي تخافه، وإنه أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة هذا، والظاهر من حال اللعين أنه قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به حق، ولكن كان يخاف إن همَّ بقتله أن يعاجل بالهلاك، وإنما قال ذروني الخ تمويهاً وإيهاماً أنهم هم المانعون له من قتله، ولولاهم لقتله مع أنه ما منعه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل قوله: ﴿وليدع ربه﴾ تجلد منه وإظهار لعدم المبالاة ولكنه أخوف الناس منه اهـ أبو السعود.

﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إياي فتتبعونه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴿٢٦﴾﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة أو، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه وقد سمع ذلك

وفي الخطيب: ﴿ذروني﴾ أي: اتركوني على أي حالة كانت أقتل موسى، وزاد في الاتهام للأغبياء والمناداة على نفسه عند البصراء بقوله: ﴿وليدع ربه﴾ أي: الذي يدعوه ويدعي إحسانه إليه بما يظهره على يده من هذه الخوارق، وقيل: كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتل موسى. وفي منعه من قتله وجوه، أولها: لعله كان فيهم من يعتقد كون موسى صادقاً فيتحيل في منع فرعون من قتله. وثانيها: قال الحسن إن أصحابه قالوا لا تقتله فإنما هو ساحر ضعيف ولا يمكن أن يغلب سحرنا، فإن قتلته أدخلت الشبهة على الناس ويقولون إنه كان محقاً وعجزوا عن جوابه فقتلوه. وثالثها: أنهم كانوا يحتالون في منعه من قتله لأجل أن يبقى فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب أولئك الأقوام، لأن من شأن الأمراء أن يشغلوا قلب ملكهم بخصم خارجي حتى يصيروا آمنين من تقلب ذلك الملك عليهم اهـ.

قوله: ﴿وليدع ربه﴾ اللام للأمر وهو أمر تعجيز بزعمه أن موسى لا يمنعه ربه منه.

قوله: ﴿إني أخاف﴾ الخ أي: إن لم أقتله اهـ أبو السعود.

قوله: (عبادتكم إياي) أي: وعبادة الأصنام اهـ بيضاوي.

وذلك لأنهم كانوا يعبدون فرعون إذا حضروا عنده، فإذا غابوا عنه عبدوا الأصنام يقولون إنها تقربهم إليه كما قالت المشركون كما صرح به المفسرون فلا يقال إنهم كيف عبدوا الأصنام وأقرهم على ذلك مع ادعائه الربوبية اهـ شهاب.

قوله: (فتتبعونه) الأولى فتتبعوه. قوله: (وفي قراءة أو) أي: مع نصب الفساد، وقوله: ﴿في أخرى﴾ الخ أي: مع كل من الواو وأو، فالقراءات أربعة: اثنتان مع أو رفع الفساد ونصبه، واثنتان مع الواو كذلك وكلها سبعية اهـ شيخنا.

وفي الخطيب: ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ أو أن يظهر الخ أي: لا بد من وقوع أحد الأمرين، إما فساد الدين وإما فساد الدنيا. أما فساد الدين فلأن القوم اعتقدوا أن الدين الصحيح هو دينهم الذي كانوا عليه، فلما كان موسى ساعياً في فساده اعتقدوا أنه ساع في فساد الدين الحق، وأما فساد الدنيا فهو أن يجتمع عليه أقوام ويصير ذلك سبباً لوقوع الخصومات وإثارة الفتن، وبدأ فرعون بذكر الدين أولاً لأن حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم اهـ.

قوله: ﴿وقال موسى إني عذت﴾ الخ يعني: أن موسى لم يأت في دفع شدة اللعين إلا بأن استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية اهـ خازن.

قوله: (وقد سمع ذلك) أي: حديث قتله. قوله: ﴿عذت﴾ أي: تحصنت وقرأ أبو عمرو والأخوان بإدغام الذال في التاء وبإظهارها والباقون بالإظهار فقط، ولا يؤمن صفة لمتكبر اهـ سمين.

ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والإشعار بعلة

﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾

القساوة والجرأة على الله تعالى اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وقال رجل مؤمن﴾ الخ لما التجأ موسى إلى الله سبحانه وتعالى وفوض إليه أمره في دفع شر هذا اللعين بقوله: ﴿إني عذت﴾ الخ قيض الله له من تصدى لمنع هذا اللعين ومخاصمته فقال: ﴿وقال رجل﴾ الخ اهـ رازي.

قال مقاتل: هذا الرجل هو الذي أخبر الله في سورة القصص بقوله: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ [القصص: ٢٠] وعند ابن عباس هو غيره، وعبارة القرطبي: وهذا الرجل هو المراد بقوله تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ قال يا موسى الخ هذا، قول مقاتل، وقال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر موسى، فقال: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك الخ. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الصديقون حبيب النجار، ومؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم» اهـ.

وكان اسم ذلك الرجل حزقيل عند ابن عباس وأكثر العلماء، وقال ابن إسحاق: كان اسمه جبريل، وقيل: حبيب اهـ خازن.

وقال في مبهمات القرآن: الأصح أن اسمه شمعان بفتح الشين المعجمة بوزن سلمان، وقوله (قيل: ابن عمه) وكان صاحب سره ومشورته اهـ شيخنا.

قوله: (قيل هو ابن عمه) وقيل: كان من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون وعلى هذا ففي الآية تقديم وتأخير تقديره: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون فمن جعل الرجل قبطياً فمن عنده متعلقة بمحذوف صفة لرجل: التقدير وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون أي: من أهله وأقاربه، ومن جعله إسرائيلياً فمن متعلقة بيكتم في موضع المفعول الثاني ليكتم. قال القشيري: ومن جعله إسرائيلياً ففيه بعد لأنه يقال كتمه أمر كذا ولا يقال كتم منه. قال الله تعالى: ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ [النساء: ٤٢] وأيضاً ما كان فرعون يحتمل من بني إسرائيل مثل هذا القول اهـ قرطبي.

قوله: (أي لأن) ﴿يقول﴾ أي: لأجل هذا القول من غير روية وتأمل في أمره واطلاع على سبب يوجب قتله، وقوله: ﴿ربي الله﴾ لا يوجب قتله اهـ شيخنا.

وفي الكرخي: قوله: (أي) ﴿لأن يقول﴾ أي: فهو مفعول له، وقدر الزمخشري ظرفاً مضافاً أي: وقت أن يقول ورد بأن ذلك إنما يكون مع المصدر المصرح به نحو جئتك مقدم الحاج لا مع المقدر فلا تقول أجيئك أن يصيح الديك تريد وقت صياحه نص على ذلك النحاة، وقال الإمام تاج الدين بن مكتوم: أجاز ابن جني ذلك اهـ.

قوله: ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ جملة حالية يجوز أن تكون من المفعول وهو رجلاً، فإن قيل: هو

المعجزات الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ أي ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ مفتر ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين حال ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَا﴾ أي لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ

نكرة فالجواب: أنه في حيز الاستفهام وكل ما سوغ الابتداء بالنكرة سوغ انتصاب الحال منها، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل يقول اهـ سمين.

قوله: ﴿بعض الذي يعدكم﴾ أي: إن لم يصبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه لاسيما إن تعرضتم له بسوء، وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب، ولذلك قدم من شقى الترديد بكونه كاذباً وقوله: (عاجلاً) وهو عذاب الدنيا الذي هو بعض مطلق العذاب الشامل لعذابها وعذاب الأخرى، وإنما خوفهم به اقتصاراً على ما هو أظهر احتمالاً عندهم اهـ أبو السعود.

وعبارة الكرخي: قوله: (من العذاب عاجلاً) أي: لا أقل من ذلك تكلم على سبيل التنزل نصحاً وفيه إشارة كما يظهر إلى جواب كيف قال المؤمن ذلك في حق موسى عليه الصلاة والسلام مع أنه صادق عنده، وفي الواقع ويلزم أن يصيبهم جميع ما وعدهم لا بعضه فقط، وإيضاحه: وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فهلاكهم في الدنيا بعض ما وعدهم به أو ذكر البعض تنزلاً وتلطفاً بهم مبالغة في نصحهم لئلا يتهموه بميل ومحاباة أو لفظة بعض صلة أو هي بمعنى كل كما قيل به وعلى ما جرى عليه الشيخ المصنف هي باقية على معناها اهـ.

قوله: ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ كلام ذو وجهين نظراً إلى موسى وفرعون.

الوجه الأول: أن هذا إشارة إلى الرمز والتعريض بعلو شأن موسى عليه الصلاة والسلام، والمعنى أن الله تعالى هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات الباهرة، ومن هداه إلى الإتيان بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاباً فدل على أن موسى ليس من الكذابين.

الوجه الثاني: أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في ادعائه الألوهية والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته بل يبطله ويهدم أمره اهـ كرخي.

قوله: ﴿يا قوم لكم الملك﴾ أي: وقال هذا الرجل أيضاً ﴿يا قوم لكم الملك اليوم﴾ الخ أي: فلا تفسدوا أمركم، ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله، فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض لهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يهمهم من مجيء بأس الله تطييباً لقلوبهم وإيذاناً بأنه مناصح ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم ليتأثروا بنصحه اهـ أبو السعود.

قوله: (حال) أي: من الضمير في لكم والعامل فيها وفي اليوم ما تعلق به لكم اهـ سمين.

قوله: ﴿قال فرعون﴾ أي: بعد ما سمع نصحه، وقوله: ﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾ هي من رؤية الاعتقاد فتتعدى لمفعولين ثانيهما إلا ما أرى اهـ سمين.

أَرَىٰ﴾ أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ طريق الصواب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾﴾ أي يوم حزب بعد حزب ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مثل بدل من مثل قبله، أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ بحذف الياء وإثباتها، أي يوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها، وبالشقاوة لأهلها، وغير ذلك ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن

قوله: (أي ما أشير عليكم) تفسير لمآل المعنى والتفسير المطابق لجوهر اللفظ أن يقال ما أريكم أي: ما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب، وقد فسر بعضهم بهذا التفسير فقول الجلال ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي أي: فلا أظهر لكم أمراً وأكتم عنكم غيره اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ أي: ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ثم حكى الله تعالى أن مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام، وخوفه أن يحل به كما حل بالأمم قبله، بقوله: ﴿وقال الذي آمن﴾ الخ اهـ خازن.

وعبارة الكرخي: وقال الذي آمن الخ وهو الرجل القائل أتقتلون رجلاً الخ اهـ.

قوله: (أي يوم حزب بعد حزب) أشار بهذا إلى أن يوم الأحزاب بمعنى الجمع أي: أيامها، وذلك لأن الأحزاب لم ينزل بها العذاب في يوم واحد، بل نزل بها في أيام مختلفة مترتبة، ويدل لهذا التفسير قوله: ﴿مثل دأب قوم نوح﴾ الخ، وهؤلاء لم يهلكوا في يوم واحد اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: ﴿مثل يوم الأحزاب﴾ أي: مثل أيام الأمم الماضية يعني: وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم اهـ.

قوله: (أي مثل جزاء الخ) أشار بهذا إلى أن في الآية حذف مضاف، وقوله: (عادة) تفسير للدأب، وقوله: ﴿من تعذيبهم في الدنيا﴾ بيان لجزاء عادتهم اهـ شيخنا.

ومعنى جزاء العادة جزاء الأمر الذي اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم، فعادتهم استمرارهم على الكفر وهي المعبر عنها بدأبهم وجزاؤها اهلاكهم ومثل هذا الجزاء إهلاك ينزل بالقبط اهـ.

قوله: ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ أي: يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم﴾ الخ أي: وقال الرجل المؤمن أيضاً يا قوم الخ. فخوفهم بالعذاب الأخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي اهـ أبو السعود.

قوله: (بحذف الياء وإثباتها) أي: في كل من الوصل والوقف، فالقراءات أربعة وكلها سبعية وهذا كله في اللفظ، وأما في الخط فهي محذوفة لا غير اهـ شيخنا.

قوله: (وغير ذلك) منه: أن تدعى كل أناس بإمامهم، وأن ينادى بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان

موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى، وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾

ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وأن ينادى حين يذبح الموت في صورة كبش يا أهل الجنة، خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، وأن ينادي المؤمن هاؤم اقرأوا كتابيه، وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه. ومنها: أن ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور فيقولون: يا ويلنا فهذه الأمور كلها تقع في هذا اليوم اهـ من الخازن والخطيب.

قوله: ﴿مدبرين﴾ (عن موقف الحساب إلى النار) عبارة الخطيب: يوم تولون عن الموقف مدبرين قال الضحاك: إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً فيرجعون إلى مكانهم، فذلك قوله تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ [الحاقة: ١٧] وقال مجاهد: فارين عن النار غير معجزين، وقيل: منصرفين عن الموقف إلى النار اهـ.

قوله: ﴿ما لكم من الله﴾ الخ في محل نصب على الحال، وقوله: ﴿من عاصم﴾ يجوز أن يكون فاعلاً بالجار لاعتماده على النفي، وأن يكون مبتدأ، ومن زائدة على كل من التقديرين، ومن الله متعلق بعاصم اهـ سمين.

قوله: ﴿فما له من هاد﴾ في هاد ما تقدم في قوله: ﴿من واق﴾ اهـ خطيب.

أي: من إثبات الياء وحذفها في الوقف ومن حذفها في الوصل مع حذفها خطا.

قوله: ﴿لقد جاءكم يوسف﴾ الخ قيل: إن هذا من قول موسى، وقيل هو من تمام وعظ مؤمن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الأنبياء اهـ قرطبي.

قوله: (عمر إلى زمن موسى) أي: عاش واستمر يوسف بن يعقوب إلى زمن موسى الكليم، وهذا القول لم يقله غيره من المفسرين، وإنما غاية ما وجد بعد التفتيش ما نقله الشهاب بقوله: وفي بعض التواريخ أن وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة اهـ.

ولذلك قال القاري: قوله: (عمر إلى زمن موسى) ظاهر كلامه أن عمر الذي هو يوسف، والصحيح أن المعمر هو فرعون موسى أدرك يوسف بن يعقوب وعاش إلى أن أرسل إليه موسى وعمره أربعمائة سنة وأربعين سنة اهـ.

قال السيوطي في التحبير: وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبينه وبين موسى أربعمائة سنة اهـ.

وقد بعثه الله من قبل موسى رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه تلك الطاعة نعم أطاعوه لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي اهـ قاري.

وقوله: (يوسف بن إبراهيم الخ) فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله إلى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبياً اهـ زاده.

بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ شاكّ فيما شهدت به البينات ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ

وفي المختار: عمر من باب فهم أي: عاش ومصدره عمر بفتح العين وضمها هو لازم اهـ.

ويتعدى بالتضعيف كما في المصباح، وفي القاموس: أنه من باب فرح ونصر وضرب اهـ.

قوله: ﴿فما زلتم في شك﴾ أي فما زال أسلافكم في شك حتى إذا هلك قلتم أي: قال أسلافكم اهـ قرطبي.

وحتى غاية لقوله فما زلتم، وقرىء ألن يبعث الله بإدخال همزة التقرير يقرر بعضهم بعضاً اهـ سمين.

قوله: (من غير برهان) أي: بل على سبيل التشهي والتمني ليكون لهم أساس في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده، وليس قولهم ذلك تصديقاً لرسالة يوسف، وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضمومة إلى التكذيب برسالته اهـ خازن.

وعبارة الخطيب: ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة؛ وهذا ليس إقراراً منهم برسالته بل هو ضم منهم إلى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده اهـ.

قوله: ﴿الذين يجادلون الخ﴾ من كلام الرجل المؤمن أيضاً، وقيل: إنه ابتداء كلام من الله تعالى اهـ قرطبي.

قوله: (المبتدأ) هذا أولى وأحسن الأعاريب العشرة التي ذكرها. قال أبو حيان في النهر: والأولى في إعراب هذا الكلام أن يكون الذين مبتدأ، وخبره كبر، والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون، وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه، ويكون الواعظ لهم قد عدل على مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وأبرز ذلك في صورة تذكرهم فلم يخصهم بالخطاب. وفي قوله: ﴿كبر﴾ ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم اهـ بحروفه.

ومقتاً: تمييز محول عن الفاعل أي: كبر مقت جدالهم أي المقت المرتب على جدالهم، وفي السمين: كبر مقتاً يحتمل أن يراد به التعجب والاستعظام، وأن يراد به الذم كبئس، وذلك أنه يجوز أن يبنى فعل بضم العين مما يجوز التعجب منه، ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الأحكام، وفي فاعله ستة أوجه، إلى أن قال الثاني أنه ضمير يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون كما تقدم، إلى أن قال الخامس: أن الفاعل ضمير يعود على ما بعده وهو التمييز نحو نعم رجلاً زيد، وبئس غلاماً عمرو وعند ظرف لكبر اهـ.

ومقت الله إياهم ذمه لهم ولعنه إياهم وإحلال العذاب بهم اهـ قرطبي.

ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ بتنوين قلب ودونه، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس، وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ بناء عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالرفع عطفاً على

ومقت المؤمنين لهم بغضهم أشد البغض وكراهتهم أشد الكراهة اهـ من المصباح.

قوله: (أي مثل إضلالهم) الأولى أي مثل ذلك الطبع كما عبّر به غيره، وقوله: ﴿بطبع الله﴾ الخ مستأنف اهـ شيخنا.

قوله: (بتنوين قلب ودونه) سبعيتان. قوله: (ومتى تكبر القلب الخ) غرضه بهذا التوفيق بين القراءتين، وفي السمين: قوله: ﴿على كل قلب متكبر﴾ قرأ أبو عمرو، وابن زكوان بتنوين قلب وصف القلب بالتكبر والتجبر لأنهما ناشئان منه وإن كان المراد الجملة، كما وصف بالإثم في قوله: ﴿فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣] والباقون بإضافة قلب إلى ما بعده أي على كل قلب شخص متكبر، وقدر الزمخشري مضافاً في القراءة الأولى، أي: على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب. قال الشيخ: ولا ضرورة تدعو إلى اعتبار الحذف، قلت: بل ثم ضرورة إلى ذلك وهي توافق القراءتين فإنه يصير الموصوف في كلا القراءتين واحداً وهو صاحب القلب، بخلاف عدم التقدير فإنه يصير الموصوف في إحداهما القلب وفي الأخرى صاحبه اهـ.

قوله: (لعموم الضلال جميع القلب) أي: جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الاهتداء، وقوله: (لا لعموم القلوب) أي: لا لعموم أفراد القلوب، وهذا الصنيع إخراج لها عن موضوعها من أنها إذا دخلت على نكرة مطلقاً أو على معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد، وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء وهنا قد دخلت على النكرة، فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد لا لعموم الأجزاء كما سلكه الشارح فليتأمل اهـ شيخنا.

وعبارة جمع الجوامع: كل الاستغراق أفراد المنكر مطلقاً والمعرف المجموع وأجزاء المفرد المعرف اهـ.

قوله: ﴿ابن لي صرحاً﴾ في المصباح: الصرح بيت واحد يبنى مفرداً طولاً ضخماً اهـ.

وفي السمين: في سورة النمل: والصرح القصر، أو صحن الدار، أو بلاط يتخذ من زجاج وأصله من التصريح وهو الكشف اهـ.

قوله: (طرقها) أي: أبوابها الموصلة إليها، وفائدة التكرار أن الثاني بدل من الأول والشيء إذا أبهم ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها اهـ كرخي.

قوله: (عطفاً على أبلغ) أي: فيكون في حيز الترجي، وقوله: (وبالنصب جواباً) لابن أي جواباً لهذا الأمر، وهذا رأي البصريين، ورأي الكوفيين أن النصب في جواب لعل أي في جواب الترجي اهـ شيخنا.

أبلغ، وبالنصب جواباً لابن ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى بفتح الصاد وضمها ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ خسار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ

وفي السمين: قوله: ﴿فأطلع﴾ العامة على رفعه عطفاً على أبلغ فهو داخل في حيز الترجي، وقرأ حفص في آخرين بنصبه وفيه حفص في آخرين بنصبه وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه جواب الأمر في قوله: ﴿ابن لي﴾ فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله:

يا ناق سيري عنقاً فسيحا إلى سليمان فنستريحا

وهذا أوفق لمذهب البصريين. الثاني: أنه منصوب. قال الشيخ: عطفاً على التوهم لأن خبر لعل كثيراً جاء مقروناً بإن كثيراً في النصب وقليلاً في النثر، فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبراً منصوب بإن، والعطف على التوهم كثير وإن كان لا ينقاس اهـ.

الثالث: أن ينتصب على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي استشهد أصحابه بهذه القراءة وبقراءة نافع: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ [عبس: ٣] أو ﴿يذكر فتنفعه﴾ [عبس: ٤] بنصب فتنفعه جواباً لقوله لعله، وإلى هذا نحا الزمخشري قال: تشبيهاً للترجي بالتمني والبصريون يأبون ذلك ويخرجون القراءتين على ما تقدم، وفي سورة عبس يجوز أن يكون جواباً للاستفهام في قوله: ﴿وما يدريك﴾ [عبس: ٣] فإنه مترتب عليه معنى. وقال ابن عطية، وابن جبارة الهذلي: على جواب التمني وفيه نظر، إذ ليس في اللفظ تمن إنما فيه ترج، وقد فرق الناس بين التمني والترجي بأن الترجي لا يكون إلا في الممكن عكس التمني فإنه يكون فيه وفي المستحيل، وتقدم الخلاف في: ﴿وصد عن السبيل﴾ في الرعد فمن بناه للفاعل فعلى حذف المفعول أي صد قومه عن السبيل.

قوله: ﴿إلى إله موسى﴾ أي: انظر إليه واطلع على حاله اهـ من الشارح من سورة القصص.

قوله: (قال فرعون ذلك) أي: قوله: ﴿ابن لي صرحاً﴾ الخ. وقوله: (تمويهاً) أي تلبيساً وتخليطاً على قومه، وإلا فهو يعرف ويعتقد حقية الإله وأنه ليس في جهة، ولكنه أراد التلبيس على قومه توصلاً لبقائهم على الكفر، فكأنه يقول: لو كان إله موسى موجوداً لكان له محل ومحله إما الأرض وإما السماء، ولم نره في الأرض فيبقى أن يكون في السماء والسماء لا يتوصل إليها إلا بسلم اهـ شيخنا.

وفي المصباح: وقوله: (مموه) أي مزخرف أي ممزوج من الحق والباطل اهـ.

وفي المختار: التمويه التلبيس اهـ.

قوله: ﴿وكذلك﴾ أي: مثل ذلك التزيين أي كتزيين القول المذكور له زين لفرعون، وعبارة القرطبي: أي كما قال هذه المقالة وارتاب زين له الشيطان أو زين الله له سوء عمله أي الشرك والتكذيب اهـ.

قوله: (بفتح الصاد وضمها) سبعيتان. قوله: ﴿وما كيد فرعون﴾ أي في إبطال آيات موسى إلا في تباب أي: خسار وهلاك اهـ خازن.

اتَّبِعُونِ﴾ بإثبات الياء وحذفها ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ تقدم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى

قوله: ﴿وقال الذي آمن﴾ وهو الرجل المؤمن، وقيل: موسى اهـ بيضاوي.

قوله: ﴿اتبعون﴾ أي اعملوا بنصيحتي اهـ.

وفي أبي السعود: ﴿اتبعون الخ﴾ أجمل لهم أولاً، ثم فسر بقوله: ﴿يا قوم إنما هذه﴾ الخ فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها، لأن الإخلاد إليها رأس كل شر، ومنه يتشعب فنون ما يؤدي إلى سخطه تعالى، ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال: ﴿وإن الآخرة الخ﴾ اهـ.

قوله: (بإثبات الياء وحذفها) كل من الوجهين يجري في الوصل والوقف، والقراءتان سبعيتان، وهذا بالنظر للفظ وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير لأنها من ياءات الزوائد، وقوله: (تقدم) أي تقدم قريباً تفسير سبيل الرشاد بأنه طريق الصواب اهـ.

قوله: (تمتع يزول) أي قليل يسير لأن التنوين للتقليل اهـ.

قوله: ﴿هي دار القرار﴾ أي: الثبات فلا انتقال ولا تحول عنها اهـ شيخنا.

قوله: ﴿من عمل سيئة﴾ الخ من كلام الرجل المؤمن. قوله: (بضم الباء وفتح الحاء الخ) سبعيتان.

قوله: ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم﴾ الخ من كلام الرجل المؤمن. قال الزمخشري: فإن قلت: لم جاء بالواو في النداء الأول والثالث دون الثاني؟ قلت: لأن الثاني داخل في كلام هو بيان للمجمل وتفسير له، فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة اهـ سمين.

وعبارة الكرخي: ترك العطف في النداء الثاني لأنه تفصيل لإجمال الأول، وهنا عطف لأنه ليس بتلك المثابة لأنه كلام مباين للأول والثاني فحسن إيراد الواو العاطفة فيه اهـ.

قوله: ﴿وتدعونني إلى النار﴾ هذه الجملة مستأنفة أخبر عنهم بذلك بعد استفهامه عن دعائه لهم، ويجوز أن يكون التقدير وما لكم تدعونني إلى النار وهو الظاهر، ويضعف أن تكون الجملة حالاً، أي ما لي أدعوكم إلى النجاة حال دعائكم إياي إلى النار اهـ سمين.

وعبارة أبي السعود: مالي أدعوكم ما: مبتدأ والظرف بعدها خبر عنها، وجملة أدعوكم الخ حال، والاستفهام المفاد بما تعجبي ومدار التعجب دعوتهم إياه إلى النار لا دعوته إياهم إلى النجاة، كأنه قال: أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر، وقوله: ﴿تدعونني لأكفر بالله﴾ الخ بدل أو بيان فيه معنى التعليل والدعاء كالهداية في التعدية بإلى واللام، وقوله: ﴿ما ليس لي

ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ﴾ الغالب على أمره ﴿ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ لمن تاب ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ﴿ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾ لأعبده ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ ﴾ أي استجابة دعوة ﴿ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ ﴾ مرجعنا ﴿ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الكافرين ﴿ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ ﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ

به علم﴾ أي بشركته في المعبودية، وقيل: بربوبيته، والمراد نفي المعلوم رأساً وهو المعبود فضلاً عن عبادته اهـ.

قوله: ﴿تدعونني لأكفر﴾ الخ هذه الجملة بدل من تدعونني الأولى على جهة البيان لها وأتى في قوله ﴿تدعونني﴾ بجملة فعلية ليدل على أن دعوتهم باطلة لا ثبوت لها، وفي قوله ﴿وأنا أدعوكم﴾ بجملة اسمية ليدل على ثبوت دعوته وتقويتها اهـ سمين.

قوله: ﴿لا جرم﴾ جرم فعل ماض بمعنى حق ووجب، وقوله: أنما تدعونني إليه فاعله أي: حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم. وقيل: جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بد من لا بد فعل من التبديل أي: التفريق اهـ أبو السعود.

وهذا لا يناسب عبارة الشارح حيث فسرها بحقاً والمناسب لها عبارة المختار ونصها: وقولهم لا جرم. قال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم وصارت بمنزلة حقاً، فلذلك يجاب عنه باللام كما يجاب بها عن القسم ألا تراهم يقولون لا جزم لآتينك اهـ.

قوله: والأولى أن يجعل حقاً في كلامه مفعولاً مطلقاً معمولاً لفعل محذوف دل عليه لا جرم، وقوله: ﴿أنما تدعونني إليه﴾ فاعل بذلك الفعل المحذوف، والمعنى حق أن ما تدعونني إلي حقاً، وتقدم لهذا مزيد بسط في سورة هود.

قوله: ﴿أنما تدعونني إليه﴾ ما اسم موصول بمعنى الذي فكان حقها أن تكتب مفصولة من النون كما هو القاعدة أن الموصولة مفصولة، لكنها رسمت في المصحف الإمام موصولة بالنون أي ترسم هي في النون، كما أشار له ابن الجزري ونصه مع شرح شيخ الإسلام، وقطعوا أن ما المفتوح همزه من قوله (وأن ما يدعون من دونه معاً) أي: في الحج ولقمان وخلف ما في الأنفال ونحل أي: وفي النحل من قوله تعالى في الأولى ﴿واعلموا أن ما غنمتم﴾ [الأنفال: ٤١] وقوله في الثانية ﴿أن ما عند الله هو خير لكم﴾ [النحل: ٩٥] وقعا بألف الاطلاق وما عداها نحو فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين موصول اهـ.

قوله: (أي استجابة دعوة) عبارة الخازن: ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة يعني: ليست له استجابة دعوة لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، وقيل: ليس له دعوة إلى عبادته في الآخرة لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها انتهت.

قوله: ﴿فستذكرون﴾ أي: يذكر بعضكم بعضاً، وقوله: ﴿ما أقول لكم﴾ أي النصيحة. قوله: ﴿وأفوض أمري﴾ الخ مستأنف. قوله: (قال ذلك) أي: قال ﴿فستذكرون﴾ الخ لما توعدوه أي:

﴿بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ٤٥﴾ الغرق ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾

بالقتل، ففر هارباً من بينهم، فأرسل فرعون خلفه ألفاً ليقتلوه، فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هارباً، فقتل فرعون من رجع عقوبة على عدم قتله بذلك لذلك الرجل المؤمن، قوله: (بمخالفته دينهم) الباء فيه سببية أي توعدوه بالقتل بسبب أن خالف دينهم اهـ شيخنا.

وفي البيضاوي: أن ذلك الرجل فرَّ منهم إلى جبل، فأتبعه فرعون طائفة فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعباً فقتلهم فرعون اهـ.

وفي زاده: قوله: ﴿فستذكرون﴾ الخ لما بلغ مؤمن آل فرعون في باب النصيحة إلى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة، فقال فستذكرون ما أقول لكم وهو كلام مجمل في باب التخويف بعد تفصيل وجوهه، ولما خوفهم بقوله ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ توعدوه وخوفوه بالقتل، فعوَّل في دفع مكرهم وكيدهم على الله حيث قال: ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ كما رجع موسى إليه تعالى حين خوفه فرعون بالقتل، فقال: ﴿وإني عذت بربي وربكم﴾ الخ. قال مقاتل: لما قال المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبال فطلبوه فلم يقدروا عليه، فذلك قوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ اهـ.

قوله: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ أي: شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم، ونجا ذلك الرجل مع موسى عليه السلام من الغرق اهـ أبو السعود.

قوله: (قومه معه) وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿النار﴾ مبتدأ، وجملة يعرضون عليه خبره، والجملة مستأنفة هذا هو المناسب لصنيعه حيث فسرَّ سوء العذاب بالغرق، وقدر ثم في الدخول على ما بعدها ليشير إلى أنه مستأنف، وقوله: ﴿يعرضون عليها﴾ أي: تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة. هذا ما رواه ابن مسعود ليغاير قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ الخ اهـ شيخنا.

وفي القرطبي: والجمهور على أن هذه العرض في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم على إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ ما دامت الدنيا، كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾. وفي الحديث، وعن ابن مسعود: «أن أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي فيقال هذه داركم». وعنه أيضاً «أن أرواحكم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين» فذلك عرضها اهـ قرطبي.

وفي السمين: قوله: ﴿النار يعرضون عليها﴾ الجمهور على رفعها وفيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنها بدل من سوء العذاب. الثاني: أنها خبر مبتدأ محذوف أي هو أي سوء العذاب النار لأنه جواب لسؤال

يحرقون بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقال ﴿أَدْخِلُوٓا﴾ يا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ عذاب جهنم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِى النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءاً ﴿مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار

مقدر، ويعرضون على هذين الوجهين يجوز أن يكون حالاً من النار، ويجوز أن يكون حالاً من آل فرعون. الثالث: أنه مبتدأ وخبره يعرضون، وقرىء النار منصوباً وفيها وجهان، أحدهما: أنه منصوب بفعل مضمر يفسره يعرضون من حيث المعنى أى يصلون النار يعرضون عليها كقوله: ﴿والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾ [الإنسان: ٣١]. والثاني: أن ينتصب على الاختصاص قاله الزمخشري، فعلى الأولى لا محل ليعرضون لكونه مفسراً، وعلى الثاني هو حال كما تقدم اهـ.

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ فيه ثلاثة أوجه، أظهرهما: أنه معمول لقول مضمر وذلك القول المضمر تحكى به الجمل الأمرية من قوله ﴿ادخلوا﴾، والتقدير ويقال لهم يوم القيامة الساعة ادخلوا. الثاني: أنه منصوب بادخلوا أي ادخلوا يوم تقوم، وعلى هذين الوجهين فالوقف تام قوله ﴿وعشياً﴾. والثالث: أنه معطوف على الظرفين قبله فيكون معمولاً ليعرضون، والوقف على هذا على قوله ﴿الساعة﴾ وادخلوا معمول لقول مقدر أي يقال لهم كذا وكذا. وقرأ الكسائي، وحمزة، ونافع، وحفص: أدخلوا بقطع الهمزة أمر من أدخل، فآل فرعون مفعول أول، وأشد العذاب مفعول ثان، والباقون ادخلوا بهمزة وصل من دخل يدخل، فآل فرعون منادى حذف حرف النداء منه وأشد منصوب به إما ظرفاً وإما مفعولاً به، أي: ادخلوا يا آل فرعون في أشد العذاب اهـ سمين.

قوله: (عذاب جهنم) تفسير للأشد فإنه أشد مما كانوا فيه أو تفسير للعذاب، فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض اهـ أبو السعود.

قوله: (واذكر) أي يا محمد لقومك. قوله: (فيقول الضعفاء الخ) تفصيل للتخاصم. قوله: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ أي فتكبرتم على الناس بنا اهـ خطيب.

وقوله: (جمع تابع) كخدم جمع خادم اهـ شيخنا.

قوله: (دافعون) جعله تفسيراً لمغنون فيكون نصيباً منصوباً بمغنون من غير تقدير، وعبارة غيره: ونصيباً منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أي: دافعون أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أي: حاملون عنا نصيباً الخ. ومن النار صفة لنصيباً اهـ شيخنا.

قوله: (إنا كل فيها) أي فكيف نغني عنكم، ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا فكل مبتدأ وفيها خبره، والجملة خبر إن اهـ شيخنا.

قوله: ﴿إن الله قد حكم بين العباد﴾ أي: فلا يغني أحد عن أحد شيئاً، فعند ذلك يحصل اليأس للأتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم إلى خزنة جهنم يسألونهم كما قال: ﴿وقال الذين في النار﴾ الخ اهـ خطيب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي الخزنة تهكماً ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم فإنا لا نشفع لكافر، قال تعالى ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ انعدام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ جمع

وفي أبي السعود: ﴿وقال الذين في النار﴾ أي: من الضعفاء والمستكبرين جميعاً لما ضافت حيلهم وعييت بهم عللهم، وقوله: ﴿لخزنة جهنم﴾ أي: الملائكة الموكلين بعذاب أهلها اهـ.

قوله: ﴿لخزنة جهنم﴾ أي: لخزنتها، ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل أو لبيان محلهم فيها، ويحتمل أن تكون جهنم أبعد دركاتها من قولهم بئر جهنام أي: بعيدة القعر اهـ بيضاوي.

وقوله: أو لبيان محلهم فيها هذا بناء على أنها علم لأسفل محالها، والأول بناء على أنها علم لها مطلقاً اهـ شهاب.

قوله: ﴿ادعوا ربكم﴾ أي: المحسن إليكم بأنكم لا تجدون للنار ألماً اهـ خطيب.

قوله: ﴿يوماً من العذاب﴾ من العذاب ظرف ليخفف ومفعوله محذوف أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم، ولا يجوز أن يكون من العذاب هو المفعول ومن تبعيضية ويوماً ظرف اهـ خطيب.

واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدرا قصير من الزمان دون رفعه رأساً، ودون تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد، لأن ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت أمانيهم اهـ أبو السعود.

قوله: (أي قدر اليوم) أي: من أيام الدنيا وفسره به لأنه ليس في الآخرة ليل ولا نهار اهـ شهاب.

قوله: (قالوا أولم تك تأتيكم﴾ أي: ألم تنتهوا عن هذا ولم تك تأتيكم اهـ أبو السعود.

وفي البيضاوي: ﴿قالوا أولم تك تأتيكم﴾ الخ أرادوا به إلزامهم الحجة وتوبيخهم على إضاعتهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الإجابة اهـ.

قوله: ﴿قالوا بلى﴾ أي: أتونا فكذبناهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وما دعاء الكافرين﴾ الخ يحتمل أن يكون من كلام الخزنة، وأن يكون من كلام الله إخباراً لنبيه وهو أنسب بما بعده اهـ شهاب.

وهذا ما جرى عليه الشارح. قوله: (انعدام) أي: من الإجابة، وعبارة البيضاوي: إلا في ضلال أي: ضياع لا يجاب فيه إقناط لهم عن لهم عن الإجابة اهـ.

قوله: ﴿إنا لننصر رسلنا﴾ أي: بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل وغير ذلك من العقوبات، ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحاناً، فإن العبرة إنما هي بالعواقب وغالب الأمر اهـ أبو السعود.

شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ﴾ بالياء والتاء ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ أي البعد من الرحمة ﴿ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ الآخرة أي شدة عذابها ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ التوراة والمعجزات ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ من بعد موسى ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ ﴾ التوراة ﴿ هُدًى ﴾ هادياً ﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾

وقد نصرهم بالقهر على من عاداهم وأهلك أعداءهم، كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعون ألفاً اهـ خازن.

قوله: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ معطوف على في الحياة الدنيا: أي: لننصرهم في الحياة الدنيا وفي يوم القيامة اهـ.

قوله: (جمع شاهد) كقوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ [الأحزاب: ٤٥] ويصح أن يكون جمع شهيد كقوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ [النساء: ٤١] اهـ سمين.

قوله: (وهم الملائكة) في البيضاوي: والمراد بالإشهاد من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين اهـ.

أما الملائكة، فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا. وأما الأنبياء فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على الأمم بالتصديق والتكذيب. قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١]. وأما المؤمنون فيشهدون على الناس أيضاً يوم القيامة قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ اهـ زاده.

قوله: ﴿يوم لا ينفع﴾ الخ بدل من يوم قبله. قوله: (بالياء والتاء) سبعيتان. قوله: (لو اعتذروا) جواب عما يقال قوله: ﴿لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ يدل على أنهم يذكرون الأعذار إلا أنها لا تنفعهم، فما وجه الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾؟ [المرسلات: ٣٦] وتقدير الجواب أن قوله: ﴿لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ لا يدل إلا على أنهم ليس عندهم عذر مقبول نافع، وهذا يصدق بأن لا يعتذروا أصلاً فلا منافاة بينهما إن كان سلب النفع لانتفاع أصل المعذرة، وأما إن كان سلب النفع مبنياً على أنهم يذكرون الأعذار ولكنها لا تنفعهم، فيحتاج في دفع التناقض إلى اعتبار تعدد الأوقات، فإن يوم القيامة يوم طويل، فجاز أن يعتذروا في وقت ولا يعتذروا في وقت آخر بأن يمنعوا من الكلام بأن يقال لهم: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨] اهـ زاده.

وعبارة الكرخي: قوله: ﴿معذرتهم﴾ (عذرهم) أشار إلى أن المعذرة والعذر معناهما واحد وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة، أو لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون، فالآية من نفي المقيد والقيد اهـ.

قوله: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ الخ لما ذكر تعالى أنه ينصر الأنبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر نوعاً من تلك النصرة في الدنيا فقال: ﴿ولقد آتينا﴾ الخ اهـ خطيب.

قوله: ﴿وأورثنا بني إسرائيل﴾ أي: بعد ما كانوا فيه من الذل اهـ خطيب.

قوله: ﴿هدى وذكرى﴾ فيهما وجهان، أحدهما: أنهما مفعول من أجله أي لأجل الهدى

تذكرة لأصحاب العقول ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن اتبعك منهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ليستن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلِّ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ الصلوات الخمس ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ إِن﴾ ما ﴿فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ﴾ من شرّهم ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾

والذكرى، والثاني: أنهما مصدران في موضع الحال اهـ سمين.

قوله: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ لما بيّن تعالى أنه ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثل في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمداً ﷺ بقوله: ﴿فاصبر﴾ أي: على أذى قومك كما صبر موسى على أذى فرعون. قال الكلبي: فنسخت آية القتال آية الصبر اهـ خطيب.

قوله: (ليستن بك) هذا على رأي من لا يجوز الصغائر على الأنبياء أصلاً، فيقول: هذا تعبد من الله لنبيه ليزيده به درجة وليصير سنّة لغيره من بعده اهـ خازن.

وفي البيضاوي: ﴿واستغفر لذنبك﴾ وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك الحاصلة بترك الأولى والاهتمام بأمر الأعداء بالاستغفار فإنه كافيك في النصر بإظهار الأمر اهـ.

وفي القرطبي: ﴿واستغفر لذنبك﴾ قيل لذنب أمتك حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقيل: لذنب نفسك على قول من يجوز الصغائر على الأنبياء، ومن قال لا تجوز قال هذا تعبد للنبي ﷺ بالدعاء كما قال: ﴿وآتنا ما وعدتنا﴾ [آل عمران: ١٩١] والفائدة زيادة الدرجات وأن يصير الدعاء سنة لمن بعده، وقيل: واستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة اهـ.

قوله: (وهو من بعد الزوال) وفيه أربع صلوات والإبكار من الفجر إلى الزوال وفيه صلاة واحدة، فلهذا قال: الصلوات الخمس تفسير للتسبيح الواقع بالعشي والإبكار اهـ.

قوله: ﴿إن الذين يجادلون﴾ الخ عام في كل مجادل وإن نزل في مشركي مكة اهـ أبو السعود.

وعبارة الخطيب: ﴿إن الذين يجادلون﴾ الخ لما ابتدأ بالرد على المجادلين في آيات الله، واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب المتقدم إلى هنا نبه تعالى على العلة التي تحمل الكفار على تلك المجادلة وهي قوله: ﴿إن في صدورهم﴾ فقال: ﴿إن الذين يجادلون﴾ الخ، انتهت.

قوله: ﴿بغير سلطان أتاهم﴾ تقييد المجاملة بذلك مع استحالة إتيانه للإيذان بأن المتكلم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين اهـ كرخي.

قوله: ﴿إن في صدورهم﴾ خبر إن اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ما هم ببالغيه﴾ أي: ببالغي كبرهم أي: ببالغي مقتضاه وهو التعاظم والرئاسة والتقدم عليك فاستعذ بالله أي فالتجىء إليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك اهـ أبو السعود.

بأحوالهم، ونزل في منكري البعث ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابتداء ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ ذلك، فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾ فيه زيادة لا ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يتعظون بالياء والتاء، أي تذكرهم قليل جداً ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بها ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي اعبدوني أثبكم بقرينه ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

قوله: (ابتداء) أي: من غير سبق مادة، وقوله ﴿أكبر﴾ أي: أعظم وأشق بحسب عادة الناس في مزاولة الأفعال من أن علاج الشيء الكبير أشق من علاج الصغير، وإن كان بالنسبة إلى الله تعالى لا تفاوت بين الصغير والكبير. قوله: (ومن يعلمه كالبصير) أتى به توطئة لقوله ﴿وما يستوي﴾ الخ.

قوله: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ أي الغافل والمستبصر اهـ بيضاوي.

وقوله: (الغافل الخ). يعني أن الوصفين المذكورين مستعاران لمن غفل عن معرفة الحق في مبدئه ومعاده، ومن كان بصيراً في معرفتهما ولذا قدم الأعمى لمناسبته لما قبله من نفي النظر والتأمل، وقدم الذين آمنوا بعده مجاورة البصير ولشرفهم اهـ زاده.

وفي السمين: ﴿ولا المسيء﴾ لا زائدة للتوكيد لأنه لما طال الكلام بالصلة بعد قسيم المؤمنين فأعاد معه لا وكيداً، وإنما قدم المؤمنين لمجاورتهما لقوله: ﴿والبصير﴾ واعلم أن التقابل يجيء على ثلاث طرق، إحدهما: أن يجاوز المناسب ما يناسبه كهذه الآية. والثانية: أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى: ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع﴾ [هود: ٢٤]. والثالثة: أن يقدم مقابل الأول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور﴾ [فاطر: ١٩] وكل ذلك تفنن في البلاغة، وقدم الأعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ اهـ.

قوله: (فيه) أي: في المسيء الذي في مقابلة المحسن زيادة لا أي للتأكيد. قوله: ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾ ما زائدة وقليلاً مفعول مطلق على أنه صفة لموصوف محذوف أي: يتذكرون تذكراً قليلاً. وقول الشارح: أي تذكرهم قليلاً هكذا في النسخ بنصب قليلاً وهو خبر عن تذكرهم، فكان الأولى رفعه ويمكن تصحيح نصبه بجعل الخبر محذوفاً وجعل هذا حالاً، والتقدير يحصل حاله كونه قليلاً تأمل. قوله: (بالياء والتاء) أي: قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو بالغيبة مناسبة لسابقه أي: قوله: ﴿إن الذين يجادلون﴾ والباقون بالخطاب التفاتاً، وفائدة الالتفات في مقام التوبيخ هي إظهار العنف الشديد والإنكار البليغ اهـ كرخي.

قوله: ﴿ولا ريب فيها﴾أي: في مجيئها لوضوح شواهدها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها اهـ أبو السعود.

قوله: (أي اعبدوني أثبكم) إطلاق الدعاء على العبادة مجاز لتضمن العبادة له، لأنه عبادة خاصة

﴿عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ صاغرين ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ

أريد بها المطلق وجعل الإثابة لترتبها عليها استجابة مجاز أو مشاكلة اهـ شهاب.

وعبارة الكرخي: قوله: (بقرينة ما بعده) أي: بدلالة قوله: ﴿إن الذي يستكبرون عن عبادتي﴾ وهذا وإن تضمن المصير إلى المجاز أرجح لما أن الأمر بالعبادة أنسب بالمقام وأولى بالاهتمام، ويؤيد بالرواية في حديث النعمان بن بشير، عن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» وقرأ هذه الآية الحديث أخرجه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه عنه اهـ.

حمل بعضهم الدعاء في الآية على ما هو الظاهر منه وهو السؤال والتضرع. وفي القرطبي: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ روى النعمان بن بشير قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح فدل هذا على أن الدعاء هو العبادة، وكذا قال أكثر المفسرين، وأن المعنى وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم، وقيل: هو الذكر والدعاء والسؤال. قال أنس، قال النبي ﷺ: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى في شسع نعله إذا انقطع». ويقال: الدعاء هو ترك الذنوب. وحكى قتادة، عن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلهم إلا نبي كان إذا أرسل نبي قيل له أنت شاهد على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] وكان يقال للنبي: «ليس عليك في الدين من حرج» وقال تعالى لهذه الأمة ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذا الأمة: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ قلت: مثل هذا لا يقال من قبل الرأي قد جاء مرفوعاً اهـ.

وفي الخازن: فإن قلت. كيف قال ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقد يدعو الإنسان كثيراً فلا يستجاب له؟ قلت الدعاء له شروط منها: الإخلاص في الدعاء، وأن لا يدعوا وقلبه لاه مشغول بغير الدعاء، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقاً بالإجابة، فإما يعجلها له وإما أن يؤخرها له. يدل عليه ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل» قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: «يقول دعوت فما استجاب لي» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب، وقيل: الدعاء هو الذكر والسؤال اهـ.

قوله: (بفتح الياء وضم الخاء الخ) سبعيتان، وقوله: ﴿صاغرين﴾ أي: أذلاء. وفي المصباح: دخر الشخص يدخر بفتحتين دخوراً ذل وهان وأدخرته بالألف للتعدية اهـ.

قوله: ﴿الله الذي جعل لكم الليل﴾ الخ لما أمر بالاشتغال بالدعاء بين الدليل على وجود الإله المدعو فقال: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ أي: ليستريحوا فيه: استراحة ظاهرية بالنوم

لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الله فلا يؤمنون ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ﴾ أي مثل إفك هؤلاء أفك ﴿ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ معجزاته ﴿ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ سقفاً ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ ﴾

الذي هو الموت الأصغر، واستراحة حقيقية بالعبادة التي هي الدائمة اهـ خطيب.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: الفاعل المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية، وذلكم: مبتدأ، والله وربكم وخالق كل شيء ولا إله إلا هو: أخبار أربعة عنه اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿كذلك يؤفك﴾ المضارع بمعنى الماضي، وقد أشار له بقوله ﴿أفك الذين الخ﴾، فأفك في كلامه فعل ماضٍ مبني للمجهول فسّر به المضارع الذي في النظم، وجيء به استحضاراً للصورة الغريبة اهـ شيخنا.

وقوله: (أي مثل إفك هؤلاء) بفتح الهمزة وسكون الفاء إذا كان بمعنى الصرف والقلب كما هنا بخلاف ما إذا كان بمعنى الكذب فإنه بكسر الهمزة، وفي المختار: الإفك الكذب وقد أفك يأفك بالكسر، ورجل أفاك أي: كذاب، والأفك بالفتح مصدر أفكه أي: قلبه وصرفه عن الشيء وبابه ضرب ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾ [الأحقاف: ٢٢] اهـ.

وفي القاموس: ما يقتضي أنه بمعنى الكذب فيه الكسر والفتح ونصه: أفك كضرب وعلم إفكاً بالكسر والفتح والتحريك وأفوكاً كذب وأفكه عنه يأفكه صرفه وقلبه اهـ.

قوله: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ الخ بيان لتفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان تفضله المتعلق بالزمان، وقوله: ﴿وصوركم﴾ الخ بيان لتفضله المتعلق بأنفسهم، والفاء في فأحسن صوركم تفسيرية، فإن الإحسان عين التصوير أي: صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الأعضاء اهـ أبو السعود.

وفي الخطيب: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ لما كانت دلائل وجوده تعالى إما أن تكون من الآفاق وهي أقسام، وذكر منها أحوال الليل والنهار كما تقدم بيّن منها أيضاً هنا الأرض والسماء فقال: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً﴾ مع كونها في غاية الثقل، ولا ممسك لها سوى قدرة الله، والسماء على علوها وسعتها مع كونها أفلاكاً دائرة بنجوم وطول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والإظلام والإضاءة بناء أي مظلة كالقبة من غير عمد وحامل، ثم ذكر دلائل النفوس وهي دلائل أحوال بدن الإنسان على وجود الصانع القادر الحكيم، فقال: ﴿وصوركم﴾ الخ اهـ.

قوله: ﴿هو الحي﴾ أي: الحياة الحقيقية التي لا انقضاء لها اهـ أبو السعود.

اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ

قوله: (اعبدوه) فسّر به هنا من غير تعرض للاحتمال الآخر وهو السؤال لأن قوله: ﴿مخلصين له الدين﴾ يقتضيه ولأنه هو المترتب على ما ذكر من أوصاف الربوبية والألوهية، وإنما ذكر عنوان الدعاء لأن اللائق هو العبادة على وجه التضرع والانكسار والخضوع اهـ شهاب.

قوله: ﴿مخلصين﴾حال، قوله: ﴿الدين﴾مفعول به. قوله: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ معمول لقول محذوف هو حال أي: قائلين ذلك. وعن ابن عباس: من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ اهـ أبو السعود.

فعلى هذا هو من كلام المأمورين بالعبادة، ويجوز أن يكون من كلامه على أنه استئناف لحمد ذاته بذاته اهـ شهاب.

قوله: ﴿قل إني نهيت﴾ الخ قل لهم رداً عليهم فيما طلبوه منك وهو عبادة آلهتهم اهـ عمادي.

وفي الخطيب: لما أورد على المشركين تلك الأدلة على إثبات إله العالم أمره بقوله: ﴿قل إني نهيت﴾ الخ أي: قل لهؤلاء الذي يجادلونك في البعث مقابلاً لإنكارهم بالتوكيد إني نهيت أي: نهياً عاماً ببراهين العقول، ونهياً خاصاً بأدلة النقل أن أعبد الذين الخ اهـ.

قوله: ﴿لما جاءني البينات﴾ أي: حين جاءني البينات أي: دلائل التوحيد العقلية والنقلية اهـ.

قوله: ﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ لما بين أنه نهي عن عبادة غير الله تعالى بيّن أنه أمر بعبادة الله تعالى فقال: ﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ أي: أنقاد أو أخلص، فالأول: على أن يكون قول أسلم لرب العالمين من قولهم أسلم أمره إلى الله أي سلم، وذلك إنما يكون بالرضا والانقياد لحكمه. والثاني: على أن يكون من قولهم أسلمت له الشيء إذا جعلته سالماً خالصاً على التقديرين يكون مفعول أسلم محذوفاً أي: أسلم أمري له أو أسلم وأخلص توحيدي له اهـ زاده.

قوله: ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ الخ لما استدل على ثبوت الإله بأربع من دلائل الآفاق وهي الليل والنهار والأرض والسماء، وبثلاث من دلائل الأنفس وهي التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكر من دلائل الأنفس كيفية تكوّن البدن من ابتداء كونه نطفة إلى آخر الشيخوخة والموت فقال: ﴿هو الذي خلقكم﴾ الخ اهـ زاده.

قوله: (بخلق أبيكم آدم منه) أي: فالكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿طفلاً﴾ حال من الكاف في يخرجكم، ولما كانت الحال مفردة وصاحبها جمعاً وهذا لا يسوغ أولها بالجمع لأجل التطابق اهـ شيخنا.

وفي المصباح: قال ابن الأنباري: ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع كقوله: (أو الطفل) الذين لم يظهروا ويجوز فيه المطابقة أيضاً اهـ.

عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾ بضم النون وفتحها بتقدير أن، أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف

قوله: ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ معطوف على لتبلغوا أو معمول لمحذوف نظير ما تقدم أي: ثم يبقيكم لتكونوا شيوخاً اهـ.

قوله: (بضم الشين وكسرها) سبعيتان. قوله: ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمى﴾ اللام للتعليل معطوفة على علة أخرى مقدرة قدرها بقوله (لتعيشوا) والمعلل هو ما تقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى، كما أشار إليه بقوله (فعل) ذلك بكم، وقوله: ﴿أجلاً مسمى﴾ وهو وقت الموت، وقوله: ﴿ولعلكم﴾ الخ الواو حرف عطف، ولعل حرف تعليل وهذه العلة معطوفة على العلة التي قبلها اهـ شيخنا.

وفي الشهاب: قوله: ﴿ولعلكم تعقلون﴾ عطف على قوله ﴿لتبلغوا﴾ الخ، وهذا مما يؤيد القول بأنها تكون للتعليل، وقوله: (ما في ذلك) أي: التنقل في الأطوار إلى الأجل المذكور اهـ.

قوله: ﴿فإذا قضى أمراً﴾ الخ مرتبط بجميع ما تقدم من قوله: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ إلى هنا. وفي البيضاوي: والفاء للدلالة على أن ذلك نتيجة ما سبق من حيث إنه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد اهـ.

وقوله: (نتيجة ما سبق) أي: من أفعاله المذكورة بقوله: ﴿الله الذي جعل لكم الليل﴾ إلى هنا فكأنه قيل: فمن هذه أفعاله علم أنه لا يعسر عليه شيء ولا يتوقف وجود آثاره إلا على تعلق الإرادة بوجودها اهـ زاده.

قوله: ﴿بضم النون﴾ أي: على أن هذه الجملة خبر مبتدأ محذوف أي فهو يكون وقوله: (وفتحها بتقدير أن) أي: المضمرة وجوباً بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر اهـ شيخنا.

قوله: (عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور) مقتضى هذا أن تنحل الآية إلى هكذا، فإذا أراد إيجاد شيء فإنما يريد إيجاده فيوجد وهذا لا معنى له فالأولى كما صنع غيره جعل القول المذكور كناية عن سرعة الإيجاد، والمعنى فإذا أراد إيجاد شيء وجد سريعاً عقب تعلق الإرادة بوجوده من غير توقف على استعمال آلة ولا تهيئة عدة اهـ شيخنا.

وعبارة أبي السعود: وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير للسرعة فرتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ولا مأمور، والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به سبحانه وتعالى اهـ.

قوله: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون﴾ الخ تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما

﴿يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ عن الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ عقوبة تكذيبهم ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على الأغلال فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف أي في

يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع، وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ الخ بيان لابتناء جدالهم على معنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود فلا تكرار فيه. أي: انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها بالكلية اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ في محل جر على أنه بدل من الموصول الأول، أو في حيز النصب أو الرفع على الذم، وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكرارها اهـ أبو السعود.

وعبارة السمين: قوله: ﴿الذين كذبوا﴾ يجوز فيه أوجه، أن يكون بدلاً من الموصول قبله، أو بياناً له أو نعتاً، أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوباً على الذم، وعلى هذه الأوجه فقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ جملة مستأنفة سيقت للتمهيد، ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجملة من قوله ﴿فسوف يعلمون﴾ ودخول الفاء فيه واضح اهـ.

قوله: (من التوحيد والبعث) أي وسائر الكتب والشرائع اهـ.

قوله: (إذ بمعنى إذا) جواب عن إيراد حاصله أن سوف للاستقبال، وإذ للماضي فهو مثل قولك: سوف أصوم أمس، ومحصل الجواب أن إذ هنا مستعملة في الاستقبال مكان إذا وسوّغ استعمالها أن هذا لما كان من أخبار الله تعالى وهي مقطوع بوقوعها، فكأن وقعت فعبّر فيها بما هو للماضي مع كون المعنى على الاستقبال، واستعمال إذ بمعنى إذا هنا نظير عكسه في قوله: ﴿وإذا رأوا تجارة﴾ [الجمعة: ١١] الآية اهـ من الخطيب.

قال السمين: بعد هذا التقرير قلت: ولا حاجة إلى إخراج إذ عن موضعها بل هي باقية على دلالتها على المضي وهي منصوبة بقوله: ﴿فسوف يعلمون﴾ نصب المفعول به أي فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الاغلال في أعناقهم أي: وقت سبب الاغلال وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا كأنه قيل: سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الاغلال في أعناقهم، وهو وجه صحيح غاية ما فيه التصرف في إذ بجعلها مفعولاً به ولا يضرنا ذلك، فإن المعربين غالب أوقاتهم يقولون منصوب باذكر مقدراً، ولا تكون حينئذ إلا مفعولاً به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي، وجوزوا أن تكون منصوبة باذكر مقيداً أي: اذكر لهم وقت الاغلال ليخافوا وينزجروا، فهذه ثلاثة أوجه خيرها أوسطها اهـ.

قوله: (عطف على الاغلال) أي: فالظرف خبر عنهما فهو في نية التأخير وقد أشار لهذا بقوله: (فتكون في الاعناق) وقوله: (أو مبتدأ الخ)، وعلى الأولين وهما عطفه على ما قبله وكونه مبتدأ

أرجلهم أو خبر ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١﴾ أي يجرُّون بها ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢﴾ يوقدون ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتاً ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣﴾ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ معه وهي الأصنام ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكروا عبادتهم

محذوف الخبر تكون جملة يسحبون حالهم من المستكن في الظرف، وقيل: استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم. كأنه قيل: فماذا تكون حالهم بعد ذلك؟ فقيل: يسحبون في الحميم الخ اهـ أبو السعود.

والسلاسل: جمع سلسلة والسلسلة معروفة. قال الراغب: وتسلسل الشيء اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه، وماء سلسل متردد في مقره، والسحب الجر بعنف، والسحاب من ذلك لأن الريح تجره أو لأنه يجر الماء اهـ سمين.

قوله: (أو خبره) ﴿يسحبون﴾ وعلى هذا فالرابط مقدر بقوله (بها) اهـ شيخنا.

قوله: (أي جهنم) وقال الخطيب: أي المار الحار الذي يكسب الوجوه سواداً، والأعراض عاراً، والأرواح عذاباً والأجسام ناراً اهـ.

قوله: ﴿يسجرون﴾ من سجر التنور إذا ملأه بالوقود، والمراد أنهم يعذبون بألوان العذاب وينقلون من باب إلى باب اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿ثم قيل لهم﴾ الخ أي: يقال ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق، وقوله: ﴿ضلوا عنا﴾ وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم اهـ أبو السعود.

وقد أشار الشارح لهذا بقوله (ثم أحضرت). وفي الكرخي: قوله: (ثم أحضرت الخ) جواب ما عسى يورد هنا من أن هذا الوجه مخالف لقوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨] أي: فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم. يعني يجوز أن يكون هذا الوجه قبل أن تقرن بهم آلهتهم فإن النار فيها أمكنة متعددة وصفات مختلفة اهـ.

قوله: ﴿أين ما كنتم﴾ الخ ترسم أين مفصولة من ما كما أشار إليه ابن الجزري ونصه مع شرحه لشيخ الإسلام: فأينما كالنحل صل أي: وصل أين بما في قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثمَّ وجه الله﴾ [البقرة: ١١٩] بالبقرة كالنحل أي: كما تصله بها في قوله: ﴿أينما يوجهه لا يأت بخير﴾ [النحل: ٧٦] بالنحل ومختلف أي: والاختلاف في: ﴿أين ما كنتم تعبدون﴾ [الشعراء: ٩٢] في الشعراء: ﴿وأينما تقفوا﴾ [الأحزاب: ٦١] في الأحزاب ﴿وأينما تكونوا يدرككم الموت﴾ [النساء: ٧٨] في النساء وصف أي: ذكر أي: ذكره أهل الرسم وما عدا الثلاثة نحو: ﴿فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا وأين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ [الأعراف: ٣٧] في الأعراف: ﴿وأين ما كنتم تشركون﴾ [غافر: ٧٣] في غافر: ﴿وأين ما كانوا﴾ في المجادلة [المجادلة: ٧] مقطوع اهـ.

قوله: (وهي الأصنام) تفسير لما. قوله: (أنكروا عبادتهم إياها) وهذا المعنى بعيد في مقام الحساب والعرض على رب العالمين، لذا قال أبو السعود: بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً أي: بل تبين

إياها ثم أحضرت، قال تعالى ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أي وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ۝٧٥﴾ تتوسعون في الفرح ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه إن الشرطية مدغمة، وما زائدة تؤكد معنى

لنا أنا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك: حسبته شيئاً فلم يكن كذلك أي: مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون إلى شيء ينفعهم في الآخرة، أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى إن يطالبوا لم يتصادفوا اهـ.

وفي القرطبي: بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً أي: شيئاً يضر ولا ينفع ولا يبصر ولا يسمع، وليس هذا إنكاراً لعبادة الصنم، بل هو اعتراف بأن عبادتهم في الأصنام كانت باطلة اهـ.

قوله: (ثم أحضرت) أي: عندهم فرأوها وقوله: (قال تعالى الخ) استدلال على قوله: (ثم أحضرت) اهـ شيخنا.

قوله: ﴿ذلكم﴾ أي: ذلكم العذاب لما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق، وبما كنتم تمرحون بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخاً أي: أنزلنا لكم هذا بما كنتم تظهرون في الدنيا من السرور بالمعصية وكثرة المال والأتباع والصحة، وقيل: إن فرحهم بما عندهم أنهم قالوا للرسل نحن نعلم أنا لا نبعث ولا نعذب، وكذا قال مجاهد في قوله عز وجل ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ [غافر: ٨٣]. وبما كنتم تمرحون قال مجاهد وغيره: أي تبطرون وتأشرون، وقال الضحاك: الفرح السرور والمرح العدوان اهـ قرطبي.

قوله: (تتوسعون في الفرح) أي: فالمرح سعة الفرح أي: شدته، وفي المصباح: مرح مرحاً فهو مرح مثل فرح فرحاً وزنا ومعنى، وقيل: المرح أشد من الفرح اهـ.

قوله: (من الإشراك الخ) بيان لما. قوله: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ الخ أي: ويقال لهم ادخلوا الخ اهـ قرطبي.

فهو معطوف على قوله: ﴿ذلكم﴾ الخ في حيز القول المقدر. قوله: ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ كان الظاهر أن يقال: فبئس مدخل المتكبرين، وعبر عن المدخل بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود اهـ أبو السعود.

وفي السمين: ولم يقل فبئس مدخل المتكبرين لأن الدخول لا يدوم، وإنما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وإن كان الدخول أيضاً مذموماً اهـ.

قوله: ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ أي: إنا ننتقم لك منهم إما في حياتك أو في الآخرة اهـ قرطبي.

قوله: (فيه) أي: في هذا التركيب وهذا خبر مقدم، وإن الشرطية مبتدأ مؤخر. أي: فإما

الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة

المذكورة فيه ليست هي إما التفصيلية، وقوله: (مدغمة) حال من إن أي: حال كونها مدغمة ولم يذكر المدغم فيه وهو ما المزيدة، فلو قال مدغمة في ما الزائدة لكان أوضح، وقوله: (تؤكد) معنى الشرط المراد به التعليق، فالإضافة بيانية أو المراد به أن الإضافة من إضافة المدلول للدال، وقوله: (أول الفعل) حال من ما الزائدة أي: حال كونها واقعة في أول الفعل أي: فعل الشرط، وقوله: (والنون) تؤكد أي: تؤكد الفعل فلم يذكر المؤكد بفتح الكاف، وقوله: (آخره حال) من النون أي: حال كونها واقعة آخر الفعل أي: في آخره، والحاصل أن هنا مؤكدين بكسر الكاف وهما ما والنون ومؤكدين بفتحها وهما التعليق وفعل الشرط اهـ شيخنا.

قوله: (وجواب الشرط) أي: الأول. قوله: (فالجواب المذكور للمعطوف فقط) جواب عما يقال نتوفينك معطوف على نرينك ففي الكلام شرطان اشتركا في جزاء واحد وهو فإلينا يرجعون، فيلزم أن يكون كل واحد من الشرطين سبباً للجزاء المذكور وهو انتقامه تعالى منهم في الآخرة، وكون الشرط الأول سبباً له غير معقول لأن تعذيبهم في الدنيا بمرأى من النبي ﷺ كيف يكون سبباً لانتقامه تعالى منهم في الآخرة، وإن جعل فإلينا يرجعون جواباً للشرط الثاني وحده بقي الشرط الأول بغير جزاء وتقرير جوابه ظاهر اهـ زاده.

قوله: (للمعطوف فقط) قال البيضاوي بعدما قرر مثل هذا: ويجوز أن يكون جواباً لهما بمعنى إن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب اهـ.

قوله: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ الخ معنى الآية أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: أنت كالرسل من قبلك، وقد ذكرنا حال بعضهم لك ولم نذكر حال الباقين، وليس منهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات إلا وقد جادله قومه وكذبوه فيها فصبروا وكانوا أبداً يقترحون على أنبيائهم إظهار المعجزات الزائدة على ما أتوا به عناداً وعبثاً، وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، والله سبحانه علم الصلاح في إظهار ما أظهروه دون غيره ولم يقدح ذلك في نبوتهم، فكذلك الحال في اقتراح قومك عليك المعجزات الزائدة على ما أتيت به لما لم يكن إظهارها حاصلاً لا جرم لم نظهرها اهـ خطيب.

قوله: ﴿رسلاً من قبلك﴾ المراد بهم ما يشمل الأنبياء بدليل العدد الذي ذكره. قوله: ﴿منهم من قصصنا عليك﴾ أي: ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن وهم خمسة وعشرون، والباقي لم نقصه عليك فيه اهـ شيخنا.

ويجوز في منهم أن يكون صفة لرسلاً فيكون من قصصنا فاعلاً به لاعتماده، ويجوز أن يكون خبراً مقدم، ومن مبتدأ مؤخراً، وفي الجملة وجهان، أحدهما: الوصف لرسلاً وهو الظاهر. والثاني: الاستئناف اهـ كرخي.

قوله: (روي أنه تعالى الخ) عبّر عنه الكشاف بقيل. قال الطيبي: والصحيح ما روينا عن الإمام

آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيهم ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل الإبل خاصة هنا، والظاهر والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر

أحمد عن أبي ذر قال، قلت يا رسول الله: كم عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيراً» اهـ كرخي.

قوله: ﴿وما كان لرسول﴾ أي: ما صح وما استقام لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله، فإن المعجزات عطايا قسمها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها ولا استبداد بإتيان مقترحها اهـ بيضاوي.

قوله: (لأنهم عبيد مربوبون) أي: وأنت مثلهم فلا تقدر أن تأتي بشيء من الآيات إلا بإذن الله فهذا رد على قريش فيما اقترحوا عليه من الآيات كقولهم: اجعل لنا الصفا ذهبا اهـ شيخنا.

وفي القاموس: ورب كل شيء مالكه ومستحقه أو صاحبه والمربوب المملوك اهـ.

قوله: ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ أي: قضاؤه وحكمه بنزول العذاب الخ. قوله: ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ ختمه بقوله: ﴿المبطلون﴾ وختم السورة بقوله: ﴿الكافرون﴾، لأن الأول متصل بقوله: ﴿قضي بالحق﴾ ونقيض الحق هو الباطل، والثاني متصل بإيمان غير نافع ونقيض الإيمان الكفر اهـ كرخي.

قوله: (وهم خاسرون في كل وقت الخ) تعليل للتأويل الذي ذكره بقوله: (أي ظهر القضاء الخ) أي: إنما أول بما ذكر لأن القضاء والخسران محكوم بهما قبل ذلك، بل في الأزل فلا يصح تعليقها على مجيء أمر الله الذي هو عبارة عن القضاء اهـ شيخنا.

قوله: (قيل الإبل خاصة) أي: قيل الأنعام هي الإبل، وهذا القول هو الظاهر لأنها هي التي توجد فيها المنافع الآتية كلها، وقوله: ﴿لتركبوا منها﴾ تفصيل لهذا الإجمال ومن ابتدائية وقيل: تبعيضية، وقوله: ﴿تحملون﴾ لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها في الهوادج وهو السر في فصله عن الركوب، وفي الجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة النحل: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكن فيها جمال﴾ [النحل: ٥] الآية. لكن هذه أجمع منها، فإن قيل: لم لم يقل وفي الفلك كما قال: قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين؟ فالجواب: أن كلمة على للاستعلاء والشيء الذي يوضع على الفلك كما يصحح أن يقال وضع فيه صح أن يقال وضع عليه، ولما

﴿تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

صح الوجهان كانت لفظة على أولى حتى تتم المزاوجة في قوله: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ وقال بعضهم: إن لفظة في هناك أليق لأن سفينة نوح على ما قيل كانت مطبقة عليهم وهي محيطة بهم كالوعاء، وأما غيرها فالاستعلاء فيه واضح لأن الناس على ظهرها اهـ كرخي.

قوله: ﴿فأي آيات الله﴾ منصوب بتنكرون، وقدم وجوباً لأن له صدر الكلام اهـ سمين.

والمعنى: أي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار اهـ بيضاوي.

قوله: (وتذكير أي أشهر من تأنيثه) أي فلذلك لم يقل فأية آيات الله، لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء الجامدة نحو: حمار وحمارة غريب وهي في أي: أغرب لإبهامها اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿أفلم يسيروا﴾ الخ شروع في توبيخهم والفاء عاطفة على مقدر أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض. أي: في أطرافها ونواحيها فينظروا بأبصارهم وبصائرهم. كيف: خبر كان مقدم، وعاقبة اسمها مؤخر، ومن قبلهم صلة الموصول، وقوله: كانوا أكثر منهم استئناف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها والكثرة تعلم بالاخبار والنقل، وشدة القوة تعلم برؤية آثارهم الباقية في الأرض اهـ شيخنا.

قوله: ﴿وآثاراً﴾ عطف على قوة. قوله: (من مصانع) أي: أماكن في الأرض تخزن فيها المياه وهي الصهاريج اهـ شيخنا.

وفي المختار: والمصنعة بفتح الميم وضم النون وفتحها كالحوض يجمع فيه ماء المطر، والمصانع الحصون اهـ.

قوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾ وقوله: ﴿فلما جاءتهم﴾ الخ وقوله: ﴿فلما رأوا﴾ الخ وقوله: ﴿فلم يك ينفعهم﴾ الخ هذه أربع فاءات، الأولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم أي أن عاقبتها خلاف وضد ما كانوا يؤملونه منها وهو نفعها، فلم يترتب عليها بل ترتب عدمه كقولك: وعظته فلم يتعظ، والثانية تشير لتفصيل ما أبهم وأجمل من عدم الإغناء، والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقيبة لأن مضمون قوله ﴿فلما جاءتهم﴾ الخ أنهم كفروا فكأنه قيل: فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا، والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل: فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الايمان الاختياري اهـ أبو السعود.

وفي الكرخي: والفاء في قوله: ﴿فما أغنى﴾ كالنتيجة لقوله: ﴿كانوا أكثر منهم﴾، وإنما كان كالنتيجة لأن ذلك بالحقيقة عكس غرضهم ونقيض مطلوبهم لكنه أشبه النتيجة في الترتيب، والثانية في قوله: ﴿فلما جاءتهم﴾ لأن قوله ﴿فلما جاءتهم رسلهم﴾ كالتفسير لقوله ﴿فما أغنى عنهم﴾، فالفاء تعقيبية تفسيرية إذ التفسير يعقب المفسر اهـ.

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿ فَرِحُوا ﴾ أي الكفار ﴿ بِمَا عِندَهُم ﴾ أي الرسل ﴿ مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين له ﴿ وَحَاقَ ﴾ نزل ﴿ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ أي العذاب ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ أي شدة عذابنا ﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من

قوله أيضاً: ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى، والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به أي: لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسبهم أو كسبهم اهـ أبو السعود.

قوله: ﴿فرحوا﴾ أي: الكفار بما عندهم أي: الرسل من العلم فرح استهزاء وضحك إذ لم يأخذوه بالقبول ويمتثلوا أوامر الله ونواهيه. قال الزمخشري: كأنه قال استهزؤوا بالبينات وبما جاؤوا به من علم الوحي فرحين مرحين، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وحاق بهم ما كانوا بهم يستهزئون﴾ وهذا أحد الأوجه في الآية، والثاني فرح الرسل عند استهزاء الكفار بهم مع كفرهم وسوء غفلتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم وإعراضهم، ففرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله حيث لم يكونوا مثلهم، وهذا أظهر من الأول، وقيل: فرح الكفار بما عندهم أي عند أنفسهم من العلم، وعليه، فالمراد بالعلم علم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة قاله القاضي إشارة إلى أن المراد بالعلم هنا ما يعلم العلم الواقع في قوله تعالى: ﴿بل إدراك علمهم في الآخرة﴾ [النمل: ٦٦] وغيره لا ذلك بعينه كما هو ظاهر كلام الزمخشري إذ لا مخصص اهـ كرخي.

قوله: (أي العذاب) تفسير لما كانوا به يستهزئون، فإن الرسل كانوا يعدونهم بنزول العذاب عليهم في الدنيا لو لم يؤمنوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية اهـ شيخنا.

قوله: ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ أي: في الدنيا. قوله: ﴿بما كنا به مشركين﴾ وهو الأصنام.

قوله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم﴾ يجوز رفع إيمانهم اسماً لكان، وجملة ينفعهم خبر مقدم، ويجوز أن يرتفع بأنه فاعل ينفعهم وفي كان ضمير الشأن، وقد تقدم لك هذا محققاً في قوله: ﴿ما كان يصنع فرعون﴾ [الأعراف: ١٣٧] وأنه لا يكون من باب التنازع فعليك بالالتفات إليه، ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع لأنه بمعنى لا يصح ولا ينبغي كقوله: ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾ [مريم: ٣٥] اهـ سمين.

قوله: (نصبه على المصدر الخ) ويجوز أن يكون منصوباً على التحذير أي: احذروا سنة الله في المكذبين التي قد خلت في عباده اهـ سمين.

وقوله: (بفعل مقدر) أي سن تعالى بهم سنة من قبلهم، أي: أجراهم على عادته وسننه في الأمم الماضية، وقوله: (أن لا ينفعهم الإيمان) تفسير لسنته وعادته اهـ شيخنا.

لفظه ﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٨٥﴾ تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

فائدة:

رسمت سنة مجرورة، ووقف عليها ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي بالهاء، والباقون بالتاء، وأمال الكسائي الهاء في الوقف اهـ خطيب.

قوله: ﴿التي قد خلت﴾ أي: مضت في عباده. قوله: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ أي: وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً اهـ أبو السعود.

وقال السمين: لا يحتاج لهذا بل يصح إبقاؤه على أصله اهـ.

تم بعونه تعالى الجزء السادس ويليه الجزء السابع وأوله سورة فصلت.

فهرس المحتويات

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبإ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر